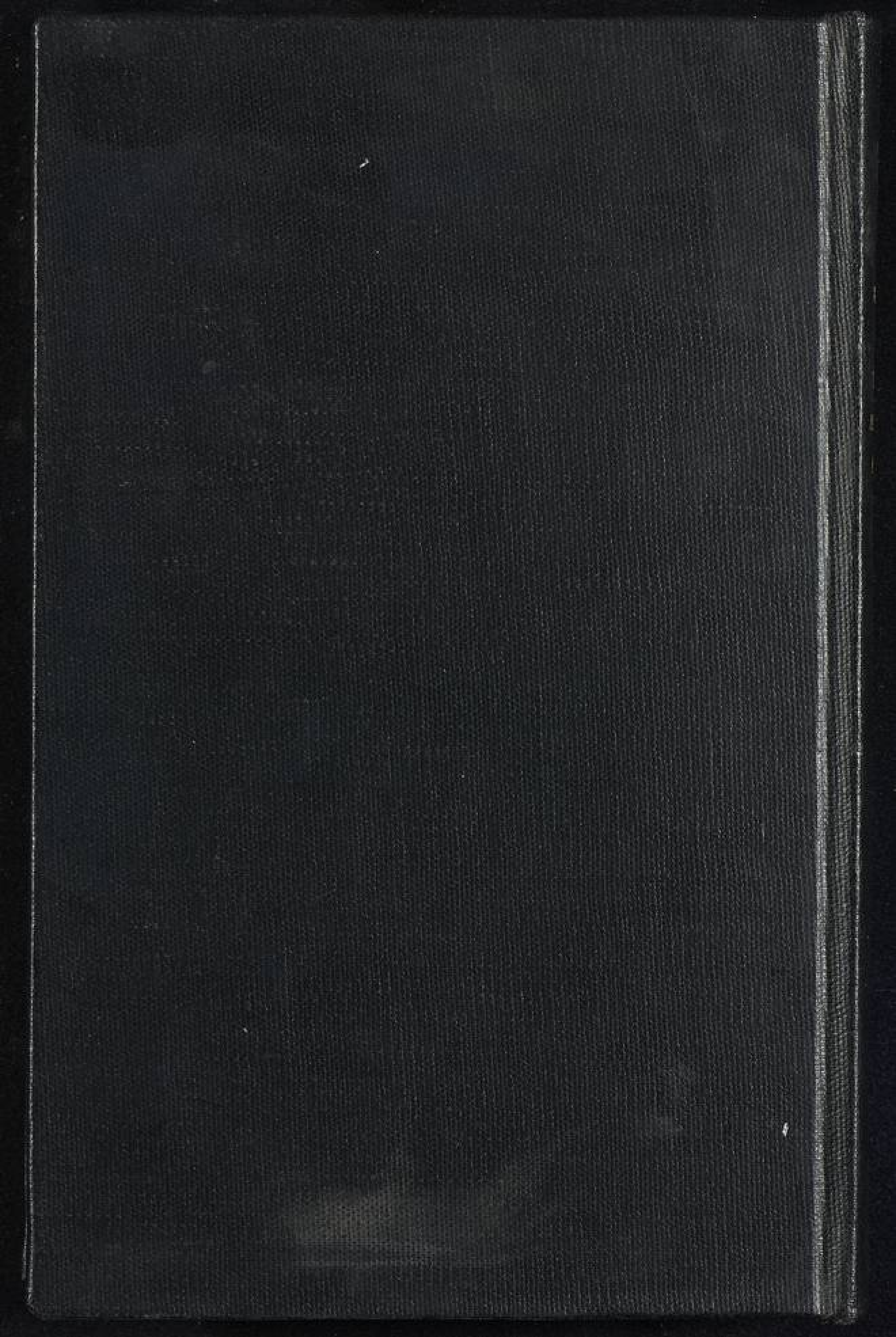
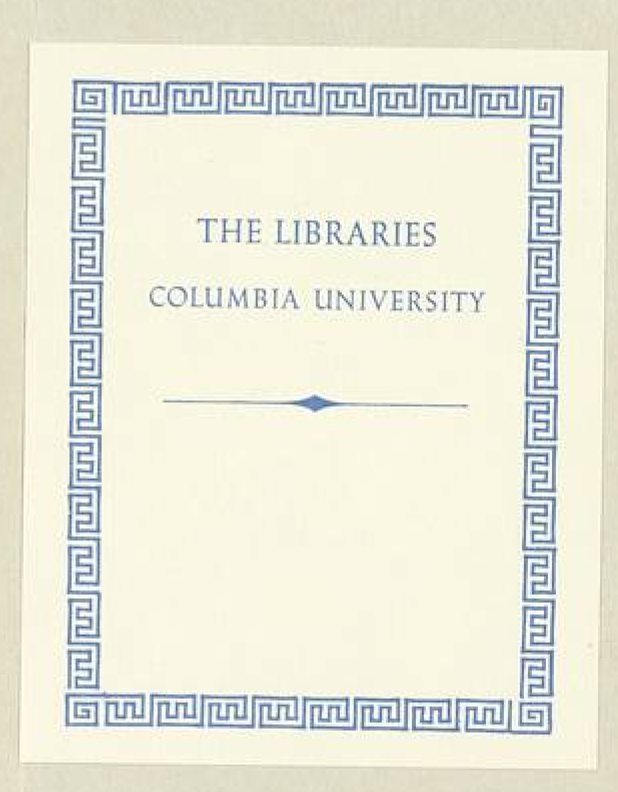
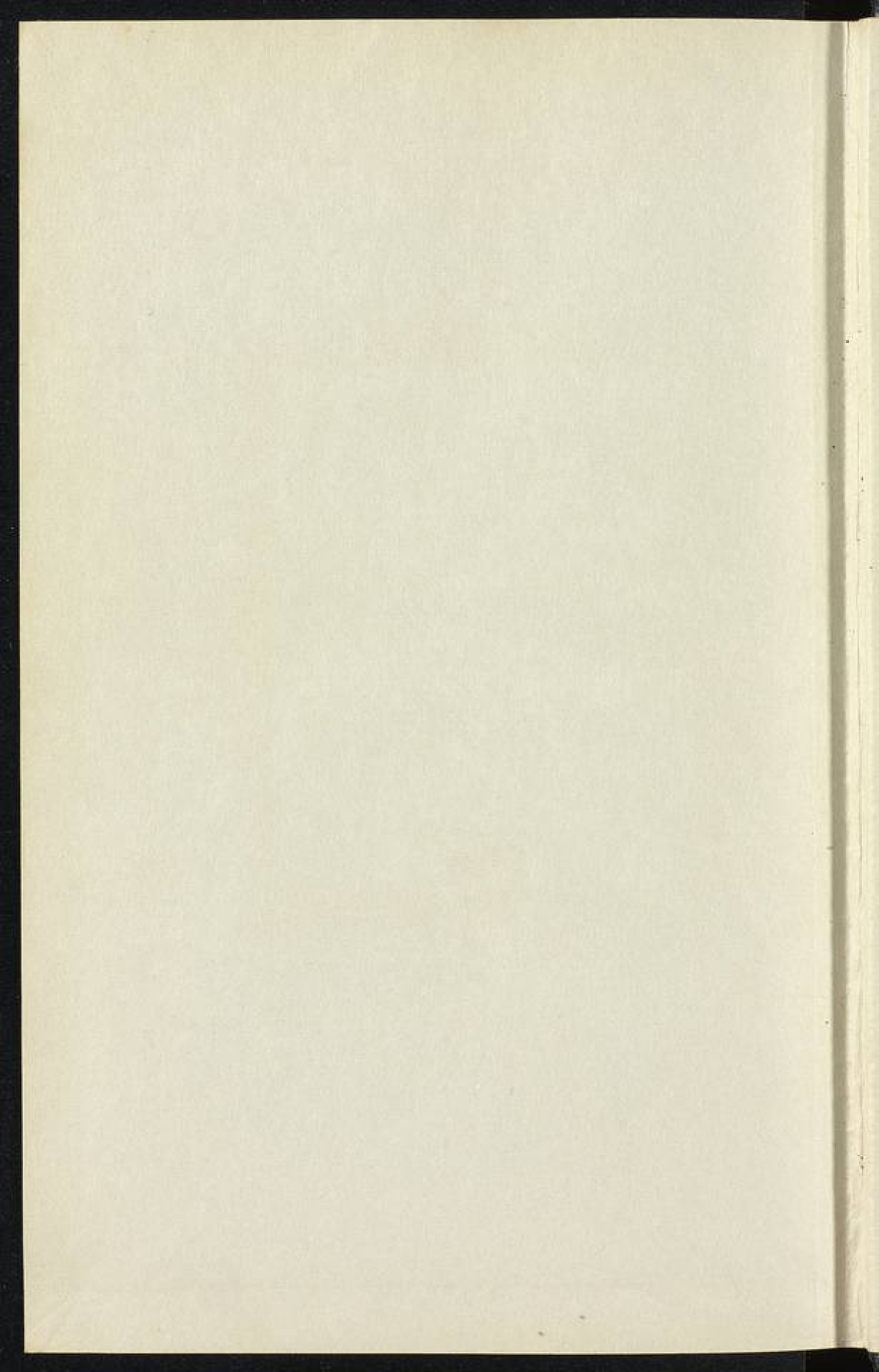
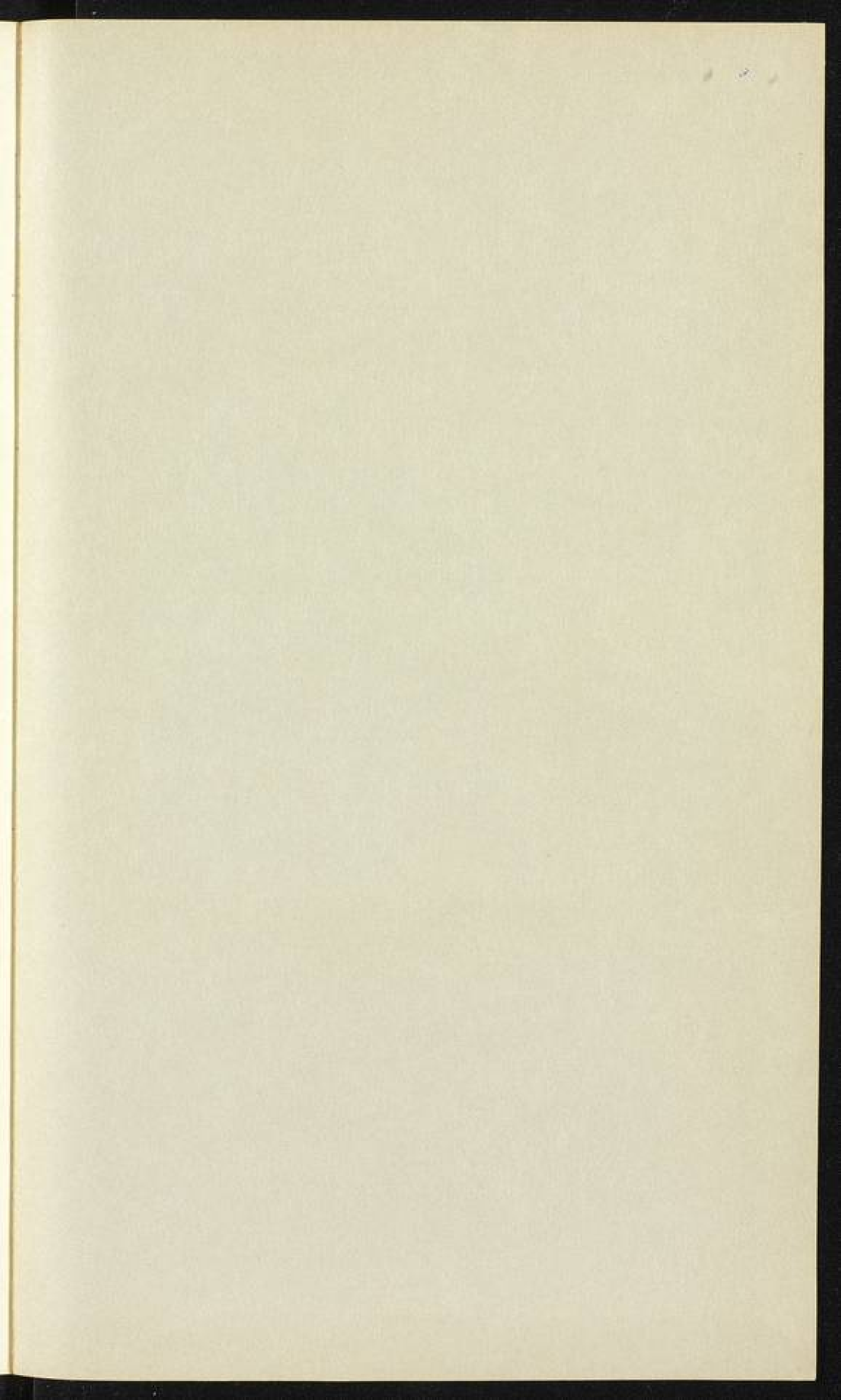
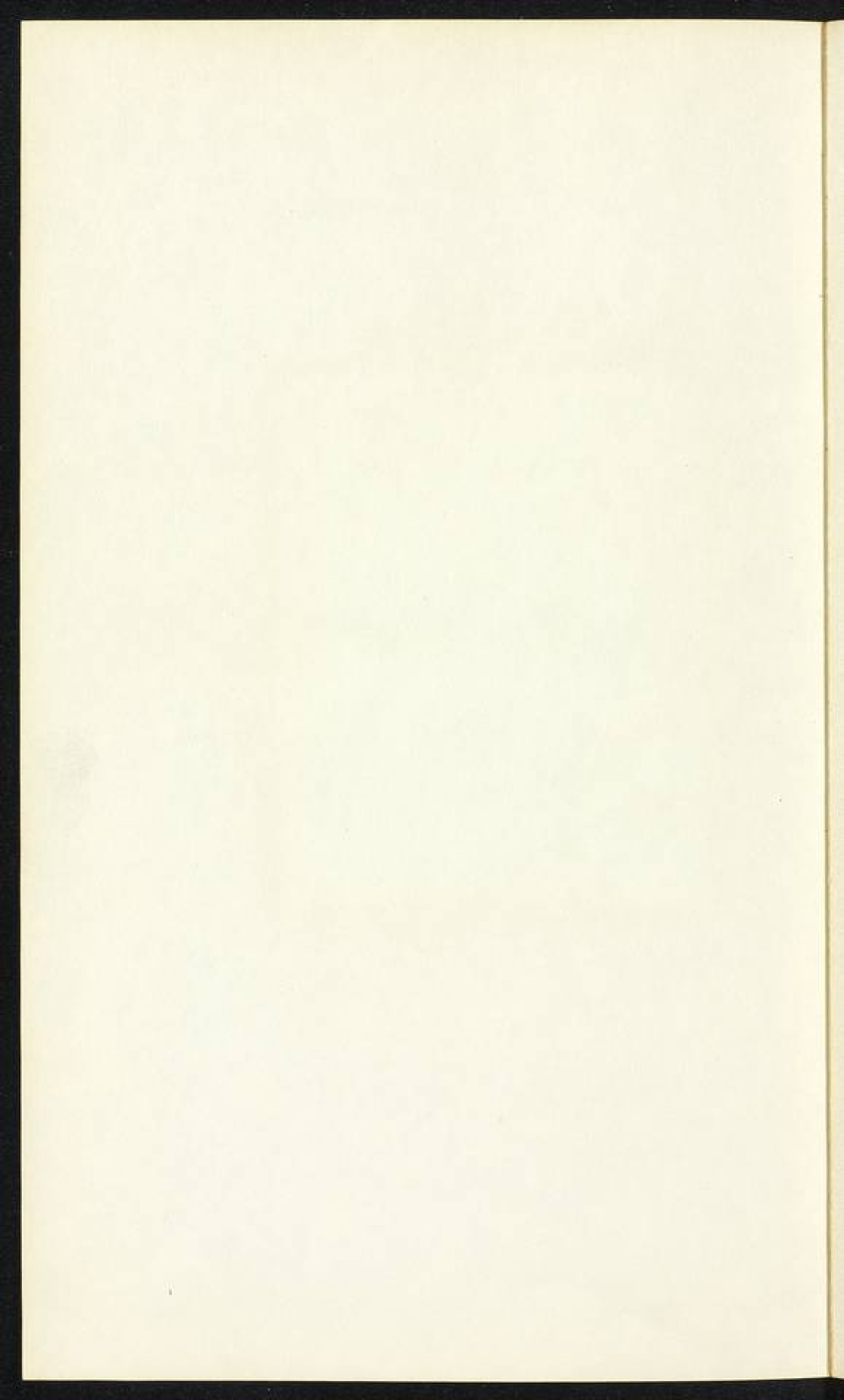
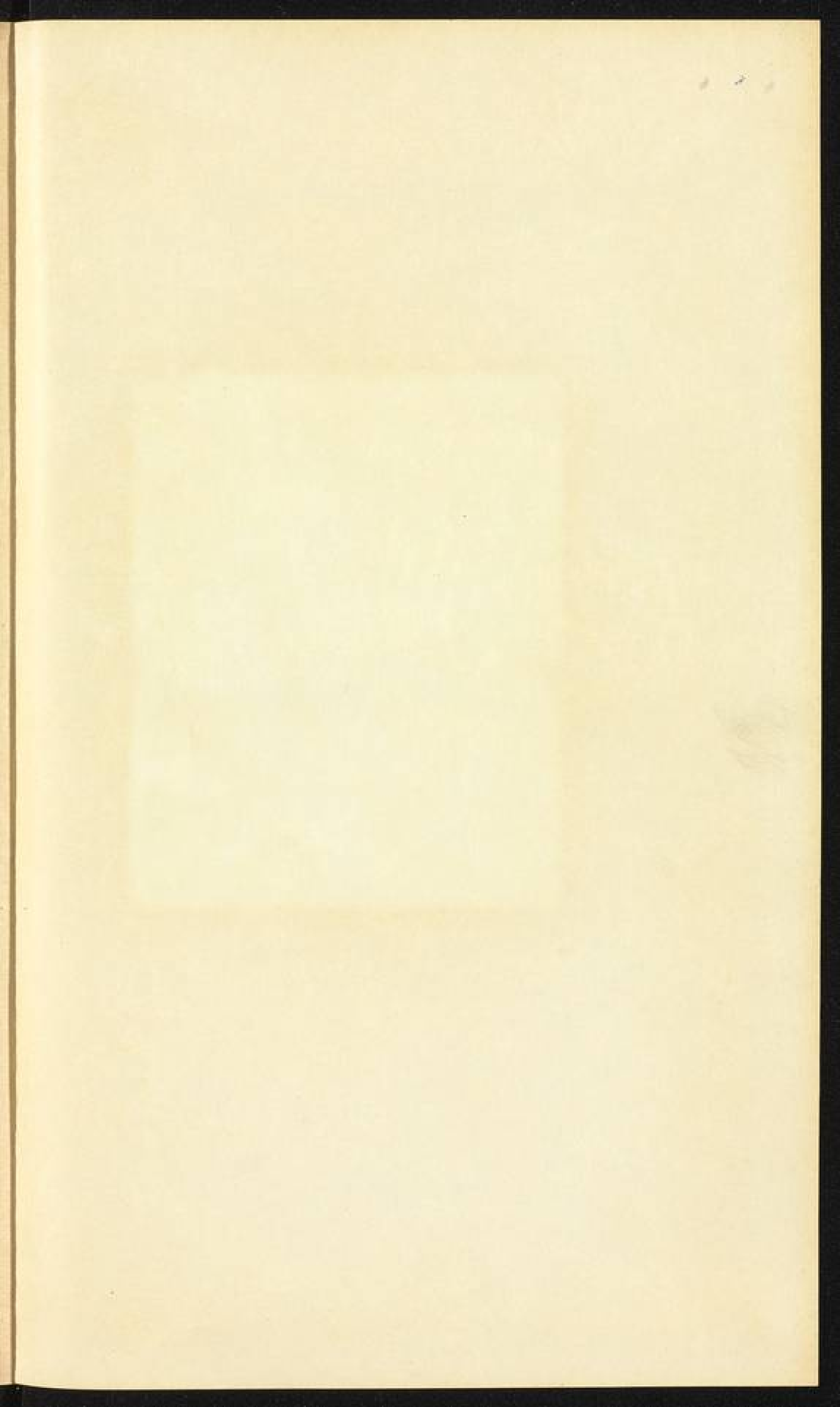



THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY









عبد الرحمن بن محمد الجيلالي




يشتمل على إيجاز واف مفصل لتاريخ القطر الجزائري في جميع اطواره وحركاته السياسية والاجتماعية والعلمية والدينية والادبية والفنية والاقتصادية والعمرانية والصناعية مع تراجم العبقريين وارباب القراء بين مشاهير الجزائريين منذ أقدم العصور الى الآن .

---

**الجـزء الاول**

يتضمن ست خرائـط وست لوحات مصورة

---

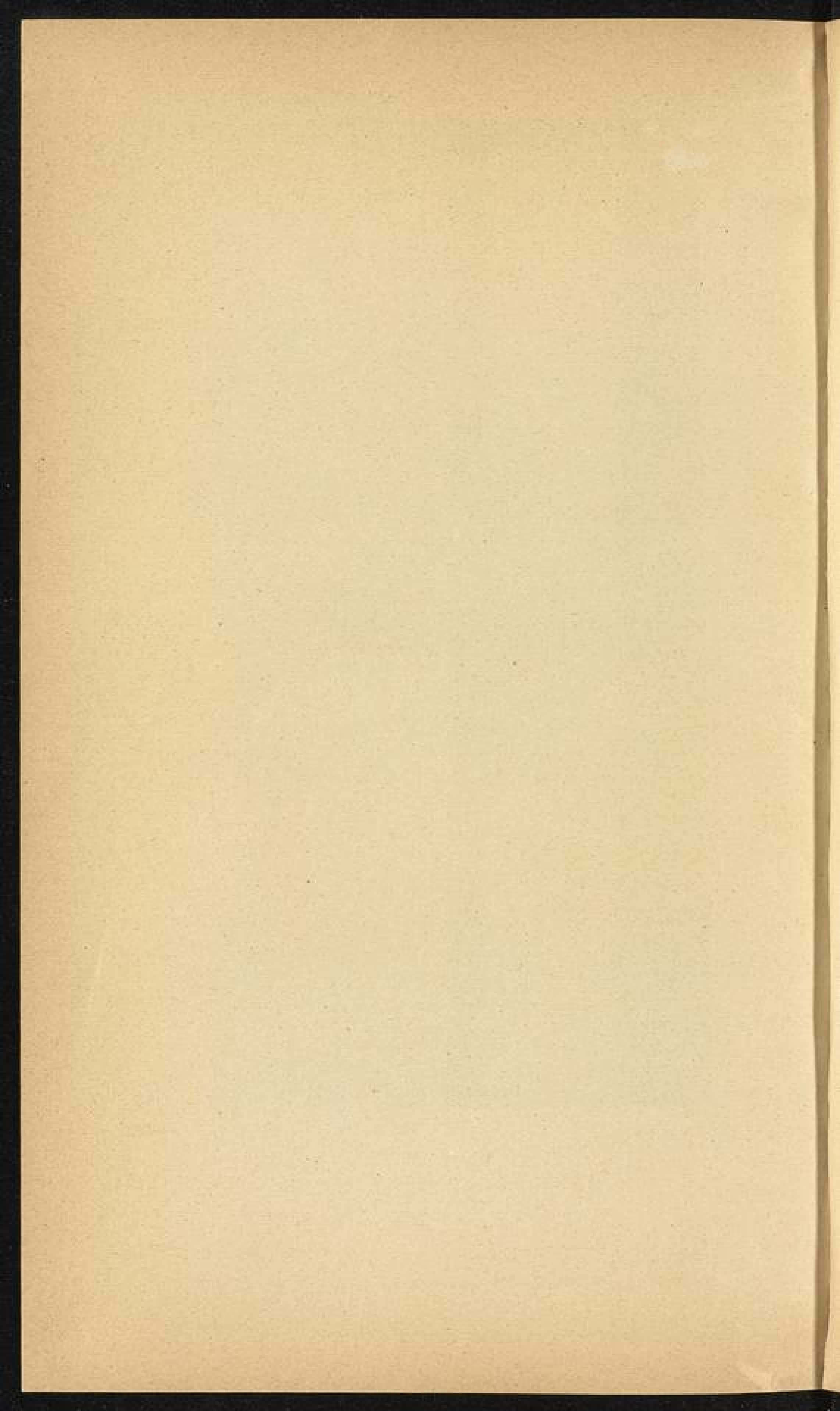
ما كان في هذه الدنيا بنو زمن
الا وعندي من أخبارهم طرف

**المصري**

الطبعة الاولى

المطبعة العربية - الجزائر

١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م



بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

# تقـــديم

**أمّا بعدُ** فباسم الحرية المقدس اتقدم ملبياً اخوانى حفظهم الله تعالى الذين هم كثيراً ما اسمعونى الحاحهم المؤكد في وضع كتاب موضح لتاريخ الوطن الجزائرى الكريم جامع للحقائق التاريخية مجردة ءات بذكر تفاصيل الوقائع معللة بأسبابها ونتائجها منذ اقدم العصور الى الآن ... مع اشتراطهم عليّ بأن يكون ذلك في اسلوب سهل وتعبير حر ونظام عصرى وطريقة واضحة !... ولعمرى ان البعض من هذا فى موضوع واسع كهذا لينوء بالعصبة اولى القوة فكيف بهذا العاجز الضعيف ؟... فاعتذرت للرفقة الكرام بشتى المعاذير فلم يقبلوا ، وشرحت لهم ضعفى وقصورى امام كل هذه القيود والظروف الضيقة فلم ينصفوا ، بل انهم ثبتوا مصممين على رايهم راسخين فيه رسوخاً لا يغيره تنقل الزمان وتلونه ، ولا علل الدهر وحوادثه .. بل ما زادهم ذلك الا صلابة في التمسك برايهم وحدة فيه ، ولسانهم الناطق يقول : لا ملجأ ولا منجى لك منه ولا سبيل الا اليه . فلله الامر من قبل ومن بعد !.. واخيرا رضخت لطلبهم واسعفتهم فى اقتراحهم «مكرها اخاك لا بطل» بوضع هذا السفر المتواضع ، مقتصرا فيه على ذكر الاهم فالاهم من حوادث التاريخ الجزائرى الماجد ، محكما فيه الروح العلمية والامانة التاريخية المحضة ، متجرداً ما استطعت من كل تحمس او انفعال كيفما كان نوعه او تعدد مثاره . جامعا فيه ما لا يسع الانسان جهله . ولا يحسن – بالجزائرى على الاخص – اغفاله ، مكتفياً في بعض المواضع بالاشارة الخاطفة الى ابرز الوقائع واهمها وذلك لضيق المجال عن التفصيل او لقلة فائدته ؛ مع الالماع الى سير العمران والحضارة الجزائرية وسيرة مشاهير الوطنيين من عباقرة الجزائر في مختلف العصور والاحقاب ؛ ونزهته جهد المستطاع عن كل تعقيد وإبهام ، سالكا فيه مسلكا بسيطاً

لا يحتاج فيه المتعلم الناشيء ولا القاريء العادى الى كدح ذهن ولا جهد فكر ولا اعنات روية . ولا ادعى الفضل في ذلك ، حيث انني لم احيء فيه بشيء جديد او مبتكر حديث وإنما هو جمع وتدوين لما كنت سطرته لنفسي وجمعته من تاريخ وطني العزيز المشتت هنا وهناك !.. مع تنسيق نصوصه الوثيقة ووضعها حسب نظامها الطبيعي من فجر التاريخ الى الآن . وتعمدت الايجاز في القسم الاول الخاص بما قبل الاسلام لعدم تعلق الغرض الشديد به اليوم ، واسهبت مشبعا البحث في العصور الاسلامية اسهابا يحمل الشاب المسلم الجزائرى على احترام بلاده وتمجيد تاريخه اللامع العظيم والثقة بمستقبله الزاهر النير ، مع نفخ روح القومية فيه ، واعداده لوصل حاضره بماضيه ، حتى تتكامل فيه اركان الحياة الاربعة : المحافظة على شخصيته وميزته ، وتقديس اسلافه الامجاد ، والتمسك بدينه ، والعمل على الاشادة بوطنه ... محتسبا فيما تكبدته فى تحريره من المشاق ، وما اضعت فى جمع حقائقه وتأليفه من واجبات للنفس والاهل والاعلاق !...

لا يعرف الشوق الا من يكابده    ولا الصبابة الا من يعانيها

شاكراً للسادة المقترحين حسن ظنهم وثقتهم بى راجياً من البارى عز وجل ان يحقق آمالهم وظنهم في هذا الكتاب ويفيض عليه من رضاه ، انه على ما يشاء قدير نعم المولى ونعم النصير .

المؤلف

تحريرا في الجزائر { رجب ١٣٧٢ / مارس ١٩٥٣

# رفع الكتاب

باسمك اللهم اتشرف برفع كتابي هذا واهدائه الى مقام رفعة حامل قبس الهداية الاسلامية الى هذه الديار ، ومنقذها من وصمة الكفر والعار ، والمعلى فيها كلمة الله ، والمجاهد في سبيل الله ، الى فاتح افريقية ، وقاهر القوات الرومانية ، وكاسر عادية البيزنطية ، الى مزلزل اقدام القياصرة ، وهازم جحافل جيوش الاباطرة وملوك البرابرة ، الى روح ذلك البطل الخالد والامير الفاتح العظيم ، مفخرة الجزائر ، ودرة تاج تاريخ مجدها في الحاضر والغابر ، سيد الشهداء :

## «عقبة بن نافع الفهرى»

رضى الله تعالى عنه

الى هذه الشخصية التاريخية العظيمة ، والى تلك الارواح الجريئة الجبارة : ارواح اولئك الشهداء الفاتحين ابطال التاريخ الجزائرى الماجد اقدم هذا السفر المتواضع من « تاريخ الجزائر العام » قاصدا بذلك لفت نظر شباب الجزائر الناهض وتوجيهه الى دراسة تاريخه الحافل الجزل لينشأ على تقدير أعمال اسلافه ، والتأسى بعظمائه الكرام . وان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد .

# اهم مصادر الكتاب ومراجعه مرتبة ترتيبا ابجديا


| | | |
|---|---|---|
| اتحاف ملوك الزمان (معرب) | خليفة محمود | طبع بولاق ١٢٦٢ |
| اخبار ملوك بني عبيد | محمد بن حماد | طبع الجزائر ١٣٤٦ |
| الازهار الرياضية | سليمان الباروني | طبع مصر بدون تاريخ |
| الاستقصاء | احمد الناصرى | طبع مصر ١٣١٢ |
| الاسلام والحضارة العربية | محمد كرد علي | طبع مصر ١٩٣٤-٣٦ |
| اعلام الاعلام | لسان الدين بن الخطيب | مخطوط |
| افريقيا الشمالية ... | م.م. المشرقى | طبع رباط ١٩٥٠ |
| الانيس المطرب | ابن ابي زرع | طبع اوبسالا النرويج ١٨٦٦ |
| بغية الرواد | يحيى بن خلدون | طبع الجزائر ١٣٢٢ |
| البيان المغرب | ابن عذارى | طبع ليدن ١٨٨١ |
| البستان | ابن ابى مريم | طبع الجزائر ١٩٠٨ |
| تاريخ الاستعمارين | امين سعيد | طبع مصر ١٩٣٦ |
| تاريخ افريقية والمغرب قبل الاسلام | ...؟ | طبع باريس ١٢٨٠ |
| تاريخ بلد قسنطينة | احمد ابن العطار | مخطوط |
| تاريخ الجزائر | محمد مبارك الميلى | طبع قسنطينة ١٣٥٠ |
| تاريخ الدواتين | محمد الزركشى | طبع تونس ١٢٨٩ |
| تاريخ الدولة العثمانية | محمد فريد | طبع مصر ١٨٩٦ |
| تاريخ اللغات السامية | اسرائيل ولفنسون | طبع مصر ١٩٢٩ |
| تحفة الزائر | محمد ابن الامير عبد القادر | طبع الاسكندرية ١٩٠٣ |
| تعريف الخلف برجال السلف | ابو القاسم الحفناوى | طبع الجزائر ١٩٠٦ |
| تعاليق الامير شكيب ارسلان على كتاب | حاضر العالم الاسلامي | طبع مصر ١٣٥٢ |
| تقاييد | ابن رجب جاويش التركي | مخطوط |

| الكتاب | المؤلف | الطبع | السنة |
|---|---|---|---|
| التكملة لكتاب الصلة | ابن الابار | طبع مجريط | ١٨٨٦ |
| التهذيب في اصول التعريب | الدكتور احمد بك عيسى | طبع مصر | ١٣٤٢ |
| حياة لامورييير (معرب) | سليم خطار الدحداح | طبع جونية | ١٨٩٦ |
| خلاصة تاريخ المغرب | محمد وهبي | طبع تيطوان | ١٩٤٤ |
| خلاصة تاريخ العرب (معرب) | سيديو | طبع مصر | ١٣٠٩ |
| خلاصة تاريخ تونس | ح. ح. عبد الوهاب | طبع تونس | ١٣٤٤ |
| الذخيرة السنية | نشر م. ابن ابي شنب | طبع الجزائر | ١٩٢٠ |
| ذكرى العاقل | الامير عبد القادر | طبع ؟ | ؟ |
| الرحلة القمرية | ابن زرفة | مخطوط | |
| رقم الحلل | لسان الدين ابن الخطيب | طبع تونس | ١٣١٦ |
| الزهرة النائرة | محمد التلمساني | مخطوط | |
| شرح عبد الرحمن الجامعي على ارجوزة الحلفاوي في تاريخ فتح وهران | | | مخطوط |
| الشرق الاسلامي | حسين مؤنس | طبع مصر | ١٩٣٨ |
| صفوة الاعتبار | محمد بيرم الخامس | طبع مصر | ١٣٠٢ |
| الضوء اللامع | شمس الدين السخاوى | طبع مصر | ١٣٥٣ |
| العبر .... | عبد الرحمن بن خلدون | طبع بولاق | ١٢٨٤ |
| عجائب الاسفار | محمد بوراس | مخطوط | |
| علم التاريخ (معرب) | عبد الحميد العبادى | طبع مصر | ١٩٣٧ |
| عنوان الدراية | احمد الغبريني | طبع الجزائر | ١٩١٠ |
| غزوات عروج | نشر عبد القادر نور الدين | طبع مصر | ١٩٣٤ |
| فتح العرب للمغرب | حسين مؤنس | طبع القاهرة | ١٩٤٧ |
| فتوح افريقية | ابن عبد الحكم | طبع الجزائر | ١٩٤٢ |
| قرطاجنة في اربعة عصور | أحمد توفيق المدني | طبع تونس | ١٩٢٥ |
| القصص المعرب | محمد بوراس | مخطوط | |

| | | | |
|---|---|---|---|
| الـكامل | عز الدين ابن الاثير | طبع مصر | ١٣٠٣ |
| كتاب الجزائر | احمد توفيق المدنى | طبع الجزائر | ١٣٥٠ |
| كشف البضائع | محمد العنابى | مخطوط | |
| المـؤنس | ابن ابى دينار | طبع تونس | ١٣٥٠ |
| محمد عثمان باشا | احمد توفيق المدنى | طبع الجزائر | ١٣٥٦ |
| المسالك والممالك | عبد الله البكرى | طبع الجزائر | ١٩١١ |
| المعـجب | عبد الواحد المراكشى | طبع ليدن | ١٨٨١ |
| معجم الادباء | ياقوت الحموى | طبع مصر | ١٣٥٧ |
| معجم البلدان | « « | طبع ليبسيك | ١٨٦٦ |
| المغرب الجاهلى | التهامى الوزانى | طبع تيطوان | ١٣٦٦ |
| موجز التاريخ العام للجزائر | عثمان الكعاك | طبع تونس | ١٣٤٤ |
| هداية المدرس | على عمر بك | طبع مصر | ١٣٤٢ |
| نزهة المشتاق | الشريف الادريسى | طبع ليدن | ١٨٦٤ |
| وفيات الاعيان | ابن خلكان | طبع بولاق | ١٢٩٩ |

**Les origines Berbères** - Louis Rinn - Alger, 1889.

**Histoire d'Algérie** - S. Gsell, Marçais, G. Yver - Paris, 1929.

**Histoire de l'Algérie** - E. Cat -Paris, 1929

**La Question Algérienne** - N. d'Orient, M. Lœw - Paris, 1936

**Essai chronologique sur les Musulmans célèbres de la ville d'Alger** - Joachim de Gonzalez - Alger, 1886.

**Domination turque dans l'ancienne Régence d'Alger** - M. Walsin Esterhasy - Paris, 1840.

**Les civilisations de l'Afrique du Nord** - V. Piquet - Paris, 1917.

**Histoire de l'Algérie** - G. Esquer - Paris, 1950.

**Histoire d'Alger** - De Grammont - Paris, 1887.

**Histoire de Constantine sous les Beys** - E. Vayssettes - Constantine, 1869.

# أهمية التـاريخ فى نظر العلماء والفـلاسفة

علماء العرب :

التاريخ للزمان مرآة ، وتراجم العلماء للمشاركة والمشاهدة مرقاة ، واخبـار الماضين لمن عانته الهموم ملهاة ، وقد افاد التاريخ حزماً وعزماً ، وموعظة وعلماً ، وهمة تذهب هماً ، وبيانـاً يزيل وهناً ووهماً ، وصبراً يبعث التاسى بمن مضى ، واحتشاماً يوجب الرضى بما خفى وجلا من القضاء . «وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك . لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب .»

**الصلاح الصفدى**

لم استعن على دفع كذب الكذابين بشىء مثل التـاريخ .

**حسان بن يزيد**

اذكر من مضى واعتبر بمن خلا ، تزل غرتك . وتزد بصيرتك .

**ابو منصور الثعالبى**

الجاهل بالتاريخ راكب عمياء ، وخابط خبط عشواء ، ينسب الى من تقدم اخبار من تأخر ، ويعكس ذلك ولا يتدبر

**احمد بابا التنبكتى**

لا حياة لامة إلا بإحياء ماضيها

**الدكتور حسين هيكل**

لا مراء فى ان التاريخ هو اكبر عـامل على الروح الوطنية حتى ليصح القـول بأن الوطن هو تاريخ الوطن .

**عبد الرحمن صدقى**

جاء فى الحكمة اليونانية ان فى تعليم التاريخ تعليم للفلسفة بالامثلة
.....

انه لا يتصور على وجه الكرة وجود امة تشعر بذاتها ، وتعرف نفسها قائمة بنفسها الا اذا كانت حافظة لتاريخها ، واعية لماضيها ، متذكرة لاولياتها ومبادئها ، مقيدة لوقائعها ، مسلسلة لانسابها ، خازنة لآدابها مما لا يقوم به الا علم التاريخ الذى هو الوصل بين الماضى والمستقبل ، والرابط بين الآنف والمستأنف

الامير شكيب ارسلان

ان قلم تواريخ العالم ووقائعه هو قلم المعاد الروحاني فانه يحضر ما مضى من العالم وحوادثه ويعيده لك فى صورة الخيال فتراه بقلبك وتشاهده ببصيرتك

ابن القيم الجوزية

واخدع الاحياء ما شئت فلن     تجد التاريخ في المنخدعين

أحمد شوقي

التاريخ من اعظم العلوم ادبا ، واعذبها منبعا ، واهناها مشربا ، وانورها مطلعا ، واحلاها فى القلوب موقعا ، لم تزل محاسنه تروق ، وفوائده تفوق ، وفرائده تشوق ، به تعرف اخبار من سلف من العرب والعجم ، واحاديث ذوى المراتب والهمم ، وتستفاد منه محاسن الاعيان ، وتفهم مواقف الشجعان ، ومقاتل الفرسان ، واوقات مواليدهم ، ومدد اعمالهم ، ومواضع منازلهم ، ومعاهد ديارهم ، وسيرة الكرماء في كل وقت ، ومن اختص بفيض هباته بالهيبة وغيره بالمقت ، وكل عالم وعمن اخذ فنون علمه ، وكل اديب ومحاسن نثره وبديع نظمه ، والنظر في السنة الشريفة واسماء رجالها ، ومراتب رواتها ، وطبقات فرسان مجالها ، حتى كأن الواقف عليه قد ادرك كلا منهم فى عصره ومصره ، ونظره

فى ساحة ميدانه ومشيد قصره ؛ وراى الاية واصبح للعلوم من افواههم متلقيا ، وعلم من كان بجده وهزله الى ورود العلياء مرتقيا ، او كأنه قد شاهد كسرى فى ايوانه ، وهو يقص الرؤيا على موبذانه ، وعاصر سيف بن ذى يزن فى اوانه ، وجالس ابن ابي الصلت ينشده على قصر غمدانه ، وفي كتاب الله عز وجل وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من اخبار الامم السابقة ، وانباء القرون الخالية ، ما فيه عبرة لذوى البصائر ، واستعداد ليوم تبلى فيه السرائر ، وقد اختار الله لنا ان نكون آخر الامم ، واطلعنا على اخبار من تقدم ، لنتعظ بما جرى على القرون الخالية ، وتعيها اذن واعية

ابن شاكر الكتبي

لا تستطيع الامم ان تنهض نهضة صحيحة الا إذا فهمت ماضيها احسن فهم واتخذت منه في حاضرها قنطرة الى المستقبل

من تقرير اللجنة الثقافية للجامعة العربية

ان الامة التي يستهين ابناؤها بماضيها ، ويزهدون فى اخبارها ، لا يؤمن حاضرها من استخفافهم ، ولا تصان كرامتها من استهتارهم ، كما لا تسلم نفوسهم من الهوان ، اذ لا مناعة لعصبيتهم القومية ، ولا عصمة لعزتهم الوطنية ، ان حياة الامة هى سلسلة متصلة ووحدة لا تتجزأ ، فمن لا يعتز بماضيها . لا يصلح ان يرعى زمام حاضرها

من كلمة الامير جعفر الحسنى
مندوب سورية فى مؤتمر الآثار فى البلاد العربية

ان من لا ماضى له لا حاضر له ، ومن لا حاضر له لا مستقبل له

من خطاب احمد فخرى
مندوب اليمن في مؤتمر الآثار فى البلاد العربية

ان للتاريخ اثرا كبيرا فى الثقافة العامة ، فهو سجل الايام من سياسة وعمران وفن وادب

مجلة الهلال (ديسمبر ١٩٣٠)

عليكم بمطالعة التــواريخ فانها تلقح عقــلا جديدا

من وصية ابى حيان لاولاده

علم الملــوك النسب والخبـر ، ودرس كتب الحروب والسير

حكمة عربية

التــاريخ أعمــار لا يدركهــا الفنــاء !...

.....

التــاريخ معاد معنوى يعيد الاعصار وقد سلفت ، وينشر اهلــها وقد ذهبت آثارهم وعفت ، وبه يستفيد عقول التجارب من كان غرا ، ويلق من قبــله من الامم وهلم جرا ، فهم لديه احياء وقد تضمنتهم بطون القبور ، وعنه غيب وقد جعلتهم الاخبار فى عــداد الحضور . ولولا التــاريخ لجهــلت الانساب ، ونسيت الاحساب ، ولم يعلم الانسان ان اصله من تراب ، وكذلك لولاه لماتت الدول بموت زعمائها ، ووعمى على الاواخر حال قدمائها ، ولم يحط علما بما تداولته الارض مــن حوادث سمائها ولمكان العنــاية به لم يخل منه كتاب مـن كتب الله المنزلة ، فمنها ما اتى باخباره المجملة ، ومنها ما اتى باخبــاره المفــصلة ، وقد ورد فى التوراة مفرداً فى سـفر من اسـفارها وتضمن تفصيل احوال الامم السالفة ومدد أعمارها . وقد كانت العرب على جهلها بالقلم وخطه ، والكتــاب وضبطه ، تصرف الى التاريخ جل دواعيها ، وتجعل لها اول حظ من مساعيها ، فتستغنى بحفظ قلوبها عن حفظ مكتوبها ، وتعتاض برقم صدورها ، عن رقم سطورها ، كل ذلك عناية منها بأخبار اوائلها ، وايام فضائلها . وهــل الانسان الا ما اسمه ذكره وبناه ؟!... وهل البقاء لصورة لحمه ودمه لو لا بقاء معناه ؟!...

عز الدين ابن الاثير

**علماء الغرب :**

إذا تأملنا قصر حياة الانسان ومعرفتنا المحدودة حتى بما يقع فى زمننا ، فلا شك اننا نشعر بأننا كنا نبقى اطفالا فى ادراكنا لو لم يقيض لنا هذا الاختراع الذى يرجع بتجربتنا الى جميع العصور الماضية ، والى اقدم الامم الخالية ، ويجعلها تمدنا بأسباب التقدم فى الحكمة كما لو كانت تحت نظرنا واسماعنا . ان الرجل المطلع على التاريخ ليمكن ان يقال عنه من بعض الوجوه انه يعيش منذ بداية العالم وانه دائم الاستمداد من كل مملكة يمر بها مدداً يضيفه الى المدخر المخزون من معارفه .

**دافيد هيوم**

فيلسوف ومؤرخ واقتصادى ابريطانى

... وان امة تغفل تدوين تاريخها وتهمل المحافظة على نتائج قرائحها لتورثها لخلفها لآيلة حتما الى احط انواع الهمجية مهما كانت درجتها فى الحضارة والعمران .

**الدكتور ولفنسهن**

أستاذ اللغات السامية بجامعة مصر

... وما التاريخ قديمه وحديثه إلا بمثابة نظارات ينظر بواسطتها الى النفس البشرية والى العقل البشرى تتبعا لخطواتها فى مضمار الحياة ... وان المؤرخ هو الذى يلمس بيدى عقله قروح الانسانية ويعرف مواطن علاتها ، لانه يقرا فى كتاب الحياة فصولا متنوعه تشمل جميع اطوارها وادوارها ؛ وهو نفسه صحافى الازمنة الغابرة ، ومعلم الازمنة الحاضرة .

**وليم لانسفليس**

التاريخ مشكاة الحقيقة ، وشاهد الماضى ، ورائد المستقبل

**سيسرون**

خطيب سياسى رومانى

ان دارسة التاريخ تنشط الفكر وتفتقه وتساعده بطرق شتى

**الاستاذ الاى**

لقد بان لى ان دراسة التاريخ دون سواها اصلح الدراسات لتعويد الانسان الفضائل الخاصة والعامة

**الفيوكونت بولنجبرك**

سياسى وفيلسوف انكليزى

ان التاريخ حرى بأن يكسبنا تصورا صحيحا لما هو عارض موقوت ، بالقياس الى ما هو ابدى باق فى حياة الانسان

**الرئيس كيرك**

استاذ الفلسفة الاخلاقية بجامعة جلاسكو

من المحقق ان العلم بالتاريخ من حيث هو مجمع الحوادث وملاكها لا يستغنى عنه من يريد تكوين تصور كامل متزن للعالم بوجه عام ، ان التاريخ هو وحده القادر على ان يضع ظواهر الحاضر فى وضعها الصحيح ، والتاريخ هو وحده القادر على ان يجلو لعين الباحث ميدان الحياة كاملا غير منقوص ، والتاريخ هو وحده القادر على ان يمكن الضاعن الذى يقضى يوم راحته تحت خيمة هذا الوجود الخفية من ان يطلع على غرائب ما يحيط به من مظاهر الابدية

**هرنشو**

أستاذ التاريخ بجامعة لندن

ان التاريخ مدرسة السياسة ، وبدون مقدار يسير منه على اقل تقدير لا يمكن الانسان ان يعنى عناية معقولة بالشؤون السياسية ، وبدون حظ موفور منه لا يمكنه ان يصدر حكما معقولا فى اى شأن من شؤونها ، ان التاريخ دراسة هامة لكل مدنى ، بل هو الدراسة الهامة الوحيدة الخليقة برجال الحكم والتشريع

**جون سيلى**

مؤرخ انكليزى

ان حوادث التاريخ هى مصدر الاستنباط والاستنتاج الذى يعتمد عليه العالم الاجتماعى

اوقيوست كومبط
فيلسوف فرنسى

ان الشعب الذى يريد الرقي يجب عليه ان لا يقطع الصلة التى تربطه بماضيه ، اى يجب ان يحترم تقاليده ويراعيها

الدكتور قوستاف لوبون
من رسالة له خاصة كاتب بها الاديب المصرى توفيق يزدى

اذا اردنا ان ندرك معنى الامة الحقيقي ينبغى ان نمتد بها فى الماضى وفى المستقبل معاً ، واشد الفريقين قوة هم الاموات لانهم هم الاكثرون عدداً وهم المؤثرون فى عالم الحركات اللاانتبهية الذى يخضع لسلطانه العقل والاخلاق فى جميع المظاهر. فالامة مسيرة بتأثير امواتها اكثر مما هي مسيرة بتأثير احيائها ، والاولون هم وحدهم الذين كونوها وهم الذين اوجدوا ما فى الاحياء من الافكار والمشاعر قرنا بعد قرن ، وإليهم ترجع اسباب حركة اهل العصر ، لان هؤلاء لا يخضعون لمزاج اسلافهم المادى وحده بل هم متأثرون ايضاً بما كان لآبائهم من المشاعر والافكار . والحاصل ان الاحياء هم الاموات بلا جدال يشقون برذائلهم كما ينعمون بما كان لهم من الفضائل والمكرمات .

الدكتور قوستاف لوبون
من كتابه : سر تطور الامم

# ما التـــاريخ ؟...

التاريخ فى اللغة بالهمز وبدونه والتوريخ كذلك بالواو معناه : الوقت ، وهو لفظ عربى صميم . اما ماهيـته وتعريفه بالحـد الاصطلاحى : فهو علم تعرف به احوال الماضيين من الامم الخالية من حيث معيشتهم ، وسيرتهم ، ولغتهم ، وعاداتهم، ونظمهم ، وسياستهم ، واعتقادهم ، وآدابهم ، حتى يتم بذلك معرفة اسباب الرقى والانحطـاط فى كل امة وجيـل . ومادته اى العـناصر الوجودية الضرورية التى يتكون منها كثيرة متنوعة اهمها الآثار القديمة من الابنية والهيـاكل والاحجار المنقوشة والمسكوكات المضروبة والملابس والادوات المنزلية وغيرها من كل ما هو من نوعها مثل التقاليد والعادات والاخبار والحوادث المروية والدواوين المجموعة والوثائق الخطية وكل ما تناقله الخلف عن السلف مشافهة او مشاهدة مع حسن نظر وتثبت كما قال ابن خلدون : يفضيان بصاحبهما الى الحق وينـكبان به عن الزلات والمغالط ، لان الاخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النـقل ولم تحكم أصول العادة وقواعد السياسة وطبيعة العمران والاحوال فى الاجتماع الانسانى ولا قيس الغائب منها بالشاهد ، والحاضر بالذاهب ، فربما لم يؤمن فيه من العثور ومزلة القـدم والحيد عن جادة الصدق ، وكثيرا ما وقع للمـؤرخين والمفسرين وأئمة النقل المغالط فى الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا او سمينا لم يعرضوها على اصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروا بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكم النظر والبصيرة فى الاخبار فضلوا عن الحق وتاهوا فى بيداء الوهم والغلط .

وليس التـاريخ ايضـا مجرد سـرد حوادث الحـروب ووقائع الامم ، او التعـرض لذكـر اخبار الملـوك والوزراء والكبراء وتعـداد الغـرائب والعجائب مما يندهش له السوقة واشباههم من الناس ، ولا هو كذلك بمحض

سوق حكايات عن تقلبات الدهر وتطوراته التى تعترى كل احد فى حياته العادية او ما يتبع ذلك عادة من التألم لفجائع الزمن وجرائم الحدثان ؛ كلا !... فان هذا كله من شأن الاخبار والاخباريين وشتان ما بين الاخبارى والمؤرخ ؛ فان المؤرخ يفيدنا بأحوال المجتمع الانسانى الذى هو عمران العالم وبما يعرض لطبيعته من التقلبات مثل التوحش والتأنس والعصبيات واصناف تغلبات البشر بعضهم على بعض ، وما ينشأ عن ذلك من الملك والدول ومراتبها وما ينتحله البشر بأعمالهم ومساعيهم من الكسب والمعاش والعلوم والصنائع وسائر ما يحدث فى ذلك العمران بطبيعته من الاحوال . وما عدا الحقيقة علامتنا ابن خلدون حيث قال كلمته المختصرة الجامعة فى الموضوع : هو تعليل للكائنات ومباديها دقيق ، وعلم بكيفيات الوقائع واسبابها عميق ؛ واما الاخبارى فقاص .

# العرب والتاريخ

انه مما كاد ان يتفق عليه العلماء قديما وحديثا امتياز الامة العربية واختصاصها بهذا العلم وانها مفطورة عليه مشغوفة به وانها جبلت على ذلك بحسب موقع بلادها الجغرافي ومواطنها التي نشأت فيها ، فلا يتوصل الى خبر من اخبار العجم او العرب الا بالعرب ومنهم ، وذلك على ما حكاه ابو محمد بن الحائك الهمداني صاحب كتاب الاكليل : من ان كل من سكن بمكة من العماليق وجرهم وآل السميدع بن هونة وخزاعة ، احاطوا بعلم العرب العاربة والفراعين العاتية واخبار اهل الكتاب ، وكانوا يدخلون البلاد للتجارة فيعرفون اخبار الناس ، وكذلك من سكن الحيرة وجاور الاعاجم من عهد اسعد الى كرب وبختنصر حووا علم الاعاجم واخبارهم وايام حمير ومسيرها في البلاد . وعنهم سار اكثر ما رواه عبيد بن شرية ومحمد بن السائب الكلبي والهيثم بن عدى . وكذلك من وقع بالشام من مشائخ غسان خبير بأخبار الروم وبنى اسرائيل واليونان . ومن وقع بالبحرين من تنوخ واياد فعنه اتت اخبار طسم وجديس . ومن وقع من ولد نصر من الازد بعمان فعنه اتى كثير من اخبار السند والهند وشيء من اخبار فارس . ومن وقع بجبل طيء فعنه اتت اخبار اذينة والجرامقة . ومن سكن باليمن فانه علم اخبار الامم جميعا لانه كان فى دار مملكة حمير وفى ظل الملوك السيارة الى الشرق والغرب والجنوب والشمال ، ولم يكن ملك منهم يعز الا وعرف البلادّ واهلها . والعرب اصحاب حفظة ورواية لخفة الكلام عليهم ورقة ألسنتهم .

# ماذا يشترط في المؤرخ ؟...

يحتاج صاحب فن التاريخ الى العلم بقواعد السياسة وطبائع الموجودات واختلاف الامم والبقاع والاعصار فى السير والاخلاق والعوائد والنحل والمذاهب وسائر الاحوال . والاحاطة بالحاضر من ذلك ومماثلة بينه وبين الغائب من الوفاق او بون ما بينهما من الخلاف وتعليل المتفق منه والمختلف ، والقيام على اصول الدول والملل ومبادى ظهورها ، واسباب حدوثها ودواعي كونها واحوال القائمين بها واخبارهم حتى يكون مستوعبا لاسباب كل حادث واقفاً على اصل كل خبر ، وحينئذ يعرض خبره المنقول على ما عنده من القواعد والاصول ، فان وافقها وجرى على مقتضاها كان صحيحا والا زيفه واستغنى عنه

المقدمة

# قرار المؤتمر الثقافى العربي الأول

# لجامعة الدول العربية

## المنعقد ببيت مرى – لبنان – ٩/٩/١٩٤٧م

– فيما يتعلق بالتاريخ –

وافق عليه المؤتمر فى جلسة الثلاثاء ٩ سبتمبر ١٩٤٧
ووافق عليه مجلس الجامعة العربية فى جلسته المنعقدة
يوم ٢٢ فبراير ١٩٤٨

يرى المؤتمر :

اولا : ان يكون محور دراسة التاريخ في المرحلة الابتدائية تاريخ القطر الخاص الذى يعيش فيه التلميذ ، مع العناية بدراسة الصلات بين هذا القطر وبين البلاد العربية قبل الاسلام وبعده .

ويتم هذا الغرض بدراسة القصص المشوقة وتراجم ابطال التاريخ القومى وتراجم ابطال العرب ممن تجاوز اثرهم حدود بلادهم .

وينبغى الاشارة في ثنايا قصص الابطال الى الحياة الاجتماعية في مختلف العصور، مع الموازنة بين الحياة الماضية والحياة الحاضرة التى تقع تحت حس التلميذ ، والعناية بالحياة المعيشية لطبقات الشعب .

على انه فى السنة الاخيرة من المرحلة الابتدائية يجوز ان يدرس التاريخ على صورة منظمة مع مراعاة تيسيره ليلائم عقلية الاطفال ومدى خبراتهم .

ثانيا : ان يكون محور دراسة التاريخ العربى فى التعليم الثانوى النواحى الاجتماعية والوصفية ، مع بيان اثر الشخصيات الفذة والاحداث والوقائع اللازمة لتصوير الحقائق وتبيينها فى الاذهان ، وتقصى مظاهر التطور والنضج التام .

ثالثا : ان يشمل القدر المشترك من التاريخ العربي الذى يدرس في المدارس الثانوية في جميع البلاد العربية ما يأتى :

(ا) تاريخ العرب قبل الاسلام

(ب) تاريخ العرب منذ ظهور الاسلام الى الفتح العثمانى

(ج) النهضة العربية الحديثة

اما الجزء الواقع بين الفتح العثمانى والنهضة العربيـة الحديثة فيدخل ضمن المنهج الخاص الذى تضعه الهيئات المشرفة على التعليم فى كل دولة عربية . ويترك توزيع هذا المنهج على الفرق للهيئات المشرفة على التعليم فى كل دولة منها .

رابعا : ان يعنى فى المرحلة الثانوية من التاريخ العالمى بالقدر اللازم لمساعدة النـاشيء على فهم مكانة بلاده والدول العربية بين دول العالم ومشاكل المدنية الحديثـة .

خامسا : انه ينبغى ان يدرس التايخ دراسة علمية ، ويناقش مناقشة قائمة على منطق انسانى عادل .

سادسا : انه يستحسن ان تكون طريقة تدريس التاريخ اساسا للتدرج من القديم الى الحديث ، ولا مانع من التحلل من ذلك عند الاقتضاء .

سابعا : ان يدرس تاريخ العرب على حسب الدول والعصول المتـابعة وفقا للطريقة التقليدية .

ثامنا — ان يدرس تاريخ الشعوب العربية بعد سقوط بغـداد على اساس تاريخ الدولة الخاص مع الاشارة الى تاريخ الدول العربيـة الاخرى وبيان ما بيـنها من العلاقات .

تاسعا : ان يدرس تاريخ الحضارة العربية متصلا بالتاريخ العربى العام ، بمعنى انه بعد الانتهاء من العرض العام لـكل عصر يدرس الطالب حضارة هذا العصر .

(كصنيعنا في كتابنا هذا)

عاشرا : انه ينبغي للاستفـادة من دراسة التـاريخ العربي فى تقوية الروح العربية الحقة الاهتمام بالنواحى الآتية :

١ — بيان اثر امم الشرق الادنى وفضلها فى بناء صرح المدنية القديمة ، ومقدار تأثر اليونان والرومان بحضارات الشرق القـديم فى الشـام وفلسطين ومصر وغيرها .

٢ — تتبع الصلات السلالية والتجارية والثقافية بين امم الشرق الادبي ، تلك الصلات التى وجدت قبل الاسلام ثم جاء الاسلام فدعمها وزاد فى اواصرها .

٣ — إبراز الاحداث العظيمة والمواقف الحاسمة لنواحى البطـولة فى العصور العربية الزاهرة ودراسة الاسباب والنتائج فى تفصيل يتضح منه اثر الحياة الشعبية والروح العربية فى ارتقاء الدولة او الدول العربية وهبوطها .

كما ان المؤتمر يرى ابراز الاشتراك التاريخى والاتصال الجغرافي التام بين البلاد العربية فى قارتى آسيا وافريقيا ، اذ كانت هذه البلاد فى العصور القديمة مرتبطة بأوثق الصلات ، ثم كانت خلال حقبة طويلة من الزمن وحدة سياسة تضمها امبراطورية عربية عظيمة كما ظلت فى العصور المتأخرة مرتبطة بعضها مع بعض بروابط متينة. وان الحضارة العربية احتفظت بكيانها وطابعها ووحدتها على مر العصور .

حادى عشر : ان من الوسائل التى تساعد على تنمية الروح العربية وتحقيق الاغراض المقصودة من تدريس التاريخ بالبلاد العربية ما يأتي:

١ — تأسيس الجمعيات التاريخية لتبادل الآراء والكشوف والبحوث

٢ — تنظيم رحلات الاساتذة والطلبة بين البلدان العربية

٣ — عقـد مؤتمرات دورية للدراسات التـاريخية من وقت لآخر فى عواصم البـلاد العربية

٤ — الاهتمام بالحفائر الاثرية وانشاء المتاحف التاريخية والاستعانة بالفنون الجميلـة لتوضيـح التـاريخ العربي، مثل الروايات التـاريخية والقصص التـاريخية واللوحات الفنية والافلام

٥ — العناية بالتقاليد المحلية والازياء الخاصة والاغاني الشعبية مع تهذيبها وما يتفق مع المدنية الحديثة والروح العربية

٦ — العمل على تخليد ذكرى عظماء الشرق العربى واحداثه التاريخية بطرق مختلفة ، كإقامة التماثيل ، وإطلاق اسمائهم على الشوارع والميادين ، وتسمية كراسى الاستاذية فى الجامعات بأسماء النابغين منهم فى مجال البحث العلمى، الى غير ذلك من الوسائل التى تبرز المثل العليا التى ينبغى ان يتجه نحوها شباب العرب ، فيعتزوا بميراثهم الاجتماعى ، ويشعروا نحو هؤلاء العظماء بالجميل ، فيعملوا على المحافظة على هذا الميراث ، بل وعلى الاستزادة منه .

# تعاليم وارشادات بيداقوجية
# لدراسة التاريخ

## هى من احدث الآراء المتفق عليها لدى علماء التربية والتعليم

١ – ينبغى للمدرس اختيار مادة الدرس مناسبة للزمن فى مقدارها ولدرجة افهام تلاميذته فى معناها ، بحيث لا تحمل القوة الحافظة ما ليس فى طاقتها . وتسهيلا على التلامذة فى تحصيل التاريخ ينبغى للاستاذ ان يربطه بالجغرافيا لما بينهما من العلائق الوثيقة . وقد قال احد علماء التاريخ فى تأكيد العلاقة بين هذين العلمين : إعطنى الاوصاف الطبيعية لبلدك اعطيك تاريخه .

٢ – يجب على المدرس ان يرمى فى دروسه وبحوثه مع التلامذة الى ما يبعث فيهم حب الاطلاع وكشف الحقائق ومتابعة دراسة التاريخ بعد انقضاء دور الدراسة .

٣ – ينبغى تعويد الطلاب حدة الملاحظة فيما يختص بالحالة التى هم عليها سياسيا واجتماعيا ، والبحث معهم فى الحوادث المهمة مع الموازنة بين الماضى والحاضر وربط النتائج بأسبابها .

٤ – يجب على استاذ التاريخ ومدرسه ان يكون قادرا على الوصف بعبارة سهلة وبصوت تمثيلى مؤثر يبعثان فى التلميذ ميلا الى تتبعه فى تصوير الحقائق وتقدير اخلاق الرجال ، كما يجب عليه ان يكون بارعا فى ايضاح اغراضه بالرسم على اللوح الاسود .

٥ – ينبغي ان لا يعطى للتلاميذ عند تدريس تاريخ اى قطر من الاقطار سوى معلومات عامة قبل البدء فى التفاصيل ، اذ لا يمكن البحث فى التفاصيل الا من العموميات ، كما اننا لو علمنا التلاميذ العموميات سهل عليهم تقدير التفاصيل حق قدرها .

٦ – متى حصل التلاميذ معلومات عامة على تاريخ بلادهم بحيث لا تختلط عليهم العصور بعضها ببعض ، درست لهم بعد ذلك سلسلة دروس تفصيلا لما اجمل فى دروس المرتبة الاولى ، بحيث يختار المدرس من حين الى حين مسائل خاصة بالاجتماع او السياسة او الدين ويتحدث فيها مع تلاميذته بقدر ما تسمح به مداركهم حتى يعتادوا البحث فى هذه المسائل تدريجا ، وكذلك تدرس لهم تراجم بعض الرجال مع بساطة واستقصاء لدقائق اعمالهم وللظروف التاريخية التى كانت سببا فى وصول الحالة العمومية لبلادهم الى ما هى عليه ، وبهذا التوسع يؤول تاريخ الافراد الى تاريخ الامة التى ابرزتهم .

٧ – لا بد من ضبط ازمنة الوقائع والحوادث بأرقام السنين التى حصلت فيها ، لان هذه كما يقول بعضهم : العين اليمنى للتاريخ ، وتحفظ هذه الارقام بالتكرار وبالتحايل بشرط ربطها بالحوادث وربط الحوادث بها ، فإذا اعتاد التلاميذ ذلك تربت عندهم ملكة ربط الحقائق التاريخية بعضها ببعض مرتبة بحسب تاريخ حصولها ، وبذلك يتأهبون لتلقى دروس عامة فى الموضوعات المهمة التى ترتب عليها انقلاب فى حالة الامة ، كالدروس التى تبحث فى تقدم التجارة والصناعة ، وفى ترقى العلوم والفنون وفى اسباب الحركات الدينية وتغيير شكل الحكومات والحالة الاجتماعية ، ومع ذلك لا ينبغى ان يكون البحث فى هذه الموضوعات الا بقدر ما يستطيع التلاميذ ادراكه باستعمال المعلومات التاريخية التى حصلوها لاستنباط ما يمكنهم استنباطه بارشاد الاستاذ

٨ — نظرا لقصر مدة الدراسة بالنسبة لكثرة واجبات التلميذ نحو مدرسته ، وهذا لا يسمح بالتوسع فى دراسة تاريخ امة من جميع النواحى وفى جميع العصور بطريقة مطولة ، وجب ان يخصص لدروس المرتبة العليا عصر معين من العصور التى يكون لتاريخها تأثير ظاهر فى حالة بلادنا العلمية والاقتصادية والاجتماعية وفيها يتوسع الاستاذ باسهاب فى شرح حوادث هذا العصر الذى يقضى الواجب الوطنى بخر..هم عليه .

# اشهر سنى ابتداء التواريخ

كان الناس في القديم يؤرخون بأشهر الوقائع واعظم الحوادث التى يندر وقوعها متكررة وتجددها فى كل مرة . فقد ارخ قوم بعصر ظهور آدم عليه السلام كما هو فى زعم اليهود الى الآن وتاريخهم هذا يتقدم الميلاد باحدى وستين وسبعمائة وثلاثة آلاف سنة ، وهو تاريخ ابتداء العالم فى نظرهم ؟... وفى ذلك من الخلاف بين علماء هذا الشأن ما فيه ؛ ومنهم من اخذ يؤرخ من حادثة طوفان نوح عليه السلام ، وقد كان بينه وبين الهجرة نحو اربع وسبعين وتسعمائة وثلاثة آلاف سنة على ما في ذلك من الخلاف ايضا بين المؤرخين وعلماء الهيئة والفلك . وهناك من ارخ منذ تبلبل الالسنة — كما يقولون — وذلك حوالى القرن السابع عشر قبل الميلاد ، ومنهم من ارخ بعهد الخليل عليه السلام اى منذ ثلاث وتسعين وثمانمائة والفى سنة قبل الهجرة ، كما ارخوا كذلك بتأسيس الكعبة ورفع قواعدها في ذلك العهد ، وارخت جماعة بوفاة موسى بنى سرائيل ، اى قبل الهجرة بأربعين وثلاثمائة والفى سنة ، ومنهم من ارخ بعمارة بيت المقدس — قبل الهجرة بثمانمائة والف سنة — كما ارخوا بخرابها ايضا سنة خمسين وثلاثمائة والف قبل الهجرة ، وارخ قوم بتملك بختنصر سنة ١٣٦٩ قبل الهجرة ، وبغلبة الاسكندر على دارا ملك الفرس سنة ٩٣٤ قبل الهجرة، وبغلبة اغسطس على قلوبطرة الملكة المصرية سنة ٦٥٢ قبل الهجرة ، وبميلاد المسيح كما هو معلوم ، وبخراب بيت المقدس الثانى سنة ٧٠ للميلاد .

واشهر التواريخ خمسة : تاريخ العرب ، وتاريخ القبط ، وتاريخ الروم ، وتاريخ الفرس ، وتاريخ اليهود ؛ فالتاريخ العربي هو تاريخ الهجرة ، الذى وضعه عمر ابن الخطاب رضى الله تعالى عنه في السنة السابعة عشرة من الهجرة النبوية ، الموافقة ليوم ١٦ جوليط سنة ٦٢٢ م ، واما القبطى فانه يبتدا من السنة التي

تغلب فيها «دقطليانوس» الانطاكي احد ملوك القبط على مصر ، وهو يزيد على تاريخ الهجرة بنحو ٣٠٠ سنة شمسية . والتاريخ الرومي هو المستعمل اليوم بيننا في معرفة فصول السنة والانقلابات وغيرها من التغيرات الجوية واحوال الطقس التي تنبني عليها اعمال الفلاحة والزراعة الخ ... وهذا هو التاريخ المعروف عندنا باسم: العجمي ، ومبدؤه كان من السنة التي مات فيها الاسكندر الثاني — ذو القرنين المقدوني — وهي السنة السابعة من تملكه ، وهو يزيد على تاريخ القبط ٥٩٠ سنة واما التاريخ الفارسي فانه يبتدا عندهم بأيام القائم من ملوكهم ، وكان آخر ملك اسس تاريخهم عليه وهو يزدجرد بن شهريار بن برويز كسرى انوشروان المتولى سنة ١١ للجهرة ، وللفرس تاريخ آخر جديد يسمى بتاريخ الجلالي نسبة الى جلال الدين شاه ومبداه عاشر رمضان سنة ٤٧١ هجرية على المعتقد .

والذى اعتمدته انا فى ضبط الوقائع والحوادث بهذا الكتاب هو تاريخ الهجرة مع مقابلته بما يوافقه من التاريخ الميلادى ، وهما اللذان جرى العمل بهما فى توقيت الحوادث بجميع انحاء العالم المتمدن اليوم .

# وصف القطر الجزائرى

الجزائر اسم عربى صميم لعاصمة الوطن وام القطر (١) ولم يكن ليطلق

---

(١) كانت هذه المدينة في الزمن الغابر قرية حقيرة لا شأن لها وتسمى فى لسان البربر «آرغل» اى المكان المستور العميق ، وورد فى اساطير اليونان ان هرقل اللبى استقر فيها مع اصحابه العشرين فعرفت بهم : - آيكسوسى - *Eixoci* بمعنى مدينة العشرين ؟ ... ولقد اصبح اليوم هذا القول تجاه التحقيق التاريخى ضعيفا . ولما جاء عهد القرطاجنيين وتأسس بها مرساها التجارى حرف اسمها هكذا : ايكوسيم **Ecosim** ومعناه الجزائر ، ثم خربها الفاندال على عهدهم ..... وبقيت كذلك الى ان جدد الروم بناءها وحرفوا اسمها الى اللاطينية هكذا : ايكوسيوم **Icosiom**. وفي القرن الثانى للهجرة سكنت بها القبيلة البربرية «مزغنان» بفتح الميم او «مزغناى» او «مزغنى» .... وهى بطن من بطون صنهاجة ، ومعنى «مز» بنو ، كلفظة «مس» بكسر الميم المستعملة إلى الآن او هى نفسها ؟... ويومئذ اشتهرت المدينة باسم «جزائر بنى مزغنى» ولم تزل هذه القبيلة موجودة الى يومنا هذا تسكن على نحو ٨٠ كيلومترا شرقي العاصمة فى ناحية «**PALESTRO**» على مقربة من طريق السكة الحديدية ، ولقد كان وضع مدينة الجزائر هذه يومئذ على شكل مداشر حسب عادة البربر من اخصاص ونحوها ، وبها سوق يأتونه اهل متيجة وغيرهم كغبرينة وكرنيطة ومايكش والثعالبة الخ ... وفى اواسط القرن الرابع الهجرى ٣٦٢هـ - ٩٧٣م - مصرها الامير بلكين (بضم الباء واللام وتشديد الحرف الثالث الذى ينطبق به مكسورا بين الجيم والكاف) بأمر والده عاهل صنهاجة : زيرى بن مناد الصنهاجى.

وان السبب في تسميتها بالجزائر كما حرره شيخنا الدكتور محمد ابن ابى شنب رحمه الله يعود الى وضعيتها الطبيعية ، حيث انه كان هناك تجاه هذه المدينة امام المرسى القديم صخور اربعة متجاورة أشبه الجزر ، منها الصخرة الكبرى التي بنى عليها الاسبان حصنهم (البنيونش) **Penon** سنة ٩١٥هـ - ١٥١٠م - ولقد هدم هذا الحصن الاسبانى على يد الاتراك كما سيأتى تفصيله سنة ٩٣٦هـ ١٥٣٠ - ومنها صخرة الجفنة المشهورة . ثم كان ردم ما بين تلك الجزر الاربعة وضمها الى بعضها باشارة المهندس موسى الاندلسى واشرافه على ذلك بنفسه .

ويومئذ اتصلت هذه الجزر بالمدينه بواسطة رصيف طوله ٢٢٠ مترا وعرضه ٢٥ مترا وعلوه اربعة امتار ، وفى منتهى هذا الرصيف يوجد مركز أقامة أمير البحر كما هو عليه الحال الى الآن . وبذلك دعيت هذه البلدة في القديم بمدينه الجزائر.

هذا الاسم على الاقليم كله الا منذ العصر التركى فقط ، (القرن العاشر الهجرى) — السادس عشر الميلادى — اما قبل ذلك فقد كان يعرف عند العرب بالمغرب الاوسط ، ذلك لتوسطه بين المغربين ، الاقصى والادنى : مراكش وتونس

اما مركز هذا الوطن الطبيعي فهو عبارة عن قطعة من الارض هي واسطة عقد الشمال الافريقى ، وان شئت فقل هو قلب الدنيا

وليست هنالك حدود طبيعية تفصله عن القطرين الشقيقين : تونس ومراكش سوى خطوط اعتبارية وضعتها يد السياسة مراعاة لاختلاف مصالح ادارة الحكومات التي توالت على هذه الاقطار الثلاثة ، الا حده الشمالى فقط فانه هذا البحر الابيض المتوسط ، وهو يمتد تبعا للسياسة ايضا من القالة شرقا الى جامع الغزوات غربا ؛ ويبلغ طول هذا الشاطىء ١٢٠٠ كيلو مترا . ومن ناحية الجنوب هذه الصحراء الكبرى التى تعتبر الحد الفاصل بينه وبين افريقيا الغربية ، حيث يمتد الخط من اقصى جنوب طرابلس شرقا الى جهة وادى (ريودى اورو) غربا اما الخط الغربى — ولا اقول الحد — فهو يمتد من وادى ملوية شمالا منحدرا الى منطقتى الفيقيق وبوذنيب مع دائرة كولومب بشار والقنادسة جنوبا ، والخط الشرقى ينحدر من القالة شمالا الى بئر الهاوية وشط الغرسة جنوبا ، ثم يمتد — نظريا — الى قرب مدينة غدامس عند بئر الرمان ؛ فطول القطر الجزائرى كله اذا يقع ما بين درجة ٦ شرقى الى درجة ٤ غربي من خط الزوال ، وعرضه من الشمال الى الجنوب ما بين درجتى ٣٧ شمالا و ٣١ جنوبا من خط الاستواء . وذلك عبارة عن مساحة ٢,١٩٥,٠٩٨ كيلومترا مربعا

لقد قسمت السياسة هذا الوطن فى القديم الى ثلاثة اجزاء — اعتبارية — : نوميديا وهو الجزء الشرقى الجزائرى ، وموريطانيا جزؤه الغربي ، وجيتوليا اى ناحية الجنوب . او ما كان كذلك من تقسيمه الى قسمين : التل والصحراء ، وذلك باعتبار جبال الاطلس الصحراوى الفاصلة بينهما

ولست فى حاجة الى بسط القول بالتعرض الى ذكر تفاصيل جغرافية هذا القطر الاقتصادية والسياسية وتدقيق البحث فيها من الناحية الطبيعية الخ ... فان ذلك ليس من مباحث هذا الكتاب ، وكيفما كان الحال فانى لا احب ان امر عن هذا المبحث دون ذكر شىء من خصائص القطر الجزائرى وميزاته التى خصه الله بها ومنحته الطبيعة اياها : فالارض الجزائرية تشتمل على جبال وانجاد وسهول وتل وصحراء ؛ فمن جبالها تكونت هاتان السلسلتان المتوازيتان الشمالية والجنوبية ، الآخذتان من الغرب الى الشرق فالاولى تعرف باسم الاطلس التلى ، كما عرفت الثانية باسم الاطلس الصحراوى . وان اقصى نقطة تبلغها الشمالية فى العلو هى بوسط جبل جرجرة حيث تبلغ قمة «لالا خديجة» ٢٣٠٨ مترا ؛ اما الثانية فهى اضخم واروع من الاولى واعلى نقطة فيها هى بناحية «الشلية» بجبال اوراس حيث تبلغ قمتها ٢٣٢٧ مترا. ومن هذه الجبال ما هو مكسو بجمال الطبيعة كالغابات الكثيفة والاودية المتدفقة والجداول والانهار والعيون الجارية المتفجرة وفيها من المناظر البديعة ما يستوقف النظر ويروع البصر وفيها من الاشجار المثمرة المختلفة الانواع وغير المثمرة كثير ومن النباتات النجمية المتنوعة ايضا ما يملأ وصفه المجلدات ؛ ومنها ما كسبته الطبيعة بجلالها : جبال جرداء ملساء لا يروعك منها الا ضخامتها وعظمتها الصخرية ،وفى كلها توجد حيوانات وحشية وداجنة وطيور مختلفة الاشكال والالوان لا يأتى عليها الحصر .

وان احسن بقاع الجزائر واخصبها واغناها هى ناحية التل والساحل ففيها من الغلل وانواع الحبوب ما جعلها تدعى فى القديم (خزينة رومة) ، وان اهم هذه النواحى للفلاحة والحرث هى ناحية سهول متيجة وبونة (عنابة) وشلف بوهران ، فبها كانت الجزائر ولم تزل غنية بمنتوجاتها الزراعية من ثمار وخضر وبقول وحبوب وفواكه مما تشتهيه الانفس وتلذ الاعين !... والطقس فيها معتدل جيدة الماء والهواء .

اما منطقة الصحراء فمناخها كجملة الصحارى تكاد تكون منعدمة الثمار الا ما قل منها وندر فى بعض الواحات اوما خصتها الطبيعة به من انواع النخيل والتمر اللذيذ وفيها كذلك من الماشية ما تعد به من اكبر مواد الجزائر واثراها وخاصة الغنم

اما المعادن او قل كنوز الجزائر وركازها - فان القطر غنى بما اودعه الله فيه من غالب انواع المواد المعدنية الثمينة حيث تبلغ ١٤٨ منجما منتشرة بكامل انحاء الوطن الجزائرى ، منها ٢٦ منجما فى ولاية الجزائر ، و٩٦ بولاية قسنطينة و١٥ بولاية وهران منها ١١ شرع في استثمارها حديثا

وان اهم ما فيها من المعادن : الحديد والنحاس والرصاص والزنك والفضة والكروم والمرمر والزرنيخ والكلس والجير والكبريت والملح والجص والمانكانيس والزئبق والفحم الحجرى وحجر الكحل والنفط - البيطرول - ؛ ويذكر انه كتشف بها حديثا «اليورانيوم» ولم يزل المرجان يلتقط من السواحل الشرقية حيث يصدر الى اوربا وغيرها ؛ وان فى الجزائر من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة اولى القوة !... ورغم كل هذه الثروة الطائلة والمواهب الطبيعية التي امتازت بها الجزائرعن غيرها من الاقطار فان سياسة الاستعمار الخبيثة قد حالت بين ذلك كله وبين ابناء البلاد فتركتهم فقراء مساكين غيرى ذى متربة !.. وما ذلك الا عن اغراض سياسية تافهة ومزاحمة اقتصادية اساسها الجشع والطمع.

وانى لاذكر يوما من ايام اشتداد الحرب العالمية (١٩٣٩-٤٥م) جرت لى فيه محادثة بينى وبين شخصية سياسية فرنسية مسؤولة جمع بينى وبينها مجلس من المجالس التى كان الفرسيون يبذلون فيها جهودهم بوسائل متنوعة لخلق الفرص واصطناع المناسبات كي يجتمعوا بشخصيات اسلامية اهلية يتظاهرون لهم فيها بحب التقرب منهم وربط الصلة بهم ويدجلون عليهم بما شاؤوا من معسول الوعود الكاذبة وزخرف القول غرورا - ربحا للوقت - وكان مما طرقناه فى ذلك المجلس التعرض للحالة الراهنة يومئذ

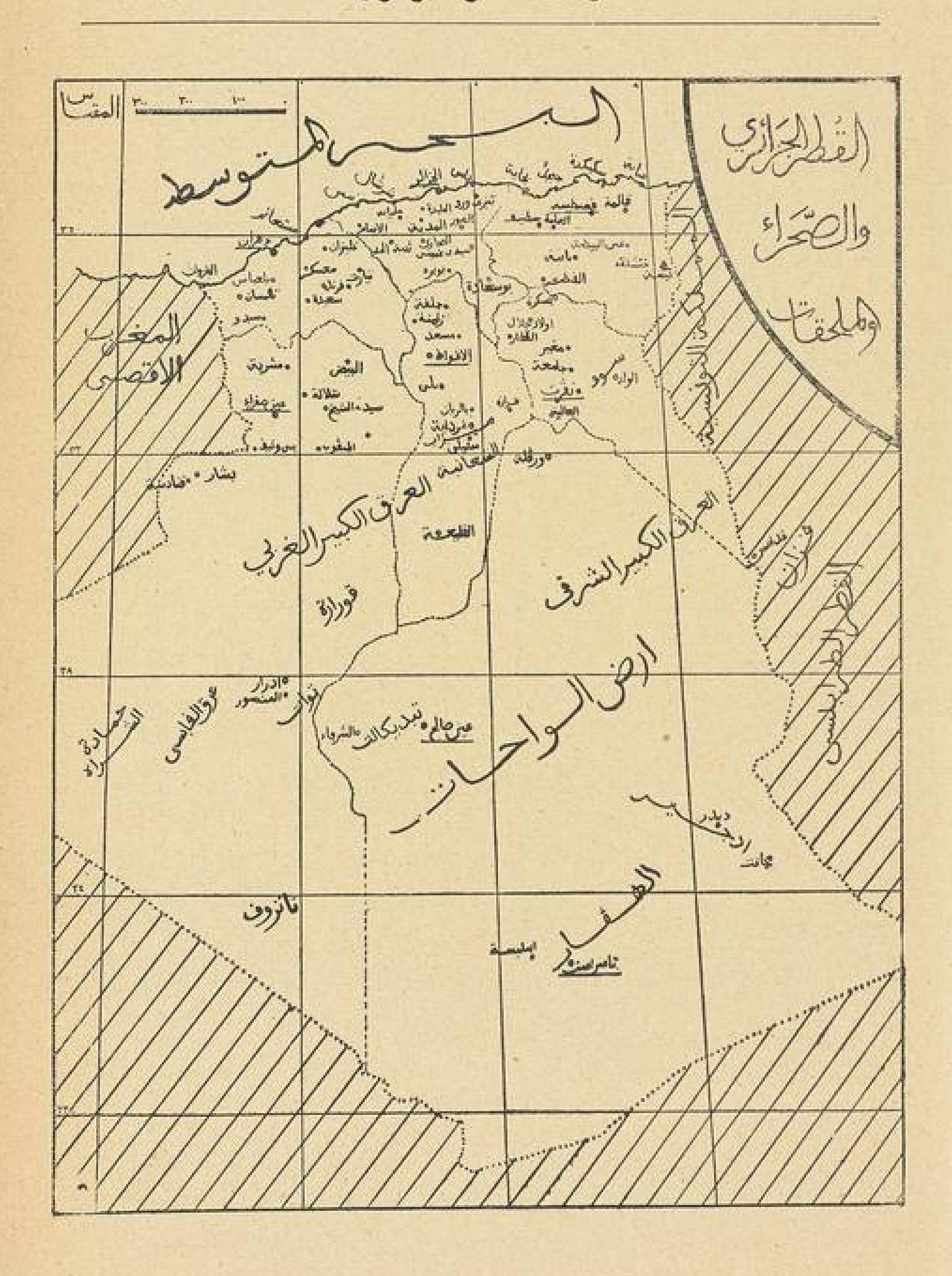
وما تقاسيه الجزائر من الحصار المضروب عليها اقتصاديا كما هو سياسى ايضا ، وما يتكبده الاهالي بالخصوص من الفقر الى الحاجيات والضروريات !... مع ان القطر الجزائرى بحمد الله غنى بما اودع الله فى تربته الطيبة من المناجم والمعادن والكنوز ، فسألته بهذه المناسبة قائلا : هل يوجد فى ابناء الجزائر اليوم بجميع سكانها من اهالي وغيرهم بقطع النظر عن الجنس ، من توجد فيه قابلية او استعداد للعمل على إنشاء شركات صناعية ومعامل فنية تستخرج بها ثروة البلاد ؟... فقال نعم ، فقلت له حينئذ : لماذا لم تعمل الحكومة على استثمار هذه الكنوز بتوجيه الرعية الى استعمال مواهبها فى استخراج هذا الثراء للناس ؟... وفى ذلك ما لا يخفى من الخير .... فأطرق براسه لحظة ثم قال لى : اين انت من التنافس الدولى والتزاحم الاستعمارى !... فقلت ما ذا ؟... قال يزدحم علينا الاجانب ؛ فقلت او لمجرد هذا التوجس نسعى فى اضاعة ثروة البلاد واماتة العباد ونرضى بالحرمان والفقر لانفسنا ونحن على اديم هذه الارض الزكية ؟

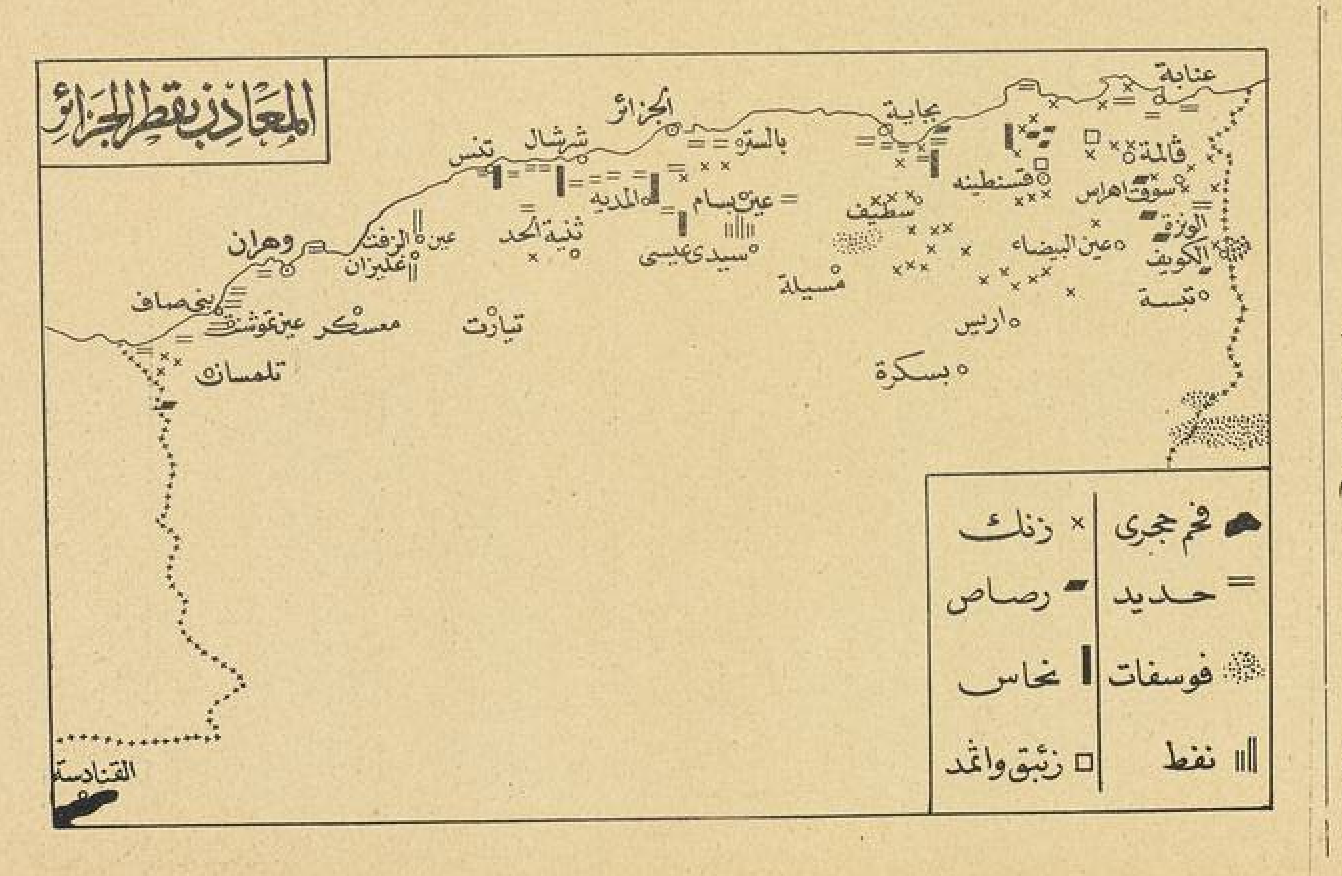
كالعير فى البيداء يقتلها الظما والماء فوق ظهورها محمول !...

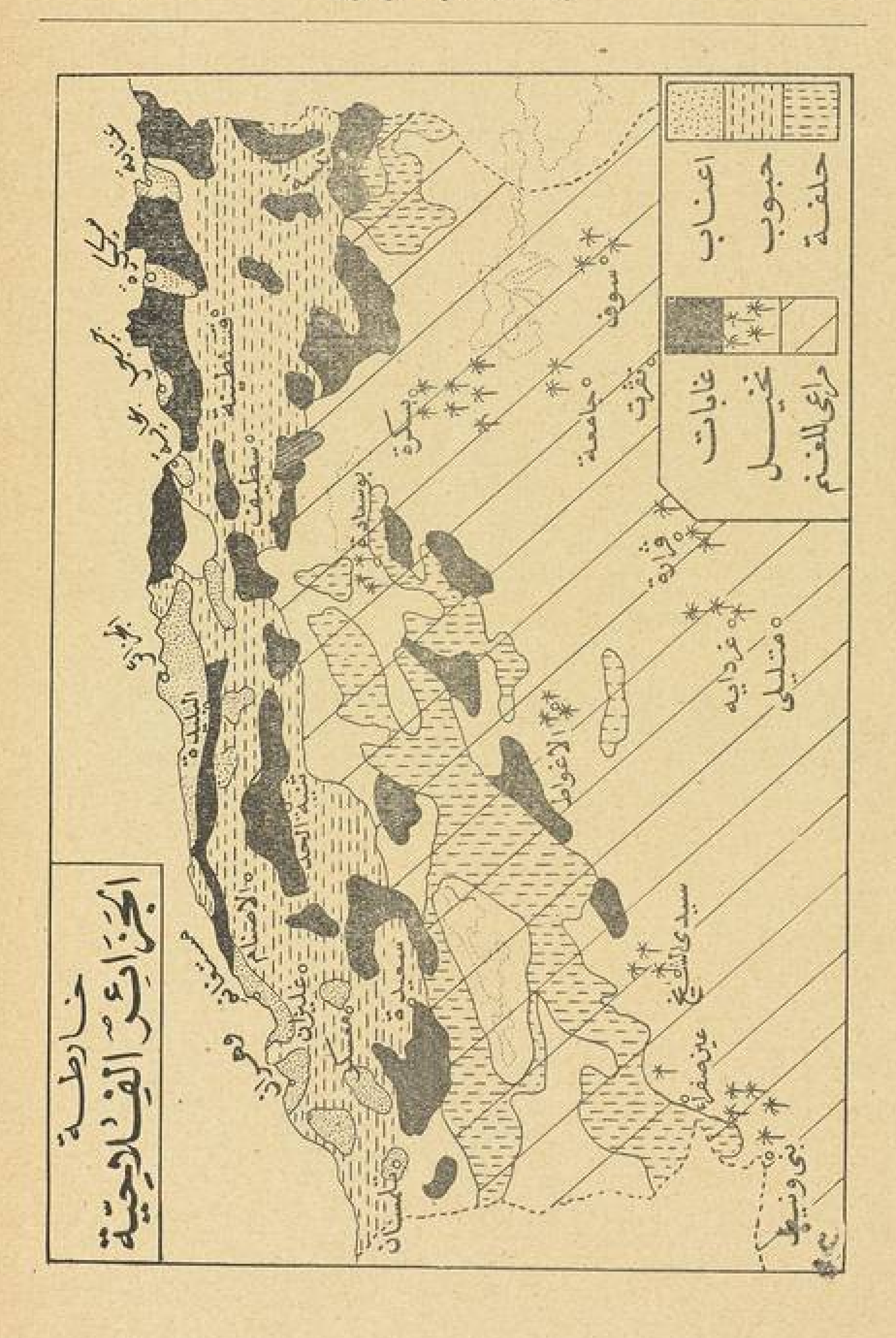
فسكت ... والآن وقد استدارت الايام وانتهت الحرب وانقشع ما كان حائلا سياسيا بين الامم من الاوهام والحواجز فانكشفت الحقائق لدى جميع الناس واخذ كل صنف فى دراسة احوال العالم الحاضرة على ضوء العلم والمنطق والعقل فانعقدت فى شتى المواطن عدة اجتماعات علمية وسياسية واقتصادية للبحث عن اصلاح الحالة الراهنة التى اصبح عليها العالم اليوم للانتفاع بما فيه ، وكان من حظ الجزائر ان تعدد بها عقد مؤتمرات دوالية تاريخية وجيولوجية اكتشفت بها عدة نواح مجهولة من تاريخ هذا الوطن وما اودع الله فيه من الخصائص والميزات التى كانت مغفلة مهملة ، وذلك ما كان يخشاه امثال هذه الشخصية الفرنسية المتحدث عنها

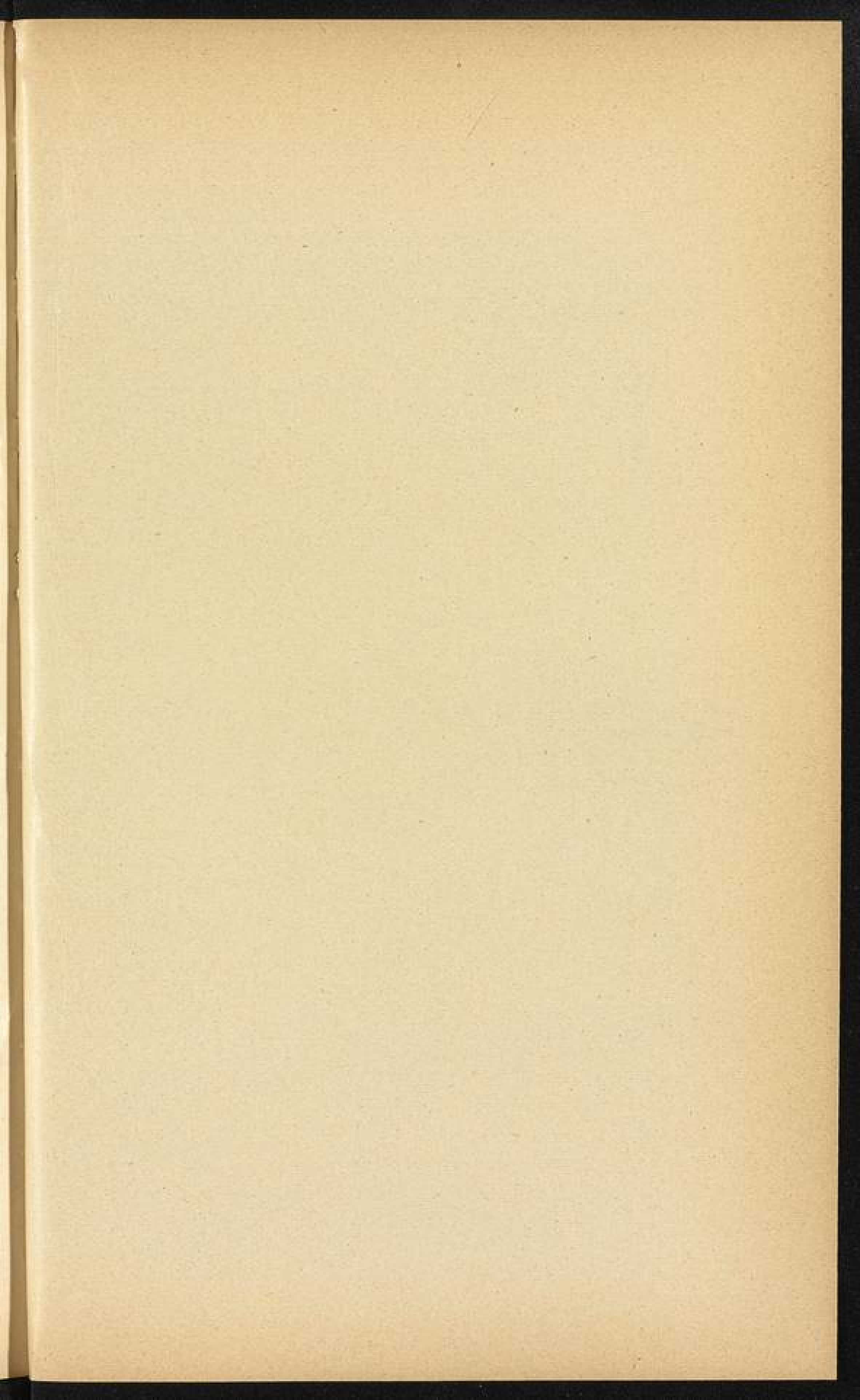
كما يوجد بالجزائر ايضا حمامات معـدنية منتشرة فى نواحى كثيرة من هذا القطر ماؤها ساخن يعالج بها امراض الاعصاب وغيرها مما يستعصى على نطاسى الاطبـاء ... فلـم يبـق لك الآن ايها الجزائرى الغيور الا الاقدام بشجاعتـك المعهـودة فى التـاريخ لاستثمار كنوز بلادك حسبما اوجبه عليـك دينك وضميرك وقوميتك

اما عدد السـكان فيه فإنه حسب الاحصاء الاخير (١٩٤٨م) ٩ ٠١١ ٣٢٨ نسمة منهم ٨ ٠٤٥ ٣٣٦ اهالى مسلمون والباقى نصارى بما فيهم من يهود واسبان وطاليان الذين شملتهم الجنسية الفرنسية .


القطر الجزائرى والصحراء والملحقات
البحر المتوسط
المقياس
المغرب الاقصى
العرق الكبير الغربي
العرق الكبير الشرقي
ارض الواحات
قورارة
توات
الهقار


المعادن بقطر الجزائر
عنابة
قالمة
سوق اهراس
الونزة
الكويف
تبسة
قسنطينه
عين البيضاء
بجاية
سطيف
مسيلة
اريس
بسكرة
الجزائر
بالستر
عين بسام
سيدى عيسى
المدية
ثنية الحد
شرشال
تنس
عين الزفت
غليزان
وهران
بنى صاف
عين تموشنت
معسكر
تيارت
تلمسان
القنادسة
فحم حجرى
زنك
حديد
رصاص
فوسفات
نحاس
نفط
زئبق واثمد


خارطة
الجزائر الفلاحية
غابات
نخيل
مراعي الغنم
اعناب
حبوب
حلفة



# القسم الاول

## الجزائر العتيقة

# ما قبل التاريخ

تعاقب على هذا الوطن الجزائرى بعد العصر الحجرى وقبل الفتح الاسلامى خمس امم عظيمة : البربر وهم السكان القدماء الاصليون ، والفنيقيون ، ثم الرومان ، فالفندال فالروم – البزنطيون – ؛ وهذا ما نسميه بالجزائر العتيقة ، وتاريخ هذا العصر يشمل تاريخ الشمال الافريقي كله وما الجزائر الاجزء من الجزيرة المغربية وهي كلها متشابهة جغرافيا وتاريخيا فهى وحدة لا تجزأ رغم جميع الاعتبارات السياسية ، فان تاريخ هذا الشمال الافريقي متماسك الحلقات لم ينفصل عن بعضه الا فى ظروف استثنائية وملابسات خاصة .

اما قبل ذلك ، فهو ما يعبر عنه لدى علماء التاريخ بعصر البليستوسين *Pleistocene* ويسمى بعصر الجليد ايضا، ثم يأتى بعده العصر الحجرى ذلك لان النوع البشرى عموما كان اذ ذاك يستعمل الحجارة فى كل ما يحتاج اليه من الادوات كالمقاطع والمدى والفؤوس والجفان وغيرها ؛ وينقسم هذا العصر الى ثلاثة اقسام :

الدور الاول – عصر الحجارة القديم الذى كان فيه الانسان اشبه شىء الوحوش ، حديث عهد بالطبيعة ، جاهلا بطرق الانتفاع بها ، سادلا عليه جلود الحيوانات متدفئا باهابها ، يسكن الجبال والكهوف والمغارات ويأكل مما ينبته الارض عفوا وما عليها من خشاش وحيوانات وحشرات . وهو فى كل ذلك يستعمل الحجارة .

الدور الثانى – عصر الحجارة الاوسط ، وفيه تقدم النوع البشرى الى غير الحجارة ايضا. فأخذ يستعمل عظام الحيوانات من نوع الوعول والطيور والفيلة والكركدن وبيض النعام ، فاتخذ منها الاوعية والابر والسكاكين والمساحى وهذبت فيه الادوات الحجرية نوعا ما ، وانتقلت السكنى من المغارات الى الاكواخ المستديرة والمربعة ؛ وعنى الانسان فى هذا الدور بالمدافن فكانت القبور فيه

على شكل الهرم مبنية بالحجارة . ولقد كشف العلماء عن آثار ترجع الى هذا الدور في نواحي تلمسان ووهران وتبسة وسطيف والقليعة بالجنوب الجزائرى

الدور الثالث — اتقن فيه الانسان صناعة الحجارة فاتخذ منها الارحاء للطحن وادوات النقش وصنع السهام ، ورسم عليها بالحجارة المحددة الرسوم العجيبة ؛ وفي هذا العصر اخترعت الكتابة «الهيرو غليفية» — اى التصويرية — ، وفيه عرف الانسان الحياكة والنسج وايقاد النار وصنع الاواني الطينية للطبخ واتخذ الاوعية من الخشب والحلي والاصداف والمحاور وانياب الخنزير والحصى المثقوب وغطى راسه بالريش . وكل ذلك بلغنا بواسطة ما عثر عليه علماء الآثار من هذه الاثاث بنواحي القطر كله ، وخصوصا ماكان منها بمدينة «باليكاو» و نواحي سطيف ومعسكر وعين مليلة والعين البيضاء ووهران والجزائر «العاصمة» وسعيدة وتبسة الخ ... وان اهم ما اكتشف من هذه الآثار هو صور منقوشة على الصخور وبعض الادوات الحديدية ، وقد اجتمعت منها كمية لا بأس بها يوجد بعضها بدار الآثار بالعاصمة وفي غيرها كذلك من متاحف القطر الجزائرى وغيره مما كان موضع اعجاب ارباب الفنون والصناعات اليوم .

ولقد ذهب العلماء في تقدير الزمن الذى يرجع إليه تاريخ هذه الآثار مذاهب شتى فبلغ به بعضهم الى ستة آلاف سنة قبل الميلاد ؟...

ثم يأتي بعد ذلك العصر المعدنى الذى اول ما عرف فيه الانسان النحاس والقصدير والبرونز ثم الحديد .... ومنه انتقل الى ما يعبر عنه بعصور التاريخ حيث استعمل فيها الوثائق المكتوبة .

## قدماء الجزائر ، لغتهم ، ديانتهم

لا يخفى وان هذه المجموعة البشرية ترجع في نسبها حسب التقاليد المتواترة والنظرية الدينية الى آدم ونوح عليهما السلام ، وان الناس جميعا هم من ابناء نوح

الثلاثة : سام وحام ويافث فمنهم وعنهم تفرع هذا الجنس البشرى القائم يومئذ - وجعلنا ذريته هم الباقين - وذكروا ان ليافث ولدا - هو قطوبال - إليه يرجع نسب القدماء من سكان الشمال الافريقى، وقيل هم من السلالة الحامية ؟..
على ان علماء العصر قد خالفوا هذه النظرية تماما وانكروا هذه العقيدة الشائعة وعدلوا عن هذا التقسيم الثلاثى القديم الى جعل الناس ثلاث طبقات : طبقة العصر الحجرى ، وطبقة العصر الحديدى ، وطبقة عصر سكب الرمل ، وان تاريخ العصر الحجرى وحده يرجع الى ما قبل اليوم بنحو ١٢٠٠٠ سنة ، وانه مضى على وجود العائلة الانسانية على وجه الارض نحو ١٠٠٠٠٠ سنة وبلغ بعضهم الى ٢٤٠٠٠٠ سنة ؟.. ولا يخفى ان التاريخ الدينى الذى يقول به النصارى واليهود لا يزيد على ان عمر البشرية خمسة او سبعة آلاف سنة ؟...
كما ان هؤلاء العلماء قسموا الناس على حسب اختلاف مظاهرهم الطبيعية وتباين سحناتهم الى اربعة اشكال : الشكل القوقاسي وهم سكان اوربا وآسيا الغربية وشطوط البحر المتوسط ؛ والشكل المغولى وهم سكان آسيا وامريكا من السلالة الصفراء ؛ والشكل الزنجى ؛ والشكل الامريكى القديم ؛ وجاؤوا فى تعليلهم لهذ التباين بين الاشكال بالعوامل الطبيعية والتغيرات الجوية واختلاف البيئة وتغير الطقس والهواء والماء والغذاء (١)

اما عن تاريخ اقدم سكان الجزائر او قل - شمال افريقية - (من غير البربر) فقد تضاربت اقوال المؤرخين في ذلك ؛ يقال انهم مجموع طوائف ومزيج سلائل تجمعت من الطارئين على هذا الشمال الافريقى من مختلف الاوطان فى غابر الازمان فتكونت منهم وحدة قومية وعنصر ممتاز هو العنصر الافريقى وعرف هؤلاء من بين الامم بالافارقة ، ومنهم كانت تلك الجاليات المؤلفة من الميد والارمن والفرس الذين نص عليهم المؤرخ اليونانى «سلسطس» فى كتابه

(١) أنظر تعليقات الامير شكيب أرسلان على تاريخ ابن خلدون ص ٤٥ والتى تليها ط مصر ١٩٣٦م

(حروب يوغورطة) قال ان هؤلاء جاؤوا مع «هيركوليس» هرقل احد ملوك إبجا - بجزر اليونان - كجند مستأجر لغزو «ايبرياه» - إسبانيا - ولما هلك هرقل طرد هؤلاء الجند من إسبانيا فتفرقوا على البلاد المجاورة ؛ فعبر الميد والارمن يومئذ بحر الزقاق الى شمال المغرب واختلطوا بسكانه من اللوبيين واندمجوا فيهم. واما الفرس فانهم ابحروا كذلك في طلب زملائهم فحولت الرياح شراع سفنهم الى المحيط الاطلسى فأرسلوا على شواطى الجنوب المغربي فوجدوا هنالك قوما من (الجتولة) على بساطتهم الطبيعية فاندمجوا فيهم واختلطوا معهم بالمصاهرة كما اندمج الميد والارمن باللوبيين فتكون من هذا الاندماج ما تولد عنهم من هذا الجيل (١) ومما يؤيد ذلك ما جاء في الجغرافية الافريقية القديمة من ان الفاروسيين - الفرس - استعمروا هذه الارض في عصر متوغل في القدم واختلطوا بسكانها واشتهروا فيها يومئذ باسم «توميداء» او «نوماده» ومعناه بلغتهم الرمل وهو ما يطلق على سكان شرق الجزائر ؛ كما اننا نجد اسم «سوس» او «سوسة» بمراكش وتونس هو كذلك عند الفرس (سوسانة) او - شوشانة - يطلق على ناحية بالساحل الشرقى من الخليج الفارسى و(باجة) من بلاد اصبهان كما هى بافريقية والاندلس الخ .. فما معنى هذا الاتفاق ؟ فهل هو من قبيل القضايا الاتفاقية والمصادفة فقط ؟ ام ماذا ؟...

على ان المتفق عليه لدى المحققين من علماء التاريخ والآثار والجغرافية ايضا ان سكان الشمال الافريقى القدماء هم من سلالة الجنس الابيض واضع اساس المدنيات القديمة ، ويرى هؤلاء العلماء ان اول ما وجد الانسان ان وجد بشمال افريقية فهو المهد الاول للجنس الابيض ، ومنه هاجر الى اروبا ، ويرى ابن خلدون فى هؤلاء انهم من السلالة الآرية (٢)

---

١) موجز الكعاك ص ٢٨ ودائرة المعارف للبستانى ج ٤ لفظ افريقيا

٢) ابن خلدون ج ١ ص ١٥

اما عن لغتهم ولهجاتهم فلم يحدثنا التاريخ عنها بشيء ؛ ولا يبعد ان تكون اخت لغة قدماء المصريين والليبين ، وخصوصا اذا اعتمدنا مقالة من يقول ان قدماء المصريين هم من سلالة سكان الجزائر ومراكش ؟

واما دياناتهم فهي مؤسسة على عبادة مظاهر الطبيعة من الاجرام العلوية العظيمة كالشمس والقمر ، وبعض الحيوانات كالقرد والتيس والافعى ، وقد وجد الباحثون في جبل بني راشد — قسنطينة — تمثال تيس على راسه هالة تمثل دائرة الشمس يدعونه «اتون»

واذا حاولنا معرفة ما يسمى بالحضارة او المدنية الراهنة يومئذ فاننا نجد القوم متأثرين بالحضارة «الايجية» حسبما تدل عليه تقارب اللغة القديمة والخط ووحدة الشكل في البناء وصناعة الخزافة . ويقال ان سكان المغرب اخذوا عن الايجيين زراعة التين والزيتون والكرم ، وبفضل هؤلاء ايضا راجت بالمغرب صناعة التعدين والتصوير على الخزف . ويظن ان ذلك كان حوالى الالف الثالثة قبل الميلاد . ولا يخفى ان هؤلاء الايجيين ينتسبون الى شعب ابيض ممتاز بصفاء الذهن والذكاء المفرط . كما يؤكد العلماء ان اصل هذا الشعب ايضا من شمال افريقية ومنه ما نراه اليوم من بقية العنصر الاشقر في بعض النواحي من هذا الوطن الكبير (المغرب العربي)

# البربر

ان اول ما عرف التاريخ المسجل من سكان هذا الوطن انما عرف «البربر» في حين انه لم يكن ليعرف في تاريخ السلائل او السلالات البشرية عامة ان هناك جيلا من الناس يعرف هكذا باسم البربر ، وانما هو لفظ وضعي يراد به عند اليونان «صوت الالثغ» او هو كل انسان اجنبي عنهم لا يتكلم بلغتهم ، ومن ثمة اطلقه اليونان انفسهم على سكان هذا الوطن وعلى غيرهم ممن هو ليس يونانيا كأمة الطاليان فانها كانت تسمى عندهم «برباريا» وقد نهج الطليان انفسهم كذلك منهج اليونان في هذه التسمية فانهم اطلقوا اسم البربري على كل من ليس يونانيا ولا ايطاليا او لم يكن خاضعا لسلطانهم ، وجعلوا اسم «روماني» خاصا بمن شمله نفوذهم الايطالي ومن ذلك الوقت عرفت جميع البلاد التي خرجت عن طاعة الرومان باسم «بارباريكوم» اي بلاد البربر ، ومنها مدينة «بربرة» بالصومال الانكليزي ، وقبيلة «بربارسيني» او «برباجيا» بجزيرة سردانيا كما عرفت سواحل المانيا وما على ضفاف نهر الدانوب باسم «باراريا» واطلقوا ايضا اسم «البحر البربري» على البحر المحيط الهندي لانفصاله عن بلادهم الرومانية وهكذا عمت البربرية عندهم كل ما ليس رومانيا او يونانيا؛ ثم جاء دور العرب في شمال افريقية فحافظوا على هذه التسمية ولم يشاؤوا تغييرها لذيوعها واشتهارها يومئذ .

على ان هؤلاء البربر وان اختلف الناس في اصل نشأتهم فهم ساميون من ابناء مازيغ بن كنعان ، فهم «الامازيغ» كما جاء في تصريحهم امام الخليفة عمر بن الخطاب حينما ذهب اليه الوفد بعد فتح مصر ، فانتسبوا امامه الى مازيغ ، وانهم اصحاب البلاد الواقعة بين خليج العرب «البحر الاحمر» والبحر المحيط ولم يقولوا له انهم «بربر» ؛ ولا تزال الى اليوم لغتهم تعرف «بتمازغت» وان موطنهم الاصلي هو جزيرة العرب ولقد حاول بعض المؤرخين ان يلحقوا

نسبهم ببر بن قيس بن عيلان ، فإن صح ذلك فهو من باب الاتفاق (١) ويقول بروكلمن المستشرق الالماني الكبير : ان اليهود هم الذين عملوا على اقصاء الكنعانيين عن جدول بني سام والحاقهم بجدول آل حام الذي كان بزعمهم عاقا لوالده وما ذلك الا عن حقد وعداوة كانت بينهما نشأت عنها حروب وإحن. ويزعم العالم دوبرا Duprat ان البربر هم من جنس آرى هاجر من نواحي الكنج بالهند ؟...

وعلى كل فان من يطلع على تاريخ البربري منهم امة عظيمة لها حضارتها ومدنيتها المثلى ، نشأت على عز الجانب واباية الضيم والدفع عن الشرف مع كثرة عددها ؛ انتقلت الى افريقية (٢) من آسيا — جنوب فلسطين — عن طريق مصر حوالى سنة ١٣٠٠ ق م ثم تتابعت الجاليات الكنعانية الى هذا الوطن في فترات مختلفة ودفعات متفرقة . كان منها هؤلاء الكنعانيون الذين اخرجوا من ديارهم بفلسطين حين تغلب عليهم العبريون فاجلوهم الى المغرب حوالى سنة ١٣٠٠ ق م كما ذكرنا ؛ ويقول يوسف بن عبد البر القرطبي ان هذه الجلية الكنعانية نزلت اولا بأرض مصر فمنعت من المكث بها وتصاب في وجهها يومئذ الفراعنة فواصلت السير الى ارض المغرب ؛ وهي تتألف من عدة عناصر منهم اليقشانيون (٣) والعماليق (٤)

---

(١) راجع ابن خلدون ج ٦ ص ٨٩ وما يليها ...

(٢) لا زال أصل هذه الكلمة غامضا ، وان كل ما قيل في شرح معناها او اصل مادتها فانما هو على سبيل الظن والتخمين فقط ؛ انظر تاريخ ابن خلدون ج ١ ص ٧٨ وفتوح افريقية ص ٤٤ والمؤنس ص ١٤ والمسالك ص ٢١ وفتح العرب للمغرب ص ١ وعندي ان اقرب ما قيل فيها الى الصواب هو قول من قال ان «أفرى» كلمة اطلقها الفينيقيون قديما على اهل البلاد الاصليين الذين كانوا يسكنون المغرب من حدود مصر الى المحيط ومن ثمة سميت هذه المنطقة «أفريكان» اى بلاد الافرى.... ويقال انها كانت قبل ذلك تعرف باسم «ليبيا»

(٣) يقول ابن خلدون ج ١ ص ٥٨ ط مصر ١٩٣٦م ان ابراهيم الخليل عليه السلام تزوج بعد سارة بقنطورة بنت يقطان الكنعانية فولدت له ستة اولاد منهم يقشان فكان من نسله جيل البربر

(٤) هم اولاد عمليق بن لاوذ بن سام موطنهم الصحراء التي بين العراق والعقبة كانت لهم بها دولة عتيدة وحضارة سامية

وغيرهم. وفى سنة ١٠٩٥ ق م تولى عرش العبرانيين الملك طالوت (شاوول) الذى باركه النبى صموئيل ، حيث كان اول ملك لبنى اسرائيل بعد عصر القضاة ، فحارب اهل فلسطين وتغلب عليهم واجلى فريقا منهم ، فلما تولى بعده الملك النبى داود عليه السلام اخرج من بقى من الكنعانيين من ارض شنعار فكانت هجرتهم ايضا الى هذه الديار سنة ١٠٥٥ ق.م .. وما عدا الصواب الحسن الوزان حيث قسم سكان افريقية الى اربعة اقسام : عنصر افريقى اصلى، وعنصر فينيقى ، وعنصر عبرى ، وعنصر لاتينى

## أوصاف بربر الجزائر وأخلاقهم

يمتاز البربرى الاهلى الجزائرى عن عموم البربر بأنه مستطيل الدماغ معتدل القامة والوجه ، بارز الخدين ، غير ناتىء العينين ، اسودهما متوسط العرض ، واسع الفم ، عريض الصدر والاكتاف ، ضيق الخصر ، اسود الشعر ، اسمر البشرة قوى البنية . وهناك صنف اشقر ازرق العينين مع رقة فى الانف والشفتين مسطح الجبهة ، وهذا الصنف هو اقدم العنصر البربرى بهذه البلاد وتوجد منه قلة بجبال جرجرة والاوراس وريف المغرب الاقصى .

والبربرى خلق حرا فخورا معتزا بعشيرته متعصبا لقبيلته وقومه ، ولعل ذلك الافراط فى التعصب والغرام بالانانية والمنافسة الى حد العداوة هى التى بلغت به الى تشتت الشمل اليوم وافتراق الكلمة واختلاف النزعات ؛ وهو مع ذلك نشأ حربيا شجاعا الى حد الجراءة شرسا يبلغ احيانا الى حد الوحشية ، حاذقا ، ذكى المشاعر منتقما من عدوه شفوقا بالضعفاء والمساكين محبا للعمل دؤوبا عليه ، عدوا للبطالة مكتفيا بالقليل المتواضع من بسيط المعيشة ، تاجرا كنازا ، محافظا على جميع مميزاته وخصائصه كما هو عليه حاله الى الآن وتكاد تكون هذه الصفات عامة فى جمع البربر ، واعظم دليل على ما ذكرنا هو ما حاولته الدول المستعمرة التى توالت على هذا الوطن منذ قرون من العهد الفينيقى

والرومانى الى يوم الناس هذا من عجزها عن تغيير مجرى حياة الاهلى فى جميع الميادين ، فى لغته او عاداته الخ ... وكل ذلك لا يمنعنا من ملاحظة ومراعاة تلك الحقيقة الناصعة التى نطق بها التاريخ على لسان موسى بن نصير حينما سئل من طرف الخلافة الاموية عن البربر، فقال يخاطب سليمان بن عبد الملك : يا امير المؤمنين هم اشبه الناس بالعرب لقاء ونجدة وصبرا وفروسية وسماحة وبادية ، غير انهم اغدر الناس لا وفاء لهم! (١) ويشهد الله انه لصادق فيما قال ، وما كان تصديقى اياه الا عن تجربة واختبار طويل ودراسة عميقة لنفسية هذا الشعب في جميع مواقفه قديما وحديثا وما حملنى على اثبات هذه الشهادة وتسليمها الا الاعتراف بالحقيقة رجاء تلافى هذه الهنة الشنيعة وعملا بالحكمة السائرة : من كتم داءه قتله

## المواطن البربرية فى الجزائر

ان الامة البربرية — كما علمت — قد عمرت هذا الشمال الافريقى من حدود آخر الايالة المصرية الى المحيط الاطلنطيكى من ناحية الصحراء بأرض السودان ؛ وانه لمن العسير جدا تتبع جميع هذه القبائل وما تفرع منها من بطون وافخاذ مما لا يأتى عليه حصر ولا عد . . وانما نذكر منها بعض مشاهير هذه العشائر التي سكنت ارض الجزائر واتخذتها موطنا لها من قديم الزمن مع الالماع الى اماكنها ومراكز وجودها بهذا الوطن

هناك جذمان عظيمان يجتمع عندهما كل ماتفرق من الفروع البربرية المنتشرة فى هذا الشمال الافريقى كله من اقصاه الى اقصاه وهذان الجذمان هما مادغيس الملقب بالابتر، والمنتسبون اليه هم البتر ، وقسم ينتسب الى برنس بن بر، فسموا بالبرانس ؛ وكل من مادغيس وبرنس اخوان لاب واحد هو برمن ولد مازيغ

(١) الامامة والسياسة لابن قتيبه ج ٢ ص١٥٨ ط مصر١٣٢٢ هـ - ١٩٠٤م - وتحفة الانفس لابن هذيل الاندلسي ص ١٧ ط باريس ١٩٣٦م

ابن كنعان . والبربر فى انفسهم ينقسمون الى طائفتين اثنتين ، وهما طائفة البربر الحضر الذين يسكنون النواحى الشمالية والسفوح المزروعة، وطائفة البربر الرحل الذين يعمرون الصحراء والواحات التى تلى ذلك جنوبا وشرقا والكل يرجع الى هذين الجذمين برنس ومدغيس ؛ ولقد تفرع عن الاول عشر قبائل عظيمة ، منها ثلاث سكنت بهذا القطر الجزائرى الذى نؤرخه : كتامة وعجيسة ، وازداجة ولكل من هذه فروع لا يهمنا الآن شأنها

اما كتامة فهى من اكثر قبائل البربر عددا واشدهم بأساوقوة ، وكانت تقطن الساحل البحرى من بونة (عنابة) الى بجاية ، وهى متوغلة فى داخل الوطن الجزائرى طولا وعرضا الى جبل اوراس، ومن مدنها الشهيرة : جيجل، والقل، وسكيكدة ، وسطيف ، وقسنطينة

واما عجيسة فهى شرقى صنهاجة وجنوب زواوة بجبال المسيلة ، ولم تزل الى اليوم قرية بدوية هنالك فى ارض تليلان — جبال بين قسنطينة والقل — تدعى عجيسة ، فلعل اهلها من بعض افخاذ هذه القبيلة الذين سكنوا ارض بنى تليلان .

واما ازداجة فهى كذلك قبيلة عظيمة تسكن فى نواحى وهران .

اما الجذم الثانى — مادغيس الابتر — فتجتمع فروعه فى اربع قبائل كبرى ... والتى سكنت الجزائر منها اثنتان فقط : لواته وضريسه ، اما لواته فهى قبيلة عظيمة تفرع عنها كثير من الشعوب ، وهى تنتسب الى «ليوا (١) الاصغر» ولها بطون سبعة كان منها بجبل اوراس وضواحى تيهرت وبجاية امة عظيمة ، ومن بطونها المشهورة اثنان : زناتة (٢) وزواوة ؛ فزناتة هي اكثر قبائل البربر حضارة وعمرانا وهى منتشرة فى نواحى تلمسان وريغة والاغواط والزاب ، وكانت مواطنها الاولى وسط المغرب الاقصى والصحراء المحيطة به من الجنوب وزواوة هى موطن بلاد القبائل الآن

---

(١) لا يزال الى اليوم يوجد هذا الاسم فى الزاب الغربى من بسكرة تسمى به قرية ليوا

(٢) أصل الكلمة هكذا : إيزيناتين، ومعناها أبناء زناته ، وهو اسم امرأة مشتق من اوقانة بالقاف المعقودة وهو تحريف او تصحيف لكلمة «كنعان»

## أهم مراكز البربر بالجزائر

ان من اشهر المدن والعواصم التى سكنها البربر بهذا القطر هى عاصمة القطر وام الوطن (الجزائر) كان فيها بنو مزغنى الصنهاجيون ، وجرجرة ببلاد زواوة ووارقلة — بنو ورجلان — فى جنوب صحراء الجزائر ، والمنيعة أو — القليعة — من واحات الجنوب الجزائرى ، وندرومة ، وتهيرت وما حوالها ، وتلمسان ، وما بين شرشال وتنس ، وجبال وانشريس ، ونواحى جبال عمور بعمالة وهران وبين ثنية الاحد وتيارت ، وسوق هراس بعمالة قسنطينة وجيلة وفج مزالة غرب قسنطينة ونواحى بلاد الشبكة مصاب او (ميزاب)

وان الغالب من هذه القبائل البربرية بالقطر الجزائرى هو متفرع عن ثلاثة شعوب عظيمة : صناهجة ، وكتامة ، وزناتة ؛ فمن صنهاجة بعمالة الجزائر : زواوة ، وقليسة ، وبنومنكلاث ، وعمور ، ومنها بعمالة قسنطينة : مزيتة ، وعجيسة وبنو يفرن — الشاوية — ؛ ومن كتامة بنفس العمالة : بنو سيلين ، وقبائل بنى خطاب ، وعياد ، وجلة ؛ ومن زناتة بعمالة الجزائر : ، مغراوة ومطماطة ، وسوماتة ، وبنو توجين ، وبنو مناصر ؛ ومنها بعمالة وهران : مديونة وولهاصة ، والطرارة ، وتيغرين ، وشقالة ويزناس

## المجتمع البربرى

ان نظام العشيرة — او قل هو نظام الحكم عندهم فانه كان ديموقراطيا ، ليس هنالك ملك ولا سلطان ولا عرش ، تنتخب القبيلة رئيسها بنفسها وتقلده الحكم وهى تحتلف وترجع اليه فى المهمات والملمات وكانوا يشترطون فى الرئيس مزايا وفضائل يمتاز بها عن غيره ؛ ويرجع نظام الاسرة الداخلى الى المراة فهى ربة المنزل وصاحبة النفوذ به : محترمة الجانب مسموعة الكلمة ، وكثيرا ما تنتسب القبيلة الى امراة ، وهذه زناتة تشهد بذلك …

واما المسكن فانه كان ولا يزال عند بعض فقراء البادية من كوخ او «طابية» ومنه ما هو من خيام الوبر والشعر. اما ملابسهم فانها لم تزل في الجملة كما كانت من قبل من صوف : برنس وقشابة، ومنهم من كان يستعمل اهاب الحيوان المدبوغ ويضعون على رؤوسهم «القنور» وهو لفظ قريب جدا من كلمة القنور العربية — بفتح النون وتشديد الواو — والمعنى واحد !... ويرجع تاريخ القنور هذا الى الالف الثالثة قبل المسيح ، وكانوا قليلا ما يحلقون رؤوسهم؛ وسراويلهم قصيرة؛ وحليهم الخواتم والخلاخل والاساور المتخذة من مختلف المعادن ؛ وطعامهم لحوم الحيوانات الداجنة والطيور والصيد، ومن النبات البر والفول والكرم والزيتون؛ واظهر الوان اطعمتهم التاريخية هو «الكسكسو» ولا يعرف عند غيرهم الى الآن ، وهم يستعملونه غالبا فى العشاء

وكانت مكاسبهم البقر والغنم ، وخيولهم تمتاز بالقصر مع سرعة العدو ؛ وهي تركب عارية لا يملك الفارس بيده سوى قضيب خفيف ؛ اما الابل فانها لم تعرف بهذا الوطن الا منذ سنة ٦٦ ق م . وكانت توجد عندهم بعض الحيوانات الضخمة مثل الفيل ووحيد القرن ثم اضمحلت وتلاشت

## المعتقد البربرى

كان للمعتقد البربرى اتصال عظيم بظاهر الطبيعة وما فيها من عظمة كالاجرام العلوية ؛ فالكواكب عندهم مقدسة كما ان الثور والكبش والتيس والافعى والبوم والحمام والسلحفاة والضفدع والقرد والهر هى عندهم رموز مؤلهة كذلك كما ان للكهوف والمغارات عندهم مقاما رفيعا بسبب ما يعتقدون من حلول الارواح بها ؛ فهم يتبركون بما فيها من مياه ساخنة او باردة ويقربون لها القرابين البشرية متوسلين اليها فى قضاء حوائجهم ؛ وان من واضح الادلة على تقديس البربرى للحيوان ذلك الرسم الذى عثر عليه فى قرية «الزناقة» بحدود الجزائر الجنوبية، بين بنى ونيف وواحة الفيقيق وهو يمثل الرب آمون «عمون رع» احد آلهة

المصريين ، وهو على صورة كبش تحيط به الهالة ؛ وارى ان ذلك هو الاصل فى احترام بعض عوام اليوم لقرون كبش الضحية واحتفاظهم بها ، وهم يدعون في ذلك دفع العين او النظرة عنهم

## الثقافة والحضارة والعمران

انه مما لا شك فيه ان للبربرى فضلا عظيما على المجتمع الافريقى وعلى المدنية الافريقية فى القديم بما اخترعه من اشكال الحروف وابتكار الخط الذى يعبر به عما يختلج فى صدره من المعانى والكلمات ، فى حين ان الخط كان منعدما والكتابة مجهولة وخاصة بهذه الاوطان . ومن تأمل الخط البربرى واشكال الكتابة وجدها تشبه كثيرا الاوضاع الكونية والكائنات الطبيعية ، فهناك من الحروف ما يشبه الشمس والقمر والنجم والبرق الخ ... ولم تكن الحروف الاصلية لتزيد لديهم على اربعة عشر حرفا. يسمونها «تيفيناغ» ومعناها الحروف المنزلة ولها حركات وضوابط تسمى «تيدباكين» بمعنى الدليل على العمل والتوسع،وهم يكتبونها بحرية تامة كيفما شاء الكاتب فاليكتب : من اليمين الى الشمال وبالعكس ومن اعلى الى اسفل او بالعكس ، حسب اصطلاح القبيلة ، ولم يبق لهذا الخط اثر بهذا الشمال الافريقى سوى بالصحراء عند الملثمين من قبائل لمتونة المشتهرين باسم (التوارك) (١) فانهم لا يزالون يستعملون في مكاتباتهم خط «تيفيناغ» على قلة .

ولقد نشأت لغة البربرى تشبه خطه في البساطة والاوضاع الطبيعية كما هو شأن الانسان في الاول، وهي كغيرها من سائر لغات البشر ذات لهجات وصيغ مختلفة كما هو مشاهد من اهلها الى الآن بين سكان القطر الجزائرى والمراكشي فهناك لهجة خاصة بزواوة - بلاد القبائل - تختلف في بعض مظاهرها عن لغة الشاوية وبنى مصاب (ميزاب) وبني صالح بجبل البليدة والشلوح والتوارك الخ.. ولا يزال يطلق اسم «تماشغت او «تمازغت» علي جميعها (٢) بمعنى اللغة المازيغية.

١) قيل انهم سموا بذلك لتركهم المسيحية الى الاسلام ؟...

٢) *Louis Rin : les origines Berberes. Alger 1889*

جدول يبين لك شكل امهات حروف لغة «تيفيناغ» مع توضيح صيغة النطق بها على سبيل التقريب ؛ واضافة الخط الفينيقي

| | | | | | | | | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|---|
| أبجد | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] |
| تيفيناغ شكل | • | ⊟ | ⵣ | ∩ / Λ | .... | .. | # | | + | w | X | = |
| تيفيناغ نطق | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] |
| فينيقي | [illegible] | [illegible] | < | ◁ | [illegible] | [illegible] | I | [illegible] | ⊕ | [illegible] | [illegible] | [illegible] |
| أبجد | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | |
| تيفيناغ شكل | ⊓ | – | ⊡ | | ⵣ | [illegible] | ⁘ | □ | [illegible] | + | ... | |
| تيفيناغ نطق | [illegible] | [illegible] | [illegible] | | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | |
| فينيقي | [illegible] | [illegible] | [illegible] | o | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | [illegible] | X / + | | |

كما ان للبربرى فضلا عظيما في سبقه الى الاطلاع على معدن النحاس واستعماله والانتفاع به ؛ فقد اكتشف الاثريون بضواحي العاصمة بناحية «قامة الفول» — سانت اوجين — عدة قطع وصفائح نحاسية فيها وفى غيرها كما وجد مثل ذلك قرب مدينة «صلداى» — بجاية — مما يدل على تيقظ البربر وميلهم الى العمل والصناعات .

اما سير الادب والعلم عندهم فانني لم اقف على ادب بربرى بالمعنى الصحيح، ولعل ذلك يرجع الى اختلاف لهجاتهم وعدم ضبط قواعدها اللغوية ضبطا محكما او لضيق لغتهم عن التعابير الفنية ؟.. وان كل ما ظهر الى الآن من المقطوعات الشعرية والنثرية لا يكفى عندى فى الاستشهاد به على ادب امة وثقافة جيل عظيم كأمة البربر هذه.

وغاية ما بلغنا عنهم فى الفن والزخرفة لم يتجاوز اشكالا وخطوطا هندسية مثل ما نشاهده من الوشم المزخرف على ظاهر اليد وفى الوجه والساق والذراع ، وهو يدل على تركز الروح الفنية فبهم وتغلغلها فى المراة بالخصوص مما جعلها تتحمل ألمه وتصبر على وخز الابر غير متبرمة ؛ وكان مما يراد بالوشم عندهم التمييز بين العشائر والقبائل حتى لا تختلط نساء الحي بغيرهن فى الحروب وفى مواطن الثورات والنزاع ايضا ، ومن مظاهر الفن البربرى كذلك تلك الزخارف المرسومة على منسوجاتهم واوانيهم فيما هى عليه من تناسب فى الالوان واتساق فى النظام . وقد ذكر احد الباحثين فى جريدة «الكوتيديان الباريسية» تحت عنوان : تاريخ الامم المغلوبة على امرها لم يكتب . قال فيه : ومن قرأ تاريخ افريقية الشمالية القديمة يعرف انه قامت حضارة زاهرة فى جبال الاطلس قبل الوف من السنين للميلاد ، وكان فى تلك الاصقاع مدنية بربرية قويمة ذات علم وفن تعب المصريون والفينيقيون فى القضاء عليها !...

ورغم انتشار جنس البربر بكامل سواحل هذا البحر الابيض المتوسط فانه لم يسجل لنا التاريخ مبلغ البحرية عندهم ومقدرتهم الخاصة فى شؤون الملاحة ؟...

# الدولة الفينيقية

## ـ القرطاجنية ـ

### ٨٨٠ ـ ١٤٦

### ق٠م

الفنيقيون امة شرقية متشعبة عن الفرع الكنعانى (١) السامى وهم ينتسبون الى وطنهم «فينيقية» (٢) بآسيا الصغرى غرب بلاد الشام الى جبال «كارليل» بين جبل لبنان والبحر وهو مكان ضيق مستطيل يبلغ طوله ٢٠٠ كيلومترا وعرضه ٣٠ كم. واهم مراسيهم بيروت وطرابلس الشام وصيدا وصور سيدة البحار – لندن القديمة –

اما لغتهم فهى من اهم اللهجات الكنعانية بعد العبرانية وهي تطابقها بأصولها السواكن مطابقة تامة ؛ والفروق بينها وبين اللهجة العبرية فى الحروف المتحركة اهم منها فى الحروف السواكن، وكذلك النحو، وللفنيقيين بناء للفعل غير معروف فى اللهجة العبرية ولكنه وجد بعد ذلك فى اللغة العربيـة وهو صحة الدلالة على الازمان باستعمال فعل مساعد – هو كان – امام التام من الفعل لجمله غير تام ، واللغة الفنيقية فى لهجتها تشبه لغة اهل (مالطة) اليوم ، فان هذه فيما رجحه علماء اللغات فينيقية ايضا ، وبذلك كان للغـة اهل مالطة اهمية عظيمة من الوجهة التاريخية، ومهما يكن من امر فاللغة الفنيقية لغة سامية هى اخت العربية وقد اقبل

١] تنقسم جموع الكنعانيين الى كتلتين عظيمتين كونت الاولى منهما الممالك الكنعانية فى سورية وكونت الثانية دولة الكنعانيين ومستعمراتها بجزر البحر الابيض المتوسط وفى شمال افريقية وجنوب اوروبا

٢) الكلمة يونانية (فنيكس) ولها معنيان : النخيل واللون الاحمر وذلك لاستعمال الفنيقيين هذا اللون فى ملابسهم ورسم النخيل على نقودهم

عليها البربر لما وجدوا فيها من القرب من لغتهم ومن الاتصال الجنسى الكنعانى بأهلها، وقد زادت الفنيقية هذا الوطن تأكيدا للعنصرية السامية وتمهيدا للعروبة والعربية .

## اتصال الفينيقيين بشمال افريقية

نشأ الفنيقيون بطبيعة بلادهم وما تقتضيه وضعيتها ومساحتها الضيقة قوما تجارا مولعين بالاسفار وركوب البحار فبرعوا فى الملاحة حتى اصبحت لهم السيادة فيها كما هى الحال عند انكلترا وامريكا اليوم ، ولذلك دعيت عاصمتهم «صيدا» بلندن القديمة ؛ وذلك بفضل اسطولهم الضخم العتيد ، وكانت لهم مغامرات بالاقطار النائية الشاسعة لجلب ما هم فى حاجة اليه مما يصلح بصناعاتهم ، وللتجارة واكتساب الرزق ايضا ، فكانوا يحملون الفضة من اسبانيا والقصدير من انكلترا وغير ذلك من المعادن والاشياء الضرورية التى لا بد لهم منها فانتقلوا بذلك فى بلاد الله الى ان دخلوا مصر متعاهدين مع اهلها فأسسوا هنالك شركات تجارية وخاضوا غمار البحر (البحر الابيض المتوسط) فى سبيل مقاصدهم التجارية ؛ وهكذا الى ان حلت سنة ١٥٠٠ ق. م. فظهرت هنالك سفن لبعض الامم التى كان ان اقتبست حضارتها من هؤلاء الفينيقيين فأصبحت تزاحمهم يومئذ — سنة الكون — ومن بينها امة الاغريق التى اخذت فى مضايقة فينيقية وحماتها على الانتقال او بالاحرى على الالتجاء بسفنها الى بلاد المغرب .

وفى سنة ١٢١٥ ق. م. انتصر الاسرائيليون على الكنعانيين الذين كانوا بفلسطين وارغموهم على الجلاء فانتقل بعضهم الى ارض فينيقية ومنها الى افريقية فنزلوا على اخوانهم الكنعانيين الاقدمين . وكان سلوكهم الى هذه البلاد ومجيئهم اليها على طريقين : برا وبحرا، اما طريقهم البرى فكانت بواسطة برزخ السويس وصادف ان كان المجتمع المصرى يومئذ يتخبط فى فوضى عامة واضطراب سياسى عظيم؛ فاهتبل المصريون هذه الفرصة وخرج الكثير منهم صحبة الفينيقيين وجاؤوا

معهم الى هذه البلاد فنشأ منهم جيل خاص مختلط يعرف بالفينيقي اللوبي ؛ له لغته الخاصة وخطه الخاص وهو المعروف بالمسند اللوبي. كما انهم مروا فى طريقهم البحرية بايطاليا وصقلية فصحبهم يومئذ «الاترسك والاوسز» وجاء معهم آخرون من «الصيقال» سكان صقلية ، كما اصطحبهم آخرون ايضا من اوروبا مثل «الليغوبيين» الخ ..... وذلك ما نشاهد اثره الى الآن بين ابناء هذه البلاد من اختلاف الناس فى سحناتهم وعواطفهم واجسامهم وعقولهم ايضا !... وذاك الاختلاط نفسه هو الذى مكن من اقدام الفنيقيين — بعد ذلك — فى هذا القطر الافريقي .

وتقدم القوم اولا الى ليبية وانتشروا بكامل الساحل الافريقي فأسسوا به نحو الثلاثمائة مركز ما بين مستودع تجاري ونحو المائتي مدينة ، كان منها بالقطر الجزائري مدينة ايكوسيم — الجزائر — وصلداى — بجاية — وروسكادى — سكيكدة — وهبو بتشديد الباء معناه الاب — بونة(١) — ورسجونتا — ماتيفو — وشولو — القل — ويول — شرشال — وايجيجلي — جيجل — وروسقور ، وتاقسبت — وتادلس — دلس وتنس ، وتيقزيرت ؛ الخ .... وكان من مراكزهم التجارية بداخل القطر : مدروس — مداورش — وتقاست — سوق اهراس — وتيفيست — تبسة — ؛ ومنها بالساحل التونسي ايضا سوسة وبنزرت وبالمغرب تنجيس — طنجة — وروسادير — مليلة — وجدير — اكادير — وهلم جرا ... وبهذه المواطن نشروا بضاعتهم وظهرت براعتهم فى صناعة الخزف والطين والزجاج والمنسوجات الحمراء والاسلحة الخ ... وكان الرواج والبيع فى جميع هذه البضائع والسلع وكل الصناعات بطريق المعارضة والمبادلة بمنتوجات هذه البلاد المغربية من صوف ووبر وجلد وريش النعام والانعام والعاج الخ ....

---

١) يلاحظ ان المدينة الحالية بنيت نحو سنة ٣٥٠هـ — ٩٦١م — وهى على نحو ٢ كيلومتر من موضع بونه (عنابة) القديمه

وبهذه الطريقة التجارية — والديبلوماسية ايضا — تم لهؤلاء الوافدين الاستحواذ على اقتصاديات البلاد واتسع لهم نطاق المعاملة فاضطروا بعد ذلك الى ضرب النقود (١) فكان لهم الاستيلاء السياسي بذلك. فالفينيقيون هم الذين ابتدعوا فكرة الاستيلاء على البلاد بطريقة تأسيس الشركات التجارية، وهى الطريقة نفسها التى سلكتها هولاندة وانكلتره فى الهند وبلاد الشرق.

## تأسيس قرطاجنة

كان لشدة توغل تاريخ قرطاجنة فى القدم — حتى كاد ان يتصل بفجر التاريخ — ان احاطت به اقوال وآراء كثيرة وروايات متناقضة مضطربة ضربنا عنها صفحا واقتصرنا على ما اشتهر لدينا رجحانه حسبما رواه لنا الشاعر اللاتينى فيرجيل.

ففى سنة ٨٨٠ قبل الميلاد خرجت الاميرة (جونو) — بإمالة النون الى الضم والفتح — ارملة (اسرباس) رئيس كهنة مدينة صور الفينيقية فارة من ظلم اخيها (بيغماليون) المستبد بالملك دونها والمستأثر بكنوز زوجها وتراثه، فكرهت الاميرة المقام على الضيم هنالك وجاءت الى هذا الشمال الافريقى حيث تقدمها اليه قومها الفينيقيون، فنزلت بساحل تونس فابتاعت من ملك البلاد البربرى (ايارباس) قطعة من ارض جبل (برسة) وشرعت فيمن معها من الاتباع فى تأسيس المدينة المسماة باسمها: (كرت جونو) التى اصبحت معروفة فيما بعد بقرطاجنة (٢) عاصمة شمال افريقيا الى الفتح الاسلامى: ويقال ان هذا المكان كان يعرف باسم (قمبى) وانه كان قبل ذلك مستعمرة انشأها اهالي صيدا الفينيقيون ايام مجدهم؟... وبذلك لفتت الاميرة انظار الناس الى هذه

---

١) يرجح ان اختراع العمله كان في القرن السابع ق.م. وينسب اختراعها الى ملوك (ليذا)

٢) يقول بعض الناس ان اسم قرطاجنه محرف عن اللفظ الفنيقى «كرت هدشت» بمعنى القرية الحديثه وهذا عندى بعيد بالنسبة الى قواعد التعريب، فاين لفظ - جنه - من هدشت =

العاصمة الجديدة فأمها الناس من كل فج عميق ، والتحق بها الكثير من سكان سواحل البحر الابيض المتوسط من اهل الشام والشمال الافريقي وغيرهم في مناسبات مختلفة ....

فعمرت المدينة واتسع بها العمران والمدنية فبلغ عدد سكانها الى ٣٠٠,٠٠٠ نسمة وهنالك من بلغ بهم الى المليون؟ ... ثم كانت بعد ذلك مركزا لبث العمارة بكامل هذاالساحل الافريقي على سيف البحر فانشئت المدن والمراسي وكثر عددها حتى فاق المآت .... (ثم اضمحلت بعد ذلك الا القليل) ويومئذ أصبحت قرطاجنة عاصمة الحوض الغربي وحامية حمى الفينيقيين من طرابلس الشام الى بوغاز جبل طارق. ونشات بذلك في افريقيا دولة شرقية الاصل مغربية الموقع

## نظامها الحكومى

كان من الضرورى بل الواجب السياسي على هذه الدولة الناشئة بهذه البلاد ان تسعى في تاسيس حكومتها المركزية للمحافظة على النظام والدفاع عن شرفها وحقوقها والذود عن مراكزها ومستودعاتها الاقتصادية ومؤسساتها المنتشرة بهذا الوطن ، وقد كان ذلك بالفعل فانشأت لها نظاما جمهوريا تحت رئاسة شيخين ينتخبهما الشعب مباشرة ، احدهما للادارة العسكرية والآخر للادارة المدنية، ويطلق على كل واحد منهما لقب «شفط» بمعنى سبط بالعبرانية، وهو الحاكم

— اوحدشت ؟.... بل الصواب هو ما ذكرنا : كرت جونو . قرية جونو . وهذا اقرب الى اللفظ الحادث قرطاجنة من كرت هدشت . ويقولون ان اسم الاميرة هذه هو إيليسا او «عليشه ديدو» ؟.... وهو اسم مركب من جزئين كما ترى ، ولست مرتابا فى الجزء الثانى من هذه التسميه لكونه وصفا بمعنى اللاجئه قد يصدق هذا على الاميرة ، غير اننى متوقف كثيرا فى الجزء الاول : ايليسا ، او عليشه فمن اين لهم ذلك ؟...

ولم يكن لاحدهما - قانونا - الاستقلال بالامر دون صاحبه ، فلا بد من اطلاع زميله واتفاقهما على اي موقف كان ولهما الحق في تحرير نصوص القوانين الدولية بمساعدة لجنة خاصة تعين من طرف مجلس الشيوخ، وان جميع الولاة وممثلي الحكومة في سائر المناطق المحتلة يعنون من طبقة التجار وارباب الصناعة وقد كان هؤلاء غالبا ينظرون الى مصالحهم الشخصية ويعملون لحسابهم اكثر مما ينظرون الى مصالح الدولة العمومية وبذلك ساءت العلائق بين الحكومة والرعية فيما بعد - نظرا لسوء سلوك هؤلاء.

وكان هنالك ثلاثة مجالس : مجلس النواب وهو يحتوى على ٣٠٠ عضو ومجلس الشيوخ فيه ٢٨ عضوا لمدة حياتهم ؛ ومجلس القضاء المسمي عندهم بمجلس المائة والاربعة، واعضاؤه كلهم من الطبقة الاريستوقراطية (الاشراف) وهو يستمد سلطته من ذينك المجلسين الاولين، وبهذا النظام اشتهرت دولة قرطاجنة بكونها اول من سن في العالم نظام الحياة النيابية والحكم الجمهوري . وذلك ما حمل الفيلسوف العظيم ارسطو على ارسال شهادته بتزكية النظام الادارى القرطاجنى في التاريخ حيث قال : «ان لقرطاجنة دستورا انفردت بكماله عن سائر الدول، ولها شرائع غاية فى الحسن، ومن الدليل على ما وعته من الحكمة انها مع ما للامة عندها من السلطان لم نجدها قط بدلت شكل الحكم ولا نشبت فيها فتنة...» ثم قال : ان القضاء عند القرطاجنيين افضل منه عند اليونان لانهم لايرضون له أغفال الناس، بل يولونه احسنهم طريقة واحمدهم سيرة.

واما الجيش عندهم فانه في الغالب كان من المأجورين ومرتزقة البربر وغيرهم ويبلغ عدده الى خمسين الفا ، وقد بلغوا في البحرية وحركة الاساطيل الاوج فانطلقوا يجوبون البحار ويكتشفون مجاهل المعمورة الى ان بلغوا البحر المحيط الاطلسي واوغلوا فيه حتى اطلعوا على قارة امريكا عرفوها قبل ان يعرفها كريستوف كولومب بستة عشر قرنا ولهم فيها آثار عثر عليها الباحثون فيما بعد، على ان سطوتهم

فى الحكم كانت لا تتجاوز الشواطىء والسواحل الافريقية اذ لم تكن خطتهم المرسومة لترمي الى اكثر من اخضاع ما حازوه من مراسى وموانى هذا الوطن، فلم يكن التوغل في داخل الوطن من شأنهم بل كانت ادارة شؤونه بيد اهله الافارقة، وبالجملة فقد كان نظام الحكم القرطاجني على العموم متسامحا سهلا مع الاهالي، فهو لا يعمل على ازالة الزعامات واماتة الرجولة وابادتها كما فعل الرومان ومن سار على شاكلتهم بعد ذلك من المستعمرين!... نعم كانت هناك وقائع وحروب بينهم وبين الاهالي ولكنها كانت على خلاف النزعات الاستعمارية الدينية الاخرى؛ ورغم ذلك فالحكومة كانت تعامل رعيتها بالحسنى الا نادرا فانها تعاقب عقوبة عنيفة شاذة واما الخزينة فانها متكونة من الضرائب والمغارم وربع المحصولات.

## المعتقد القرطاجنى

اشتهر الفينيقيون بميلهم الى النظر فى الطبيعة وما اشتملت عليه من اسرار وغموض وما كان فيها من الغاز إلهية وباقبالهم على التفكر والاجتهاد في ادراك غوامض الدين الروحية فاداهم اجتهادهم هذا وحرصهم على العبادة الى الخضوع للشمس تحت اسم «بعل» وتانيث — القمر — وقد وجدت قرية قريبة من قرطاجنة تسمى باسم هذا المعبود ، وعمون كذلك هو من آلهتهم ايضا ، وكانت القرابين تقدم من قرطاجنة الى إلهة صيدا «عشترت» المعروفة عند الاشوريين والبابليين باسم «عشتر» او «اشتر» ولها اسماء اخرى تقارب هذه عند الاراميين ، وهو صنم يمثل زوجة بعل المعروف عند اليمنيين باسم «عثتار» (مذكر لامؤنث) ولهم هياكل ضخمة للعبادة وهى مستودع تماثيل آلهتهم واليها تقرب القرابين وتقدم الضحايا البشرية ايضا!... وقد سرى نوع من هذه التقاليد بين الاهالي فقلدوهم فيها.

## الوسط القرطاجنى

بلغ من امتزاج الشعب المغربي بالقرطاجنى ان تكونت بينهما وحدة كاملة. فاندمج الكل فى الكل، واوثقوا روابط الاتصال هذا بالزواج بين الخاصة والعامة فكان اشراف الاهالي وامراؤهم يتزوجون من نبيلات فينقية والعكس، وباعتناق الاهالي لعقائد قرطاجنة والاقبال على مصنوعاتها ايضا تاكدت العلاقة واصبح الكل امة واحدة، ويكفينا في ذلك حجة انتقال عرش المملكة الفينيقية من آسيا الى هذه القارة ويمتاز الوسط القرطاجنى بانهماكه في العمل والتفاني في حب الصناعة والفلاحة والاكثار من الاسفار وعقد الرحلات في سبيل التجارة. وبظهور حركة التأليف ونشاطها بينهم، ونرى القرطاجنى في جميع مراحله محبا للسلم عفيفا.

## الجالية اليهودية

كان ابتداء مقدم اليهود الى شمال افريقيا منذ سنة ٥٨٨ ق م. اى في الوقت الذى فتح فيه الملك البابلي «بختنصر» (١) Nebuchadrezzar مدينة اورشليم (١) – بيت المقدس – وشرد اليهود منها فخرجوا مضطهدين لاجئين الى ابناء عمومتهم الكنعانيين بهذا الوطن – البربر والفينيقيين – واشتهر هذا التشريد اليهودى بين المؤرخين باسم: جلاء بابل؛ ثم كان الجلاء الثانى عندما حاول اليهود الخروج عن طاعة الرومان، فقضى عليهم الامبراطور طيطوش بن فسباسيان سنة ٧٠ م وشتت شملهم فى العلم وخرب بيت المقدس الخراب الثاني، فالتجأ يومئذ هؤلاء اليهود الى افريقيا ايضا، ثم توالت بعد ذلك الهجرية اليهودية من المشرق الى هذا الوطن في مناسبات مختلفة واوقات متفرقة وقد كانت قبيلة جراوة المخيمة بجبل اوراس ونفوسة ومديونة كلها تدين بدين اليهودية الى عهد الدولة

---

١) كان استيلاؤه على بيت المقدس وتخريبه ونهبه له فى ثلاث دفعات الاولى سنة ٦٠٦ ثم فى سنة ٥٩٦ ثم في سنة ٥٨٨ قبل الميلاد

الادريسة فاعتنقت الاسلام ، ولا ندرى اكان ذلك التهود في هذه القبائل عن عقيدة وايمان ام عن تقليد ام عن وراثة جنسية ؟..

## غوائل الغرب

كانت الناحية الشرقية من الجزائر — نوميديا — مصيليا (عمالة قسنطينة) هادئة مطمئنة تسير تحت طاعة ملكها البربرى (غولا) الموالى يومئذ لقرطاجنة ، وكانت الناحية الغربية من الجزائر — موريطانيا الغربية — ومعها مراكش مصيصليا تحت نفوذ الملك البربرى (صيفاقص) ؛ وقد كانت انظار رومة وقتئذ متجهة نحو هذا القطر الافريقى ، فحاولت هذه الدولة يومئذ التدخل فى شؤونه بطريق التغرير والوعود الكاذبة وجاءته بداء المنافسة كما هو شأن الغرب مع الشرق الى الآن !... فأوهمت صيفاقس بالمساعدة على ضم نوميديا اليه ان هو عمل على انتزاعها من غولا حليف قرطاجنة ، وبذلك يتم له الاستيلاء على كامل القطر الجزائرى من الشرق الى الغرب ؛ فاغتر صيفاقص بتدجيل رومة وخرج من عاصمته صيغة — ارشقول — لمهاجمة مملكة غولا فكانت الحرب بين الفريقين سنة ٢١٢ ق م. وكان على جيش غولا ولده ماسينيصا الذى لم يتجاوز يومئذ السابعة عشرة من عمره ، واخيرا انهزم صيفاقس متقهقرا الى موريطانيا ؛ ثم اعاد الكرة ثانيا على نوميديا فى السنة التالية فخاب ايضا ، ويومئذ اتسع نطاق المملكة الجزائرية وتوحدت ادارتها تحت نفوذ الملك غولا ثم بعد وفاته نشأت فتن ومنازعات بين ولده ماسنيصا ومزاحميه على ملك ابيه ، ومنهم عمه ؛ ولم تشأ قرطاجنة يومئذ ان تتدخل فى شأن هذا الخلاف ، ولكن ماسنيسا غضب لذلك ، وكان يعتقد مناصرة قرطاجنة !... وبعد حروب سنة ٢٠٦ ق.م. اقتسم هو وعمه مملكة مصيليا واعلن مخالفة قرطاجنة ومحالفة رومة واذ ذاك عملت قرطاجنة على استمالة خصمه صيفاقس واخذت تغريه بشتى المغريات ومنها مصاهرته بيت الملك فاصبح صيفاقس بجانب قرطاجنة مناوئا لماسنيسا ، وفعلا

انتصر على خصمه وشرده فى الجبال وانتصب صيفاقس على عرش نوميديا واحتل سيرتا - قسنطينة - سنة ٢٠٤ ق م. ونشر نفوذه على القطر الجزائرى من اقصاه الى اقصاه ويومئذ اختفى ماسنيسا يرقب الفرص المواتية حتى اذا تهيأت له واحدق الخطر الرومانى بقرطاجنة نهض يلتهب غيضا على عدوه ومنافسه صيفاقس ، فانضم له يومئذ بعض اشتات من البربر ومن ورائهم رومة وكانت هنالك المعارك الشديدة والهزائم المريرة كاد ان يخفق فيها ماسنيسا ايضا لولا القدر واخيرا دخل هذا عاصمته سيرتا منتصرا فقبض على عدوه وبعث به مكبلا الى رومة ، يرسف فى قيوده وبقى الملك صيفاقس في اسره حتى مات هنالك غيضا واسفا سنة ٢٠١ ق م. وهكذا مآل سياسة من يحتمى بالاجنبى على مواطنيه وابناء جنسه فإن هلاكه يكون على يده لا محالة وكم في التاريخ من عبر وآيات على ذلك .
ولما اندحرت قرطاجنة في حروبها ضد الرومان فى وقعة (جاما) سنة ٢٠٢ ق م. اضطرت الى اداء غرامة حربية لماسنيسا والاعتراف به ملكا شرعيا على عرش اسلافه وذلك جزاء الصابرين

## الحروب الصقلية والبونيقية

ان كل من تتبع تاريخ هذه الدولة يعلم انها ما دخلت في حرب قط ولا اعلنتها الا مرغمة مدفوعة اليها دفعا ، ومن ذلك ما اشتهر في التاريخ باسم الحروب الصقلية ، والحروب البونيقية (١) ، اما الاولى وقد دامت اكثر من قرنين (٥٣٦-٣٠٦ ق م) فانها كانت ضد اليونان بسبب مزاحمة هؤلاء للحكومة الفينيقية في منتوجات البلاد الخاضعة لنفوذها ، وكان النصر فيها لقرطاجنة ؛ واما الثانية فانها كانت ضد الرومان الذين اعتدوا على سيادتها وحاولوا التدخل في شؤون الوطن والتصرف في اقتصادياته ؛ فنهضت قرطاجنة مدافعة عن شرفها

١) نسبة الى البونيقيين *Poeni* الفينيقيون فى لسان الرومان

فخاضت عباب هذا البحر وقطعت جبال الالب وحصرت رومة حتى كادت ان تذهب بدولة الرومان ، ويومئذ اشتد تكالب هؤلاء الاعداء وثارت ثائرة حقدهم فهاجموا قرطاجنة في ثلاث دفعات ، كانت الحملة الاولى ما بين سنة ٢٦٤و٢٤١ ق.م. وانتهت باستيلاء الرومان على صقلية واهم جزر البحر الابيض المتوسط التي كانت سبب هذا النزاع، ثم كانت الحملة الثانية فيما بين سنة ٢١٩ و٢٠٢ ق.م خسرت فيها قرطاجنة جميع مستعمراتها فى اسبانيا وبجزر هذا البحر ، وكان سبب ذلك رغبة قرطاجنة فى استرجاع ما سلبته منها رومة والانتقام للشرف . اما الثالثة فانها كانت من الرومان خشية انتشار نفوذ الملك البربرى الجزائرى — ماسنيسا — وحب الاستئثار بهذا القطر والقضاء على دولة الفينيقيين ، وقد دامت هذه الحرب الثالثة من سنة ١٤٩ الى سنة ١٤٦ ق.م. وفيها تم للرومان القضاء على دولة قرطاجنة والاستيلاء على مملكتها الافريقية ، ولقد رد المؤرخون جميع اسباب الانهزام التى لحقت قرطاجنة الى انقسام الحكومة يومئذ الى حزبين اثنين : حزب الرسماليين الذين يعملون للسلم ابتغاء الثروة وجمع المال ، وحزب المحاربين؛ فذهبت الدولة ضحية الخلاف ! والكل راجع الى المنافسة والتزاحم وحب الاستئثار؛ أما امنية الرومان فهى حب السيطرة والاستعمار.

وليس هنالك من الوقائع والحروب غير هذا سوى ما كانت تثيره قرطاجنة احيانا من الملاحم او المكافحة لقمع الثائرين من ابناء البلاد فان ذلك لا يعد حربا ، او ما ذكره احمد زكى فى تاريخ الشرق ومحمد بك دياب فى خلاصة تاريخ مصر من ان هناك غزوا وقع من كمبيز او ، — قمباسوس — (بهرسب) — الفارسى (٥٢٩ -٥٢٢ ق م) على بلاد المغرب بعد ما فتح مصر سنة ٥٢٥ ق م ولكنه لم يستطع اتمام المشروع فرجع خائبا

## انشاء الممالك الوطنية بالجزائر

كان القطر الجزائرى على عهد قرطاجنة مجزءا الى جزئين شرقى وغربى ، فالشرقى منه يسمى بمملكة «المسيليان» وحدودها من وادى الرمل بعمالة قسنطينة الى الحد الغربى من القطر التونسى ، وقاعدته مدينة (بونة) – عنابة – والقسم الغربى وهو من مملكة «المسيسليان» ما بين وادى الرمل والملوية وقاعدته سيرطة – او (قرتة) بمعنى القرية وهى قسنطينة ؛ وجميع سكان هاتين المملكتين يعرفون فى التاريخ باسم (النوميد) ومعناه الرعى والتنقل فى سبيله ، وذلك ما يدلنا على ان سكان هذه المناطق هم رعاة قبل كل شيء وهو ما دعا بعد ذلك الى تسميتهم بالشاوية ايضا؛ ويومئذ لم يكن لهؤلاء الناس ملك او نظام مملكة حتى اذا اذن ملك قرطاجنة بالذهاب وتوالت الخيبة عليها فى الحروب البونيقية الثانية سنة ٢٠٢ ق م شرع الجزائريون بالخصوص فى تأسيس ممالكهم اغتناما لهذه الفرصة السانحة فتكونت ممالك وطنية نظامية تحميها قوة الرومان الجائمة

فكان اول ملوك الجزائر فى هذه الآونة (فارمينا) وكان على بلاد نوميديا شرقى مقاطعة قسنطينة الملك (ماسنيسا) و(نرفاس) ٢٣٨ ق م و(صيفاقس) ٢٣٠ - ٢٠٢ ق.م وعاصمته صيغة – ارشقول – باحواز تلمسان على ضفة البحر عند مصب نهر التافنا ، ومنهم كذلك (مصيبسا) وعاصمة سرطة – قسنطينة ١٤٩ – ١١٩ ق م و(ماصينته) كان على ناحية سطيف ، و(عرابيون) كان على ولاية نوميديا السطيفية ، و(يوبا الاول) وعاصمته هبون – بونة – (ويوبا الثانى) ٢٥ ق.م - ٢٣م - وقاعدته قيصرية – يول – شرشال وقد كان لبعض هؤلاء الملوك حق سك العملة باسمه وضرب النقود بعاصمته

## الثقافة والحضارة والعمران

لا نكران!... فان للامة الفينيقية الفضل الاوفر على العالم المتمدن اجمع، اذهى اول من ابتكر طريقة رسم الحروف الابجدية المنتشرة فى العالم اليوم وجعلها حسب النطق بعد ما كانت مسمارية – وهيروغليفية – (تصويرية) كما انها اول من وضع نظام الاشكال الحسابية، فجميع خطوط الامم اليوم مدينة الى الخط الفينيقى القديم، وتلك مفخرة ممتازة يفتخر بها الجنس السامى على سواه.

واشتهر الفينيقيون ايضا بالمحافظة التامة على مميزاتهم وخصائصهم الجنسية وكل ما يربطهم بحياتهم العامة ومعيشتهم الشرقية فلم يتأثروا بالحياة الافريقية يومئذ ولا بغيرها من تقاليد الامم الاخرى ولم يلتفتوا كذلك للحركة الفلسفية التى اشتهر بها اليونان... فقد غلبت عليهم المادة فى كل شيء، ولا يظهر عليهم اثر التقليد الا فى فن المعمار فاننا نرى فيه اثر المحاكاة نوعا ما فى بعض مظاهره بالفن اليونانى، ويرى ذلك جليا فى المقابر والمعابد وفى اوانى الطين والمجوهرات

ولقد برع الفينيقيون فى شتى فنون الصناعة كنحت العاج واستخراج العطور والمواد الدهنية وصنع الزجاج والبلور الملون والنقش على الصخور والخشب وتعدين المعادن والنسج بكيفية ممتازة لا تزال الى اليوم تستعمل فى بعض جزر الارخبيل من سواحل اليونان التى كانوا يجلبون منها العندم. كما اشتهروا كذلك فى البحرية بسفنهم العجيبة واتقان بناية الموانى والمرافق بها، فقد كانت مرسى قرطاجنة تسع نحو ٢٢٠ مركبا حربيا. كما كانت لهم القدم الراسخة فى التجارة والفلاحة، فعنوا كثيرا بغراسة انواع النخيل والزيتون والرمان والتين والارز والجوز، وقلدهم فى ذلك الافارقة والرومان ايضا فترجموا كتاب (ماقون Magon) القرطاجنى فى الفلاحة وانتفعوا به كثيرا، وكثرت يومئذ المؤسسات والمبانى العظيمة والاجنة والقصور والملاعب ونفقت على عهدهم سوق العلم والادب؛ كما انهم انشأوا طرقا

واسعة تربط ما بين اطراف افريقية الشمالية والوسطى فكانت القوافل مثل السفن أيضا غادية رائحة ببضائعها ، فنفقت التجارة بين الاقطار ، وكان لأمراء البلاد قوافل وشركات خاصة ، فانتشر بذلك العمران والمدنية القرطاجنية في كامل الساحل الافريقي بل تخطياه الى الضفة الاخرى من جزر هذا البحروسواحله فازدهرت الحياة العامة على ضفاف هذا الحوض وكانت لهم السيادة المطلقة فيه على غيرهم سواء من جاورهم من الامم الاخرى او من بعد عنهم . وجاءت امة الرومان بعدهم فقضت بدافع الحقد والضغينة على جميع هذه المدنية الزاهرة واتعبت نفسها في ذلك فاضاعت جميع الاثار التى كانت تدل ببهجتها على ما للقرطاجنيين من الرقي والتقدم في الحضارة !... وكل ما عثر عليه الباحثون اليوم من آثار هذه الامة هو لا يتجاوز بعض نقوش ورسوم لا تزيد فائدتها عن دراسة لغة القوم ولهجة التخاطب بينهم ، والى هؤلاء الفينيقيين يرجع الفضل في تطور هذه البلاد واخذها بأسباب المدنية من جديد في الحرب وفي السلم

## انهيار الجزائر الفينيقية

لا نطيل على القارىء بتحليل المواقف الحربية وذكر تفاصيل الوقائع والملاحم التي قضت بسقوط قرطاجنة وانتصار رومة عليها فان ذلك يعود الى دراسة تاريخ الجندية والحروب ، وهو موضوع مستقل افردناه بالتأليف ، وانما يهمنا منه مواضع العبرة واسباب ذلك ؛ وهو ما يجده القارىء امامه فى هذا الباب

ان اهم الاسباب الاساسية التى يرجع اليها سقوط هذه الدولة وتغلب الرمان عليها . تنحصر في اربع نقط : اولا تنافس الاحزاب السياسية وانقسامها على نفسها الى ثلاثة اقسام ؛ ثانيا اندفاع الدولة وراء التقدم المادى واهمال الجانب الروحى بالمرة ، ولا يخفى ما للروح من الاثر والتأثير فى كل شيء ... وثالثا عدم شعور الجند بالمسؤولية العظمى في هذه الحية حيث انه اجنبى عن الوطن

لا غيرة له وطنية ولا حمية وانما هو يسعى وراء الدرهم والمغنم ، فهو اخلاط من المتطوعين والمرتزقين فلا اخلاص له ولا وفاء ؛ والرابعة وهى الحالقة المنقد سوء سلوك الحكومة بالرعية فكلما زادتها الايام اقبالا الا وامعنت في الظلم والجور، وذلك مؤذن بالزوال لا محالة .... ويومئذ ظهر شبح رومة بمظهر المنقذ الاعظم وتظاهرت امام البربر بالعطف والرحمة والعدل فانخدع لها الناس وانجذبوا اليها ، فاستعملت رومة حينئذ قاعدة الاستعمار العامة : فرق تسد !.... وسعت في توسيع شقة الخلاف بين الراعى والرعية واوقعت بينهما العداوة والبغضاء ثم تقدمت الى ملوك البربر انفسهم ففرقتهم عن بعضهم – وهى في كل ذلك متظاهرة بالعمل على نصر المظلوم والانتصار من الظالم – فاشتد بذلك تصلب قرطاجنة وزادت في قساوتها وكان ذلك سببا في انفجار الحروب البونيقية تلك الحروب الطاحنة الهوجاء ... وما كانت رومة لتقوى على مقاومة قرطاجنة لو لا انظمام البربر اليها ونقمتهم على عدوتها وطموحهم الى الاستقلال والحرية فاغتنم الرومان كل هذه الفرص المواتية وضربوا طبولهم على هذه النغمة فالتهب الشعب البربرى حماسا ونهض يومئذ ملك سيرته – قسنطينة – (ماصنيسا) وفي عمره وقتئذ ٨٨ سنة فانضم بقومه الى الجيوش الرومانية الجاثمة حول العاصمة (قرطاجنة) وحاصروها مدة سنة كاملة فقطعوا عنها الميرة وكانت هنالك الغارة الشعواء وتكرر الهجوم من الرومان والبربر على المدن والعواصم فخربت البلاد وهدمت الاسوار وسبى النساء والذرارى وتشتت شمل احزاب قرطاجنة وتمزق القوم شر ممزق فتبددوا في البلاد وقتلوا تقتيلا ، ويومئذ اظهر النساء القرطاجنيات من البسالة والبطولة النادرة والشجاعة في المقاومة ما يذكرن به فيشكرن وظفرن شعورهن حبالا مفتولة تبرعن بها على سفن المقاومة لاستعمالها في مكان الحبال المنعدمة يومئذ !... فقاومت قرطاجنة برجالها ونسائها الى الرمق الاخير وليس هنالك ما يقيها شر سقطتها او من يأخذ بيدها ، وتلك هى نتيجة ما زرعته يدها في

قلوب الاهالى من دواعى السخط والحقد عليها ، فأحل بها الدهر بأسه وصب عليها الشعب نقمه ، وسقطت بيد الرومان سنة — ١٤٦ ق.م — واصبحت احدوثة سائرة ، وعظة زاجرة . وتم هذا النضال بين قرطاجنة الفينيقية وبين الرومان الذى هو في الحقيقة والواقع نضال بين العنصرين : السامى والآرى وقضت صروف الدهر وطوارقه بانهزام العنصر السامى الى مدة قرون فى هذه القارة لافريقية الى عهد الفتح العربى فتجدد له حينئذ نشاطه تحت لواء الاسلام، وايعتبر القارىء البصير بأن انهزام قرطاجنة لم يكن — فى الحقيقة — عن قصور او تقصير منها فى الدفاع عن نفسها وانما هو اثر لذلك الاستعلاء والتجبر والمعاملة السيئة التى سلكتها مع الرعية فأحدث فيها نفورا وانزعاجا ، سنة الله فى كونه وان تجد لسنة الله تبديلا . وبسقوط هذه الدولة تحولت زعامة العالم من يد شمال افريقية الى جنوب اوروبا وتعطل بذلك سير التمدن بضعة قرون

# مشاهير ملوك الوطن الجزائرى

| | | |
|---|---|---|
| نرهفاس | نوميديا الوسطى | ٢٣٨ قم |
| صيفاقس | نوميديا الشرقية | ٢٣٠-٢٠٢قم |
| غولا بن نرهفاس | نوميديا الوسطى | ٢٠١ «« |
| مصينيسا | نوميديا الوسطى | ٢٢٧-١٤٩ »» |
| مصيبصا وغولوصا ومناص بعل | نوميديا الشرقية | ٢٤٩ «« |
| ماسنيسا وفارمينا | نوميديا الشرقية | ٢٠١ «« |
| اصالس بن نرهفاس | | ؟... |
| لكومسيس | | ؟... |

# مشاهير الجزائريين

## مصينيسا

## ٢٢٧ - ١٤٩

## ق٠م

مصنيسا او ماسنيسا ، هو من اشهر ملوك البربر الجزائريين المعدودين، ومن اعظم زعمائهم على الاطلاق ؛ ابوه (غولا) ملك نوميديا وعاصمته سيرته (قسنطينة) . نشأ مصنيسا هذا محبا لوطنه غيورا عليه مدافعا عنه ، وقد شارك في محاربة خصم والده ومنافسه الملك (صيفاقس) وسنه حينذاك لم يتجاوز ١٧ سنة ومن ذلك الحين تألق نجمه في السماء بين ابطال التاريخ الجزائرى فخلف اباه بعد وفاته على العرش وكان في اول امره مواليا للفنيقيين ، ولما رأى من قرطاجنة تهاونها بشأنه وعدم مبالاتها بحقوقه الشرعية في الولاية على عرش ابيه حتى كاد الاجانب ان يستولوا عليه ايام خروجه غازيا مدافعا عن حياض قرطاجنة ، غضب لذلك وعاد من فوره مطالبا بملك ابيه الضائع واحتمل في ذلك مشاقا عظيمة واهوالا شديدة وكان ذلك سببا في خروجه عن طاعة قرطاجنة واعلانه باستقلال الجزائر وتحرير الوطن من اغلال قرطاجنة . وكان يحضر المعارك الحربية بنفسه رغم تقدمه في السن، واستمر على الكفاح ضد الاستبداد الفنيقى حتى ظفر بالنصر واستقل بعرش الجزائر سنة ١٥٨ ق . م ودانت له البلاد الى الحدود التونسية ، وكان مصينسا هذا حريصا على ربط صلته بالرومان واليونان ابتغاء وصوله الى غايته التى يرمى اليها من القضاء على نير قرطاجنة فكان ما اراد . والى هذا الملك البربرى يعود الفضل في اختراع لغة (لبية) على نمط الحروف الهجائية الفينيقية ، وهو الذى عمل على استقرار البدو في نواحيهم

بالبادية واتخاذ الزراعة حرفة لهم بدل الرعى ، وجعلها عمدة الحضارة القديمة ، كما انه عنى كثيرا بالاقتصاد والتجارة. وكان من تيقظه الحربى وشدة حذره انشاؤه لاسطول ضخم وجيش منظم ، وضرب السكة باسمه وقد اجمع اهل التاريخ على مدحه والثناء على اخلاقه وسجاياه . توفي سنة ١٤٩ ق.م عن سن عالية تنيف على المائة عام ودفن في قبره المعروف به الى الآن بالخروب على ١٦ كيلوميترا بالجنوب الشرقى من قسنطينة

## جدول تاريخى

| تاريخ الحوادث | | | اهم حوادث الجزائر في العهد الفينيقي |
|---|---|---|---|
| ٨٨٠ | | ق. م | مقدم الاميرة «جونو» (١) وتأسيس قرطاجنة |
| ٥٨٨ | | ق. م | الهجرة اليهودية الى افريقية |
| ٥٣٦-٣٠٦ | » | » | حروب صقلية |
| ٢٦٤-١٤٦ | » | » | الحروب البونيقية وسقوط قرطاجنة |
| ١٥٨ | » | » | استقلال الملك البربرى الجزائرى مصينيسا |
| ١٤٩ | » | » | وفاة مصينيسا |

(١) من المحتمل جدا ان يكون اسم الاميرة هذا ناتجا عن اسم الالهة «جونون» ربة الفينيقيين ومعبودتهم ؟... وقد يكون كذلك اسم المدينة (قرطاجنة) مضافا الى نفس هذه الربة «جونون» ؟... انظر صفحة ٦٠ من الكتاب

# الدولة الرومانية

## ١٤٦ ق.م — ٤٣١م

الرومان امة آرية متكونة من شعوب وامم مختلفة ، منها امة الغال والاتروسك والاغريق واللطين ... ومسكنها ارض ايطاليا بجبالها وسهولها؛ وهى منسوبة الى بانى رومة ومؤسسها «رومولوس» حفيد «نوروكاش» ملك اللطين ، وكان تاريخ بناء هذه العاصمة التاريخية سنة ٧٥٤ ق م

### نظامها الحكومى

استمرت رومة على حكمها الامبراطورى بمرافقة مجلس الشيوخ الذى كان يحتوى اولا على مائة عضو ثم زيد فيه بعد ذلك؛ وفى سنة ٥٠٩ ق.م انقلب الحكم جمهوريا فكان عدد اعضاء مجلسها حينئذ يفوق الثلاثمائة عضو ينتخبون لمدة حياتهم، ومن بين هؤلاء ينتخب عضوان بارزان هما اللذان يباشران اعمال الحكومة العليا ورئاسة الدين لمدة سنة ويلقب كل منهما بلقب قنصل ؛ وقد كان لرومة على هذا العهد ولا يتان بافريقية وخمس بآسيا وعشر باروبا ، وبقى الامر على ذلك الى سنة ٣١ ق م حيث تغلب الامبراطور اغسطس اوكتافيوس على منافسه انطونيوس وتبوا عرش رومة واصبح يومئذ صاحب الامر والنهى فسعى فى تغيير نظام الحكم الجمهورى واعاد البلاد الى نظامها الامبراطورى السابق وفوض الاعمال لولاة اتخذهم فى البلاد ويومئذ سقطت الجمهورية الرومانية وعادت السلطة الاستبدادية تحت نفوذ الاباطرة من ملوك الرومان ؛ وقد كانت حالة ابن البلاد الاهلى المستعمر على عهد هذه الجمهورية اتعس منها على عهد الامبراطورية .

وكانت العاصمة الاولى الرومانية بافريقية (عوتيقة) ثم انتقل منها حاكم الامبراطور الى (جنونيا) التى هى قرطاجنة ، وا«بروقنصل» — الحاكم — النظر

المطلق فى كلتا السلطتين : العسكرية والمدنية ، ولكل من هاتين الناحيتين منظمة ادارية يديرها موظفون تحت اشراف رئيس . وتستمر ولاية «البروقنصل» الى تمام السنة من ولايته، ثم انه اذا احسن السير والتدبير فى سياسته يعين للمرة الثانية والثالثة وهكذا. ويتقاضى هؤلاء الموظفون مرتباتهم مما يستخلص من الشعب من ضرائب فادحة على اختلاف انواعها ومقاديرها، من ذكور الامة واناثها. وتستخلص هذه المغارم والجبايات بواسطة الاعيان فهم الذين يدفعون اولا من عندهم للخزينة ما تلزمهم به الحكومة ثم هم يتولون الاستخلاص من الرعية من غير مرحمة ولا شفقة ... وقد كان مرتب «البروقنصل» لا يقل عن مليون «سيسترس» سنويا ، والسيسترس هو عبارة عن قطعة من فضة رومانية ، ولنائب الامبراطور بموريطانيا القيصرية مرتب يقدر بنحو اربعين الف فرنك.

اما عدد الجند فانه كان لا يزيد فى جميعه او مجموعه عن خمسة عشر الفا ، وهو عدد ضئيل كما رايت بالنسبة الى سعة المساحة التى يسيطر عليها الرومان، وهذا يدلنا بلا شك على كمال نجاح الحكومة وتوفقها فى السياسة ودهائها الديلوماسى الذى تمكنت به من التحكم في البلاد . ثم ان هذا الجند في نفسه مختلط ، ففيه البربرى والرومانى والاسبانى وغيرهم من الجند المستأجر ، ولقد تزايد فيه عدد البربر حتى كان له التفوق على الجيش بتمامه . وكانت مراكزه بالجزائر مدينة تبسة ولمبيس ؛ فلحامية تبسة مراقبة البر وقنصلية — تونس — ونوميديا — اعمال قسنطينة ، وهى نفسها التى نقلت بعد ذلك الى لمبيس ، وهناك حامية اخرى لمراقبة موريطانيا الشرقية — الجزائر ووهران — وحامية بقرطاجنة يبلغ عددها الالف.

وللاسطول الرومانى امتياز بسطوته الجبارة على هذا البحر ، وكان مقره بالجزائر مدينة شرشال ، وبتونس : قرطاجنة . اما الجزية فهى دائما مستمدة من اموال الشعب من مغارم وضرائب متنوعة ؛ والرعية تحت رحمة القوانين

الاستثنائه ليس لها حق الروماني مطلقا !... فالناس فى نظر القانون الرومانى طبقتان : احرار وعبيد ؛ وقد حدث مرة ان الامبراطور البربرى سبتموس سويرس اصدر امره سنة ٢١٦ م بمساواة الرعية فى نظر القانون وان اختلفت اجناسها وحالاتها السياسية ، ومنح البربر حريتهم الشخصية فما كاد الامر هذا يتصل بهذه الديار حتى سعى المستعمرون فى عرقلته ، وبالفعل رفض ولم ينفذ... فالاستعمار ايها القارىء الكريم كما انت تراه اليوم بعينك وتلمسه بيدك هوهو!... فكم اشاع الاستعمار وتغنى بصدور قوانين عادلة تشتمل رعاياه بالجزائر، ولكنها عند التطبيق يأخذ الولاة ومن بيدهم تسيير دفة المستعمرة فى تأويلها وشرحها محرفة حسبما تقتضيه قواعد الاستعمار العامة من بقاء ابن البلاد دائما تحت الضغط الشديد وبالجملة فلقد بقي الاهلي طيلة الاحتلال الرومانى فى شقاء وعناء .

## وضعية شمال افريقية على عهد الرومان

لقد كانت هذه الجزيرة المغربية اوقل افريقية الصغرى كما يعبر عنها بعض اهل الجغرافية من المعاصرين جزءا واحدا فى جميع اعتباراتها السياسية وفى جميع نظمها الداخلية والخارجية كما هى عليه حالتها الطبيعية وشكلها الجغرافى، الى ان جاء دور الرومان هذا فقسموها الى ثلاث مقاطعات : افريكا ، ونوميديا ، وموريطانيا ، وهى تقريبا هذه الاوطان الثلاثة التى يشملها اسم المغرب العربى اليوم : تونس والجزائر ومراكش، وكان يطلق عليها جميعها ايضا اسم موريطانيا ما عدا طرابلس. وفى سنة ٢٧ ق. م اندمجت نوميديا في افريكا القديمة وصار الحد من الوادى الكبير قرب جيجل الى برقة ، وفي سنة ٢٠٠ م سمى الجميع باسم نوميديا القسنطينية تمييزا لها عن نوميديا الجديدة .

وفي عهد الامبراطور كلوديو جزئت موريطانيا هذه ايضا الى ناحيتين اثنتين :

موريطانيا الطنجية — مراكش — نسبة الى عاصمتها يومئذ طنجة ، وموريطانيا القيصرية وهي تشمل ارض الجزائر وتونس؛ ثم كان فى سنة ٤٠م تقسيم موريطانيا القيصرية الى قسمين : موريطانيا السطيفانية نسبة الى مدينة سطيف او سطيفى ، — وهى ارض الجزائر — وبقيت الاخرى باسمها القديم ، وهى من وادى مولوية الى البحر المحيط الاطلسى . وايا ما كان فان النفوذ الرومانى لم يشمل جميع بلاد هذا الشمال الافريقي ، بل كان مقتصرا على الساحل بما فيه من مدن وعواصم وقرى مركزية ذات شأن اقتصادى . ولقد ضبط الرومان ذلك بخط «الليميس» وهو عبارة عن طريق معبدة هائلة أو خندق عميق او سلسلة ثكنات لسكنى الجند المحارب محافظة منهم على الامن ؛ وكان هذا الخط يذهب من طرابلس الى جنوب مدينة الرباط ، ولا تزال منه بقية بمراكش؛ وجعل الباقى من تراب هذا الشمال تحت الحماية السياسية العامة ، وبذلك استمر سكان شواهق الجبال والتخوم محافظين على استقلالهم ؛ وكان هؤلاء دائما هم مبعث الثورات ضد النفوذ الرومانى ونواة الحرية والاستقلال

## الرومان بالجزائر

كان ابتداء علاقة الرومان بالقطر الجزائرى منذ سنة ٢١٣ ق.م وامتدت اليه يدهم فتصرفوا فيه منذ سنة ١٠٤ق.م ووضعوا قدمهم بنوميديا سنة ٤٦ق.م — ٤٢ م ، ولم يكن للرومان ان يستولوا على بلاد القبائل الا بعد سنة ٢٩٧ وجعلوا عاصمتها بلدة جمعة صهريج . وكثيرا ما تغير نظام الجزائر الادارى فقسمت وجزئت الى اوضاع واشكال مختلفة ؛ فقد كانت مجزاة الى اربع ولايات او مقاطعات : ولاية ندرومة ، وقسنطينة ، وسطيف ، وشرشال ، وفي سنة ٣٧م جعلت ناحية نوميديا وحدة ادارية تحت اشراف ضابط عسكرى في رتبة عضو بمجلس الشيوخ وهو تحت طاعة الامبراطور نفسه.

ولقد كان من النظم المتبعة في العواصم والمدن انتخاب المجالس البلدية لكل ولاية وان لهذا المجلس النظر في مصالح منطقته كما هو الشأن المتعارف اليوم في البلديات، وان اوسع بلدية كانت بالقطر الجزائرى في هذا العصر هى بلدية بونة — عنابة — فان نفوذها الادارى يمتد غربا نحو ثلاثين كيلومترا وشرقا نحو ٥٠ كم كما انه لا ينبغي ان ننسى نظام المدن الخمس: قسنطينة، وميلة، وسكيكدة، والقل، وجيلة وما الحق بها من المدن والقرى وما كانت عليه من الحرية والاستقلال الداخلى وما بلغته الرعية في ضلها من الرفاهية والبذخ؛ وبالجملة فان خط حدود الجزائر الرومانية يمر بجنوب اوراس والشاطىء الايمن لوادى جدى ثم يصعد على حدود الشمال الغربى فيمر وسط جبال الزاب ويقطع وادى الشعير فيضم الحضنة من جهتها الغربية ثم يتجه نحو سور الغزلان ويمر ببوغار وتيهرت وفرندة، ويمتد الخط غربا الى تلمسان ولالامغنية وبالجملة فانه لم يكن للرومان بالجزائر سوى التلول، اما الصحراء فانهم لم يطرقوها الا من ناحية اوراس

## المعتقد الروماني

كان الرومان صابئة يعبدون الاوثان والتماثيل التى تصنع للجواهر العلوية والاجرام السماوية، ويعبدون النار والموتى من اسلافهم ويجعلون ذلك كله في زعمهم وساطة بين العلة الاولى والخليقة. وقد كان لهم الهة متعددة فللحرب اله، وللسلم اله، وللمطر اله (١) وهلم جرا .... واشتهر من بين هذه الآلهة الوثن

(١) ان فكرة تعدد الآلهة هى عقيدة اشورية قديمة اخذها حكماء اليونان عن هؤلاء، واذاعوها بين قومهم احتيالا منهم على الطغاة من ملوكهم المستبدين وبها توصلوا الى منازعتهم الملك ومشاركتهم فى سلطتهم المطلقة فصح لهم بذلك مطالبة جبابرتهم بالنزول عن مقام الانفراد والوحدانية، وهكذا فعل عقلاء الرومان بعدهم، ولا يزال هذا الاصل القديم فى العقائد هو القاعدة السياسية العامة فى توزيع الادارة بالحكومات وتنوع السلط الملكية والجمهورية ايضا

المعروف باسم (جوبيتير) فهو اله الالهة ، له حق النظارة على جميع اربابهم ، وله الحق كذلك فى الترجيح عند اختلافهم ؛ وهم يجعلون له صورا واشكالا متنوعة تميزه عن غيره من آلهتهم . ومنهم من كان يتمثل معبوده في الديدان فيطعمونها الفول الاسود ، وغايتهم من العبادة كلها الفوز بالانتصار في المعارك والحروب ودرء المصائب عنهم . وقد اندمجت هذه العقائد بغيرها من عقائد البربر واسبغت عليها البربرية طابعها الخاص

## الحياة الرومانية

كانت معيشة الرومانى او حياته البدائية بسيطة لا رفاهية فيها ولا نعيم ، فهو يستعمل الخشن فى ملابسه ، وليس له من الثياب سوى قميص سابغ بأكمام وتارة بغير اكمام ، وسراويل ، وينتعل خفا غليظا . وكان للخاصة قمصان ذوات حواش حمر ، ولطبقة الاحرار منهم حلل من الملف الابيض ، ويمتاز القضاة بالخفاف الحمر ، وكان للنساء ولوع ومبالغة في ضروب الزينة والتجمل بأنواع الحلى ؛ اما المسكن فانه كان قبل استعمالهم للحجارة من خشب لا نافذة فيه لجهلهم بصناعة الزجاج يومئذ ؛ وكانت الانهج والسكك وممرات الطرق ضيقة عديمة النظافة لا ضوء فيها ليلا ، وكل ذلك لم يمنع تقدمهم في الحضارة بعد ذلك ورقيهم المادى والادبى فكانت هنالك المسارح والمعابد والهياكل الضخمة الخ ... وهم اخذوا ذلك عن الاغريق وقرطاجنة وغيرهما ممن جعلتهم الاقدار تحت سلطتهم وشملهم نفوذهم الامبراطورى واشتهروا بعد ذلك بنظامهم القضائى الذى لا تزال الامم الراقية اليوم تستمد منه روح التشريع. اما لغتهم فهى لغة اللطين وادبهم هو وليد الادب الاغريقى

## الجزائر والرومان

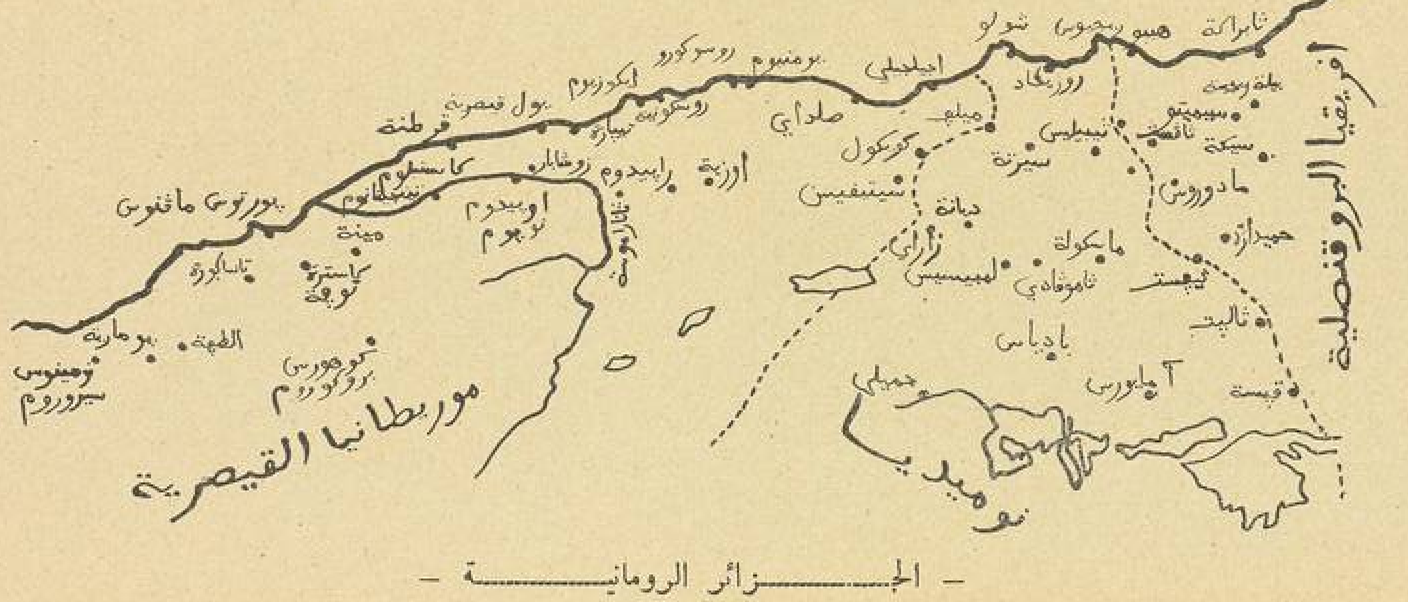
كان لسوء سلوك الرومان مع الاهالى وفساد سيرتهم وضغطهم على حرية الافكار تأثير عظيم على احرار الجزائروأباة الضيم منهم ، فعصفت برؤوسهم نخوة الشهامة الوطنية وثارت بهم حمية الانفة فنهضوا نهضة رجل واحد بزعامة القائد البطل يوغورطة واندلع لسان الثورة ضد الطغيان الرومانى سنة ١١٠ ق م. ويومئذ اخذ القائد المذكور في توحيد الطوائف البربرية وجمع كلمتهم ضد الاستعمار الرومانى فكانت ثورة عنيفة وحربا عوانا تصارع فيها الحق والباطل وكانت الغلبة في جانب الحق الذى يعلو ولا يعلى عليه ، وتكرر على رومة الانهزام في عدة وقائع ، وتبوأ يوغورطة عرش سيرتا — قسنطينة سنة ١١٢ ق. م واعلن استقلال الجزائر التام ؛ وحينئذ لجأت رومة الى المخادعة والمراوغة وتفننت في انواع المكر والدهاء واستعانت في ذلك ببعض الخونة الانذال من رؤوس البربر مثل يوبا الثاني وبوكوس — ملك موريطانيا — فتمهدت لها السبيل يومئذ باضطراب حبل الاهالي واختلافهم على بعضهم وفعلا تغلب بوكوس على يوغورطة — وهو صهره — والد زوجته ، فقبض عليه واسلمه الى الرومان سنة ١٠٦ ق. م فذهب به هؤلاء الى سجن رومة فمات به ؛ وحينئذ اضاف الرومان منطقة نوميديا الغربية — عمالة الجزائر ووهران — الى الملك بوكوس مكافأة له على نصره لهم ضد صهره وزيد في مملكته جميع التراب الذي بين ملوية وبجاية وبهذه السياسة اوقل الدسيسة انتصر الرومان بالجزائر وانكسر جند المقاومة الاهلي بين قوتين عظيمتين : قوة جيش العدو المهاجم الذى كان يبلغ ٣٤٠٠٠ محاربا ، وقوة الخصوم الداخلية والمنازعات التى كان من رؤسائها بوكوس.ويومئذ تمكن الرومان من الجزائر بعد محاولة دامت اكثر من ٨٨ سنة .

وكان يومئذ من بقايا ملوك الجزائر الاحرار الملك قودا : اخ يوغورطة، وبعد وفاته اقتسم ولداه هيامسال ويارباس مملكته فحاز الاول جميع التراب الذى بين

وادى الرملوتونس وامتلك الثانى الناحية الغربية الى حدود بجاية ثم كان بينهما من الخلاف والشقاق ما ادى الى قتل يارباس واستقلال اخيه بمملكته

وان من شهر الوقائع و الفتن بهذا العصر هي حوادث ثورة القائد البربرى طاكفارناس سنة ١٧م فلقد عمت هذه الثورة السهل والجبل واتت بذلك على الاخضر واليابس فانتصر فيها اولا هذا القائد عدة انتصارات وقضى على القوات الرومانية في عدة مواقف وحاربهم في مختلف الجهات ، ثم بعد مقاومة طويلة دامت نحو سبع سنين انهزم هذا القائد البطل ومات قتيلا بمكان يقال له (اوزية) – صور الغزلان – ولم تقف حوادث المقاومة الشعبية عند هذا الحد بل استمرت وتكررت من الجزائريين الى نهاية الاستعمار الروماني،ولذلك لم يتمكن الرومان من بسط نفوذهم على جميع القطر الجزائرى فخرجت عنهم جبال وانشريس واوراس وصحراء عمالة الجزائر ووهران وسلمت من نيرهم كذلك جبال جرجرة وزواوة فاحتفظت جميع هذه الاوطان باستقلالها الى سنة ٢٩٧م حيث انتصر على بعض الجهات منها يوقلطناس الروماني ؛ وبهذه المناسبة احدثت الادارة الرومانية تغييراً في تخطيط الحدود الجزائرية وجعلت الناحية التي بين دلس ووادى الرمل شبه وطن مستقل تحت اسم ( موريطاني سيطيفيان ) وقاعدتها مدينة سطيف.

وان هذه الاماكن التى خرجت عن طاعة الرومان هى التى كانت النواة فى تحرير الوطن وانقاذه من سيادة الاجنبى عليه ، وهؤلاء هم الذين اوقعوا بالرومان في حوادث سنة ٢٦٥ م بنواحى ميلة وجبال اوراس وفى مجموعة الجبال التي بين قسنطينة وسطيف ثم اوقدوا نار الفتنة على الرومان بعامة الوطن في مدة لا تزيد عن تسع سنين(٢٨٨ –٢٩٧م) وكانت حوادث جرجرة هي ابشع الحوادث ضد الاستعمار الروماني




– الجـــــــزائر الرومانيـــــــة –

## تأسيس مدينة قسنطينة

لقد كان المكان الذي هي عليه مدينة قسنطينة يدعى من قبل قرطة ، اوسيرطة، وقد اتفق ان الامبراطور «ديوكليطيان» خلع نفسه ونزل عن عرش رومة سنة ٣٠٥ م فنهضت جماعة مطالبة بالعرش ، وكان من بينها الزارع اليكساندر، فبايعه الجند المقيم بنوميديا – القطر الجزائري – فزحف إليه خصمه ماكصاص احد المطالبين بالملك ايضا فانهزم امامه اليكساندر ملتجئا الى سيرطة فحاصرها خصمه المذكور وضايق اهلها وشدد عليهم الخناق حتى استولى عليها ماكصاص وقتل اليكساندر وهدمت المدينة وكثير غيرها من البلاد الجزائرية التي بويع فيها اليكساندر ؛ ويومئذ نشأ الخلاف والنزاع على الملك بين ماكصاص وقسطنطين فانتصر الثاني واستقل بالملك ومات خصمه في الحرب فجاء يومئذ قسطنطين الى افريقية سنة ٣٢٥ م وعمل على تطمين خاطر الشعب وتهدئة روعه ، واصلح ما دمرته الحرب وخربته يد الخلاف ويومئذ شرع في ترميم مدينة سيرطة وبنائها من جديد وسماها باسمه قسطنطينة – قسنطينة – ويقال ان هناك نواحي من المدينة بنيت على حنايا مستحكمة ؟...

## المسيحية بالجزائر

كان مولد المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته في السنة الثالثة والاربعين من ولاية الامبراطور اغسطس ببيت لحم في فلسطين ... وخلاصة تعاليمه عليه الصلاة والسلام ترمي الى بث الرحمة في القلوب وربط صلة المودة والمحبة بين الناس وفشو السلام والاخاء بينهم ايضا وقد لاقى اتباع هذا الدين الكريم من رؤساء الوثنية وممن يعتقدون العصمة في شخص الامبراطور وينزهونه عن عوارض البشرية من الاضطهاد مالاقوا ! .. وذلك محافظة من هؤلاء السادة على نفوذهم السياسي ودفاعا عن مقاصدهم الشخصية الانتفاعية فلقد اصاب المؤمنين يومئذ من

الوثنيين في سبيل تبليغ الدعوة الوان من التنكيل والتعذيب !... وسارت قافلة المسيحية تبشر بهذا الدين في جميع الجهات التي وطئتها اقدامها ، ومنها هذا الوطن الجزائرى (١) فطالما بحث اهله عما يخلصهم من الاضطهاد الروماني فبادروا حينئذ الى اعتناق هذا الدين الجديد تخلصا من نير استعباد الوثنية والوثنيين ... وبقى امر هذا الدين بين اتباعه وخصومهم فى مد وجزر ؛ حتى استتب الامر الى الامبراطور قسطنطين واستولى على عرش رومة سنة ٣١٢م فاعتنق المسيحية واعلامن شأنها في البلاد وجعلها دين الحكومة الرسمى وامر ببناء المعابد والكنائس فى انحاء الامبراطورية الرومانية واعلن برفض دين الصابئة ، واصدر مرسوما اطلق عليه الناس يومئذ اسم (مرسوم ميلان) يمنح به الحرية المطلقة في الاعتقاد ؛ ولقد عاشت هذه الحرية مدة حكم قسطنطين الى حدما . وذلك عندما كان هذا الامبراطور في نفس الوقت حاميا للمسيحيين وقسا وثنيا في ان واحد... ولكن الرومان بعد ذلك عندما اصبحوا كلهم يدينون بالمسيحية في القرن الرابع لم يلبثوا ان الغوا تلك الحرية الممنوحة على عهد قسطنطين واحدثوا قوانين صارمة للضرب بها على ايدى الوثنيين والمارقين (وهم في نظرهم القوم الذين لايرون ما تراه السلطة القائمة يومئذ من راى)

واذا كان اليهود الاسعدون حظا من الوثنيين قد احتفظوا بحقوقهم الدينية فى مزاولة عبادتهم ، فانه قد حظر عليهم ان يتزوجوا المسيحيات او يفتحوا معابد جديدة لهم ومن خالف هذا حكم عليه بالاعدام ، كماقد حظر عليهم ايضا تهويد المسيحى والا عوقبوا بنفس العقوبة ؛ ورغم هذه المحاولات والتشديدات كلها

---

(١) ان الذى بشر من الحواريين بافريقية هو فيلبش ، وان الذى جاء الى ارض البربر وبرقة هو شمعون القانوى ، وان الذى ارسل الى الحبشة وارض السودان هو متى العشار وتمتاز الاسر والعائلات البربرية القديمة التى اعتنق آباؤها هذا الدين برسم شكل صليب بين اعينهم كما هو عليه حالهم الى الآن

فانه قد دخل على الدين المسيحى من عوائد الوثنية وغيرها ما امتزج به في اغلب مظاهره ، وحدث القول بالتثليث فقبله من قبله ورفضه جماعة كان على راسهم القس الراهب اريوس الاسكندرانى المولود سنة ٢٧٠م وكما اشتهر بينهم يومئذ مذهب الراهب دونا الذى كان يدعو اليه سنة ٣٠٥م بمدينة كازنوار — الديار السود — بالقطر الجزائرى — شمال اوراس — فاختلفت يومئذ كلمة اتباع المسيحية واضطربت عقيدتهم فيما بينهم فدعا الامبراطور قسطنطين الى عقد مؤتمر دينى لتقرير العقيدة الرسمية وتوحيد الكلمة بين النصارى جميعا ، فكان يومئذ مؤتمر نيقية (١) من بلاد الروم سنة ٣٢٥ م . وهو اول اجتماع عقده رؤساء المسيحية في العالم ، اجتمع فيه مايئيف على ثلاثمائة رئيس دينى ، وذلك بمحضر القيصر قسطنطين نفسه ، وكتبوا في ذلك وثيقة سموها بعقيدة الامانة (٢) وحملوا الناس عليها اعتقادا وعملا . ثم اختلفت انظار هؤلاء الرؤساء انفسهم القائمين بتسيير دفة الدين بسبب اختلاف النظريات الفلسفية الدخيلة يومئذ على الدين ، وكان اول من عمل على مزج هذه الدراسات الفلسفية بالتعاليم الدينية الفيلسوف امونيوس الاسكندرى *Ammonius* (٢٤١م) ، فتشعبت يومئذ المذاهب وانتصبت محاكم التفتيش للحكم على اصحاب المذاهب الاخرى وطردهم من الكنيسة وحرمانهم ؛ وافترقت النصرانية يومئذ الى فرق وطوائف كثيرة انقسمت بها الكنيسة على نفسها ، اشتهر منها اصحاب هذه المذاهب الاربعة : الملكانية *Melchites* نسبة الى ملكا الذى ظهر بالروم واستولى عليها ، وهو مذهب جميع ملوك النصارى وعامتهم ، واليعقوبية *Monophysites* اصحاب يعقوب البردعانى

(١) هى مدينة (ازنيق) من بلاد الاناضول وموقعها على بحر مرمرة ، كانت هى العاصمة الثانية لمملكة الروم.

(٢) انظر كتاب الملل والنحل للشهرستانى ج ٢ ص ٦٣ ط مصر سنة ١٣٢٠ هـ وابن خلدون ج ١ ص ٢٢١ ط مصر سنة ١٣٥٥ هـ

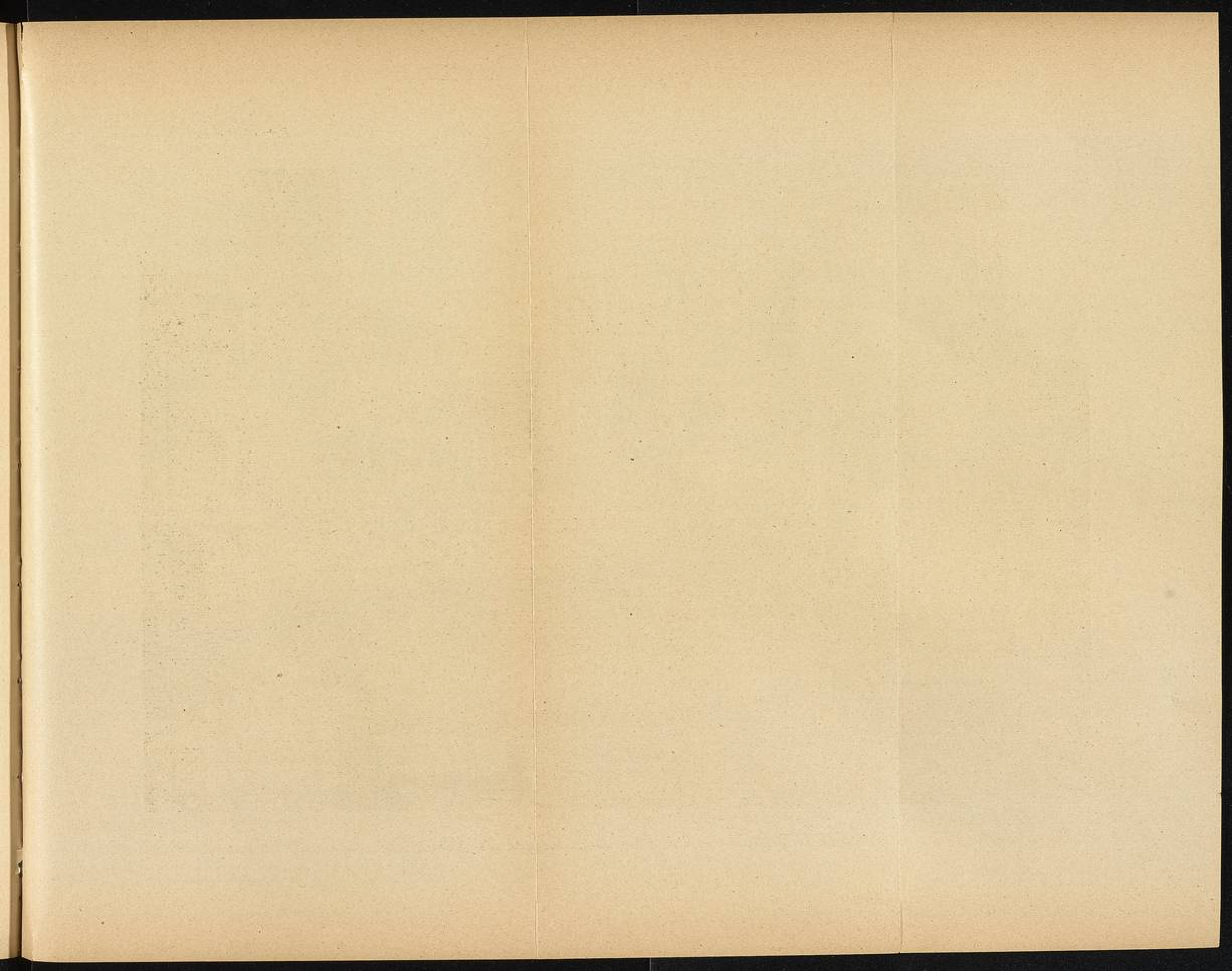
راهب القسطنطينية ، وهو مذهب غالب الارمن والاقباط وجميع الحبشة والنوبة ، والنسطورية اصحاب نسطور بطريرك القسطنطينية (٤٢٨م) وهو المذهب الغالب على نصارى الموصل والعراق وفارس وخراسان ؛ والمارونية نسبة الى الراهب مارون (٤٣٣م) ومذهبه قريب من المذاهب الثلاثة المتقدمة . ولقد ترتب عن ظهور هذه المذاهب مشاحنات ومجادلات دينية واضطرادات نشأت عنها مذاهب اخرى الى هلم جرا ... وعن هذا السبب نفسه نشأت الفرق والطوائف الاسلامية بعد ذلك وكثر الجدل الدينى الفلسفى واختلفت المذاهب الاعتقادية في علم الكلام ، والتاريخ يعيد نفسه ...

و كان حظ الجزائر من هذه المذاهب المسيحية هو مذهب دونتوس اسقف الديار السود (كازا نوار) - شمال اوراس - ٣٠٥م فقد اخذ هذا المذهب ينتشر بسرعة فى كامل القطر الجزائرى رغم مقاومة السلطة له ، وذلك لما احتوى عليه من مبادى التحرير . وقد كثر اتباعه حتى كادوا فى سنة ٣٣٠م ان يستحوذوا على اكثر كنائس افرقية ، فقد بلغ عدد المراكز المسيحية بها سنة ٤١١م سبعة وثمانين ومائة كنيسة ، منها ٨٧ دوناتية والبقية موزعة وموقوفة على مختلف المذاهب الاخرى ؛ ثم ان اهل هذا المذهب نفسه انشقوا الى طائفتين اثنتين كانت احداهما مقيمة بمدينة تيمقادى . ويعتبر هذا المذهب بحسب مباديه الاعتقادية ثائرا على نظام الحكم السائد يومئذ على هذه الديار ، وطالما أصدرت الحكومة اوامرها الصارمة على اتباعه فلم يحفلوا لها ؛ وما تمذهب الجزائريون بهذا المذهب الا لما احتوت عليه تعاليمه من الثورة على قواعد الحكم ؛ وذلك لما انهم كانوا يرون فيه خلاصهم من اسر الاستعباد والاستعمار ، وهذا هو السر فيما نراه اليوم وقبل اليوم من تدخل الحكومات الاستعمارية في شؤون الاديان والمعتقدات ووضع يدها على العناصر الحيوية منها ؛ وذلك لما تتوجسه من النهضة الدينية التحريرية

تصوير اوفالاك ـ الجزائر



٣) اطلال هيكل الامبراطور «سيبتيم سيفير» (١٩٣-٢١١م) المشرف على مدينة الجميلة



## نهضة الجزائر التحريرية

ما فتئت الديانة المسيحية تنتشر بهذا الوطن وتأخذ مكانها – على مذهب دونا – بهذه البلاد حتى اخذ اتباع هذا المذهب الدينى الوطنى فى مطاردة اهل المذاهب الاخرى ، فنشأت عن ذلك فتن واهوال ، ادت الى خلع طاعة الرومان ونبذ سلطانهم ؛ وتعددت الوقائع يومئذ ، فانتهز المناوئون للدولة فرصة هذا النزاع واخذوا فى عقد اجتماعاتهم بمدينة تيمقادى وغيرها للنظر والتدبير في احداث انقلاب سياسى عام ، وهم فى كل ذلك يتظاهرون بالبحث والنقاش الدينى ، وقد كان على راس هذه الحركة الثورية الرئيس الوطنى فيرموس بن الملك البربرى نوبيل ، احد زعماء زواوة وجرجرة ؛ فانحاز اليه اتباع مذهب الدوناتيست واندلع يومئذ لهيب الثورة الوطنية التحريرية في البلاد ٣٧١ م وكان يبلغ عدد جنود فيرموس نحو العشرين الفا جاءت كلها محاصرة للعاصمة يول القيصرية يول-شرشال. وشددت عليها الخناق حتى فتحتها واحرقتها ونادت باسم فيرموس ملكا على البلاد ؛ ويومئذ جاءت الحامية الرومانية بقيادة ثاودوسيوس الرومانى فنزلت بمرسى جيجل – ٣٧٣م – فانضم اليها – طوعا او كرها – جيلدون اخو فيرموس فكانت الدائرة على فيرموس بنواحى سطيف ، وقضى القوم على هذه النهضة التحريرية وانعقد الصلح بين الرومان وفيرموس على هذه الشروط :

ا – تنازل فيرموس عن ملكه

ب – منح مدينة الجزائر للقائد الرومانى ثاودوسيوس

ج – اداء اموال طائلة لهذا القائد ايضا

د – وضع رجال من الوطنين رهنا تحت رقابة الرومان

وحينئذ اضاف الرومان امارة افريقية بمغاربها الثلاث الى جيلدون مكافأة له على انتصاره لرومة وخيانته لاخيه !... وصاهره الامبراطور ايضا فى بنته، وفي هذه الآونة اختفى فيرموس بنواحى الشرق الجزائرى ريثما تسنح له فرصة النهوض الى

المقاومة مرة اخرى فاخفق ؛ ولكنه لم ييأس فأعاد الكرة على العدو للمرة الثالثة وجاء يومئذ بعدد اوفر من الجند قضى بهم على قوة ثاودوسيوس الرومانية ، فانهزم القائد الروماني هذا الى ناحية عيون بسام وسعى هنالك فى ارتشاء ملك قليسة — ايغماسن — للقبض على فيرموس ، ولما شعر فيرموس بضعفه امام جميع هذه القوات المحيطة به وادرك انه يروم امرا معضلا لا تصل اليه مقدرته انتحر ، ولم يظفر ايغماسن الا بجثته فوجهها على بعير الى قائد القوات الرومانية

وفي سنة ٣٩٥ م ثارت في نفس جيلدون عوامل الغيرة الوطنية وعصفت في راسه حفيظة الانتقام لاخيه فيرموس المنتحر من اجل الرومان، فنهض مطالبا باستقلال ارض الجزائر عن الرومان فرماه هؤلاء بأخيه مسيزل الذى كان ملتجئا عندهم فى رومة منذ انتحار اخيه فيرموس ، وجاء مسيزل لمقاتلة اخيه جيلدون وكانت المعارك بينهم بين مدينة اميدرة — حيدرة وتيفيست — تبسة — فانهزم جيلدون وفر هاربا نحو البحر فركب متوجها الى القسطنطينية وكان البحر يومئذ مضطربا فرمى بمركبه على شاطىء طبرقة فحطمه ووقع جيلدون فى قبضة والى المدينة فسجنه وهنالك انتحر جيلدون سنة ٣٩٨م بعد ما ملك ١٢ عاما . واخيرا كان جزاء اخيه مسيزل جزاء سنمار فألقاه الرومان انفسهم في لجة نهر مخافة تأسيه واقتدائه بأخويه : فيرموس وجيلدون فى بث روح الثورة الوطنية في البلاد، وهكذا شأن الاستعمار فى سياسته مع المستعمرين : مغالطات وتخدير وتغرير ثم إجهاز !....

## المجتمع الجزائرى

لقد ذهب المؤرخون فى تقرير عدد سكان شمال افريقية على عهد الرومان الى نحو سبعة ملايين ، واذا نظرنا الى عدد الرومان بالنسبة الى هذا القدر وجدنا ما يقرب من نحو الثلث منه طاليان وهم بالجزائر والمغرب الاقصى اقل منهم في تونس وطرابلس ؛ وان اغلب الرومان الذين وجدوا بالجزائر كان مجيئهم على عهد الاباطرة : نربا ٩٦ — ٩٨ م. اسبسيان ٦٩ — ٧٩ م. وقلودوس ٤١—٥٤ م. واوكتافيوس اغسطس ٢٧ ق م — ١٤ م. وكانت المدن التى نزلتها هذه الامة من الجزائر: قرطنة : تنس- واجلجلى : جيجل — وصلداى : بجاية — وروسقونيا : مطيفو — وزكبار : مليانة — وتبوسكوت : تكلات — ثم توالت الجاليات والافواج بعد ذلك ، فمنهم من نزل فى ابدوم نقوم : وادى الدفلة — ومنهم بمداوروش ، وسيطيفس : سطيف — الخ .... وان اغلب من وجد بأرض الجزائر من هؤلاء الرومان انما هم من ابناء الجند.

ولقد كان الباعث الاول لمجيء هذه الجاليات الى هذا الوطن هو كثرة العاطلين يومئذ برومة واشتداد الازمة عليهم هنالك بداعى الفاقة والحاجة ؛ ولقد ارتفع عنهم كل ذلك بما وجدوه امامهم فى هذا القطر من خصب التربة وما انفتح امامهم من الاعمال التجارية وغيرها

وكان الناس فى المعاملة امام القانون ثلاث طبقات : فالطبقة الاولى هى طبقة رجال الحكم وولاة الادارة الرومانية ، ثم تليهم طبقة بقية الامة اللاتينية جمعاء ، ثم تأتى بعدهم طبقة الشعب من جميع الاهالى الوطنيين ، وهم يعبرون عنهم بالاجانب Péregrims !؟... وليس لهذه الطبقة الثالثة ادنى اعتبار ، ولقد عم هذا التقسيم البلاد نفسها فقسمتها السلطة الى مدن رومانية ، لاهلها التمتع بجميع حقوق الرومان ، فهى معفوة تماما من جميع الضرائب ومن الانتخابات العامة ؛ ومدن

بربرية ليس لها من الامتيازات الرومانية شيء ، واهلها خاضعون لسلطة رئيس بربرى تحت اشراف ومراقبة رومة ؛ وذلك شأن الاستعمار فى كل زمان ومكان فهو دائما يعمل على اذلال المستعمر واهانته واحتقاره ، والا فما معنى هذه الضجة العالمية - قديما وحديثا - ضد الاستعمار ؟...

ورغم ما شهره التاريخ من نشر الرومان للسلام مدة قرنين كاملين فى جميع انحاء الامبراطورية فقد ظلت الثورات الوطنية التحريرية متوالية بهذه البلاد ؛ وايا ما كان فان سير الحياة الاجتماعية العام كان منحطا عن مستواه الذى تركته عليه قرطاجنة الفينيقية .

## الحياة الاقتصادية

ان اقل نظرة يلقيها الانسان على سير الحياة الاقتصادية العامة بهذه البلاد يراها قائمة على كواهل ابناء الوطن بتسخير رومة لهم في اقامة جميع هذه العمارات الضخمة والمؤسسات الفخمة العظيمة ومشاركتهم الفعالة فى تضخيم الخزينة بأداء المغارم الباهضة وتموين رومة بجميع الضروريات الاقتصادية من حبوب وفواكه وخمور وصوف واخشاب ورخام ومعادن وزيوت وحيوانات النقل وغيرها من المحصولات مع شدة العناية بجلب المياه حسبما تدل عليه آثارهم في عدة اماكن، كل ذلك يجعلنا على ثقة من حسن حالة البلاد الاقتصادية ويسرها يومئذ ؛ ولقد عبر الرومان انفسهم على خصوبة البلاد هذه بذلك الرمز الذى رسموه على قطع النقود المضروبة بهذا الوطن ، فانها كلها كانت تحمل صورة امراة حاملة سنبلة ، ويزيدنا تأكيداً لهذه الحقيقة التاريخية قولهم في وصف افريقية *Roæmm graniarum* اى هى خزينة رومة ؛ وكانوا اذا ارادوا ان يصفوا شخصا بسعة الثروة قالوا : في مخازنه قمح افريقية ؛ ويقدر العلماء مبلغ ما كانت تستورده رومة من افريقية من مختلف انواع صادراتها سنويا بما يبلغ احيانا

٣٤٨٠٠٠ طن ؛ وقد كان لليد الاهلية العاملة في ذلك فضل عظيم ، ولا شك ان البربر قد استفادوا شيئاما من هذه الحركة الاقتصادية التى كانت تجرى في بلادهم على مراى ومسمع منهم مما جعل سير البلاد الاقتصادى مطردا في سبيل الرفاهية ورخاء العيش لفائدة غيرهم .

## الثقافة والحضارة والعمران

ان من يتتبع سير الاستعمار الرومانى بهذا الوطن يراه قد استعمل جميع وسائله ومجهوداته لبسط نفوذه على العنصر الاهلى ماديا وادبيا ، فقد كان التعليم اجباريا بلغته ، ورغم ذلك فان الاهلى لم ينس لغة بلاده فقلد برع فيهما معا ؛ قال المؤرخ م تيرى : لقد كانت العلوم تدرس بمدينة مادور ؛ وحدرموت : سوسة — ولبتيس ؛ وسيرتا : قسنطينة — وحتى في داخل نوميديا ، وكانت الدراسة فيها باللاتينية انما هى لاتينية مركبة على البونيقية التى مكثت حية ، ومن هذه المدارس التى كانت تعلم اليونانية واللاتينية والبونيقية تألف ذوق جديد مركب من كل ذلك ؛ وانما كانت تغلب عليه الصبغة البونيقية . وكانت هنالك مدارس اخرى بشرشال ومدوروش الخ ... وكلها استعملها الرومان في نشر لغتهم كما فعلوا كذلك بالمحاكم والمسارح والمنتديات الخاصة والعامة ؛ وبذلك تيسر لابناء البلاد اتقان لغة الدولة الحاكمة مع المحافظة التامة على لغتهم ؛ فلا جرم حينئذ اذا شاهدنا في طبقة الشعب من بلغ ارقى درجات الخطابة والكتابة وبرز في علوم الحكمة والفلسفة ؛ فهذا يوبا الثانى ملك القيصرية : شرشال — وقد دام في الحكم نحو خمسين سنة ؛ كان شغوفا بالعلم لا يفتر عن الكتابة ؛ فله مؤلفات نفيسة في التاريخ والجغرافية والفلسفة والتمثيل والموسيقى وهو مشهور بتوقد الذهن والذكاء المفرط وله ولوع خاص بدرس الهندسة ووضع التصميمات العمرانية وقد جلب الى عاصمته من مصر واليونان طائفة من الفنانين والكتاب والشعراء

والفلاسفة ؛ وأشاد بها القصور الجميلة والهياكل الفخمة ؛ وانتشرت يومئذ بين الاهالى صناعة الاقمشة الغليظة واوانى الطين على اختلافها ؛ وكانت صناعة المصابيح الزيتية بشرشال متشهرة وتجارها رابحة ؛ والفنون الجميلة يومئذ مزدهرة كما يشهد بذلك ما تركه الرومان بعدهم من مظاهر العظمة الهائلة المزينة بالفسيفساء وصنع التماثيل الفخمة ونقوش المرمر والرخام وزخرفة الهياكل واقامة الحنايا لجلب المياه من بعيد وحفر الآبار والسدود والصهاريج العديدة ؛ وكان منها بالجزائر سدود الحضنة وهي سدود ثلاثة بواد واحد، الكبير منها يحمل نحو ١٢٠٠٠٠٠ ليترا ؛ وكانت مدينة قرطة : قسنطينة – تشتمل على مدينتين : داخلية يحيط بها سور ، وخارجية وهى اوسع نطاقا من الاولى ومساحتها تمتد غربا الى جنان الزيتون ومقبرة السلام وبالجنوب الغربى الى قشلة باردو ، وشمالا الى ضفة وادى الرمل الشمالية قال بارس : وذكر ابطات قديس ميلة : انه كان ملاصقا لقرطة حارة عظيمة تدعى «موغاى» والظاهر انه المكان المعروف اليوم بسيدى مبروك ، وتمتد هذه الحارة التى ناحية المنصورة؛ الى ان قال: وبضواحيها نزلات منقطعة وقد عثر على آثار ذات بال بعضها بناحية الحامة .

وسعى القوم يومئذ فى توسيع عمارة مدينة ميلة وسكيكدة والقل وجيجلة فأصبحت هذه كلها عواصم جميلة فسيحة بعد ما كانت قرى صغيرة ومثلها في ذلك باغاية ؛ ومسكولة : خنشلة – ولمبيس وتيمغادى ؛ وبادى – بادس – ولقد بلغت هذه المنشآت الرومانية بافريقية الى نحو الستين مستعمرة ما بين مدن وقرى وحصون ؛ وكانت كلها على غاية الرقى فى الحضارة والعمران ؛ وكان يبلغ عدد سكان البلدة الواحدة منها ما بين العشرة آلاف نفس الى نيف وثلاثين الفا وكان لكل بلدة منها ساحة عمومية كبرى لعقد الاجتماعات واقامة الحفلات فيها تدعى «فوروم» وكانوا يعتنون على الاخص بإنشاء المسارح والملاعب وهياكل العبادة والحمامات ، ولا يزال البحث عليها مستمرا بين اكوام الرمال والحجارة وفي

غضون التراب الى اليوم وان ما ظهر من ذلك حتى الآن لهو اعظم دليل على نشاط الحركة الفكرية ومظهر جلى من مظاهر الثقافة العامة التى كان عليها الرومان يومئذ بهذه البلاد .

كما عبدت الطرق الواسعة بين العواصم والبلاد الشهيرة كالتى بين قرطاجنة وتبسة ؛ وبين شرشال وقرطاجنة ؛ والتى بين بونة وطرابلس والطريق التى بين ميلة وخنشلة الخ... ويكفينا شاهدا على تقدم هذا العصر نبوغ امثال ابوليوس : اصله من مداوروش — الذى يقول فيه بيرونى : هو من اكمل الرجال واعظمهم فائدة فى عصره ، واحسن وصف له واصدقه هو ان نقول فيه : رجل مخترع مؤسس لمباد كثيرة ، ومثله الفنان المهندس القسنطينى فرنطوس استاذ الامبراطور مرقس اوراليوس ٣٦٠ م ، هذا واننا اذا نظرنا جيدا فى حقيقة هذه الحضارة والثقافة الرومانية وجدناها مقتبسة عن الاغريق والفنيقيين ؛ فهى عن تقليد محض ، ومع تقليد رومة لغيرها فى المدينة فانها رفعت لواء الجندية فاحتلت به مركز قيادة العالم يومئذ واحكمت النظم السياسية والقضائية كذلك ، فهى لا تزال محتذاً للامم الراقية الى اليوم .

ويقول بعض المؤرخين ان حضارة الرومان بالجزائر كانت شبيهة بحضارة رومة ؛ وهم يستدلون على ذلك بأنه كان فى زمن الامبراطور طريانس ٩٨ ق م — ١٧ م كل من يحكم عليه بالنفى من رومة يمنع من الحلول بافريقية وذلك لما بين الموطنين من المشابهة في الحياة والرفاهية .

وان الذى يؤسف له هو عدم انتفاع الاهلى واستثماره كما يجب لكامل هذه الحضارة الرومانية الجبارة !... وما ذاك الا لاقصاء الرومان له وترفعهم عنه مثل ما هو مشاهد عند امم الاستعمار الى اليوم

## انهيار الجزائر الرومانية

كان لتلك النظم الادارية القاهرة التي فرضها الرومان على ابناء البلاد القاضية بسلب جميع حقوق الوطنى الاهلى واهانته، وتسخير مواهبه فى منفعة غيره واحتقاره وفرض المغارم الباهضة عليه، كل ذلك كان له اثره السيء فى نفوس المحكومين، فكانوا لذلك دائما وابدا يتوقون الى الثورة ضد هذه السلطة الخانقة، وفعلا لقد نهض اباة الضيم من ابطال هذا الشعب الجريء واعلنوها حربا عوانا فى وجه هؤلاء الطغاة المتسلطين، ونادوا باستقلال بلادهم عن الرومان... فتعددت الثورات وكثرت الاضطرابات الداخلية مما دعا عتاة الرومان الى المبالغة فى الاستبداد والاستعباد وظهرت الانانية والتنافس بين الحكام وتدهورت اخلاق الولاة فبطروا منهمكين فى ملذاتهم، واخلد الرؤساء الى الراحة والتنعم مقبلين على الملاعب والمسارح مدبرين عما يتطلبه الموقف من الحزم والعدل وشدة الشكيمة. فتدخل يومئذ الجند واغلبه اجنبي مستأجر فاستحوذ على تسيير دفة المملكة الافريقية فعمل فيها برايه !...
واشتد يومئذ ذلك النزاع المذهبى الدينى الذى شرحنا اسبابه ونتائجه فيما سبق، فزاد بذلك اختلال نظام المجتمع الرومانى بافريقية وبغيرها ايضا، واخذت الدسائس السياسية تلعب دورها بين رومة وقرطاجنة فساءت العلائق بين القائد الرومانى (الكونت بونيفاس) وبين حكومته فسعى به أعداؤه لدى الامبراطورة (بيلاسيدية) فعزلته سنة ٤٢٧م ولكن القائد لم يبال بامر المملكة واستمر فى مكانه الى ان هاجمته رومة زاحفة على هذا المملكة سنة ٤٢٩م فصمد الكونت لرد حملات رومة عن هذا الوطن وانتصر عليها فى ثلاث دفعات؛ ولما شعر بضعفه امام الزحف الرومانى استجاش بأصهاره الفاندال على ان يقاسمهم ملك هذا الوطن ويتنازل لهم تماما عن جميع غرب المملكة الرومانية بهذه الديار،

فاجتاز حينئذ الفندال بوغاز جبل طارق يقودهم رئيسهم (جنسريق) (١) وهم في نحو ٨٠٠٠٠ نفس فنزلوا بموريطانيا في شهر ماى ٤٢٩ م واكتسحوها الى الساحل الجزائرى فاحتلوا منه مدينة الغزوات Ad Fratres ، ويومئذ انقسم جند الاحتلال الى فئتين فئة منه اختصت بادارة الشؤون الحربية وهى خمسون الفا، واشتغل الباقي بالشؤون المدنية ؛ واذا ذكرنا المدنية هنا فانما هى مدنية هنا فندالية !..

ولما راى الكونت بونيفاس سوء سلوكهم المتوحش ندم على ما صدر منه من الغدر بحكومته في سبيل اشباع نهمته وتنجيز غرضه الشخصى فسعى بكل جهوده فى طلب العفو من الامبراطورة بواسطة القديس اوغسطين ، فعفت عنه وانقلب هو يومئذ على الفندال وحاربهم فى نواحي قالمة من الوطن الجزائرى فانهزم واندحر امام قوات الفاندال التي وجد فيها البربر منيتهم المنشودة فى القضاء على الاستعمار الرومانى والتشفى منه . ففر بونيفاس منهزما الى هبونة - عنابة - حيث يقيم هنالك الوطنى الحر والفيلسوف العالم القديس اغسطين فانضم اليه الكونت مدافعا عن الوطن .

ويومئذ راى امبراطور بزنطة شبح الخطر يتهدد الامبراطورية الرومانية فى الشرق وفى الغرب فبعث من حينه بالحامية لانقاذ موقف رومة الحرج امام حملة الفاندال ، فنشبت الحرب من جديد انهزم فيها الروم البيزنطيون ايضا ، واحتل الفاندل مدينة بونة آخر معقل للرومان بالجزائر (ديسمبر ٤٣١م) وعاث الفاندال فى هذه البلدة المنكوبة بما شاؤوا من انواع الهدم والنهب والتخريب ولم يبق فيها شيء الا اتوا عليه سوى دار القديس ومكتبته ؟... وسقطت الجزائر يومئذ بيد الفاندال وتم استيلاؤهم على القطر الجزائرى بقسميه : نوميديا وموريطانيا، وذلك على عهد الامبراطور «ولنتينيانس الثالث» وبذلك ارتفع نير الاستعمار الرومانى عن الجزائر بعد ما اناخ بكلكله واثقاله عليها مدة ٣٨٠ سنة وهكذا الدنيا دواليك ، ولكل بداية نهاية

---

(١) ينطق به الجرمان هكذا : جوزريتش ، ومعناه امير الروح

ولما تحقق الرومان خطورة موقف منطقة افريكا – المملكة التونسية – امام احتلال الفاندال بادروا بعقد معاهدة صلح معهم مدة ثلاثين سنة اعترف لهم الرومان فيها بالاستيلاء على القطر الجزائرى والمغرب ما عدا ولاية تونس ؛ وان لا يعتدي على حدود هذه الولاية ، وامضى جنسريق هذه المعاهدة ، وقدم ولده هنريق رهنا للرومان وتحمل مع ذلك ضريبة سنوية يؤديها لرومة ، وتم عقد الصلح بينهم على ذلك سنة ٤٣٥م. وجلس جنسريق على ولاية المغربين الاوسط والاقصى متخذا لكرسيه مدينة هبونة : عنابة ثم انتقل منها بعد ذلك الى مدينة صلداى : بجاية – واستمر فى خطته السياسية على وفق ما قررته بنود المعاهدة الى ان اطمأن له الامبراطور واذن لهنريق بالعودة الى والده ..

وبعدها بقليل طمح الفاندال الى ضم بقية مملكة افريقية لسلطانهم فانقضوا على عاصمة قرطاجنة فهدموا اسوارها وكسروا حصونها وفتحوها عنوة يوم ١٩ اكتوبر ٤٣٩م وطردوا منها الرومان فكان ذلك آخر عهدهم بافريقية بعد ما استعمروها مدة ٥٧٦ سنة ؛ غير ان الجشع الفاندالى والجنون الاستعمارى لم يكن ليعرف في تاريخه حدا ولا نهاية !.. فاهم بعد ما قضوا على مملكة الرومان بافريقية توجهوا توا الى رومة نفسها فأحاطوا بها وفتحوها عنوة ايضا سنة ٤٥٥م وانزلوها عن حصانتها ومناعتها منذ ١٢٢٩ سنة ثم عادوا بعد ذلك الى المغرب يجرون وراءهم ذخائر رومة ونفائس مقتنياتها الثمينة فملؤوا بها خزائنهم بافريقية ، ويومئذ انقطعت آمال الرومان ومطامعهم تجاه هذا الوطن ، ولم تتمكن لهم العودة اليه بعد ذلك الا فى القرن العشرين م. حيث استولى الطليان على جزء منه : طرابلس ، وذلك ما ينيف على ثلاثين سنة ، فدحره الحلفاء ...

واستقر الفاندال بافريقية متخذين قرطاجنة عاصمة لهم ؛ ومحوا كل اثر كان للرومان بها غير اطلال دوارس بقيت هنا وهناك متفرقة في انحاء هذا الشمال

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان ممن اشتهر من ولاة الجزائر فى هذا العصر الرئيس «كومودوس» زعيم اتحاد المدن الثلاث : ميلوم : ميلة - وروسقاد : سكيكدة - وشولو : القل - وهو آخر من تولى رئاسة هذه الجمهورية الصغيرة وكان مقره ببلده ميلة ؛ والرئيس الرومانى «ستيوس» كان على هذه الولاية قبل انفصال المدن الثلاث عن قرطة: قسنطينة - وكويكلوم : جميلة - اى حينما كانت جمهورية هذه المدن الخمس فى اوجها . وقد كانت ولاية ستيوس هذا سنة ٤٦ ق م واطلق الرومان على هذه الولاية اسم «مستعمرة ستيوس» ، ومات هذا القائد الرومانى قتيلا على يد البطل الجزائرى «عرابيون» وقد كان جانب من نوميديا تحت ولاية «سالوست» ، كما تولاها ايضا «سكستوس» نائب اكتافيوس ، ثم عزل نفسه وجعل مكانه «فانغو» وتولى هو على البروقنصلية ، وكما اشتهر إيام الرومان بالجزائر الزعيم «اغماسن» رئيس قبيلة جزائرية كانت تسكن بجنوب جرجرة ؛ ولهذا الرئيس الجزائرى مواقف شريفة سلكها مع البطل فيرموس فى ثورته على الرومان بجبال جرجرة سنة ٣٧٢ م حسبما مرت الاشارة اليه ، وكان من الزعماء ايضا «طاكفريناس» الذى اعلن الثورة على الرومان سنة ١٧ م. وقد انضم اليه يومئذ بربر جبال اوراس وامده زعماء الصحراء بالفرسان ..

وكان ممن اشتهر فى ميدان العلم والعرفان يومئذ القديس الفيلسوف «أوغسطين» زعيم النهضة الدينية والسياسية ايضا ببونة ، ومثله «دوتوس» اسقف مدينة باغاية وهو مؤسس مذهب الدوناتيست ، والعلامة الفنان الذائع الصيت «فرنطوس» القسنطينى الاصل واستاذ الامبراطور مرقس اوراليوس - ٢٦٠م - وكان مبرزا فى الفنون الهندسية ؛ وكذلك العالم «ابوليوس» من اهل مدينة مداوروش ، قال عنه بيرونى : انه من اكمل الرجال واعظمهم فائدة فى عصره ، واحسن ما يطلق عليه من الاوصاف ان يقال فيه انه رجل مبتكر مؤسس لمبادئ كثيرة .

وكذلك الاسقف المصلح «ابطات» راهب مدينة ميلة فان له من التآليف الهامة كثير ، ومن اهمها تاريخ مذهب «دنتوس» . واسقف قالمة القس «بوسديوس» مؤرخ حياة اوغسطين الخ... وقد كان للجزائر مثل هؤلاء ممن ذكرنا كثير فحق لها ان تفتخر بهم فى جميع اطوار تاريخها وحياتها العامة .

# مشاهير ملوك الوطن الجزائرى

| | المملكة | تاريخ الولاية من - الى |
|---|---|---|
| يوغورطة | نوميديا الشرقية | ١١٨-١٠٤ قم |
| آذربعل | نوميديا الغربية | ١١٨-١٠٢ »» |
| بوكوس الاول | نوميديا الغربية | ١٠٤-٨٠ »» |
| حمصال الثانى | نوميديا الغربية | ١٠٢-٥٠ »» |
| يارباس | نوميديا الوسطى والشرقية | ١٠٢-٨١ »» |
| ماصينطا | نوميديا الغربية | ٨٨-٨١ »» |
| يوبا الاول | نوميديا الشرقية والوسطى | ٥٠-٤٦ »» |
| مازاناسيس | نوميديا الغربية | ٥٠-٤٦ »» |
| بوكوس الثانى | موريطانيا الشرقية | ٨٠-٤٠ »» |
| عرابيون | نوميديا الغربية | ٤٤-؟... »» |
| بوكوس الثالث (١) | جميع موريطانيا | ٤٤-٣٣ »» |
| يوبا الثانى (٢) | موريطانيا الشرقية | ٢٥ق م-٢٣ م |
| بطليموس | موريطانيا الشرقية | ٢٣-٤٠ » |
| فيرموس | موريطانيا القيصرية | ٣٧١-؟.. » |
| نوبال | القبائل الخمس (٣) | ؟...-٣٧٠ » |

(١) آخر من تملك من الجزائريين على موريطانيا الشرقية ، وبعد وفاته الحقها الرومان بمستعمراتهم

(٢) هو صاحب الهيكل العظيم والضريح المشهور شرقي مدينة شرشال المعروف بقبر الرومية ، وهي زوجته «سيليني» ويقال انه مدفون الى جانبها هنالك

(٣) هي ميلوم : ميله - وروسقاد : سكيكدة - وشولو : القل وكويكلوم : جيلة - وقرطه - قسنطينة -

# اباطرة الدولة الرومانية

| | تاريخ الولاية<br>-من - الى- |
| --- | --- |
| اكتافيوس | ٢٧ق م-١٤ م |
| طبيريوس | ١٤-٣٧ « |
| غانيس | ٣٧-٤١ « |
| قلوديس | ٤١-٥٤ « |
| نيررون | ٥٤-٦٨ « |
| غلبان | ٦٨-٦٩ « |
| اتون | ٦٩-٦٩ « |
| ويتليوس | ٦٩-٦٩ « |
| وسبيسيان | ٦٩-٧٩ « |
| طيطش | ٧٩-٨١ « |
| دومتيان | ٨١-٩٦ « |
| نربا | ٩٦-٩٨ « |
| طريانس | ٩٨-١١٧ « |
| اندريانوس | ١١٧-١٣٨ « |
| انطونيس | ١٣٨-١٦١ « |
| اورالبانس | ١٦١-١٧٨ « |
| كمودة | ١٧٨-١٩٢ « |
| برطانوس | ١٩٢-؟... « |
| يوليانس | ؟...-١٩٣ « |

| | تاريخ الولاية<br>-من - الى- |
|---|---|
| سيبتيم سيفير | ١٩٣-٢١١ م |
| اقطونيس | ٢١١-٢١٧ » |
| مقرين | ٢١٧-٢١٨ » |
| انطونين | ٢١٨-٢٢٢ » |
| اسكندروس | ٢٢٢-٢٣٥ » |
| مكسمنس | ٢٣٥-٢٣٨ » |
| عرديانوس | ٢٣٨-٢٤٤ » |
| فليبس | ٢٤٤-٢٤٩ » |
| دقيانوس | ٢٤٩-٢٥١ » |
| اورليوس | ؟...-٢٦٠ » |
| غلينوس | ٢٦٠-٢٦٨ » |
| قلوديس الثاني | ٢٦٨-٢٧٠ » |
| اورليانس | ٢٧٠-٢٧٤ » |
| تاكيتس | ٢٧٤-٢٧٦ » |
| بروبش | ٢٧٦-٢٨٢ » |
| ديوقلطيانس | ٢٨٤-٣٠٥ » |
| غلاريس | ٣٠٥-٣١١ » |
| قسطنطين | ٣١٢-٣٣٧ » |
| قسطوس | ٣٣٧-٣٥٠ » |
| قسطنطيوس | ٣٥٠-٣٦٠ » |
| يوليانوش | ٣٦٠-٣٦٣ » |

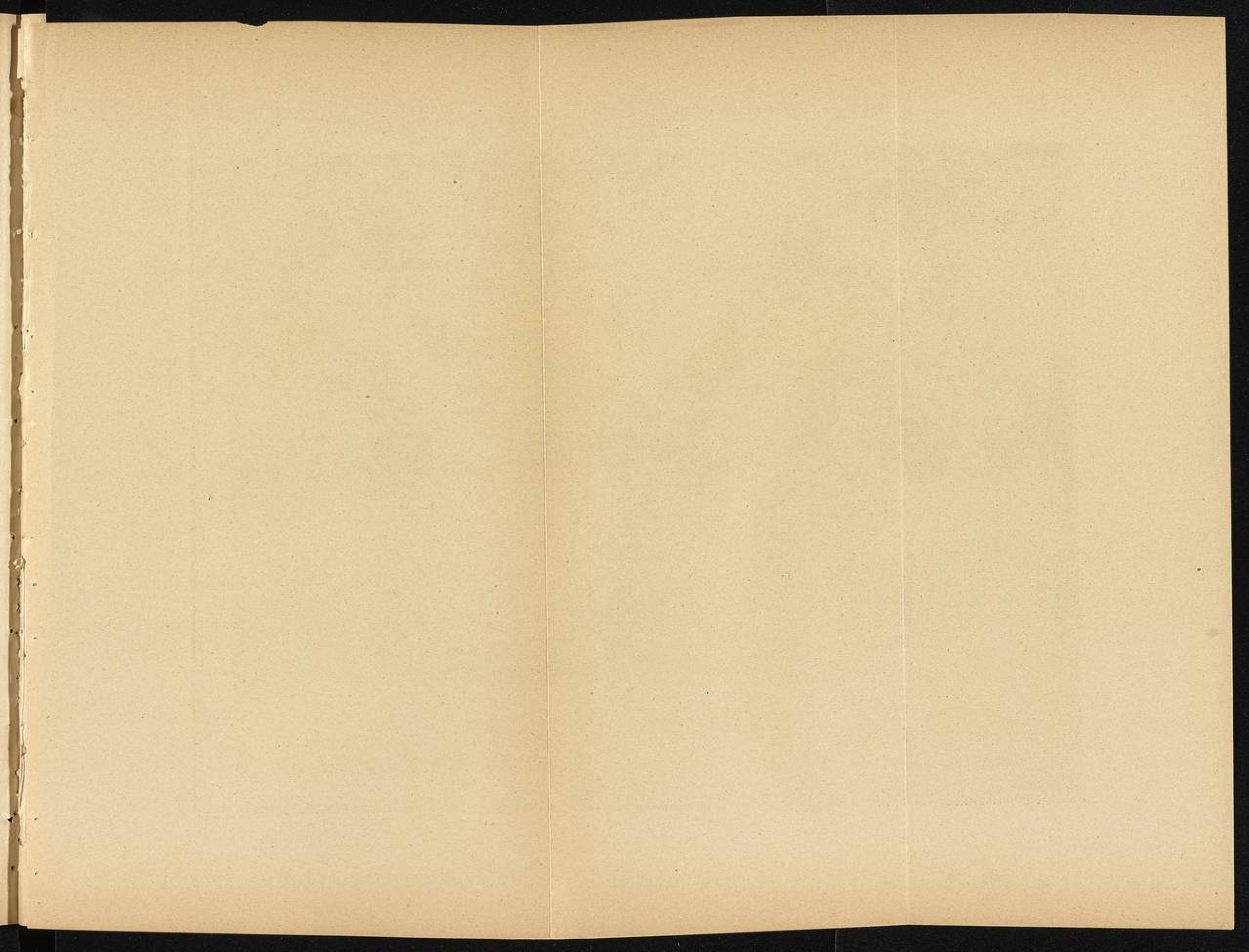
| | تاريخ الولاية<br>من - الى |
|---|---|
| يوبنيانوس | ٣٦٣-٣٦٤ م |
| واليطينوس | ٣٦٤-٣٧٥ » |
| واليس | ٣٧٥-٣٧٨ » |
| غراطيانس | ٣٧٨-٣٨٣ » |
| ثاداسيوس | ٣٩٢-٣٩٥ » |
| هنوريوس | ٣٩٥-٤٢٣ » |
| ولنتنيانس الثالث (١) | ٤٢٤-٤٥٤ » |

(١) انتصب تحت كفالة والدته الامبراطورة «بيلاسيدية» اخت هنوريوس السابق المتوفاة سنة ٤٥٠ م

تصوير اوفالاك - الجزائر



فسيفساء يرجع تاريخها الى حوالي القرن الاول او الثاني م. وفيها يظهر المشتغلون بالزراعة وفلاحة الكروم بملابسهم التي لم تتغير – تقريبا – منذ ذلك العهد الى الآن



# مشاهير الجزائريين

## القديس اوغسطين

## ٣٥٤ـ٤٣٠

م

لقد ولد هـذا القديس الجزائرى العـظيم ببلدة «تاجيستة» على نحـو مائة كيلومترا جنوب مدينة بونة ـ عنابة ـ من ام مسيحية واب لم يدخل فى المسيحية الا فى اواخر عمره . نشأ «اوغسطيـن» وتعلم بمدينة مـداوروش ، وقد شب غير متقيد بالدين ولا بقيود العفة واخذ يتنقل فى البلاد فدخل قرطاجنة وجـال فى مدن ايطاليا وهنالك تعمق في الدرس فأحاطت به ظروف كان فيهاما نوبـا ينتقد العقائد ، ثم وقع تحت تأثير مذهب الشكاك ، وفى رومة تمكن من دراسة آراء شيشرون ، وتفهم المذهب الافلانطونى الجديد ؛ ثم انه كان يرى غيره يتأثر بالدين المسيحى فيخجل من نفسه لانه يتعـلم ويدرس الفلسفة ويزعم انه يحتقر الماديات ؛ وفى ذات يوم دعاه ضميره وناداه وجدانه الى الايمان والتدين الصحيح فعاد من ايطاليا الى الجـزائر سنة ٣٨٨ م واتخذ بـبلده تاجيستة ديرا للتعبد والدرس ، ومنذ ذلك الحين عمت السكينة قلب اوغسطين فانزوى بديـره يتعبد على مذهب الاورثودوكس — السلفيين — وقد تخرج على يده عـدد وافر من علماء اللاهوت واصبح ديره كعبة علم وفلسفة ودين ، واصبح بتـآليفه وشهرته ومكانته من اكبر رجال الكنيسة فعين على رأس اسقفيـة بونة سنة ٣٩١م ويومئذ تصدى لقمع المخالفين والمناوئين لمذهبه الاورثـودوكسى فكتب عدة تآليف نفسية ، منها «اعترافاتى **Mes comfessions** ومدينة الاله **La cité de Dieu** ذكر فيه مزية وفضل الحياة الاخرى عن الحياة الدنيا . وكان يعد فى زمانه اخطب خطباء عصره واكثرهم تأثيرا فى مستمعيه قويا فى الحجاج والجدل والمناظرة ،

فحارب بكل ما اوتيه من قوة بقلمه ولسانه جميع المذاهب التى من شأنها ان تقف حجر عثرة فى تقدم الديانة المسيحية، وبفضله اصبحت مدينة بونة كعبة طلاب العلم اللاهوتى فالتفتت اليها الانظار ، وفيها انعقدت مجامع المطارنة الشهيرة التى كانت سنة ٣٩٣ و٣٩٥ و٤٢٦ م

ولاوغسطين هـذا موقف سياسى شريف يدل على تضحيته ووفـائه لقومه ووطنه، تلك هى مواقفه الشهيرة تجاه المعتدين من الفاندال على الوطن الجزائرى فانه بمجرد ما بلغه سعى اعداء القـائد الرومانى العـام «الكونت بونيفاس» به الى رومة سنة ٤٤٧م وعزله من منصبه ؛ نهض القديس مدافعاعنه امام الامبراطورة «بلاسيدية» وعمل جهده على تحسين العلائق بين الطرفين فتأثرت الامبراطورة لـكلام القديس وعدلت عن رأيها في عزل الكونت. وكان اوغسطين ايام حوادث الهجوم الفاندالى على الوطن يقاوم ويحارب بنفسه ، فقد دافع الفاندال عن وطنه دفاع الابطال ، فانه لمـا انكسر الكونت بونيفـاس منهزما الى بونـة نهض القديس بأعباء المقاومة واخاص في دفاعه حتى النهاية وقد امكنته الفرص مرارا من الفرار بنفسه امام همجية الفانـدال الوحشية ولكنه ابى ... ووقف فى صف المحاربين الاحرار مدة اربعـة عشر شهرا صابراً لحـوادث التدمير والتخريب الى ان ادركه حمامه فمات مكافحا شهيد الوطنية والعقيدة يوم٢٩اوط سنة ٤٣٠م وبموته سقطت الجزائر بيد الفاندال ، فكان اوغسطين بحق احد زعماء الفكر بالجزائر ومن عباقرة الوطنيين الاحرار .

# جدول تاريخى

## ١٤٦ق.م ٤٣١م

| تاريخ الحوادث | | اهم حوادث الجزائر على عهد الرومان |
|---|---|---|
| ١٤٦ | ق.م | استيلاء الرومان على افريكا — ولاية تونس — |
| ١١٠ | « | ثورة الملك يوغـورطة عدو الرومان اللدود ودفاع الاحرار الجزائريين تحت لوائه |
| ٤٦ | « | استعمار ولاية نوميديا : عمالة قسنطينة — |
| ٢٤٤-٢٧٠ | م | ثورة الرئيس «ارادبون» بالساحل الجزائرى |
| ٢٩٧ | م | سقوط ناحية جرجرة بيد الرومان وتوزع السلطة بينهم |
| ٢٨٨-٢٩٧ | م | اندفاع الثورات التحريرية فى وجه الرومان |
| ٤٠٠ | م | تأسيس مدينتى جميلة وتيمقـادى على يد الجالية الرومانية .. وانتشار مذهب الدوناتيست بالجزائر |
| ٤٣١ | م | انهيار الجزائر الرومانية على يد الفاندال |

# الدولة الفاندالية

## ٤٣١-٥٣٤

## م

### اصل الفاندال

الفاندال شعب قديم من شعوب امة القوط الغربية التى سكنت شمال نهر الدانوب ، وموطنهم – فى القرن الثالث قبل الميلاد – بشمال جيرمانيا مابين وادى فيستول ونهر اوضير *L'oder et la Vistule* على سواحل بحر الباطيق ؛ منحدرون من السلالة الصقلبية – السلافية – ولقد امتد هذا الشعب وانتشر فى جنوب المانيا ، ومنها تدفق على العالم الغربى – فى القرن الخامس والسادس الميلادى – فاستولى حينئذ على ارض الغول *La Goul* – فرنسا – واتصل بجبال الثنايا – البيرنات – *Pyrénnées* ثم انحدر الى اسبانيا فاحتلها سنة ٤٠٩ م ونزل بجنوبها فسكن نواحى غرناطة وجيان وهنالك اشتهر اسمه بها ونسبت اليه فصارت تدعى تلك الناحية «فاندلوسيا» ومنها جاء اسم الاندلس بعد ذلك على عهد العرب الفاتحين .

ونظرا لخصوبة موقع بلاد الشمال الافريقى ويسر الحياة الاقتصادية به تسلط عليه هؤلاء الفاندال بمساعدة اهله فكانت تلك السرعة العجيبة منهم فى الاستيلاء على هذا الوطن واسسوا به يومئذ دولتهم الملكية سنة ٤٣١ م ، ثم استولوا على البروقنصلية – ولاية تونس – واحتلوا قرطاجنة سنة ٤٣٩ م

## نظامها الحكمي

هذه اول دولة ملكية وراثية تأسست بأرض افريقية توارث عرشها ستة ملوك من آل «جنسريق» ، وكانت اول عاصمة لهم بهذا الوطن مدينة بونة - عنابة - ٤٣١م ثم انتقلوا الى مدينة صلداي - بجاية - الى ان فتحوا قرطاجنة سنة ٤٣٩ م فانتقلوا اليها سنة ٤٥٥ م.

ونظرا لما كان عليه الفاندال من البعد عن مسايرة المدنية والحضارة فانهم تركوا ما كان من النظم الادارية بهذه البلاد على حاله من قبل ولم يحدثوا فيها اى تغيير سوى فرض سلطانهم على الاهالى واستبدادهم فى توزيع اراضى الوطن الخصبة على الخاصة الاسرة المالكة وارباب الدولة ورؤسائها الممتازين . وما تركته الدولة يومئذ من التراب تحت تصرف اهله انما كان في مقابلة ضرائب واتاوات فاهضة ! .. وكأن ما سنه المستعمرون بعد ذلك من قانون ex propriation منتزع من هذا ؟! ... وذلك ما دعى الكثير من الرومان وحملهم على الهجرة الى بيزنطة.

نعم كان سعى الفاندال مع الاهالى او لا سعيا فيه نوع من اللين والسهولة بخفضوا لهم مبلغ الضرائب التى كانت عليهم ، ولكن ذلك فعملوه استمالة لقلوب القوم ليستعينوا بهم على اعدائهم الرومان ، وفعلا نجحت سياستهم فى ذلك وانقاد لهم رؤساء البربر ومدوا لهم يد المساعدة بقصد التشفى من اعدائهم الرومان الذين ارهقوهم مدة قرون ! ... وتطلعا منهم كذلك الى التحرر من نير الاستعمار ... فدخل الكثير منهم فى نظام الجيش الفاندالى الذى كان يبلغ يومئذ نحو الثمانين فرقة بما فيها من جنود البحرية ، وكان اغلب هذه الفرق موزعا على حفظ الامن وحراسة البلاد. وقد عمل الفاندال على استمالة اليهود اليهم وتقريبهم منهم للاستعانة بهم فى الاقتصاديات استدراراً لخيرات البلاد. وكان للاسطول الفاندالي السيادة على غربى حوض هذا البحر الابيض المتوسط . ولهذه الدولة نقود مسكوكة مضروبة باسمها

## حدود الجزائر الفاندالية

كان لمجرد استيلاء الفاندال على القطر الافريقي هذا ان شرعوا في تقسيمه الى ست مناطق مختلفة في الاعتبار والمساحة ؛ ثلاث منها هي بالمملكة التونسية اليوم ، والمقاطعة الرابعة هي عبارة عن منطقة نوميديا — عمالة قسنطينة — والخامسة عمل تبسة ، وهم بهاتين الولايتين اقلية بالنسبة الى المقاطعات الاربع الاخرى ؛ والسادسة هي عبارة عن ارض المغرب الاقصى

## معتقد الفاندال

كانت الامة الفاندالية وثنية تعبد «دونار» الرعد ، و«تير» الحسام ، وتخضع للشمس والقمر وغيرهما من الاجرام العلوية ؛ وتضيف الى ذلك آلهة اخرى من معبودات الوثنية : ومنهم من تمسح على مذهب اريوس Arius الاسكندري وهو مذهب الحكومة ، ولم يلبث الفاندال ان اقبلوا فأنشؤوا يضطهدون الدوناتين وغيرهم من اهل المذاهب الاخرى ووافقهم على ذلك اليهود ايضا وذلك ما حمل رجال الكنيسة الارثودوكسية على التضرع الى امبراطور بيزنطة في انشاء حملة على افريقية ، ولم يشمل اضطهادهم الديني هذا اهالي الجزائر لقلة من كان فيها على هذا المذهب

## البربر والفاندال

ان المتأمل جيدا في موقف البربر وحركاتهم تجاه الفاندال يجدهم غير خاضعين تمام الخضوع لهذه السلطة القاسية التي تسلطت على بلادهم ، بل استمروا مستعصمين بمراكزهم الجبلية الشاهقة ، عاملين على استقلالهم وانتظامهم بها ، وقد استعادوا بفضل خطتهم هذه ما انتزعته السلطة الرومانية منهم ، وكل ما ظهر منهم من مساعدة الفاندال على احتلال البلاد انما كان وراءه حب الانتقام

والتشفى من اعدائهم الرومان كما قلنا ، وهم فى ذلك يتأهبون دوما للفرص ويتحفزون للوثوب نحو الاستقلال ، فكانت لهم هذه الظاهرة اول خطوة سياسية خطوها البربر فى سبيل تحرير بلادهم ، ولو انهم فى الظاهر استبدلوا استعماراً باستعمار ... وفعلا لقد استرد البربر سلطانهم شيئاً فشيئاً حتى كاد ان يتحقق لديهم غرضهم المنشود لو لا ان فاجأتهم القوات البيزنطية بمهاجمتها

## حركة الجزائر التحريرية

كان لوفاة الملك الفاندالى «جنسريق» سنة ٤٧٧م اثر كبير فى تغيير السياسة الفاندالية بهذه البلاد ، فلقد ساء سلوك خلفائه من بعده ، ولم يحسنوا صنعا فى تدبير شؤون المملكة وتسيير نظام الجيش والجندية ، فظهر بذلك انحلال عظيم فى الحكومة فى حين ان العالم كان متجها نحو تاريخ جديد ، وحياة جديدة : ذلك هو عصر ابتداء تاريخ القرون الوسطى ؛ فى نفس الوقت تحرك البربر منتهزين فرصة ضعف السلطة الفاندالية ونهضوا لاستعادة مجدهم الضائع واعلنوا الثورة على الفاندال سنة ٤٨٠ م واندلع لهيبها من جبل اوراس وجبل راشد غربا الى طرابلس شرقا ، واستمرت الوقائع والمعارك ما بين مد وجزر الى سنة ٤٨٣م فانتصر البربر على اعدائهم وتحررت نواحى مدينة تيمقادى وباغاية وتفيست وغيرها بغالب الوطن الجزائرى ، وبقيت مدينة سيرته – قسنطينة – محافظة على سيادتها كما كانت من قبل ، اذ لم يقو الفاندال على فتحها ، وبذلك كان الاستعمار الفاندالى لم يشمل جميع البلاد ، وانما كان محله السواحل فقط

## الثقافة والحضارة والعمران

انني بكل اسى لا استطيع ان اتحدث الى قارىء الكتاب بشيء جديد مما يتضمنه عنوان هذا الفصل !... وانني اصارح حضرة المطالع بانه لا يستفيد من مطالعة هذا الفصل اكثر مما وسعه عليه من قبل ... اذ لم يظفر التاريخ في دراسة هذا العصر بما يسمى هنالك علما او ادبا او فنا، ولا لغة كذلك ولا اثرا معماريا يصلح لان يكون مادة للاستنتاجات والدراسة والبحث. وان كل ما فاز به التاريخ في هذا الميدان هو بعض قطع من نقود: فضة وبرونز مضروبة باسم ملوك هذه الدولة، وعليها نقوش رمزية؛ او كلمات والفاظ استخرجها علماء اللغات من لهجات القوم الذين مازجوا هذا العصر او خالطوا اهله، وهذا كما رايت لا يسمن ولا يغني من جوع!... وما اشتهرت به هذه الدولة الا انها امة تخريب وتحطيم وانحلال في الاخلاق وذلك ما جعل لاسمها معنى مرادفا للهدم والنقض، فقالوا Vandalisme . واننا اذا نظرنا الى بعض اقوال مؤرخي ذلك العصر ممن كتب عن مشاهدة وعيان امثال المؤرخ البيزنطي المشهور «بروكوب» اصابنا ذهول عظيم فان هذا لما نزل بافريقية سنة ٥٣٣ م صحبة القائد البيزنطي الفاتح «بليزاريوس» بصفته كاتبه الخاص عجب مما وجده بها من العمران ونشاط التجارة ونفاق الاسواق وخصوبة الفلاحة؛ وانه بعد ما غاب عنها ثم عاد اليها بعد عشرين سنة — من استقرار الرومان بها — وجدها على خلاف ذلك! .. فمن الصادق يا ترى؟. ونرى التاريخ كذلك يحط من قيمة الفاندال تجاه التعليم ايضا، فيقول انهم كانوا يعدونه جريمة ينكل بصاحبها؛ وهم يعللون ذاك بعفاء آثارهم ومحو لغتهم اذ لم تكن لغتهم مستعملة الا في التخاطب كلغة عامية لا تصلح للتعبير عن المعاني الدقيقة؛ ولم يبق هنالك سوى اللغة اللاطينية وهي لغة الدولة الذاهبة

وان عدد امة الفاندال بهذه الديار كان لا يتجاوز المائتى الف نسمة وانهم كانوا يضبطون الحوادث والوقائع التاريخية بعدد ايام ملوكهم

وهكذا مر الفاندال ببلادنا بدون ان يكون لهم فيها اى اثر يذكر سوى ما وصمهم به التاريخ الذى كتبه عنهم اعداؤهم الرومان والبزنطيون وعليه سار الباحثون الى اليوم

## انهيار الجزائر الفاندالية

بداهة ان امة مثل هذه منحطة فى اخلاقها ساقطة في نظمها العسكرية والمدنية لا تعمر كثيرا ؛ فلقد امضى الفاندال معظم حياتهم بافريقية منهمكين في انواع من العيث والفساد منغمسين في احضان الخلاعة وسوء السيرة ، معرضين عن حياة الجد والحزم غير مبالين بما تتطلبه سياسة الامم من العدالة والاستقامة ، ذلك ما كان باعثا للاهالى على اثارة الحروب ضد هذه الادارة الغاشمة ومقاومة هذه الفوضى السائدة فى الاخلاق وفى الحكم ، وفعلا نشبت الثورات بين الراعى والرعية ، وكانت المقاومة الشعبية عنيفة فسقطت امامها الحكومة منهزمة واحرزت بعض النواحى من الجزائر على استقلالها مثل اوراس؛ ويومئذ توحش القائد الفاندالى «جاليمار» واستعمل في مواقفه الحربية جميع وسائل القهر والارهاب وتجرأ على مقام ملكه «هلدريق» (١) فعزله عن عرشه سنة ٥٣١م وجلس هو مكانه ، ويومئذ استنجد هلدريق بقيصر الروم في بيزنطة «يوستنيانوس»، فصادف ذلك هوى من نفس القيصر حيث انفتحت له طريق الانتقام ممن سلبوا مملكة دولة الرومان الغربية بافريقية ؛ واخذت الدسائس تحوم حول دولة الفاندال المحتضرة ودبرت فى ذلك خطط املتها عليهم دواعى الاقتصاص والثأر من الفاندال وملكهم الجديد جاليمار وبلغوا بدهائهم السياسى ان شغلوا الدولة عن نفسها باثارة العصبية المذهبية والخلافات الدينية حتى فوجئت بالاسطول

(١) وعلى عهده كان ابتداء اطلاق اسم «الموروس» على السكان الاصليين لشمال غرب افريقية

البيزنطى فى خمسمائة قطعة حربية تحمل ١٥٠٠٠ نسمة ، وهم على ثلاثة اصناف ، نصفهم مشاة ، وخمسة آلاف فارس ، والباقى بحارة ، ولباسهم يومئذ درع سابغ على الصدر يبلغ الساقين وخوذة على الرأس ، وسلاحهم السيف والرمح والسهام

تحركت هذه الحملة البيزنطية العتيدة من بيزنطة ـ القسطنطينية ـ يوم ٢٢ جوان ٥٣٣م ، اى قبل الهجرة بـ ٨٩ سنة ؛ ودولة الفاندال يومئذ مشتغلة بغزوة بحرية حيث ان اسطولها محاصرا لجزيرة سردانيا ، فأرست هذه الحملة بمياه صقلية ، ثم انتقلت الى مرسى قابس ، واتفق ان كان اهل صقلية وقابس ثائرين على الفاندال ، فكانت فرصة سانحة للروم البيزنطيين على مواصلة الغزو ، وليس للفاندال يومئذ ما يضمن لهم الانتصار بسبب ان قوتهم الحربية مشتتة فى البلاد والاكثرية منها فى الغزو مع تعذر تجنيد الاهالي لعدم اتصالهم بهم وانحلال الروابط بينهم وحلول العداوة والبغضاء مكانها ، فكانت هذه الظروف كلها مساعدة للغزو البيزنطي على استمراره فى الفتح ، وقد جاء ذلك مصرحا به على لسان قائد الحملة البيزنطية « بليزاريوس » فقال : لست اعتد بعدد جندى ولا بشجاعتهم اكثر من اعتدادى بحب الاهلين وعطفهم علينا وكرههم للفاندال .

واحتدمت الحرب بين الفريقين بنواحى تونس فانتصر البيزنطيون على الفاندال ، واحتل القائد بليزاريوس عاصمة قرطاجنة فى شهر اوط من نفس السنة ، وفر منها جاليار ملتجئا الى جبل « تاوريرت » من جبال زواوة وبقى هنالك معتصما بالشعاف والشواهق الى ان احاط به الروم وضربوا عليه الحصار مدة ثلاثة اشهر ، ثم كانت المعركة الاخيرة بينهم يوم ١٣ سبتمبر بقرية « اريانة » – تونس – انكسر فيها الفاندال شر انكسار ، وقد حاول جاليمار الفرار امام العدو المرة الثانية ذاهبا الى « فاندالوسيا » فلم يفلح بل وقع اسيرا فى قبضة الروم ، فحملوه الى بيزنطة واتموا بعده عملية الفتح بتطهير التراب الافريقى من كل اثر فاندالي ؛ فخلص الوطن يومئذ – ديسنبر ٥٣٤ م – للروم البيزنطيين ، وكان بذلك القضاء النهائى على دولة الفاندال فى العالم ، وذلك بعدما عاشت ١٠٣ سنة بهذا الوطن الافريقي .

# ملوك الفاندال بافريقية

| | |
|---|---|
| جنسريق | ٤٢٩-٤٧٧ م |
| هوندريق | ٤٧٧-٤٨٤ » |
| غونداموند | ٤٨٤-٤٩٦ » |
| ثراسيموند | ٤٩٦-٥٢٣ » |
| هيلدريق | ٥٢٣-٥٣١ » |
| جالـيمار | ٥٣١-٥٣٤ » |

# جدول تاريخي

## ٤٣١_٥٣٤م

| تاريخ الحوادث | | اهم الحوادث على عهد الفاندال |
|---|---|---|
| ٤٣١ | م | انتصاب دولة الفاندال بالجزائر |
| ٤٣٥ | « | انعقاد الصلح بين الفاندال والروم |
| ٤٣٩ | « | الاستيلاء على قرطاجنة |
| ٤٧٧ | « | وفاة الملك الفاندالى «جنسريق» وتغير السياسة بوفاته |
| ٤٨٠ | « | نشوب ثورات البربر ضد المحتلين |
| ٤٨٣ | « | انتصار البربر وتحرير بعض النواحي الجزائرية |
| ٥٣١ | « | سقوط الملك «هلدريق» وانتصاب «جاليمار» مكانه |
| ٥٣٣ | « | غزوة الاسطول البيزنطي لافريقية |
| ٥٣٤ | « | انهيار مملكة الفاندال وسقوط دولتهم |

# الدولـة البيزنطية

## ٥٣٤ — ٦٤٧ م

لقد كان من اتساع رقعة مملكة رومة بما فتحته من البلاد فى الشرق وفى الغرب وانتشار سلطانها بمنتأى بعيد عنها وهناك ان فكر الامبراطور « دقلطيانوس » — ٢٩٦ م — فى توزيع سلطنته على مركزين : احدهما حيث هو بالغرب ، والثانى بالمشرق ليكون له معقلا حصينا هناك ، وجعل مقر ذلك مدينة « نيقوميد » — ازمير — بالاناضول — فكانت هذه يومئذ عاصمة الرومان الشرقية ، وكانت مدينة ميلانو بالغرب هى عاصمة المملكة بقسميها ، واستقر الامر على ذلك الى عهد الامبراطور (قسطنطين) الكبير ، فانه ادرك ذهاب هيبة رومة وضعف نفوذها بسبب ما لحقها اخيرا من الفوضى والاضطرابات في كلتا السلطتين المدنية والعسكرية ، وتحقق لديه بانها لا تصلح الآن مقر الرئاسة الامبراطورية العظيمة المترامية الاطراف ، فحول يومئذ مقر حكومته الى المشرق سنة ٣٣٠ م واتخذ عاصمته هنالك مدينة (بيزنطة)[١] وجددها ونسبها اليه — القسطنطينية — فنشأ عن ذلك للمملكة الرومانية يومئذ عاصمتان شرقية وغربية ، والى الشرقية ( بيزنطه ) تنسب هذه الدولة التى نؤرخ استيلاءها على الجزائر .

وفي سنة ٣٩٥ م ، توفى الامبراطور ( طيودوس ) واوصى بقسم المملكة بين ولديه ؛ فجعل المملكة الشرقية لولده ( اركاديوس ) وعاصمتها بيزنطة ؛ والغربية لاخيه ( اونوريوس ) فنفذت الوصية على ما هى عليه ، وبذلك اصبح ملك الرومان منقسما الى دولتين كل واحدة منهما مستقلة عن اختها ، وقد قدر لمملكة بيزنطة ان ترث عرش رومة الى الفتح التركي العثمانى ( ٢٠ جمادى الاولى

(١) نسبة الى مؤسسها الاول «بيزانس» رئيس الماغريين ١٢٠٠ م. ق وقيل بنيت سنة ٦٥٨ق.م وعلى انقاضها بنى قسطنطين عاصمته

سنة ٨٥٧ هـ - ٢٩ مايو ١٤٥٣ م) واضحت هذه عاصمة الخلافة الاسلامية الى حين .

ولما كان اهل هذه المملكة الشرقية الحديثة مزيجا من الرومان واللطين واليونان وهم الافرنج ، تسموا فيما اصطلح عليه المؤرخون العرب باسم ( الروم ) تغليبا لجنسية الامبراطور وتمييزا لهم عن دولة الرومان الغربية ، فهم الروم البيزنطيون .

## نظامها الحكومي

لم تكد بشائر الفتح البيزنطى ترد على الامبراطور «جستنيان» حتى اسرع الى جعل افريقية ولاية من ولايات الدولة الكبرى ، واقام على حكومتها عاملا مدنيا لا عسكريا كما كانت على عهد الرومان من قبل ، فكانت بذلك افريقية مثل بيزنطة يحكمها مدير او عامل يتمتع بنفوذ واسع ، ومقره مدينة قرطاجنة ، ولم يتحول هذا النظام الا في سنة ٥٨٧ م حيث استطاع «جناريوس» اخماد ثورة البربر فكان بهذا اول حاكم عام عسكرى لقب بالبطريق ؛ وكان يبلغ مرتب الحاكم العام سنويا الى ما ينيف على ١١٠ . . . فرنكا تقريبا ؛ وعنده تجتمع جميع السلط على اختلافها ووراءه جيش من الموظفين منتشر على كامل البلاد والعواصم والقرى واكثره مختص بالتحصيل وجمع المال حيث ان الحكومة البيزنطية ترتكز في سياستها على نهب المال ، وقد كان مبلغ ما تنفقه السلطة على هؤلاء الموظفين ٧٣٧ ٢٩٩ ١٠ ، من الفرنكات (بتقدير ما قبل الحرب العالمية الاولى) وهذا غير ما يرسل الى الامبراطور نفسه من الاموال وما يجمع من القمح وما يدفع جعالات لرؤساء البربر ، ثم ما يتبع ذلك من نفقات الدولة ... وللحكومة جند ممتزج من الاهالي والبيزنطيين وفيهم الماجور وكلهم تحت تصرف رئاسة القائد العام المدعو : أكسارك .

## حدود الجزائر البيزنطية

لا تتجاوز مملكة البيزنطيين بافريقية على ان تكون جزءا صغيرا يبدأ من حدود مصر الى جبل اوراس ثم يأخذ في الاقتراب من الساحل حتى ينتهي عند طنجة وسبتة ، اما في الجنوب فانه لا يتعدى نصف امتداد افريقية الرومانية .

وكانت البلاد منقسمة الى سبعة اقسام ادارية ، ثلاثة منها بالقطر الجزائرى :

۱) نوميديا وقاعدتها قسنطينة .

۲) القيصرية الشرقية ، اوموريطانيا السطيفية ومركزها مدينة سطيف .

۳) القيصرية الغربية او موريطانيا القيصرية ومركزها مدينة قيصرية: شرشال ويحكم هذه الاقسام عمال ، ثم تليها اربعة مناطق تشتمل على بقية مملكة القطرين الشقيقين : تونس والمغرب الاقصى ، على ان نفوذ البيزنطيين بالمغرب كان ضئيلا هنالك لايتعدى المنطقة الشمالية منه وقاعدتهم فيه مدينة سبتة .

وفى ايام الامبراطور «موريس» (۵۸۲–۶۰۲م) ظمت موريطانيا السطيفية الى ما بقى من موريطانيا القيصرية ، فتكونت منهما معا ولاية واحدة ، كما حدث تغيير آخر في بقية املاك البيزنطيين ....

## استيلاء الروم على الجزائر

تقدم وصف حملة البيزنطيين على حكومة الفاندال بافريقية، وكيف كان استيلاؤهم على ولاية تونس اولا ( صيف سنة ۵۳۳ م ) ولما رسخت قدمهم بها تقدموا فى الفتح غربا الى ولاية الجزائر؛ ففتحوا هبونة : عنابة ؛ وسيرتا اوقرطة : قسنطينة سنة ۵۳۹ م وقالمة وناحية الحضنة ونواحى سطيف واوراس وزابى : المسيلة ، وبلغوا الى قيصرية : شرشال وقرطنة : تنس وجيجل وبجاية وما اتصل بهذه البلاد من السواحل الجزائرية ، وهنالك ابتنى الروم سلسلة من الاستحكامات والحصون والرباطات التى تفصل القسم الساحلى الذى يظهر فيه الحكم البيزنطى

واضحا جليا عن القسم الداخلي الذى باعدت السياسة الرومية البيزنطية بينه وبينها؛ فكان اقصى ما بلغ اتساع هذه الحدود التحصينية : سهل مجردة وهضبة الاوراس ؛ ووقفت حدوده الجنوبية عند تبسة ومسكولا : خنشلة وتيمقادى ، ولمبيس ، وطبنة ، والمسيلة ، اما فيما عدا ذلك فكانت حدوده ملاصقة للساحل. لا تكاد تتعدى ارباض الموانى من امثال تيفش : تيبازا ، وقيصرية : شرشال ، وتنس ، ووهران

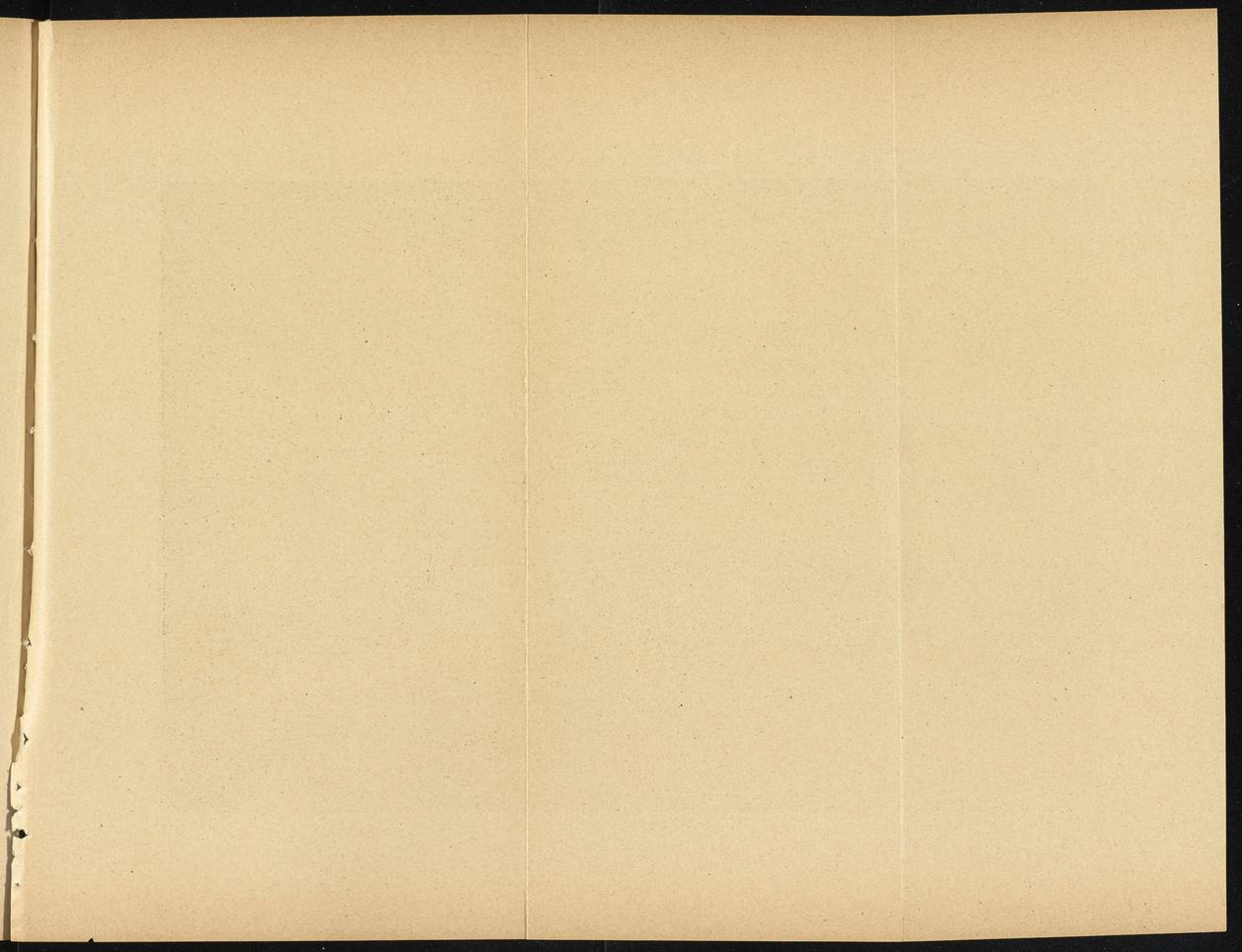
## الحياة الاجتماعية

رحم الله من قال : ان السياسة لا وجه لها !.. ذلك ان الروم لما نزلوا اول مرة بأرض افريقية استعملوا انواعا واساليب من الدهاء الديبلوماسى فى استرضاء الاهالى فلم تلبث سياستهم هذه ان كسبت ودهؤلاء البيزنطة فاستفادت ما ارادته منهم من طاعة وجنود ، وذلك لثقة البربر بالروم ظنا منهم ان خلاصهم من فوضى الفاندال يكون على ايدى هؤلاء البيزنطيين ، وما انفك الاهالى فى غمرتهم هذه لاهون حتى فاجأتهم «انديجينة سوداء» من بيزنطة بما لايتفق وطبيعة البلاد ، فكانت هذه قوانين جور فاصلة بين الحاكم والمحكوم لا وجه فيها للاتصال بين الشعبين؛ فكان طبيعيا وجديرا ان تضع الامة هذه الاثقال عنها وتبتعد عن الحكومة التى لم تحسن وضع نظام ينسجم مع طبيعة البلاد ، ويومئذ تسارع الروم اليهم يعاملونهم معاملة العبيد ويرغمونهم على الطاعة ، وكانهم بذلك اوروانار الفتنة واذكوا لهيب الشحناء فى قلوب الرعية، فبدأ النزاع الذى اصبح خصومة مشبوبة لا يكاد يخمد اوارها بين الروم واهل البلاد ، واستعمل الروم يومئذ الشدة والعنف في معاملة الرعية والقوا بينهم العداوة والبغضاء بقصد التفرقة ، وارهقوهم بالضرائب والاتاوات الفادحة وحملوهم فى ذلك مشاق عظيمة مما جعل الناس يومئذ يعلنون كراهيتهم وحقدهم على الحكومة باعلان الثورة والعصيان فى وجه الحكام وفيهم من هاجر

تصوير اوفالاك ـ الجزائر



منظر جوى عام لأطلال مدينة « تيمقادى »



وترك موطنه وبلاده ، ومنهم - من شدة الفقر والحاجة - من اضطر الى اللصوصية وقطع الطرق. وقد اجمع المؤرخون على ان سياسة البيزنطيين بافريقية كانت سياسة شنعاء خرقاء !... فهى لاتبعد كثيرا عن سياسة الفاندال ان لم تكن من متمماتها. ولقد كان لهذه المعاملة العنيفة اثر بعيد فى مستقبل الحكم البيزنطى بهذه البلاد

## الحالة الدينية

لقد جرى مجرى الامثال السائرة عند جميع الامم قولهم في تشبيه النزاع والخلاف الفارغ مهماكان نوعه بمنازعات بيزنطة الدينية ، نعم هو كذلك!.. فما جر بيزنطة الى حتفها الا هذه الخلافات والمناقشات الدينية الفارغة ؛ فقدكان مما عملت عليه هنا بافريقية - كما فعلته ببقية امبراطوريتها ايضا بالمشرق - ان سعت في اذكاء الخلاف الدينى واثارة النقاش بين الناس في ذلك وبعث التعصب المذهبى من مرقده ، وذلك يوم ان اعلن الامبراطور جستينيان وجوب اعتناق المذهب الكاثوليكى والغاء غيره - ٥٣٥م - وكان الجزائريون يومئذ على المذاهب الارثودوكسى - السلفى - والمسيحية يومئذ بالجزائر منتشرة كثيرا بنواحي نوميديا وبجهات وادى شلف وتلمسان والاوراس وفى الزاب ؛ واخذت هذه الجهات يومئذ تهتز وتضطرب لهذه المناقشات الدينية واتسعت شقة الخلاف بين سائر الاوساط وكان هنالك الجدل العنيف بين الطوائف المسيحية وارباب المذاهب ؛ وما برحوا كذلك ان فاجأهم صدور قانون من هرقل الاول سنة ٦٣١ م يعلن فيه تعاليم جديدة ينبغى اتخاذها كمذهب آخر جديد ، فقابلت الرعية بالرفض ، وهنالك من حمله ذلك على اتخاذ الوثنية دينا وحدثت يومئذ انقسامات دينية واختلاف كبير بين الكنيسة الشرقية والغربية واخذت الحكومة فى اضطهاد المخالفين لها وخاصة اليهود انتقاما منهم حيث اعانوا الفاندال على مقاومة مذهب الروم فيما سبق ، وكثر يومئذ الخلاف والمشاغبات الدينية مما عرف فى التاريخ باسم المناقشات البيزنطية

## ثورات البربر التحريرية

كان بعد سفر الحاكم العام البيزنطى (بيليسير) الى بيزنطة اضطراب عظيم فى القطر الافريقى كله ، وخاصة منه بالجزائر ، فقد ساء سلوك الولاة والعمال فيها بعد سفر الحاكم المذكور، وانتشر الظلم والطغيان من الحكام الذين خلفوا بيليسير على راس الادارة الافريقية وتفننوا في تنويع العذاب المنصب على الاهالى وغيرهم من سكان هذه البلاد، وهم فى ذلك يتسترون بالدفاع عن العقيدة والدين ؛ ويا ما اكثر المغرضين في كل زمان ـ الذين اتخذوا هذه المظاهر الدينية لاشباع نهمهم والتوصل الى غايتهم التى لاتعدوا ان تكون انانية محضة او آراء وخصومات لقصد سياسى تافه هو بعيد كل البعد عن التدين والعقيدة !.. .

ويومئذ انفجرت الثورة العامة من ملوك البربر المستقلين المنتشرين فى انحاء الجزائر وغيرها من شمال افريقية وكانت هنالك حروب ووقائع متسلسلة اضطرت القوات البيزنطية الى التسليم والخضوع للاهلين وتحررت يومئذ مراكز كثيرة من القطر الجزائرى كانت تحت نفوذ الروم ، وكان من ابرز الشخصيات الجزائرية التى قاومت الاستعمار البيزنطى يومئذ الزعيم (يابداس) رئيس قبائل جبل اوراس؛ بمساعدة الرئيسين «كوتسينا واورتاياس» وقد اجتمع حولهم يومئذ اربعون الف مقاتل وسار الكل تحت زعامة يابداس فغزوا نوميديا ونهبوا وسلبوا واحرقوا البلاد وخربوها .... وفيها كان خراب مدينة تيمقادى ؛ ويومئذ انهزم البيزنطيون والتجأوا الى انشاء خط ثان من الحصون المتماسكة المتصلة اتقاء هجمات البربر على قلاعهم وحصونهم الداخلية ؛ وكان من اهمها حصون قسنطينة وقالمة، وكان اعتماد الروم في اقامة هذه الحصون والقلاع على ماكان قائما من قبل من المنشآت الرومانية كالحمامات والملاعب والمعابد. ولقد اوجز المؤرخ جوليان فى وصف هذا النظام الدفاعى بقوله : انشأ البيزنطيون سلسلتين من الحصون، اما الاولى فسلسلة من الاستحكامات تربط المحارس بعضها بعض ، وخلفها سلسلة من المدائن

الحصينة التى كانت تستعمل دائما ملاجيء للناس

ورغم ذلك كله فالبربر دائما سائرون في خطتهم هذه الى الامام فما وهنوا ولا استكانوا بل مازادهم ذلك الا تحمسا في مقاومة الطغيان البيزنطي ، فاغاروا على الروم في جميع الجهات وتقدموا منتصرين الى ابواب قرطاجنه فضربوا عليها الحصار سنة ٥٩٧ م ثم كانت هدنة ، وما برح القوم واثقين بهدنة الروم حتى فوجئوا بغزاة تشتمل على نواحي هضبة اوراس كلها ؛ وقتل يومئذ الزعيم يابداس (٥٤٠ م) واحتل الروم معقله (اوراسيوس) على ارتفاع ١٥٠٠ ميترا واحتلوا كذلك المسيلة واخضعوا معها الزاب ،

فخضع يومئذ الجزائريون الى قوات الروم المهاجمة ريثما استعدوا من جديد للقضاء على خصمهم ؛ واشتد يومئذ الخلاف وزادت الشحناء بين الفريقين وبلغ الروم في تهورهم واعاد الاهالى ثورتهم فعظم الهيجان فى الوطن واصبحت البلاد تموج في بحر من الفوضى وعدم النظام، وهكذا الى الفتح العربي الاسلامي

## الثقافة والحضارة والعمران

لم ينبئنا التاريخ بذكر حالة البلاد الادبية والثقافية فى العهد البيزانطى ، اما فن المعمار فانه لم يكن لهم بالجزائر يومئذ سوى تشييد بعض الكنائس واقامة الاسوار حول المدن كأسوار قرطنة : تنس ، وقيصرية : شرشال ، وسطيف ، وميلة ، وتمقادى ، وقصر الصبيحى ، وقالمة ، ومداوروش وتبسة ؛ ويقول المؤرخ غزال عن آثار البيزنطيين بالجزائر : وآثار هؤلاء باقية بنوميديا ما عدا التحاصين فانها تدل علي بؤس شديد، وقال ميرسيي : كان المؤرخ بروكوب — البيزنطى — لما نزل افريقية مع بيليسير — الفاتح البيزنطى — دهش من عمرانها ونشاط تجارتها ونفاق اسواقها وسعادة فلاحتها ،

ولكن بعد عشرين سنة لم يبق شيء من ذلك وعم الخراب جميع افريقية ، ويقال ان الحرب وحكومة يستنيان حملتا افريقية خسارة خمسة ملايين من الانفس !... ورغم ذلك ، فانه لا مانع من ان يكون هنالك بقايا معمارية خاصة بالفن البيزنطى الجميل الذى يمتاز به عصر الروم بافريقية عن بقية العصور الاخرى ، ونحن نشاهد اثره فيما اتخذه المسلمون بعد ذلك من النقوش المزخرفة من نوع القاشانى الملون بالتصاوير المرسومة الدالة على براعة الصناع الافريقيين من روم او بربر ، وقد بلغ تأثر العرب بهذا الفن الجميل ان جعلوه في مساجدهم ومعابدهم الخ... ويذكر لنا ابن فضل الله العمرى مدينة شرشال فيصفها بقوله : انها مدينة تزيد على الوصف في اتساع الافنية ، وارتفاع الابنية ، وعظم القناطر المرفوعة ، والاقبية المعقودة ، والقواعد المشيدة ، والجدر السميكة ، مما يشهد له جوال الارض وسفار الافاق وسمار الحديث بانه لا شبيه له في تحسين بنائها وتحصين صناعتها (١) ولا شك في ان آثار مدينة شرشال هى من بقايا ما شادته دولة الروم الدابرة ، وماحظ الرومان منها الا حظ المحافظ عليها من الضياع والحامى لحماها

اما ثراء البلاد ونشاطها الاقتصادى فان مؤرخى شمال افريقية كادوا ان يتفقوا على ان العرب وجدوا البلاد ساعة دخولهم كثيرة الزرع وافرة الثمرات ؛ ويؤكد «ديل» ان في السهول الواسعة المهجورة التي تمتد جنوبى هضبة الاوراس وفي الاقليم الجبلى الذى يتوسط سهل تونس ، في كل هذه النواحي يجد الانسان في كل خطوة آثار مدن كبيرة او صغيرة وقرى آهلة واراضى مزروعة على امتداد عظيم

---

١) مسالك الابصار ج ١ ص ٢٤٤ ط القاهرة ١٣٣٢هـ - ١٩٢٤م -

وانني لا ارى في ذلك تنافرا او تناقضا فيما قررناه من حالة البلاد الشقية البئيسة طيلة عهد الروم . فان ذلك يعود الى اعتبار اختلاف الاوساط ؛ فالوسط المعمر هو دائما وابدا يستمتع بغلال البلاد وما فيها من مرافق ثقافية او معمارية او اقتصادية او غيرها ، والاهلون هم دائما كذلك في ضنك وضيق وجهل مطبق وفقر مدقع ؛ فالجزائر مثلا اليوم ؛ من يراها عند المعمرين يراها جنة عدن عالية ، ومن ينظر الى اهلها يراهم في جحيم وسعير ، وكذلك حال افريقية على عهد البيزنطيين ؛ ومنهاج الاستعمار دائما واحد .

## انهيار الجزائر البيزنطية

كلما تدبر الانسان في الاسباب والنتائج التي ادت بالجزائر بل بافريقية البيزانطية الى السقوط والانهيار الا ووجدها ترجع الى سوء الادارة ونظام الحكم الجائر ، وعدم حسن السياسة مع الاهالي باحتقارهم ومعاملتهم معاملة العبيد ، وكثرة الحروب والثورات والفتن والاهوال الناشئة عن ذلك مع التعصبات المذهبية والخصام الديني ، وضعف السلطة الرومية بابتعادها عن الجزائر مع بعد مركز الحكومة العليا عن افريقية ، ومشاغبة الجند الذي لم يكن يتصل بجرايته ، واشتغال الاباطرة بانفسهم في قصف ولهو مع ما كانوا في حاجة اليه من الاستعداد لحرب الفرس ؛ وتدخل قساوسة رومة يومئذ في الحكم وتسلطهم على الحكام وغير ذلك مما دعا الى ضعف سلطان بيزنطة في هذه البلاد شيئاً فشيئاً ، فأخذت الحكومة تنسحب من الشمال حتى لم يبق من املاكها آخر الامر الا ساحل ضيق ، واحتل البربر ما خلا ذلك من البلاد والحصون ، ويومئذ افترقت الكلمة وظهر الانحلال التام في الادارة والاخلاق وضعفت الحكومة عن القيادة بفتورهم القادة وقلة خبرتهم واغترار بعضهم بنفسه كما وقع للبطريق جرجوريوس الثاني ، او «جرجير» كما يسميه العرب ، فانه عمل على انفصال افريقية عن بيزنطة بقطع العلائق بينه وبين

الامبراطورية الشرقية وتحصن بعاصمته «سبيطلة» بالجنوب الغربي من ولاية تونس واعلن ثورته على الحاكم العسكري الذي كان يشاركه في الحكم (٦٠٧م) وحينئذ اندلع لهيب نار الخلاف والفوضى واشتبكت الثورات في انحاء المغارب الثلاث واستمر الحال على هذا الى ان اذن نور الاسلام بالشروق فسطع نوره بالمشرق وتمهدت السبيل للعرب الفاتحين ففتحوا افريقية سنة ٢٧ هـ –٦٤٧م– وقضوا على تلك الاضطرابات كلها وقتل جرجير فى حديث طويل سأحدثك عنه في محله قريبا ، وبموته انقرضت دولة البيزنطيين من افريقية بعد ما قضت بها ١١٣ سنة

## ولاة الجزائر وزعماؤها

لم يشتهر – فيما نعلم – من ولاة الجزائر وزعمائها في هذا العصر الا كولومبوس اسقف نوميدية ، الذي كان له اثر فعال في انفصال الكنيسة الشرقية عن الغربية ؛ والرئيسان : كوتسينا واوتياس المساعدان للزعيم يابداس في حروبه وثورته على الروم بهضبة اوراس «وماسوناس» الذي كان سلطانه يشمل كل منطقة وهران ، وامتد نفوذه الى الاوراس و«كسيلة» الاوربي الذي سنحدثك عنه فيما يأتي ، و«الكاهنة» الشهيرة التي كان لها من الاثر في مقاومة العرب الفاتحين ما ستقف عليه بنفسك.

# مشاهير ملوك الوطن الجزائري

| | المملكة |
|---|---|
| اورثينة | شط الحضنة |
| مصيناس (١) | موريطانيا |
| انطالاس | قبائل الولايات الداخلية |
| ماسونا ماستيجاس | موريطانيا بأقسامها |
| قزطيناس (٢) | شرقي اوراس |
| ارثياس | غربي اوراس |
| ايدباس | آوراس |
| بيداس | » |
| ايعبدة (٣) | » |
| افسدياس | » |

١) يلقب بملك القبائل الموريطانية والرومان
٢) قتله الروم غدرا سنة ٥٦٣م
٣) اعظم ملوك الجزائر

# اباطرة الدولة البيزنطية

| | تاريخ الولاية |
|---|---|
| جستنيان | ٥٢٧-٥٦٦ م |
| جستين الثانى | ٥٦٦-٥٧٨ |
| تيبريوس الثانى | ٥٧٨-٥٨٢ |
| موريس | ٥٨٢-٦٠٢ |
| فوكاس | ٥٠٢-٦١٠ |
| هرقل الاول | ٦١٠-٦٤١ |
| هرقل الثانى | ٦٤١ |
| هرقل الصغير (هرقلوناس) | ٦٤١ |
| قسطنط الثانى | ٦٤١-٦٦٨ |

# مشاهير الجـزائريين

## بيـداس

هو اشهر ملوك الجزائر وزعمائها المستقلين بجبل آوراس : قاوم الاستعمار البيزنطى بكل جهوده واذاقهم باسه وبلغ من الدهاء والسياسة ان وحد كلمة البربر وجمع شملهم وخاض بهم المعـارك ضد الروم واقد احيط به ووقـع في الحصر مرارا ولكنه نجـا وتخلص من العدو في كثير من الوقائع .

# جدول تاريخي

## ٥٣٤ ـ ٦٤٧

## م

| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث على عهد البيزنطيين |
|---|---|
| ٥٣٥ م | الاستيلاء البيزنطي على افريقية وتحتم اعتناق المذهب الكاثوليكي |
| ٥٣٩ « | الاستيلاء على ولاية الجزائر |
| ٥٤٠ « | سقوط الزعيم الجزائرى «يابداس» فى ميدان الدفاع الوطنى |
| ٥٦٣ « | اغتيال الروم غدراً زعيم شرق الاوراس «قزطيناس» |
| ٥٩٧ « | حصار الاهالي لقرطاجنة ـ البيزنطية ـ |
| ٦٠٨ « | انفصال «جرجير» عن بيزنطة وتحصنه بمدينة «سبيطلة» |
| ٦٣١ « | تعاليم هرقل الدينية الجديدة |
| ٦٤٣ « | فتح العرب المسلمين لافريقية ـ ٢٢ هجرية ـ |

# القسم الثانى

## الجزائر العربية المسلمة

# الأمة العربية

العرب جيل من الناس يسكن الجزيرة او شبه الجزيرة الواقعة بالجنوب الغربي من قارة آسيا، تحدها شمالا فلسطين وبلاد الشام، وجنوبا البحر المحيط الهندى وخليج عدن، وشرقا الحيرة والخليج الفارسى، وغربا بحر القلزم – البحر الاحمر؛ وهم من اقدم الامم وجودا واعرقها اصولا واكثرها فى ادوار التاريخ ذكرا؛ فهم امة سامية سكنت فى أول امرها ارض العربات او العربة، فى تهامة – غرب الجزيرة – انحدرت اليها من وادى الفرات او ما بين النهرين؟.. واليها نسبت وبها عرفت (١)، ثم تفرقت هذه الامة فى الجزيرة وتفرعت الى ثلاث طبقات وهى: العرب البائدة، والعاربة، والمستعربة، فالبائدة بادت واندثرت وهم قوم عاد وثمود وطسم وجديس والعمالقة ومن جاورهم من سكان الاحقاف، والطبقة الثانية هم بنوقحطان فى اليمن، واشتهرت منهم دولتان: سبأ وحمير؛ والطبقة الثالثة هم العدنانيون بنوا اسماعيل نشؤوا بمكة والحجاز ثم انتشروا ببادية الجزيرة

ولغتهم هى من اغنى اللغات واغزرها مادة والفاظا واوسعها تعبيرا واعرقها فى القدم واروعها لهجة، فهى نقاوة لغات الشعوب التى سكنت هذه الجزيرة من عهد بعيد وخلاصة ما تكلم به الساميون، وهى تمتاز كذلك عن اخواتها بكونها اقرب الى اصلها السامى من غيرها، ذات لهجات مختلفة المظهر، متحدة المخبر، ولها من الخصائص اللغوية ما تفتخر به على سواها من جميع اللغات

١) لقد ذهب العلماء فى اصل اشتقاق كلمة «العرب» مذاهب شتى، والذى رجحه المتاخرون منهم إنها مشتقة من كلمة (اوربى) الشمرية، ومعناها سكان الخيام او الرحل، وذلك لمابينها وبين كلمة [عبر] من الاتصال الوثيق ثم اصبحت الكلمة هذه فى عهد البابليين والاشوريين بمعنى: مدينة

## اخلاق العرب وعاداتهم

اشتهر العرب بالاخلاق الكريمة والسجايا الحميدة كالوفاء والاباء والشجاعة والشهامة والبطولة والكرم وقوة البأس وحفظ الجوار مع طلاقة في اللسان، وفصاحة في البيان ، وفيهم من خرج عن هذه الصفات شذوذا .... وكانوا لا يهنئون الا بغلام يولد او شاعر ينبغ ، او فرس تنتج ، ولا يفتخرون الا بالسيف والضيف والبلاغة ، ولم تكن الكتابة منتشرة فيهم ، بل كانوا يعتمدون الحفظ فى كل شيء ، وقد جاء الاسلام وليس يكتب فيهم الا بضعة عشر شخصا ؛ وعلومهم النسب والاخبار والشعر والكهانة ، ولهم دراية بالانواء والنجوم اكتسبوها بتجاربهم وممارستهم للاسفار ؛ وليست لهم مدنية مادية كمدنية مصر وبابل واشور اذ اكثرهم يعيش عيشة النجوع وربما كانت لهم فى القديم حضارة ومدنية بلغوا فيهما شأوا عظيما

## المجتمع العربى

الامة العربية كما عرفها التاريخ امة بدوية رحالة ، غير ان ما فى لغتها من الالفاظ والكلمات والمواد والاوزان المتعددة الدالة على المعاني الاقتصادية والصناعية والسياسية والاجتماعية والعمرانية كل ذلك يدلنا على مبلغ الرقى العقلى والمادى عند العرب وان كانوا لا يألفون الحياة الحضرية ولا يأنسون بالمقام والاستقرار فى مكان ، ذلك لتشبعهم بالحرية وبغضهم للقيود مهما كان نوعها : فكثرت فيهم الاسفار والانتقالات والغزو والمغامرات طلبا للمعاش وترفعا عن المقام على الذل والهوان ؛ ولهم عناية واهتمام بتربية المواشى والانعام ، ولمعاملاتهم مع الاجانب كالفرس والروم والحبشة والهند صبغة تجارية خاصة ، وهم دائما فى طليعة المحافظين على شرف العائلة وعز القبيلة واحترام الشخصية.

## المعتقد العربي

لم يكن للعرب في جاهليتها دين مقرر يدينون به جميعا ، بل كان شأن العقيدة عندهم فوضى ، فمنهم من كان على ملة ابراهيم ، ومنهم من كان يعبد الاصنام والاوثان والنصب والحيوان ، ومنهم من كان علي الفطرة ، ومنهم من كان من اهل الكتاب الى ايام البعثة

## اعقل الامم ؟...

لقد أحرز العرب على مكانة سامية في ميدان النشاط العقلي، وفي صفاء النفس ولطافة الحس مما جعل الاجانب عنهم والدخلاء فيهم يشهدون لهم بذلك ؛ فقد روى شبيب بن شبة — وهو المؤرخ الحجة — عن ابن المقفع (١) قال : كنا في مجلس عظيم فوفد علينا ابن المقفع ، وكان من اشراف الفرس وحكمائهم ، فقال لنا : من اعقل الامم ؟... فنظر بعضنا الى بعض وقلنا لعله يميل الى اصله ، فقلنا : الفرس ، قال ليسوا هناك ، ملكوا كثيرا من الارض وحووا عظيما من الملك ، فما استنبطوا بعقولهم شيئا !... فقلنا : الروم . فقال اصحاب صنعة ، فقلنا : الصين ، فقال اصحاب طرفة ، فقلنا : الهند ، فقال اصحاب فلسفة ، فقلنا : السودان ، فقال شر خلق الله !... فقلنا : الخزر ، فقال نعم سائمة !... فقلنا : فمن ؟... قال : العرب . فضحكنا !.... فقال ما اردت موافقتكم ، ولكن اذا فاتني حظي من النسب فلا يفوتني حظي من المعرفة ؛ ان العرب حكت على غير مثال ، يجود احدهم بقوته ، ويتفضل بمجهوده ، ويشارك في ميسوره ومعسوره ، ويصف الشيء بعقله فيكون قدوة ، ويفعله فيصير حجة ، ويحسن ماشاء فيحسن

---

١) اول من عنى في الاسلام بترجمة كتب المنطق ، ومن اشهر أئمة الكتاب في العصر العباسي الاول ، اصله فارسي ولد في العراق . ونشأ مجوسيا واسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ؛ كانت وفاته سنة ١٤٢هـ - ٧٥٩م -

ويقبح ماشاء فيقبح ، رفعتهم عقولهم وأعزتهم هممهم حتى نالوا اكرم الفخر وبلغوا اشرف الذكر ، فلما شرفهم الله بالرسول محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم وهم على هذه الاخلاق الجميلة ، والفضائل الجليلة ، تنافسوا فى زيادة الفضائل،وتسابقوا الى نيل العلوم والمعارف ، فاكتسبوا منها مالم يكتسبه الاوائل وآثروا الآثار العظيمة فى اقرب مدة من بناء المدائن وعمل القناطر وفتح الخلجان، فقد اجرى موسى بن نصير البحر اثنى عشر ميلا الى دار الصناعة بتونس ، وصنع مائة مركب وغزا صقلية واخذها ، ووصل عمرو بن العاص بين النيل وبحر القلزم فى مدة سنة ، وجرت فيه السفن من خلافة عمر بن الخطاب الى ما بعد خلافة عمر بن عبد العزيز ، احتفره من الخليج الذى فى ناحية الفسطاط ، وقال له خليج امير المؤمنين وساقه الى القلزم ثم ضيعه الولاة وترك وغلب عليه الرمل وانقطع وصار منتهاه الى ذنب التمساح ؛ وتيسر لهم من التصنيف فى انواع العلوم مالم يتيسر لاحد قبلهم . ولقد صدق من قال : ان هذا التاريخ على طوله وفضوله لم يسجل من الامم التى بلغت رسالات الله بالخير والجمال والحق الا اربعا : العبران فى الدين والسلم ، واليونان فى الفن والعلم ، والرومان فى النظام والحكم ، والعرب فى كل اولئك جميعا .

## ظهور الاسلام

قضت حكمة البارى جل جلاله بانقضاء ايام الفوضى والجور المخيمين على العالم يومئذ ، وبانقشاع غشاوة الجهل الضاربة اطنابها على الناس.كى يسود العدل ويظهر العلم ؛ فانبثق نور النبوة والوحى على راس القرن السابع الميلادى ، وارسل الله رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره الكافرون. هو الذى بعث فى الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ؛ وهو عليه الصلاة والسلام من جنس العرب يعرفون نسبه وفضله وصدقه وامانته وعفافه ، فدعاهم الى عبادة الله

وحده . وخلع ماكان يعبد آباؤهم من الحجارة والاوثان ، وأمرهم بالصدق والوفاء والعفاف واداء الامانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحارم وسفك الدماء ونهاهم عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، وقول الزور ، واكل مال اليتيم وقذف المحصنات الغافلات ، وجاءهم بقواعد الاسلام الخمس ؛ فانجذبت اليه النفوس الطاهرة فآمنت به وصدقته

## الفتوحات الاسلامية

لايخفى ماكانت عليه دولتا الفرس والروم قبيل الاسلام من النزاع والتطاحن فى الحروب واستعمال العرب وتسخيرهم فى حروبهم ، وكلتا الدولتين كانت تستعمل فى مصلحتها ما يليها ويجاورها من الامة العربية ، وقد فاتهما ان الالحاح على الفريسة قد يخلق منها مفترسا ، وكذلك كان الامر فكان استمرار هذه الحروب سببا قويا فى ضعف الحكومتين معا ، وتمهيدا للعرب فى انشاء دولتهم وتدريبهم على النظم الحربية والتراتيب العسكرية ، وذلك ماساعدهم فيما بعد على فتوحاتهم المترامية الاطراف وبسط نفوذهم على القارات الثلاث : آسيا وافريقية واروبا . وقضوا بالفعل على هاتين الدولتين العظيمتين فى الشرق والغرب : فارس والروم ، فاستبدل الله منهما هذه الامة العربية المسلمة ؛ وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا ، يعبدوننى لايشركون بى شيئا ..... ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض ونجعلهم ائمة ونجعلهم الوارثين ونمكن لهم فى الارض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون .

وبعد ما فتح الله على نبيه الجزيرة ونشر عليها بنوده والويته وتم فتح العراق والشام والموصل وفارس على عهد الخليفة الاول ابى بكر الصديق (ض) ثم كان تمام فتح العراقين ومصر وطرابلس الغرب (لوبيا) على عهد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب (ض) وامتلك المسلمون اهم مراكز الدنيا يومئذ فى اقل من نصف قرن ، فاتخذوا من مصر بالاخص مركزاً لتتبع الفتح بشمال افريقية .

# العرب فى شمال افريقية

قبل ان نخوض فى تفاصيل الفتح العربى الاسلامي ، وجب علينا تأدية لامانة التاريخ ان نلق بنظرة تمهيدية خاطفة الى ما اشيع من تلك النظرية المتعلقة بتاريخ العرب القديم القائلة باتصال هؤلاء بشمال افريقية منذ احقاب طوال كما قد كنا اشرنا الى ذلك فى اوائل الكتاب ؛ ولما جاء دور العرب الآن كان حقا علينا ان نحقق المقام بما نستطيع مما اتصلنا به من المصادر التاريخية ، وذلك ما يدفعنا الى العود بالقارىء الكريم الى دراسة موجزة عن تاريخ العرب بشمال افريقية قديما

## دولة حمير وسبأ بالمغرب ؟!!

ان موطن هذه الدولة العربية كما هو معلوم باليمن ، تلك البلاد التى اشتهرت عند الرومان باسم البلاد السعيدة ، كما هى معروفة عند اهلها باليمن الخضراء ، وذلك لما بلغته هذه المملكة من التفوق العجيب في الحضارة والخصب ....
وان ملوك هذه الدولة مشهورون فى التاريخ باسم الاقيال والاذواء او التبابعة ، وفي كتب التاريخ خلط كبير بين ملوك سبأ وحمير . وفي عددهم وسنيهم ايضا ، وشوب تاريخهم بكثير من الخرافات !....

واياما كان فان اول من تملك من ولد قحطان : حمير بن سبأ وقد توارث بنوه الملك من بعده حتى صار الى الحارث الرايش الذى يرجع تاريخ حكمه الى القرن الثاني عشر قبل الميلاد . وقد اجتمع له ملك اليمن كله ، وهو تبع الاول بلغ فى غزواته الى الهند ثم غزا بعدها الترك فى اذربيجان ؛ وكان الرابع من هؤلاء التبابعة هو افريقس بن أبرهة ، وهو الذى يقال عنه انه غزا بلاد المغرب كما عند ابن خلدون قال : واتفق المؤرخون على غزو افريقس صيفي من التبابعة الى المغرب

كما ذكرنا فى اخبار الروم (١) ... ويقول ايضا : وسار افريقس بن شمر الى افريقية بالبربر وكنعان فملكها (٢) وان المعروف من تاريخ افريقس هذا انه تملك مدة عشرين سنة (٣٠٠-٣٢٠م). ويذكر ابن خلدون ايضا انه وصل ملك هذه الدولة العربية بالمغرب الى طنجة ؟... وينقل عن ابن الكلبي ان حمير ابا القبائل اليمنية ملك المغرب مائة سنة ؟... وان صنهاجة وكتامة من حمير؛ ثم اننا نرى المؤرخ نفسه في مكان آخر من تاريخه يحكم بتزييف كل هذه الروايات، فانظر الى قوله في المقدمة: ومن الاخبار الواهية للمؤرخين ما ينقلونه كافة ـ مثله !. في اخبار التبابعة ملوك اليمن وجزيرة العرب ، انهم كانوا يغزون من قراهم باليمن الى افريقية والبربر من بلاد المغرب... ثم انه هو نفسه يعود الى الموضوع هذا فى صلب تاريخه كمستدرك لما زيفه هنا فيقول عن هؤلاء التبابعة : وربما كانوا يتجاوزون ملك اليمن الى ما بعد عنهم من العراق والهند والمغرب تارة (٣)... وبالله ما هذا الاضطراب ؟!... وفي كتاب المعارف لابن قتيبة الذى قال عنه (وستنفيلد) : انه من اقدم الكتب التاريخية المحضة التى بقيت الى الآن من مؤلفات العرب ، ما يثبت ذلك ويؤيده ، قال: ان ياسر بن عمرو ملك اليمن الملقب بياسر انعم لانعامه عليهم لما سار غازيا نحو المغرب بلغ واديا يقال له وادى الرمل فلما انتهى اليه لم يجد فيه مجازاً لكثرة الرمل وعبر بعض اصحابه فلم يرجعوا فامر بنصب صنم من نحاس على صخرة فى شفير الوادى وكتب على صدره بالخط المسند : هذا الصنم لياسر انعم الحميرى ، ليس وراءه مذهب، فلا يتكلفن احد ذلك فيعطب. ورجع (٤) ، ولقد اثبت ابن خلدون نفسه ما نقلناه عن ابن قتيبة (ج ١ ص ٧٩ ) ومثله ابن الاثير في كامله (ج ١ ص ١٥٦ ) او بعد هذه النصوص كلها يصبح تاريخ العرب القديم بشمال افريقية قضية ملغاة ؟! ..

---

١) ابن خلدون ج ٢ ص ٥١ وج ٦ ص ١٠٦
٢) ابن خلدون ج ١ ص ٨٨
٣) انظر مقدمة ابن خلدون ص ٦-٧ وج ١ من تاريخه ص ٧٧-٧٨-٧٩-٨٨-١٣٢ وج ٦ ص ٩٦-٩٧-١٠٦-١٠٧
٤) المعارف لابن قتيبة ص ٢٧٣ ط مصر ١٣٥٣هـ - ١٩٣٤م

وسواء اصح خبر اتصال هؤلاء العرب التباعية بشمال افريقية ام لم يصح ، فانه قد ثبت يقينا بان ملوك الرعاة — الفراعنة — المعروفين باسم ( الشاسو ) او — الهكسوس — وهم من العرب كما لا يخفى ، اتصلوا بمصر من برزخ السويس فى القرن الثالث والعشرين قبل المسيح. واستمر سلطانهم على الديار المصرية الى سنة ١٥٨٠ ق. م. امتد نفوذهم الى ارض افريقية بدون ان تكون لهم فيها دولة منظمة ، ولذلك لم يكن لهم بها ذكر يحفل بتدوينه المؤرخون. ونقل (يوسيفوس) وهو احد المعتمدين من مؤرخي اليهود الاقدمين : ان (افرون) بن مدان بن ابراهيم الخليل — بين اوائل القرن ١٨ واواخر ١٩ ق.م — جرد حملة على لوبيا واحتلها ، وان ابناء ابنائه اقاموا هنالك وسموا الارض باسم افريقيا ، ولقد اثبتت البحوث والكشوف العصرية الحديثة بان ابراهيم ـ الخليل ـ كان عربيا ، وانه كان يتكلم العربية ؛ وهى طبعا غير العربية التى نعرفها اليوم او نكتبها ونتخاطب بها، ولاهى كذلك التى بالشعر الجاهلي.(١) أليست الكلدانية؟

كما انه قد صح فى التاريخ بان الساميين جاؤوا الى افريقية من جزيرة العرب فى ثلاث دفعات ، وطريقهم اليها فى كل مرة كان من طريقين : شمالية عن طريق برزخ السويس ومصر ، وجنوبية عن طريق باب المندب ، وكانت الدفعة الاولى فى زمن قديم جداً لايعرف مبدؤه ، فاختلطوا باهل البلاد الاصليين وامتزجوا بهم ، فتولدت منهم امم هى الامة المصرية القديمة ، وقبائل البربر فى المغرب ... والمرة الثانية كانت حوالى القرن الخامس قبل الميلاد تقريبا ، او فى عصور اخرى ترجع الى ما بين القرن العاشر والقرن الاول قبل الميلاد؟. وهؤلاء العرب هم الذين اتوا بالجمال معهم الى هذه البلاد اذ لم يكن الجمل معروفا بها قبل هذا التاريخ ، كما انهم جاؤوا قبل ذلك بالخيل ؛ اما المرة الثالثة فهى التى كانت فى قصة الهجرة الاولى الى الحبشة في صدر الاسلام.

---

(١) ارجع ايضا الى ص ٤٨ من الكتاب

ولقد اكتشف الدكتور (استانلي تيمبور) على مقربة من نهر (زمبر) في مقاطعة (رودسيا) من جنوب افريقية آثارا منقوشة عليها رسوم مكتوبة استدل بها الدكتور على ان العرب قد استثمروا مناجم الذهب التى كان استثمرها اسلافهم «عرب اليمن» قبل ذلك بعهد طويل. وكما ظفر الحفريون بنقوش حميرية ببعض قرى افريقية. فكل ذلك يجعلنا نحتفل لخبر هؤلاء العرب من التابعة الحميريين فى شمال افريقية، وقد يكون الضريح الموجود الى اليوم بالجنوب الغربى من بسكرة المنسوب الى خالد بن سنان العبسى (١) هو لاحد اعضاء هذه الجاليات العربية القديمة التى ارتادت هذه الاوطان ، هذا ان لم يكن قبرا لاحد المبشرين بالمسيحية ممن ذكرنا اسماءهم فى صفحة ٨٦ من كتابنا هذا ؛ او قد يكون كذلك لاحد رجال الكنيسة واعيان مذاهبها الشهيرة ؟... والمستقبل كشاف

(١) راجع الحيوان للجاحظ ج ٣ ص ٦ ، ونهاية الارب للنويرى ج١ص ١٠٦ – ١١٠ والجمهرة لابن حزم ص ٢٤٠ والكامل لابن الاثير ج١ص ٢٧٠ ومعجم البلدان لياقوت ج٣ ص ١٩٣ وعيون الاخبار للصديقى (مخطوط) ورقة ١٣ ومحاضرات الادباء للاصفهانى ج٢ ص ٢٧٨ والاصابة لابن حجر ج١ ص ٤٦٧ والمؤنس لابن ابى دينار ص ١٧ ورحلة العياشى ج٢ ص ٢١٤

# فتح افريقية

## ٢٢ هـ - ٦٤٣م

### افريقية — المغرب

اتسع مدلول لفظ افريقية على عهد البيزنطيين فشمل كل ما دخل تحت نفوذهم من هذه القارة : من برقة الى طنجة ؛ وبهذا المعنى استعمله العرب في اول الامر ؛ ثم بعد ذلك اخذ لفظ افريقية يضيق شيئاً فشيئاً وبدأ لفظ المغرب في الظهور ، فاقتصر اسم افريقية على ما يلي مصر غربا الى بجاية من مقاطعة قسنطينة - الجزائر - ثم يلي ذلك المغرب حتى المحيط ، وربما ادخل فيه بعضهم الاندلس؛ ولا شك ان لفظ المغرب حسب مدلول معناه هو ما يقابل الشرق، ولهذا ادخل فيه بعضهم مصر والاندلس ، وقصره آخرون على المغرب العربي الحالي وهو الاقليم الذى يلي مصر غربا حتى المحيط ، ثم هم يقسمونه اجزاءا بحسب الحكومات والولايات كبرقة وطرابلس وافريقية - تونس - والمغرب الاوسط - الجزائر - والمغرب الاقصى والسوس

### مقدمات الفتح

كان من الطبيعي المعقول ان يتابع العرب فتوحاتهم بشمال افريقية بعد ما فتحوا مصر والشام وغيرهما من ممتلكات امبراطورية بيزنطة ، والجزائر يومئذ هي ضمن هذه الامبراطورية التي غزاها العرب في الشرق ، فكان لزاما على الدولة العربية الناشئة ومن واجبها السياسي ان تستمر على خطتها في الفتح وتتابع ممالك الدولة المغزوة حيثما انتشرت في الارض وانبسط سلطانها في المعمورة ، وذلك توطيدا للامبراطورية الاسلامية الناشئة يومئذ في الشرق ، واتماما لسلسلة

الفتوحات العربية ، فقد كتب على العرب الفاتحين ان يصطدموا بالروم في المغرب كما اصطدموا بهم في الشرق

من المعقول جداً ان يفكر فاتح مصر : عمرو بن العاص رضى الله عنه في متابعة الفتح والاستيلاء على هذا الشمال الافريقي بعد فراغه من الاستيلاء على القطر المصرى وتمام جلاء الروم عنه ؛ ولا شك انه بلغته اخباره واتصل بها وهو يومئذ على فتح مصر ، فعرف انه من بلاد الروم البيزنطيين وان لهم فيه منعة وعزة ، وانه جزء من مصر ، وكان اهل برقة وطرابلس اذ ذاك على علاقات قوية موصولة مع اهل مصر ، حتى ان بعض قبائلها كان يحسب من قبطها ، وكانت الطرق بينهما مطروقة مأنوسة ، فلما فرغ عمرو من فتح الاسكندرية وجد الطريق الى برقة سهلة ميسورة ؛ فخشى من وثبة تكون من الروم يهاجمون بها مصر ، او تدبير يحكمه روم بيزنطة بها ، فبعث اولا بالطلائع تستطلع له احوال البلاد وبعد ان اتصل بالمعلومات الكافية سار هو بنفسه فغزا برقة وطرابلس ثم صبرة او – سبرت *Sabrata* – ففتحها عنوة سنة ٢٢ هـ – ٦٤٣ م ؛ ومن هناك بعث ابن العاص الى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه في فتح افريقية فأوقفه عمر ونهاه عن التمادى في الفتح قائلا له في كتابه الذى ارسله اليه : انها ليست بافريقية ولكنها المفرقة غادرة ( الغادرة ) مغدور بها ، وذلك ان اهلها كانوا يؤدون الى ملك الروم شيئا فكانوا يغدرون به كثيرا (١) ، وكان ملك الاندلس صالحهم ثم غدر بهم ؛ لا يغزوها احد ما بقيت ، او قال : لا اوجه اليها احدا ما مقلت عيني الماء . ويبدو من كلام الخليفة انه كان على خبرة تامة واطلاع واسع على احوال الممالك وخاصة افريقية فانه كان على بصيرة منها ومن تاريخها وطبيعة اهلها فعرف انها ليست مأمونة الجانب ولا

---

١) و كان كلمة موسى بن نصير التى تقدمت في صفحة ٥٠ من الكتاب مقتبسة من هذا ، او هى من قبيل توارد الخواطر ؟... فانظرها

ميسورة الفتح ولا قريبة الطاعة ، فعجل بايقاف عمرو . ولا شك ان عمرا راى من قوات جريجوريوس المتحصنة المعدة لدفع العرب ومقاومتهم ما يحتاج معها الى المدد ، ولما اتصل بكلمة الخليفة خشى من الهزيمة اذ ليس لديه من قوة الجيش ما يكفى لمهاجمة البربر والروم فى بلادهم فلم يجد عمرو اذا بدا من الانسحاب والتراجع ، فطوى كعبه وانصرف عائدا الى مصر بعد ان صالح اهل برقة على ثلاثة عشر الف دينار ، وقد الحقت هذه الناحية بولاية مصر فاعتبرت جزءا منها يحكمها عامل مصر ، يجبى خراجها ويقود جندها .

## حملة ابن أبى سرح

لقد اصبح عبد الله بن سعد بن ابى سرح عاملا على مصر منذ سنة ٢٥ هـ – ٦٤٦م. وماكاد يستتب له الامر حتى فاتح الخليفة يومئذ عثمان بن عفان رضى الله عنه يخبره بقرب الروم من حوز المسلمين ويستأذنه فى غزو افريقية ؛ وبعد ما تدبر الخليفة فى الامر كتب الى عبد الله سنة ٢٧ ويقال سنة ٢٨ ويقال سنة ٢٩ هجرية ، يأمره بغزوها ؛ وتقاطر المسلمون من مختلف القبائل على الخليفة يريدون المشاركة فى هذا الفتح وعلى راس كل قوم نفر من كبرائهم ، وكان جيش هذه الحملة يتجمع بـ«الجرف» وهو مكان يبعد عن المدينة المنورة بثلاثة اميال ، والخليفة نفسه لا ينى ان يشجع الناس على التطوع ، وأعان الجيش بألف بعير من ماله : يحمل عليها ضعفاء الناس ، وحمل على الخيل ، وفرق السلاح وامر للناس بأعطياتهم ؛ واندمج فى سلك الغزوة نفر غفير من مشاهير الصحابة واولادهم ، وقد عرف هذا الجيش بجيش العبادلة . ولما اكتمل القوم خطب فيهم الخليفة مرغبا لهم في الجهاد ، قائلا : لقد استعملت عليكم الحارث بن الحكم الى ان تقدموا على عبد الله بن سعد فيكون الامر اليه ، واستودعتكم الله . فارتحل الجيش من المدينة فى المحرم سنة ٢٧ هـ – اكتوبر ٦٤٧م

ولما صار الجيش الى عبد الله بن سعد واتصل بقوات الخليفة اخذ عدته وجمع امره واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهنى ، وبعث امامه بالطلائع ، ثم فصل عن مصر وخرج بنفسه للفتح في عشرين الف جندى ما بين عرب من الجزيرة وقبط من مصر وبربر من افريقية؛ وسار حتى بلغ قمونية او قمودة (ولعلها كابوت فادا Caput vada الميناء البيزنطى المعروف) وهناك وقف وبدأت المفاوضات بينه وبين البطريق (١) جريجوريوس (جرجير) حاكم افريقية وامبراطورها المستبد، المترص يومئذ بمدينة سبيطلة — على مائة وخمسين ميلا جنوب قرطاجنة — ، وهناك عرض عليه عبد الله الاسلام او الجزية وطالت المفاوضات ١٣ يوما (٢) وكانت المناوشات طوال هذه المدة تدور بين القوم بفتور ؛ وجرجير يومئذ مصر على الرفض ، وكأن المسلمين يومئذ ادركهم شيء من الفتور فمالوا الى طلب الامداد من الشرق ؛ فجاءتهم بعثة عبد الله بن الزبير فهللوا لها وكبروا وتحمسوا لمقاتلة الروم فتقدموا من قمونية الى حيث البطريق جرجير رابضا فى مائة وعشرين الف مقاتل ؛ ويقول الباجى : فى مائتى الف مقاتل (٣) ؟... فدارت المعركة بين الطرفين على مقربة من حصن عقوبة — فحص متسع ، بينه وبين دار الملك : سبيطلة ٣٦ كيلومترا — فانهزم الروم شر هزيمة وقتل فيها جرجير ، فأقام الافارقة عليهم مكانه «جناحة Ghenaha» فهو الذى عقد الصلح مع العرب بعد ذلك ، فأصبحت ولاية افريقية يومئذ تحت نفوذ العرب وانتشر الفاتحون بكامل الولاية يغنمون وينهبون وانحاز اغلب المنهزمين الى الشرق فى

---

١) لقب مدنى سياسى ,Patrice, Patrique وهو غير البطريرك Patriache المختص برؤساء الدين.

٢) وفيها تلقب عبد الله بن عباس رضى الله عنه بحبر العرب من طرف جرجير ، حيث قال لعبد الله : ما ينبغى الا ان تكون حبر العرب .

٣) يقدر الرواة ان عدد سكان شمال افريقية يومئذ نحو ١٩ مليونا ؟...

حصن الجم (العجم-الاعجام) فأحاط به العرب وحاصروه بمن فيه ففتحوه؛ ويومئذ لجأ رؤساء البربر الى طلب الصلح من ابن ابي سرح وتعاهدوا معه على ان ينصرف عن بلادهم لقاء مبلغ يقدره البعض بمليونين وخمسمائة الف دينار، ويقدره البعض الاخر بثلاثمائة قنطار من الذهب (١) ويروى مائة الف رطل ذهب ؟.. وزاد ابن ابي سرح فاشترط عليهم بأن ما اصاب المسلمون قبل الصلح فهو لهم، وما اصابوه بعد الارتداد رد عليهم؛ فوقع الاتفاق على ذلك، واقتسمت الغنائم بين الغزاة، فأصاب كل فارس ثلاثة آلاف مثقال - دينار - والراجل منهم الف وعاد البشير (عبد الله بن الزبير) الى المدينة ليقص خبر الفتح على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم. وكتب ابن ابي سرح الى نائبه بمصر يأمره بانفاذ المراكب اليه ليحمل عليها الغنائم واثقال المسلمين خشية انقلاب الروم عليه، فكان ذلك، وعاد ابن ابي سرح الى مصر من غير ان يولي على افريقية احدا ولم يتخذ بها معسكرا، ولقد دامت هذه الغارة خمسة عشر شهرا، ثم كانت بعدها الاحداث التي عصفت بالبلاد العربية عقب اغتيال الخليفة عثمان، فتأخر اتمام الفتح الى ايام معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنهما

ينتقد بعض المؤرخين عودة عبد الله بن سعد هذه وانفصاله عن افريقية بعد ما انتصر ذلك الانتصار الباهر على الروم وفاز المسلمون بمغانم كثيرة !... وقد رد بعضهم اسباب هذه العودة الى أحداث اضطرت قائد الحملة الى التعجيل بالمسلمين قبل انقلاب الروم عليهم فيسلبوهم ما غنموا وقد لاحت له مخايل المقاومة التي ابداها اهل الساحل يومئذ، وخصوصا اذا لاحظنا كذلك ما كان من التوتر بين قادة الجيش العربي مع ضعف الجند امام قوات الروم والبربر المتكاثر وانقطاع العرب عن المدد؛ مع اضطراب حبل الخلافة بالمشرق. فاذا لاحظنا

---

١) حاول ياقوت تقدير القنطار فقال انه يبلغ ثمانية آلاف دينار وهو عدد تقريبي وقدر «دوسلان» الدينار في ذلك العصر بعشرة فرنكات

ذلك كله فلا نستبعد هذه العجلة في رجوع القائد بحملته الى مركز ولايته مصر. ولو ساعدت الظروف بيزنطة وكانت على شيء من القوات لاستعادت البلاد فى هذه الفترة ، ولكنها كانت تعانى ما تعانيه الدولة الاسلامية الناشئة من الضعف واضطراب الحال

## اضطراب افريقية

ما كاد يتصل الامبراطور البيزنطى بخبر انعقاد الصلح على الصفة المتقدمة مع العرب وبما نال العرب من مال ونشب حتى ثارت ثائرته واستشرف هو ايضا الى مثل ذلك او اكثر ، فاسرع الى تعبئة بعثة عسكرية الى افريقية وجعل قيادتها لاحد بطارقته ، فجاءت الحملة واظهرت رغائب الامبراطور ومطالبه الفادحة وارغمت الشعب على ذلك ، فثار الافارقة لهذا واشتد الهيجان وكانت بين الفريقين حوادث دامية واخيرا تغلب البطريق على حاكم افريقية — خليفة جرجير — فعزله وجلس هو مكانه ؛ ويومئذ انسل هذا الحاكم المعزول الى الشرق ملتجئا الى الخليفة الاموى معاوية بن ابى سفيان فحرضه على عودة العرب الى افريقية على ان يكون هو دليلهم على عورات القوم ، وما شعر الخليفة بالامر حتى فاجأهم اسطول بيزنطة مهاجما الاسكندرية فكانت هنالك واقعة ذات الصوارى المشهورة ٣١ هـ — ٦٥١ م انهزم فيها الروم ايضا

## حملة معاوية بن حديج

يذكر كثير من المؤرخين ان فى اثناء هذه الفترة التى اعقبت رجوع عبد الله ابن سعد والتى دامت نحو السبعة عشر سنة هناك من اتصل من زعماء البربر بالعرب فى المشرق يحثونهم على العودة الى افريقية واستئناف الفتح تخلصا من الارهاق الذى حصل لهم والاضطراب ، وهذا صحيح تؤيده المعاملة الحسنة التى كان يجدها الجيش الفاتح من الاهالى ، وقصة الحاكم المعزول .

اصدر امره الخليفة بغزو افريقية الى عامله على مصر وكان يومئذ معاوية بن حديج ؛ فخرج الجيش الاسلامى سنة ٤٥هـ - ٦٦٦م فى عشرة آلاف مجاهد ، وفيهم الكثير من اعيان الصحابة من المهاجرين والانصار ، وجاء معهم يومئذ حاكم افريقية المخلوع وهو الذى كان عند الخليفة يحثه على الغزو ومات في الطريق وسار ابن حديج في طريقه الى افريقية ففتح بعض مواطنها مثل بنزرت وجلولاء وجربة وسوسة ؛ ثم عاد من غير سبب معقول ودون ان يخلف اى اثر يذكر ؟...

## حملة عقبة بن نافع الاولى

لقد سبق لعقبة ان عرفته افريقية وعرفها فمارسها منذ كان مع عمرو بن العاص فى فتوحاته وبعوثه الاولى فأقام بها اميراً على مافتح منها ، ومتجولا مغيرا تارة ودارسا ومبشرا ونذيرا تارة اخرى ، ولبث مقيما بالنواحى حتى استعمله معاوية بن ابى سفيان على ولايتها هذه المرة سنة ٥٠هـ - ٦٧٠م فسار اليها على راس عشرة آلاف جندى وانضم اليه من كان اسلم من اهل البلاد . ففتح بهم اماكن اغلبها بولاية تونس وكان سيره هذا بالداخل متجنبا السواحل لما فيها من الحصون والمحارس البيزنطية .

ويشهد التاريخ لحملة عقبة هذه بانها حملة موفقة جديرة بان تعد فتحا حقيقيا لافريقية ، كما انه هوا حق واجدو بلقب الفاتح من غيره ممن سبقه ، وذلك لما فكر فيه عقبة يومئذ واهمه من اقامة مدينة للمسلمين فى افريقية اذقال : ان افريقية اذا دخلها إمام تحوموا بالاسلام فاذا خرج منها رجع من كان اسلم بها وارتد الى الكفر ، وارى لكم يا معشر المسلمين ان تتخذوا بها مدينة نجعل فيها عسكرا وتكون عز الاسلام الى (اول) الدهر . وبذلك وضع عقبة الحجر الاساسي لابتناء افريقية الاسلامية فانشأ مدينة «القيروان» فلعمرى انه قد وفق فى ذلك الى شيء لم يوفق اليه غيره من الفاتحين السابقين وهو امر ضروري في انشاء الممالك واتخاذ الحصون بها.

كان الجند قبل حملة عقبة هذه يخرج من مصر مغيرا على ما يستطيع من بلاد افريقية ثم يعود الى مصر او برقة بالغنائم او من غير غنائم دون ان يخلف فى البلاد اثرا ودون ان يكون فى غاراته معنى للفتح!... فاصبحت افريقية بصنيع عقبة مقرا يقيم به المسلمون مطمئنين فيه دون ان يعودوا الى مصر بعد كل غزوة؛ وكأن افريقية بذلك استقلت بعض الشيء – رغم تبعيتها لمصر – فاصبحت ولاية اسلامية ثانية، وهذه هي الخطوة الاولى نحو ظهور ولاية افريقية اسلامية بهذه البلاد.

ثم ان حسن اختيار عقبة لموقع مدينة القيروان كان في غاية الاحكام الحربي اذ كان الحاكم الذى يتخذ هذا الموضع مركزا لاعماله – كما قال المؤرخ كودل –: يستطيع ان يرى العدو من بعيد ويتحرز من الغارات المفاجئة الكثيرة الحدوث عند البربر، واذا اراد ان يطاردهم الى هضابهم وجد الطريق مفتحة امامه، اذ كان ستطيع بعد مسير بضع ساعات الوصول الى اعالي الهضاب، عن طريق وادى زرود ووادى مرجلل ومسلك جبل بارجوه ومن اعالي الهضاب كان يستطيع الاشراف على ما يجاورها، فيتيسر له حكمها اذا كانت لديه القوة الكافية لذلك. ولقد لاحظ عقبة نفسه هذه الملاحظة الحربية لتحصين مركز القيادة الاسلامية هذا بقوله لاصحابه المؤسسين الفاتحين: انى اخاف ان يطرقها صاحب القسطنطينية فيهلكها صاحب البحر اجعلوا بينها وبين البحر ما لا تقصر فيه الصلاة، واحاط عقبة المدينة بسور يبلغ دوره اثنى عشر ميلا؛ وبعد ان مكث عقبة بافريقية ما يقرب من خمس سنوات استخلف بابى المهاجر دينار مولى مسلمة بن مخلد (والى مصر) ولا نعلم عن اسباب هذا الاستخلاف او العزل شيئا؟... والظاهر انه كان بسعي من مسلمة.

## فتح المغرب الاوسط —الجزائر—

انتصب مسلمة بن مخلد على ولاية افريقية وتحتها يومئذ مدينة مصر ، وقد جمع له الخليفة فى ولايته هذه ما بين مصر وافريقية والمغرب والصلاة ، فشق عليه القيام بجميع هذه الاعمال الهامة كلها ، فبعث بمولاه ابى المهاجر دينار الى المغرب وقال : ان ابا المهاجر صبر علينا فى غير ولاية ، ولا كبير ميل ، فنحن نحب ان نكافئه . فلم يلبث دينار ان اصبح اميرا على افريقية سنة ٥٥ ﻫ واستمر على ولايتها مدى سبع سنوات تنتهى سنة ٦٢ ﻫ (٦٧٤- ٦٨٢م)

خرج عقبة من افريقية مهانا من طرف ابى المهاجر فذهب الى الخليفة بالشام يشكو اليه حاله ، فما زاده معاوية على ان قال له : «قد عرفت مكان مسلمة بن مخلد من الامام المظلوم (١) وتقديمه اياه وقيامه بدمه وبذله مهجته وقد رددتك الى عملك» ؟... ولكن مسلمة يأبى ذلك !... فإلى ما بعد وفاته ...

اتصل ابو المهاجر بافريقية واسس بها مركزا هو غير قيروان عقبة ولكنه بجانبه على مسافة ميلين « تيكروان » وسار فى خطته غربا الى المغرب الاوسط او بلاد الجزائر ، حيث يخيم ملك البربر «كسيلة» بجبال اوراس ، فاتخذ مسلكه الى هنالك بوابة بسكرة المنخفضة التى تمثل فجوة فى الاطلس فتمكن من الانتصار على اعمال قسنطينة سنة ٥٩ ﻫ - ٦٧٨م وجعل مركز قيادته العليا مدينة ميلة فابتنى بها دار الامارة وجعلها ملاصقة للجامع كما شاهدها البكرى بنفسه ومكث هناك سنتين ، وقد احرزت الجزائر بذلك - طيلة هذه المدة - شرف امارة افريقية الاسلامية ، وبذلك كان ابو المهاجر اول امير مسلم وطئت خيله المغرب الاوسط، واول من حمل الاسلام الى هذه الديار الجزائرية ؛ ومنها تقدم فى فتوحه الى احواز تلمسان فقضى بها زمنا طويلا احتفر فيه آبارا الجنده تسمت باسمه

---

١) يعنى عثمان بن عفان رضى الله عنه

«عيون ابى المهاجر» وهنالك ظفر بخصمه كسيلة فحمل عليه حملة شديدة وعرض عليه الاسلام فاعتصم به ، وحينئذ خلى عنه الامير وابقاه معه ؛ ثم كان بعد ذلك حصار الروم بقرطاجنة فنزلوا له عن شبه الجزيرة «شريك» .

اتفق المؤرخون لاعمال ابى المهاجر في الفتوح بأنها كانت على جانب عظيم من الاهمية والخطورة، فانه اول من جعل غايته الاخيرة فتح البلاد وتثبيت قدم العرب والاسلام فيها ، فهو لم يعاهد الروم على ان ينصرف على قرطاجنة كما فعل غيره لقاء فدية من المال وانما طلب اليهم ان يتنازلوا له عن جزء من البلاد لانه لم يطلب الغنم والعودة ، وانما كان يرغب في اتمام فتح البلاد ؛ وان سياسته كانت ترمى الى تقريب البربر وكسبهم بالمودة وحسن المعاملة

## حملة عقبة بن نافع الثانية

قضت حكمة البارى ان يبقى وعد معاوية لعقبة معلقا حتى بعد وفاة الخليفة نفسه ووفاة والى مصر مسلمة بن مخلد ايضا. وما كان لعقبة ان ييأس من مجيء ساعة ينفذ فيها وعد معاوية ، وقد حان الوقت الآن فرجع عقبة الى عمله بأمر صدر من اليزيد بن معاوية وقد مات المعارض — مسلمة — فبدأ عمله بافريقية سنة ٦٢ هـ — ٦٨٢م وان اول ما قام به من الاعمال هو الاعتناء بمؤسسة القيروان فأعاد عمرانها واقتص من مهينه ابى المهاجر فأوثقه بالحديد ، ويقال انه وجد بخزينته مائة الف دينار ؛ واخذه معه هو وكسيلة (الملك البربرى) وتوجه بها فى خمسة عشر الفا من جنوده الى فتح البلاد وتدويخ اهلها ، فتتبع طريق السهل وتجنب المسير على الهضبة الوعرة ففتح فى طريقه مدينة «باغاية» — شرق جبل اوراس قرب خنشلة — وذلك حيث تحصن له البربر والروم لمقاومته ، فقاتلهم قتالا شديدا وغنم منهم خيلا لم ير اصلب منها ولا اسرع فهى من نتاج خيل اوراس، ومنها توجه الى مدينة لمبيس — لمبز ذلك الحصن البيزنطى المعروف

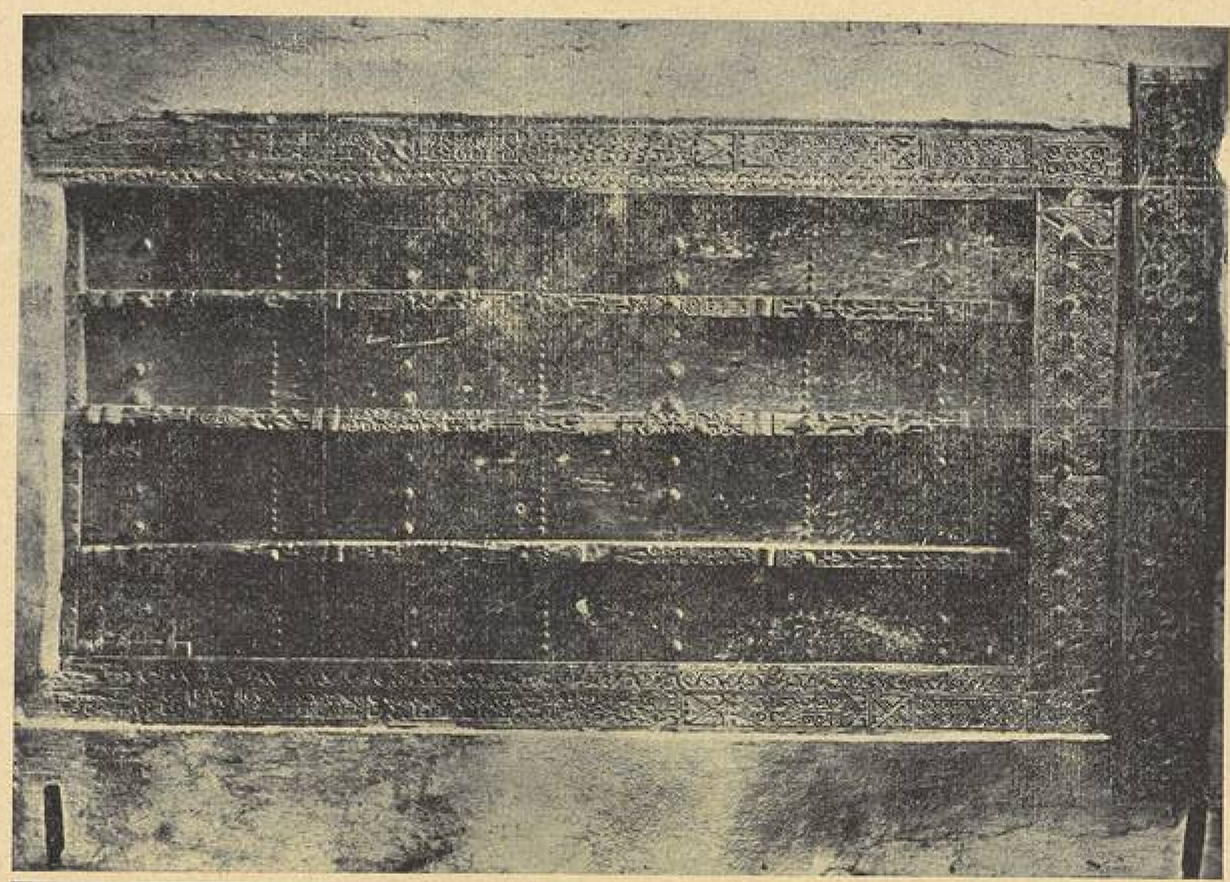
وكانت المقاتلة هنالك اشد واعظم واصاب بها مغانم كثيرة ، وكره المقام عليها فوصل الى الزاب واحاط بعاصمته يومئذ «ازبة» على مرحلة شرق المسيلة وكان حولها ثلاثمائة وستون قرية كلها عامرة ، وهنالك احتشد له جيش العدو فقاتلهم بها قتالا عنيفا وما زال بهم حتى بدد شملهم فأطاعوه ؛ ومنها توجه الى «تيهرت» وكان بها حصن بيزنطي قديم اقتتل فيه العرب والروم والبربر فلم يكن لهذين طاقة بالعرب الا ان الامر اشتد على المسلمين اكثر من ذى قبل لقلتهم امام جيوش العدو الجرارة ، ومن هناك انحدر عقبة من الهضبة الى السهل الساحلى وسار الى المغرب الاقصى وعرج في طريقه على تلمسان ودخل طنجة ففتحها واحتل مدن المغرب وتقدم الى التخوم حتى بلغ المحيط الاطلسى وكان بصحبته ابو المهاجر وقد حكى هذا عن اميره فقال : فبلغ عقبة بن نافع في غزواته الى السوس الادنى والسوس الاقصى والبحر المحيط وادخل فيه فرسه حتى بلغ الماء لبب فرسه وشهر سيفه ورفع بصره الى السماء وهو يقول بأعلى صوته : يا رب لولا هذا البحر لمضيت فى البلاد مجاهدا في سبيلك !...

## واقعة تهودة

عاد عقبة ادراجه بعد ان اعترضه البحر عن التقدم في الغزو والفتح راجعا الى القيروان ؛ وكان معه اسيره كسيلة فحبسه فى مهانة وذل وعلم به ابو المهاجر المكبل يومئذ بالحديد فنهى عقبة عن إهانة الملك البربرى قائلا له : «ما هذا الذى صنعت ؟.. كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألف جبابرة العرب كالاقرع بن حابس التميمى وعيينة بن حصن ، وانت تجيء الى رجل هو خيار قومه فى دار عزه قريب عهد بالكفر فتفسد قلبه !... توثق من الرجل فانى اخاف فتكه !.» فلم يلتفت عقبة لنصيحة دينار واستمر على اهانة كسيلة ؛ واستطاع هذا ان يفر دون ان يشعر به عقبة وقد عرف الطريق الذى يسلكه عقبة فى مسيره الى القيروان

تصوير اوفالاك

(٢)

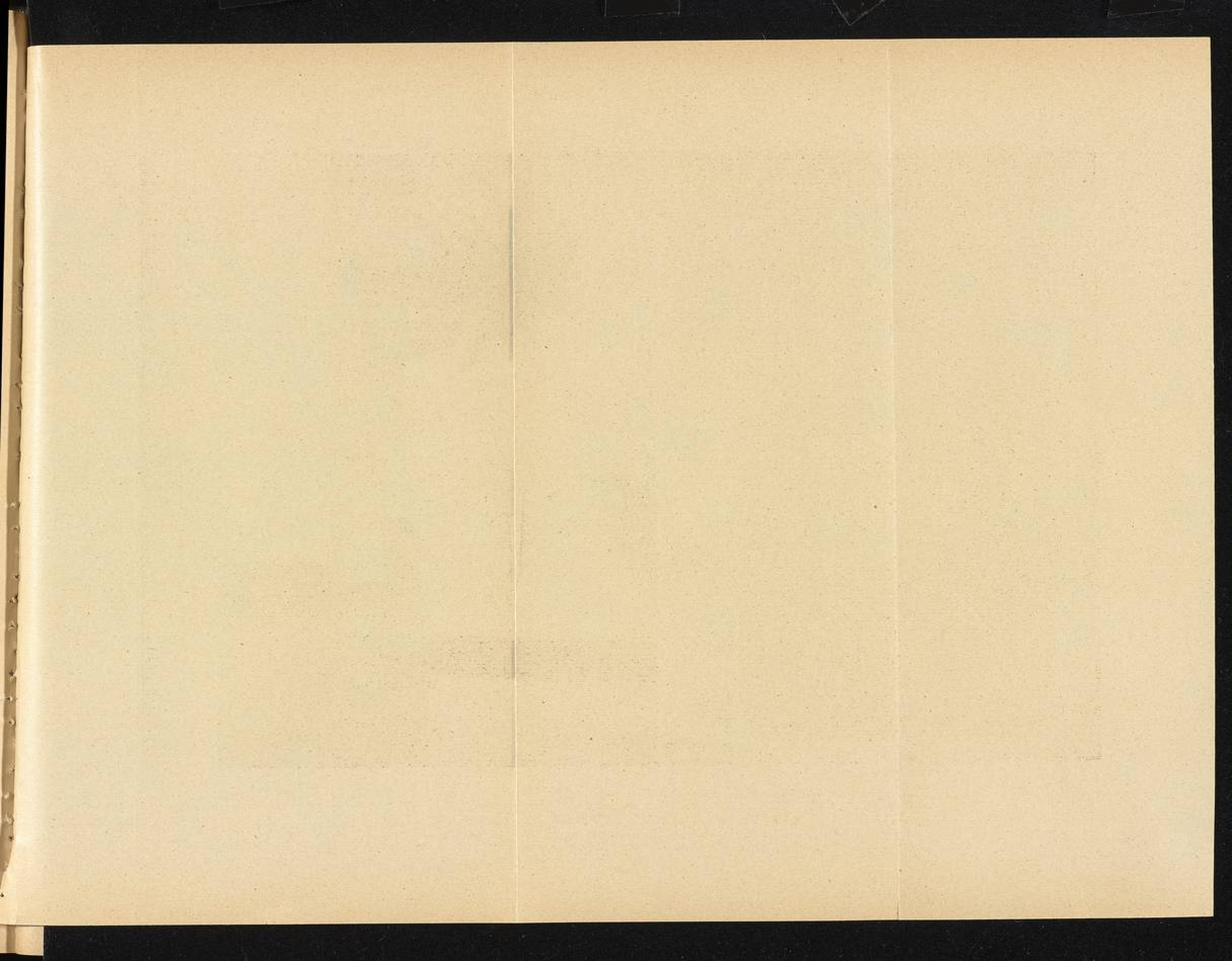


(١)



(١) ضريح عقبة بن نافع الفهري قرب بسكرة

(٢) باب ضريح عقبة – يرجع تاريخ صنعه الى القرن الرابع او الخامس الهجرى (العاشر او الحادى عشر الميلادى)



من قوله للجند قبل ذلك : امر الى مدينة تهودة والى مدينة بادس اعرف ما يكفيهما من العدة والجيوش — وكانا فى ذلك الوقت من اعظم بلاد الجزائر — فاعترضه هنالك كسيلة فى قومه وقد نكثوا ما كانوا عليه ، واستمر عقبة متوجها الى القيروان وقد دبرت له مكيدة اخرى في طريقه حينما كان سائرا الى المغرب الاقصى فكان هناك من تعقبه بردم الابار خلفه ليقطع عليه سبيل العودة ؛ ويظلل عليه الطريق ؛ وما بلغ عقبة مدينة طبنة : بريكة ؛ حتى اطمأن على نفسه فأذن لبعض الفرق من الجند بالتقدم امامه والسبق الى دار الامارة : القيروان ، ولم يبق مع عقبة يومئذ من الجند سوى نحو ثلاثمائة فقط ؛ وحينئذ اسرع اليه البربر والروم وقد سنحت لهم الفرصة يومئذ لقتاله وظهر كسيلة على راس الجند المحارب .

ويذكر ابن الاثير ان ابا المهاجر حين رأى تحفز كسيلة ومسيره نحو المسلمين قال لعقبة : «عاجله قبل ان يقوى جمعه» ثم يقول «فزحف عقبة فتنحى كسيلة عن طريقه ليكثر جمعه» ولقد سئل كسيلة من طرف قومه عن انحرافه عن طريق عقبة فقيل له لم تتنحى من بين يديه ونحن في خمسة آلاف ؟ فقال «انكم كل يوم في زيادة وهم في نقصان ، ومدد الرجل قد افترق عنه فاذا طلب افريقية زحفت اليه» ولما راى ذلك ابو المهاجر تمثل بقول ابى محجن الثقفى

كفى حزنا ان ترتدى الخيل بالقنا    واترك مشدودا عليّ وثاقية
اذا قمت عنانى الحديد واغلقت    مصارع من دونى تصم المنادية

وحينئذ ادرك عقبة خطأه في سياسته مع العاهل البربرى كسيلة ولات حين مناص !..
فأسرع الى ابى المهاجر فأطلقه وقال له «الحق بالمسلمين وقم بأمرهم وانا اغتنم الشهادة فأنف دينار من قول عقبة واجابه بقوله : وانا ايضا اغتنم الشهادة ! . ووقفا جنبا لجنب مستبسلين فى كفاح العدو وترجل القوم وكسروا جفان سيوفهم ونزل الصبر واستلحم عقبة واصحابه رضى الله عنهم ولم يفلت منهم احد وكانوا زهاء ثلاثمائة من كبار الصحابة والتابعين استشهدوا في مصرع واحد وفيهم ابو المهاجر

(تركه) اصحابه فى اعتقاله فأبلى رضى الله عنه فى ذلك اليوم البلاء الحسن واجداث الصحابة رضى الله عنهم اولئـك الشهداء عقبة واصحابه بمكانهم ذلك من ارض الزاب لهذا العهد (بالجنوب الشرقى من مدينة بسكرة — الجزائر —) وقد جعل على قبـر عقبة اسنمة ثم جصـص واتخذ عليه مسجد عرف باسمه وهو فى عدد المزارات ومظان البركة بل هو اشرف مزور من الاجداث فى بقاع الارض لما توفر فيه من عدد الشهداء من الصحابة والتابعين الذين لا يبلغ احد مد احدهم ولا نصيفه . (١) وكان استشهادهم رضى الله عنهم سنة ٦٣هـ - ٦٨٢م

## تملك كسيلة

بعد ما انتصر كسيلة على الفاتح العربى عقبة فى واقعة تهودة المشهورة ، ذهب توا الى مركز القيادة العربية وعاصمة الاسلام الجديدة بافريقية : القيروان ، وكان بها يومئذ زهير بن قيس البلوى خليفة عقبة ؛ فاعتزم هذا اولا على المقاومة ثم عدل عنها نزولا عند راى الجماعة وتدبير اولى الشورى ؛ فانتقل منها سنة ٦٥هـ — ٦٨٤م مرتحلا الى برقة . وترك افريقية نارا تلظى ، ففشت الردة وكثـرت المنازعات والمشاغبات السياسية وبقى الامر على ذلك الى اتمام الفتح على عهد حسان ابن النعمان .

وبخروج زهير من القيروان خرجت افريقية عن ايدى المسلمين ووقعت بيد كسيلة البربرى النصرانى ، فلبث فيها ملكا طيلة هذه الفترة التى بين استشهاد عقبة وعودة زهير بن قيس البلوى ، اى مدة اربع سنوات ، مما دعا العرب الى فتحها من جديد والزحف اليها سنة ٦٩هـ — ٦٨٨م .

---

١) ابن خلدون ج٦ ص١٤٦ و١٤٧

# امراء افريقية وحكامها

| | |
|---|---|
| عمرو بن العاص | ٢٢ هـ — ٦٤٣ م |
| عبد الله بن سعد بن ابى سرح | ٢٧ هـ — ٦٤٨ م |
| معاوية بن حديج الكندى | ٤٥ هـ — ٦٦٥ م |
| عقبة بن نافع الفهرى | ٤٩ هـ — ٦٧٠ م |
| ابو المهاجر دينار | ٥٥ هـ — ٦٧٥ م |
| عقبة بن نافع (للمرة الثانية) | ٦٢ هـ — ٦٨٢ م |

# الخلفاء

| | | |
|---|---|---|
| عمر بن الخطاب | ١٣ — ٢٣ هـ | ٦٣٤ — ٦٤٤م |
| عثمان بن عفان | ٢٣ — ٣٥ هـ | ٦٤٤ — ٦٥٦م |
| على بن ابى طالب | ٣٥ — ٤٠ هـ | ٦٥٦ — ٦٦١م |
| معاوية بن ابى سفيان | ٤٠ — ٦٠ هـ | ٦٦١ — ٦٨٠م |
| يزيد بن معاوية | ٦٠ — ٦٣ هـ | ٦٨٠ — ٦٨٣م |
| معاوية الثانى | ٦٣ هـ | ٦٨٣ م |

# جدول تاريخي

## ٢١ـ٦٣ هـ

## ٦٤٢ـ٦٨٢ م

| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث على عهد الفتح الاسلامي |
|---|---|
| ٢١هـ ٦٤٢م | طليعة عقبة بن نافع الفهري بافريقية، في شهر ذي القعدة ـ سبتمبر ـ |
| ٢٢هـ ـ ٦٤٣م | مسير عمرو بن العاص الى برقة وفتحها وفتح فزان |
| ٢٣هـ « | فتح طرابلس وصبرة ـ بعث ودان ـ عود عمرو من افريقية |
| ٢٧هـ ـ ٦٤٧م | حملة عبد الله بن سعد بن ابي سرح على افريقية |
| ٢٨هـ « | موقعة سبيطلة |
| ٤١هـ ٦٦٣م | بعث عقبة التمهيدي الى الصحراء |
| ٤٥هـ ٦٦٥م | حملة معاوية بن حديج على افريقية |
| ٤٩هـ ـ ٦٦٩م | حملة عقبة بن نافع الاولى على افريقية |
| ٥٠هـ ـ ٦٧٠م | اختطاط القيروان |
| ٥٥هـ ـ ٦٧٤م | ولاية ابي المهاجر دينار على افريقية وفتح المغرب الاوسط : الجزائر |
| ٥٩هـ ـ ٦٧٨م | حصار ابي المهاجر لقرطاجنة |
| ٦٢هـ ـ ٦٨٢م | بدء ولاية عقبة بن نافع الثانية ، الكبرى وحملته على الشمال الافريقي كله |
| ٦٣هـ « | موقعة تهودة واستشهاد عقبة ـ انتصاب كسيلة على عرش القيروان ـ |

# مواصلة الفتح

## حملة زهير بن قيس البلوى

اذا كان اولوا الامر فى الدولة الاسلامية مخيرين فيما مضى بين ان يواصلوا الفتوح او ينصرفوا عنها ، واذا كانت الغزوات على المغرب قد ظلت الى الآن رهنا برغبة الخليفة او الحاح عامل مصر ، فقد اصبحت اعادة ما كان قد تم فتحه الى الطاعة ، واتمام فتح بقية البلاد كما قال الاستاذ حسين مؤنس : ضرورة لا بد منها ، لا للمسلمين وحدهم بل للمغرب واهله كذلك ؛ فلقد ظل رجال الامبراطورية البيزنطية بعد استشهاد عقبة يحتلون الولاية القنصلية احتلالا قويا ، والشريط الساحلى من الولاية الداخلية والجزء الاكبر من نوميديا وظل الروم على اتصال بالملك البربرى كسيلة وقد عاد اليهم نشاطهم لاستعادة مملكتهم بهذه البلاد فتنبه لذلك كله الخليفة الاموى عبد الملك بن مروان ، ورغم ما كان يحيط به فى الشرق من ثورة ابن الزبير واضطرابات الشيعة فلقد امر بتولية زهير بن قيس البلوى اميرا على افريقية ، سنة ٦٩هـ – ٦٨٨م وبعث اليه بأربعة آلاف جندى عربى انضمت الى جيوش زهير التى تبلغ الالفين من البربر ؛ وكان زهير بعد منصرفه من القيروان مقيما ببرقة فسار على طريق الساحل حتى افضى الى جوار القيروان وعسكر بجوارها ؛ وما كاد كسيلة يتصل بخبر حملة زهير هذه حتى جمع اليه قومه وحشد البربر والروم واحضر اشراف اصحابه وقال : «قد رايت ان ارحل (من القيروان) الى ممش(١) فانزلها فان بالقيروان خلقا كثيرا من المسلمين ولهم علينا عهد فلا نغدر بهم ونخاف ان قاتلنا زهيرا ان يثب هؤلاء من ورائنا ؛ فاذا

---

١) ممش او ممس Mamma مدينة بيزنطية حصينة قديمة تقع بجنوب القيروان كانت من محارس الرباط الثانى الكبرى

نزلنا ممش امناهم وقاتلنا زهيرا فان ظفرنا بهم تبعناهم الى طرابلس وقطعنا اثرهم من افريقية وان ظفروا بنا تعلقنا بالجبال ونجونا ، فأجابوه الى ذلك ورحل الى «ممش.» وخرج زهير زاحفا بجنوده الى ممش فكانت هناك المعركة الحاسمة التى انجلت عن قتل كسيلة فى اصحابه وفرار من بقي منهم معتصما بالجبال فأدركهم جيش العرب فقتلوهم ، وبعد ما جال زهير فى ارجاء اعمال القيروان وراى ان مهمته قد انتهت بأخذ الثأر من قاتل عقبة وتخليص المسلمين من عدوهم ولى مسرعا الى برقة قائلا : انى ما قدمت الا للجهاد وأخاف على نفسى أن تميل بي الى الدنيا فأهلك . ولست ارضى بالدنيا لاجل ملكها ورغد عيشها ؛ وتنازل عن ولايته عن طواعية من نفسه ولكن الروم اغتنموا خلو البلاد من امير وتوغل المسلمين فى النواحي الغربية بجهات ملوية فبادروا الى استمداد قيصر القسطنطينية فأمدهم بأسطول ضخم عرجوا به على برقة فأبصرهم زهير هنالك بأيديهم الاسرى من المسلمين ، فأقدم على محاربتهم حتى استشهد هو واصحابه فى حومة الوغى رحمهم الله .

## حملة حسان بن النعمان

كانت مقاومة زهير بافريقية متجهة في الغالب الى ناحية بربر الشمال ، وهم أقوى عناصر المقاومة يومئذ ، وهم الذين اسقطوا عقبة فى الميدان ، ولكنه مع ذلك اغفل ناحية الروم وهم عنصر المقاومة الثانى فلم يحفل بهم لان ريحهم كانت قد سكنت منذ زمن طويل ولم يكن يتوقع ان يستيقظ الروم مرة اخرى كما قال حسين مؤنس ويعودوا الى محاولة استعادة البلاد ، ففاجأوه هذه المفاجأة التى استشهد فيها ببرقة ، لهذا كان مقتله منبها لخلفه من بعده الى انه لا يتم هذا الفتح الا اذ عمل على استئصال العنصر البيزنطى من البلاد ومن هنا كان على الفاتح الجديد ان يتوجه بهمته نحو الروم .

يذكر المؤرخون من العرب لحملة حسان هذه عدة تواريخ فهم مختلفون ما بين سنة ٧٣ الى سنة ٧٩ هـ على ان الراجح من تلك الروايات كلها هو سنة ٧٦هـ ٦٩٥ م حسبما يؤيد ذلك مؤرخوا الروم ايضا فهم متفقون على ان حسان هاجم قرطاجنة هجومه الاول فى هذه السنة .

سار حسان مسرعا الى افريقية بأمر من الخليفة عبد الملك بن مروان وكان عدد جيشه اربعين الفا وهو اعظم عدد عرفته افريقية لجيش العرب منذ ابتداء الفتح ، ولم يشهد الافارقة جيشا اسلاميا عظيما قبل هذا ، فاجتاز ببرقة وطرابلس وهناك وجد نفرا من المسلمين - ما بين عرب وبربر - فأخذهم معه وسار اولا الى القيروان ومنها حمل على قرطاجنة اذ لم تزل يومئذ بيد الروم لم يغزها المسلمون بعد لحصانتها واتصالها بالبحر وقربها من صقلية حيث كانت الامداد تأتيها بسرعة ، فحاصرها حسان مرتين فاستغاث الروم بملك اسبانيا القوطى (١) الذى ازعجه اقتراب العرب من بلاده ، فرجع اليهم حسان للمرة الثالثة فقضى عليهم القضاء الاخير وامر بهدم المدينة وتخريبها حتى لا يبقى للروم ولا للبربر مطمع فى التستر بجدرانها وحصونها ، وبذلك قضى على آخر معقل للروم بهذه البلاد ثم عاد الى القيروان ، وانطلق الروم على وجوههم ملتجئين مشردين فى البلاد فدخلوا بونة - من القطر الجزائري - وغيرها مما وراء البحر كصقلية وسردانيا والاندلس . . .

---

١) القوط قوم من الشعوب البربرية الجرمانية التى هبطت من شمال اوروبا فى اوائل القرن الخامس الميلادى فقوضت صرح الامبراطورية الرومانية وكان من نصيبها اسبانيا

يوم البلاء !...

اطلق المؤرخون هذا الوصف على ذلك اليوم الذى التقى فيه حسان بالكاهنة وما كان إطلاق المؤرخين ذلك من تلقاء انفسهم ، كلا ، وانما هى تسمية اتصلت بهذا اليوم منذ جريان تلك الحوادث الهائلة فيه : حوادث الكاهنة وحسان ، وذلك - لا شك - لهول الموقف وما لحق الناس يؤمئذ من الفزع الاكبر !...

ماكادت الكاهنة تتحقق من اتصال العرب بالجزائر ، وماكادت تتسامع بمسير حسان اليها حتى رحلت من الجبل - الاوراس - في عدد لا يحصى من قومها جراوة ، - وجراوة - هذه هي احدى قبائل البتر الحضر المقيمين فى الاوراس - فحطت رحالها عند باغاية ، وهي مدينة حصينة على سفح الاوراس قرب خنشلة ، تقوم من الجبال مقام الباب من الدار ، وهى لا شك تقصد من ذلك ان تكون على مقربة من مواطن جراوة الاصلية في الاوراس لكي تستمد منها العون او تطلب النجاة فيها اذا دارت الدائرة عليها ، وكان لمجرد وصولها الى باغاية ان امرت بهدم اسوارها وحصونها خشية من تحصن العرب بها ، ولو انها استبقتها لقومها لكان اولى بها في سياستها الحربية من ذلك التحطيم ، فقد ظهر منها بذلك انها لا تحسن الخطط الحربية ؛ ثم سارت من هنالك الى مدينة (سكتانة) (مسكيانة) على مرحلة من باغاية ومجانة بعمالة قسنطينة .

وسار حسان من القيروان حتى دخل تبسة ومنها اتجه نحو الشمال الشرقى فى واد كثير النهيرات والاخوار والزروع حتى ادرك وادى نينى وهو الذى سماه ابن عذارى بوادى سكتانة ، ويسميه ابن خلدون مسكيانة ؛ اى بين عين البيضاء وتبسة ويقول ياقوت ان نينى واد شهير فى طرف افريقية ، وهناك عسكر حسان وجعل ينتظر الكاهنة؛ وكانت المعركة خسارة على العرب وهم بعد مجهودون من آثار حملة قرطاجنة وماتلاها فانهزموا انهزاما شنيعا واسرت منهم الكاهنة ثمانين رجلا، ثم اطلقتهم الا واحدا خالد بن يزيد القيسى وقيل العبسى فتبنته لما راته عليه من الجمال والشجاعة ؛ ولم

تكتف الكاهنة بهزيمة العرب فى قلب الاوراس بل تتبعت حسان حتى اخرجته من حدود افريقية واطمأنت على سلطانها منه ثم عادت ادراجها .

## حسان ببرقة

تقهقر حسان الى برقة ، وبنى هناك قصورا سميت بقصور حسان ، ومنها كتب الى الخليفة يعرض حاله عليه ويبسط له ما حدث ، ومما جاء فى رسالته هذه قوله : ان امم الغرب ليس لها غاية ، ولا يقف احد منها على نهاية ، كلما بدت امة خلفتها امم ، وهم من الحفل والكثرة كسائمة النعم ... فعاد اليه الجواب من امير المؤمنين يأمره بالاقامة حيث وافاه الجواب . فذلك ما حمل حسان على المكث يومئذ ببرقة ثلاث سنوات وبضع شهور «وملكت الكاهنة افريقية كلها واساءت السيرة فى قومها وعسفتهم وظلمتهم»

## الكاهنة فى تحطيم وتخريب البلاد

لم تدرك الكاهنة تطور سياسة الفتح بعد مقتل عقبة وبعد قيام مدينة القيروان ، فانها كانت ترى ان العرب لا يزالون يريدون من الفتوح الا امرا واحدا : الاموال والغنائم والاسلاب فقط ؛ وقد فاتها انهم اليوم غيرهم بالامس وان خطتهم السياسية فى الفتح تغيرت منذ انشأ عقبة القيروان وسقط هو شهيدا فى الميدان ، فانهم اصبحوا لا يريدون من مغازيهم الا استكمال الفتح بادخال الاسلام على اهل البلاد ؛ ولكن الكاهنة لم تشعر بذلك رغم كهانتها ! ... فلما رات ابطاء العرب عنها قالت للبربر ان العرب انما يطلبون من افريقية المدائن والذهب والفضة ؛ ونحن انما نريد منها المزارع والمراعى ، فلا نرى لكم الا خراب بلاد افريقية كلها حتى ييأس منها العرب فلا يكون لهم رجوع اليها الى آخر الدهر ، فوجهت قومها يقطعون الشجر ويهدمون الحصون وذلك ما يسمى بسياسة الارض المحترقة

*La Terre Brulée* مثل ما فعلت روسيا فى حوادث نابوليون (١٨١٢م) ... وقد كانت افريقية على ما يروى ظلا واحدا من طرابلس الى طنجة مسيرة الفى ميل فى مثله، كلها مدائن منتظمة وقرى متصلة حتى انه لم يكن فى اقليم الدنيا اكثر خيرات ولا اوصل بركات ولا اكثر مدائن وحصونا منها ؟...

## اتمام الفتح

لقد اثار صنيع الكاهنة هذا احقاد الكثيرين من اهل البلاد وادركوا انها سياسة خرقاء ، ففيهم من اظهر الاعتراض فأرهقته ، وفيهم من سالم على مضض، وعم الاستياء البلاد ، الامر الذى بلغ ببعضهم ان سعى فى استقدام حسان ونصره ، وجاءت الحامية من دار الخلافة سنة ٨١هـ - ٧٠٠م فكاتب حسان يومئذ خالد بن يزيد فى ذلك، فأجابه فى ظهر الكتاب : ان البربر متفرقون لا نظام لهم ولا راى عندهم فاطو المراحل وجد فى المسير ؛ مما يدل على ان خالدا بقى عند الكاهنة عينا على البربر ويومئذ سار حسان قاصداً معقل الكاهنة بالاوراس ، فلما قرب من البلاد لقيه جمع من اهلها يستغيثون به من الكاهنة فقدموا اليه الاموال والطاعة ، فسره ذلك ، وكانت له هذه اول خطوة فى تحقق النجاح من غزوته

ولما رات الكاهنة ما اصبح عليه اهل البلاد من النفور عنها والاقبال على الفاتحين العرب ، تحققت الخيبة وتوقعت السقوط بيد حسان فاستحيت ان تسلم نفسها ووجدت ذلك عار عليها فاستأمنت لولديها من حسان بواسطة خالد واخذت هى فى اعداد ملجأ لها بجبل اوراس ، وهناك كانت المقاتلة بين الفريقين فى جيوش عظيمة من كلا الطرفين ، فانتصرت يومئذ الجيوش العربية وهربت الكاهنة منهزمة تريد قلعة بسر تتحصن بها فأصبحت القلعة لاصقه بالارض فمضت تريد جبال اوراس ومعها صنم كبير من خشب تعبده فتبعها حسان حتى ادركها وانتصر عليها وقتلها عند بئر الكاهنة ، ونزل الموضع الذى قتلت فيه ؛ ويقول ابن

خلدون انها قتلت : بمكان السر المعروف بها لهذا العهد بجبل اوراس واستأمن اليه البربر على الاسلام والطاعة ، وعلى ان يكون منهم اثنا عشر الفا مجاهدين معه فاجابوا واسلموا وحسن اسلامهم ؛ وعقد للاكبر من ولد الكاهنة على قومهم من جراوة وعلى جبل أوراس (١) وكان الفراغ من وقائع الكاهنة فى رمضان سنة ٨٢ هـ (اكتوبر ٧٠١ م)

## تبكير البربر بالاسلام والعروبة

يبدو من دراسة تاريخ الفتح العربي للمغرب ان هناك طوائف وقبائل كثيرة من البربر اقبلت على اعتناق الاسلام من اول وهلة بدون كبير عناء ولا مشقة ، وان اغلب هذه القبائل هى من فصيلة البتر كقبيلة زناتة وبرغواطة ونفوسة ولواتة وهوارة الخ ..... واكثرهم من اهل الجنوب ؛ وذلك لشدة الشبه بين هذه القبائل الجنوبية والجاليات العربية ، سواء ذلك في حياتهم البسيطة الساذجة ام في اذواقهم وميولهم واتجاهاتهم السياسية ؛ وقد لاحظ البربر فى المسلمين الاستقامة والعدل ، فراوا فيهم المنقذ الوحيد مما هم فيه من الجور السياسى والاظطهاد الديني والفوضى الشاملة ، ومصداق ذلك ما لقيه العرب في البربر من النصرة والنجدة فى حوادث كسيلة بتهودة والكاهنة بالاوراس ؛ فان الذى حمى الاسرى المسلمين عند استشهاد عقبة ، هو ابن مصاد صاحب قفصة والذى تقدم في طليعة جيش حسان الذى ارسله على الكاهنة هو هلال بن شروال اللواتى مع محمد بن ابى بكر فى جماعة من البتر ؛ والذى وفد على الخليفة عثمان بن عفان واسلم على يديه منذ الساعة الاولى هو رئيس مغراوة وسائر زناته: الملك صولات بن وزمار ، واسلام كسيلة ملك اوربة بجبال الاوراس لاول ملاقاته مع ابي المهاجر ، وكاد الاسلام يومئذ يعم افريقية اجمع لولا تلك الاساءة التى اساءها عقبة لكسيلة التى انتجت قتله ووقف

١) معالم الايمان ج ١ ص ٦٠ — ٦١ وتاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ١٠٩

معها سير الفتح العربى اياما ... واسلام ولدى الكاهنة الخ .... وضرورة ان اسلام هؤلاء الرؤساء والملوك : ابن مصاد ، وصولات ، وكسيلة تبعه اسلام قومهم معهم اذ الناس على دين ملوكهم ؛ وللبلاذرى رواية في ذلك تؤيد لنا هذا التبكير فى البربر للاسلام منذ ايام الفتح الاولى ؛ قال : ان عمرو بن العاص ارسل الى عمر بن الخطاب كتابا يعلمه فيه انه قد ولى عقبة بن نافع الفهرى المغرب ، فبلغ زويلة ، وان من بين زويلة وبرقة اسلم كلهم، (فتوح البلدان ص٢٢٤) فكل ذلك وغيره يعلنا على يقين من اقبال البربر على الاسلام من اول مرة ؛ وهذا لا يمنع مما رواه ابن خلدون عن محمد بن ابى زيد من ارتداد البربر عن الاسلام اثنتى عشرة مرة؛ وانهم لم يستقروا على الاسلام الا فى عهد موسى بن نصير ، اجل قد يكون ذلك صحيحا بالاضافة الى الفترات التى تخللت ايام الفتح والاضطرابات التى كانت تحدث اثناء ذلك مما لا يخلو منه عصر من عصور الغزوات والحروب ؛ مع خلو الوطن يومئذ من مرشد او آمر ، فكثيرا ما راينا الغزاة الفاتحين يعودون الى اوطانهم بسرعة بدون ان يبقى فى البلاد احد منهم !... ولا ننس بعد المسافة بين افريقية وبلاد الاسلام ؛ ولا ينكر كذلك ما كان يصيب البربر احيانا من بعض الولاة من العسف والارهاق ؛ فسواء اكانوا البربر ام غيرهم على هذه الحال فانهم — حتما — يرتدون ، ولكن ذلك كله لم يؤثر فى البربر من ناحية الدين ؛ بل كانت اغلب ثوراتهم سياسية اكثر منها دينية . اما المسيحية فقد تضاءل شأنها حتى كاد امرها ان يذهب . واما عن التبكير بالعروبة فإننا لا نستطيع ان نأتى ببرهان اوضح مما ظهر من معجزات البيان على لسان القائد البربرى طارق بن زياد النفزى فى تلك الخطبة المؤثرة البليغة التى سجلها التاريخ للعظة والاعتبار ؛ هى خطبته امام جيشه المغوار يوم تقدم به لفتح الاندلس(١) ؛ وكان مما عمل على تثبيت قدم العروبة فى البربر

١) انظرها في كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة ج ٢ ص ١١٧ ط القاهرة ١٣٢٢ هـ — ١٩٠٤م ووفيات الاعيان لابن خلكان ج ٢ ص ١٧٧ ط بولاق ١٢٩٩ هـ

ما انتشر بينهم من طوائف الجند العربي واختلاطهم بالوافدين عليهم من عرب المدينة وعرب الشام لغزو الاندلس؛ وما بثه الامراء فى القبائل من معلمى القرآن والفقه، فقد حكي الدباغ فى معالمه عن غياث بن شبيب قال كان سفيان بن وهب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم يمر علينا ونحن غلمة بالقيروان فيسلم علينا فى الكتاب وعليه عمامة قد ارخاها من خلفه (١) . فاذا علمنا ان سفيان بن وهب هذا دخل افريقية سنة ٧٨ هـ عرفنا ان الكتاتيب كانت قائمة قبل ذلك التاريخ بالقيروان ؛ ولا تنس كذلك ما كان للبعثة العلمية التى بعث بها عمر بن عبد العزيز الى افريقية من الاثر الحسن فى نشر العروبة وخدمة الاسلام بين البربر. قال بيروني : احتاركل المؤرخين من سرعة تأثير العرب على البربر فى دياناتهم وعاداتهم واخلاقهم ؛ ويوجه ذلك بعضهم بأن العرب والفنيقيين متقاربون فى اللغة، ومتحدون فى الاصل الذى ينشأ عنه تقارب فى الطبائع .

## النظام والادارة

قضى المغرب مدة وجيزة من الزمن تابعا فى ادارته لولاية مصر الى ان تولاه معاوية بن حديج فأصبح ولاية مستقلة ملحقة رأسا بدار الخلافة .

وفى ولاية حسان بن النعمان اختطت الخطط والتراتيب والنظم السياسية والادارية، فهو الذى دون الدواوين وصالح على الخراج وكتبه على عجم افريقية وعلى من اقام معهم على دين النصرانية ، فكأن العرب اعتبروا الاراضى التى كانت للروم فتحت عنوة فاستحلوها واعتبروا اهلها ومن وجدوه عليها موالى لهم يتصرفون فى شؤونهم كما يريدون ؛ فى حين اعتبروا الاراضى التى كانت للبربر مفتوحة صلحا فتركوها فى ايدى اصحابها يؤدون عنها المال للدولة، واعتبروا البربر انفسهم احرارا لهم ما للعرب من الحقوق وعليهم ما عليهم من

---

١) معالم الايمان ج ١ ص ١٢٠

الواجبات ؛ فكان حسان يعاملهم على قاعدة المساواة التامة ليس هناك شعب حاكم وآخر محكوم فالكل امام القانون الاسلامى سواء ؛ فالاحكام تجرى بينهم بالعدل والاحسان ، ويظهر ان منصب القضاء كان للخليفة وحده فهو الذى يعين القاضى كما ثبت عن عمر بن عبد العزيز فانه هو الذى اختار لقضاء افريقية عبد الله بن المغيرة بن بردة الكناني .

ولم يقتصر حسان في نظام الجندية على الجيش العربي فقط ، بل اشرك فيه البربر ايضا . فضم اليه منهم اثنى عشر الفا واتخذ منهم طائفة بمثابة الحرس المتنقل تتجول فى اقطار المغرب لبسط الامن العام ، على انهم لا يفارقونه جميعا في مواطن الجهاد ، وكانت لهم ارزاق ومنح غير ما يصيبونه في الحروب ؛ وكان الوالى يومئذ مكلفا باعطاء الجند والعمال من مال الجباية وما يفيئه الله عليه من الغنائم ، وتؤكد التواريخ العربية على ان ولدي الكاهنة نالا الولاية على قومهما في ادارة حسان بعد اسلامهما ، فكان احدهما رئيسا مدنيا على قبيلة جراوة والآخر على الجيش ، وبذلك وضع حسان اساس الحكومة الاسلامية بهذه البلاد وجعل خططها الفرعية للبربر ، كما اشتغل بانشاء ميناء بحرى جديد تشرف منه ولاية المغرب على البحر الابيض المتوسط فاختط محرس تونس واستخدم الاهالى في صناعة الخشب لانشاء المراكب ، وجاء بألف عائلة مصرية تحسن الصناعات فأسكنها هنالك واسس لهم دار الصناعة بتونس فكانت هذه اول دار اسست للصناعة فى الاسلام ؛ وفيها صنع بعد ذلك بأمر موسى بن نصير مائة مركب ؛ وظلت العملة الرومية رائجة بين المتعاملين فى افريقية الى ان ضرب موسى بن نصير نقوده بها سنة ٩٢ هـ — ٧١٠م وبهذا كانت السياسة الاسلامية فى افريقية اساسا لهذا التطور العظيم فى تاريخ هذه البلاد ، فلم تعد شريطا ساحليا يسكنه جماعة من لمستعمرين المتحضرين ، وفيما يلى ذلك «اهال» متوحشون على درجة يسيرة جدا من الرقى ، وانما اصبحت بلادا واحدة يسكنها شعب مسلم قوى متحضر

ينشىء الدولة ويساهم فى العلم والحضارة الانسانية بنصيب مشكور (١)

## رفاهية افريقيـة

اننا اذا نظرنا الى ما قيل عن افريقية وبلاد المغرب كلها يومئذ من انها كانت ظلا واحدا من برقة الى طانجة : قرى متصلة ومدائن منتظمة ، وما قيل ايضا عن قرى الزاب وحده من انها كانت تبلغ ثلاثمائة وستين قرية كلها آهلة عامرة؛ وما صالح عليه الولاة اهل البلاد من تلك الاموال الطائلة والقناطر المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث (٢) وما ظفر به الغـزاة من عظم الغنيمة ، وما استصحبه معهم القادة والامراء الى الخلفاء من الهدايا والتحف النفيسة ... جزمنا بخصب هذه البلاد ورفاهتيها وسعة رزقها ..

فلقد اهدى حسان الى امير مصر وهو يومئذ عبد العـزيز بن مروان مائتي جارية من ابناء ملوك الروم والبربر وجمالا وخيلا وامتعة ووصائف ووصفان . وذهب الى الخليفة الوليد بشيء كثير من الذهب والفضة والجواهر واليـواقيت فاستعظمه الوليد وعجب من امره ؛ وقد كان سهم الفـارس يومئذ ثلاثة آلاف دينار وسهم الراجل الف الخ ... فكل هذه دلائل على عظمة ثروة البلاد ويسارها، وليس من التـناقض ما قدمه عبد الرحمن بن حبيب للخليفة العباسي المنصور بعد ذلك من هدية فيها بزاة وكلاب وذهب قليل واعتذر له عن ضعف هديته بأن المغرب اليوم بلاد اسلامية لا سبى فيها ؛ فلعل ذلك كان فى ظروف خاصة احاطت بالبلاد لقحط او جدب او لنظرة سياسية هنالك ؟...

---

١) انظر فتح العرب لمغرب ص ٢٧٨

٢) يذكر انه لما أصاب عبد الله بن سعد بن ابى سرح من تلك الاموال الطائلة التى صالح عليها اهل المغرب ، كان هنالك من العرب من أظهر العجب والدهش من كثرة هذا المال ووفرة الغنيمة !... وحينئذ تقدم اليه اهلى يحمل فى يده زيتونة ، يرمز بذلك الى انهم حصلوا على هذه الثروة من فلاحة الزيتون .

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان من اشهر ولاة الجزائر وزعمائها فى هذا العصر زعيم مغراوة ورئيسها العظيم صولات بن وزمار بن صقلاب ، وقبيلته من اشهر القبائل البربرية العتيدة المتفرعة من زناته ، وموطنها بشمال وانشريس ووادي شاف الى البحر، وينتهى شرقا الى وادى السبت قرب متيجة ، وغربا الى البطحاء بناحية نهرمينة من عمالة الجزائر ، ومن بلادها بالجزائر : الاغواط والحضنة وريغة .

وفد هذا الرئيس الجزائرى الجليل على الخليفة عثمان بن عفان واسلم على يده وقيل كانت وفادته على الخليفة صحبة عبد الله بن سعد بن ابي سرح ، وعقدله الخليفة على قومه وابقاه رئيسا عليهم ؛ قال ابن خلدون : فاختص صولات وسائر الاحياء من مغراوة بولاء عثمان واهل بيته من بنى امية ، وكانوا خالصة لهم دون غيرهم من سائر قريش ، وذلك ماكان سببا فى مظاهرة هذه القبيلة للدعوة المروانية بالاندلس بعد ذلك ، رعيا لهذا الولاء .

استمر صولات على رئاسته الى وفاته فورثها عنه ولده حفص فكان من اعظم ملوك زناته ، ثم خلفه من بعده ابنه خزر فاشتهر ملك مغراوة على عهده وعرف بعد ذلك ملوكهم ببني خزر الى ان قضىعليهم المرابطون سنة ٤٧٣ هـ – ١٠٨٠ م

# ملوك الوطن الجزائرى

## ستر ديد ـ كسيلة

لم اقف فى هذا الدور من تاريخ الجزائر على كثير من اسماء الملوك سوى اربعة : صولاة ملك مغراوة ، والكاهنة ملكة جراوة ؛ وستر ديد ، وكسيلة ؛ يقول ابن خلدون : وكانت البطون التى فيها الكثرة والغلب من هؤلاء البربر البتر كلهم لعهد الفتح ، اوربة وهوارة وصنهاجة من البرانس ونفوسة وزناتة ومطغرة ونفزاوة من البتر وكان التقدم لعهد الفتح لاوربة هؤلاء بما كانوا اكثر عددا واشد بأسا وقوة ، وكان اميرهم بين يدى الفتح : ستر دير ابن رومى بن بارزت بن برزيات ؛ ولى عليهم مدة ثلاث وسبعين سنة وادرك الفتح الاسلامى ومات سنة احدى وسبعين هجرية (١) وولى عليهم كسيلة بن لمرم الاوربى فكان اميرا على البرانس كلهم (٢)

اما كسيلة (٣) فلقد ذهب ما سكرى الى انه كان واسع الملك ، وان ملكه امتد الى الاوراس والى ما يليها غربا ؛ ومعلوم ان مركز قوته الحربية ايام الفتح كان المنطقة الجبلية الواقعة بين تاهرت ووهران ؛ وكانت وفاته فى واقعة ممش Memsa — جنوب القيروان قتله زهير بن قيس البلوى سنة ٧٠ هـ — ٦٨٩ م ؟..

---

١) يذهب فورناى Fournel الى ان ابن خلدون اراد ان يقول سنة ٥١ هـ فأخطأ النساخ ورسموه ٧١ هـ ، ورجحه حسين مؤنس فقال : وهذا تعليل معقول لان الحوادث تستقيم به .

٢) انظر ابن خلدون ج ٦ ص ١٤٦

٣) ضبطه ابن الاثير بفتح الكاف وكسر السين المهملة ، انظر اسد الغابة ج ٣ ص ٣٢١ ط القاهرة ١٢٨٠ هـ

# امراء افريقية وحكامها

## الامويون

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| زهير بن قيس البلوى | ٦٩هـ — ٦٨٨م |
| حسان بن النعمان | ٧٣هـ — ٦٩٢م |
| موسى بن نصير (١) | ٨٦هـ — ٧٠٥م |

(١) هو الذى تم على يده فتح بلاد هوارة وكتامة وصنهاجة ومجانة من بلاد الجزائر وغيرها من بلاد المغرب والاندلس

# الخلفاء الامويون

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| مروان بن الحكم | ٦٤هـ — ٦٧٣م |
| عبد الملك بن مروان | ٦٥هـ — ٦٨٥م |
| الوليد بن عبد الملك | ٨٦هـ — ٧٠٥م |

# مشاهير الجزائريين

## الكاهنة

هى ملكة بربرية كانت زوجا لرئيس من رؤساء قبيلة جراوة احدى قبائل البتر المقيمين في الاوراس – جنوب مدينة قسنطينة – واسمها دهيا بنت تابتت بن تيفان وينتهى نسبها الى «جراو» جد القبيلة المذكورة كانت هذه الزعيمة البربرية مقيمة بعاصمتها «تيسدروس» قرب خنشلة ولها ابنان احدهما بربرى والآخر يونانى كما حدثنا بذلك ابن عذارى (١) وكانت تدعى الاطلاع على احوال الغيب والتكهن للناس فعرفت بذلك فى قومها واشتهرت يومئذ بلقب «الكاهنة» ويقال انه كان لها صنم عظيم من الخشب يحمل بين يديها على جمل ، وهناك من المؤرخين من يقول انها كانت على دين اليهودية ؟... واستبدت بالملك بعد زوجها فتملكت كما يقول ابن خلدون خمسا و عشرين سنة ، وعاشت مائة وسبعا و عشرين سنة ، ويقال ان قتل عقبة كان بايعاز وتدبير منها . وهى التى هزمت حسان بن النعمان في غزاته الاولى فتقهقر الى برقة ، واسرت طائفة من جنده فتبنت منهم خالد بن يزيد القيسى واطلقت البقية وعملت يومئذ على تخريب افريقية وهدم البلاد والحصون تثبطا لعزائم العرب عن الفتح حتى لايجدون ملجا او مغارات اومدخلا لعلهم يرجعون ؟... ولكن العرب استمروا مقيمين بطرابلس ينتظرون المدد من دار الخلافة حتى جاءتهم النجدة فحملوا على البلاد فاقتحموها واشتد الخناق يومئذ على الكاهنة وانفت ان تسلم نفسها لحسان ووجدت ذلك عارا عليها ، وربما خشيت ان ياسرها العرب ويحملوها سبية الى دمشق ففضلت ان تستأمن لولديها عند حسان وان تظل هى – ومن بقى على الولاء لها – على حرب العرب فاستقدمت خالد بن يزيد وقالت له انما كنت تبنيتك لمثل هذا اليوم فأوصيك

---

١) انظر البيان المغرب ج ١ ص ٢١

بأخويك هذين خيرا فقال خالد : انى اخاف ان كان ما تقولين حقا ! ان لا يستبقيا ؟... قالت بلى ويكون احدهما عند العرب اعظم شأنا من اليوم ، فانطلق فخذلهما امانا . فانطلق خالد الى حسان فاخبره خبرها واخذ لابنيها امانا ، وكان مع حسان جماعة من البربر البتر فولى عليهم الاكبر من ابنى الكاهنة وقربه (١) وتقول المصادر انها اطلعت بطريق الكهانة على انها مقتولة فاخبرت خالدا بذلك فقال لها اذا فارحلي وخلي البلاد !.... فقالت : وكيف افروانا ملكة ؟... والملوك لا تفر من الموت فأقلد قومى عارا الى آخر الدهر. وهكذا استمرت هذه الملكة الصنديدة الجزائرية على كفاحها حتى دخل عليها حسان الحصن ففرت امامه الى حيث ادركها حسان فقتلها بمكان السر المعروف بجبل اوراس عند بئر العطر التى سميت بعد ذلك بئر الكاهنة ويقال انها قتلت بطبرقة ؟.... بحدود الجزائر الشمالية الشرقية ؛ وذلك في رمضان سنة ٨٢هـ - ٧٠١م وبموتها تم فتح المغرب للعرب - وخاصة الجزائر - وقد كان فتحالا كالفتوح السياسية والانتصارات الحربية العامة بل هو فتح من فتوح الحضارة الشرقية بما فيها من مادة وروح ؛ ذلك لان الاسلام ليس هو مجموعة من طقوس او عبادات وقرب يتقرب بها الانسان الى مولاه فحسب انما هو فوق ذلك مجموع من قواعد ونظم سياسية واجتماعية يستطيع الناس ان يعيشوا بمقتضاها ؛ فالمؤمن لايجد فى الاسلام حلا لمسالة الآخرة فقط بل سبيلا للعيش فى الدنيا سيدا ايضا .

١) راجع فتوح افريقية ص ٢٠١ والبيان المغرب ج ١ ص ٢٢و٢٣

# جدول تاريخي

## ٦٩ ـ ٨٢هـ

## ٦٨٨ ـ ٧٠١م

| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث على عهد الفتح الاسلامى |
| --- | --- |
| ٦٥هـ - ٦٨٤م | انسحاب زهير بن قيس الى برقة واخلاء افريقية |
| ٦٩هـ - ٦٨٨م | انتصار زهير بن قيس فى حملته على كسيلة وقتله |
| ٧٠هـ - ٦٨٩م | وقعة ممس بجنوب القيروان |
| ٧١هـ - ٦٩٠م | مقتل زهير فى برقة |
| ٧٦هـ - ٦٩٥م | مسير حسان بن النعمان الى افريقية وانتصاره على الروم بقرطاجنة |
| ٧٧هـ - ٦٩٦م | واقعة نيني — وادى مسكيانة — وارتداد حسان عن افريقية |
| ٨٠هـ - ٦٩٩م | الكاهنة تخرب افريقية |
| ٨١هـ - ٧٠٠م | مسير حسان الثانى الى افريقية |
| ٨٢هـ - ٧٠١م | انتصار حسان على الكاهنة وقتلها (رمضان — اكتوبر) |

# الخوارج بافريقية

## ١٢٢_١٥٧هـ

## ٧٤٠_٧٧٤م

الخوارج فى التاريخ سم لطائفة او طوائف كانت بايعت على بن ابى طالب بالخلافة ثم خرجت عنه ونقضت بيعتها في قضية التحكيم المشهورة ؛ وهى فى مبايعتها هذه كانت ترمى الى غرضين : فمنها من بايع الامام لكونه يراه احق بذلك من غيره يومئذ ، ومنهم من تقدم الى ذلك اعتزازا به وبغضا للعثمانيين الامويين ؛ وكثيرا ما سمع هذا الفريق الثانى من الخليفة اللعن منصبا على قتلة عثمان وخزيه لهم ؛ فكان ذلك من بواعث الحذر عند هؤلاء خشية اتفاق الكلمة بين الحزبين فعملوا جهدهم على توسيع شقة الخلاف بين معاوية وعلى رضى الله عنهما وكان ذلك سببا في وقعة الجمل المشهورة (١٠ جمادى الثانية ٣٦ هـ — ٥ ديسامبر ٦٥٦م) وهم الذين ايضا حملوا عليا على قبول التحكيم والنزول عنده (الجمعة ١٠ صفر ٣٧هـ ٢٩ جوليبط ٦٥٧م) ثم عملوا على نقض ذلك وحاولوا عليا في رفضه ودعوه الى اعلان ذلك بنفسه فامتنع كرم الله وجهه من مجاراتهم على هذا التلاعب الذى لم يظهر له وجه معقول ، وحيئذ سخط عليه القوم واعلنوا خروجهم عن طاعته والانعزال عن الجماعة ، ثم عاد فريق منهم الى الطاعة واصر آخرون على الخلاف والمعصية . وغادر الفريق الثانى الكوفة وهى يومئذ مركز الخلافة العلوية وسكن بظاهر قرية قريبة منها تعرف بحروراء ؛ وكل ذلك وعلى يعمل على رفع الخلاف وجمع الشمل فبعث اليهم رسله بذلك فقتلوهم وتجاهروا بالعصيان ، وبعد ما انذر الخليفة واعذر حمل على اهل النهروان فأتى عليهم قتلا ؛ ويومئذ تكونت بذرة الخارجية في الاسلام واصبحت بعد ذلك فكرة مستقلة ومبدأ سياسيا خاصا . ثم تطورت الى عقيدة

دينية وطريقة متبعة ، ثم كانت مذهبا مدونا باصوله وفروعه عقيدة وفقها ؛ ثم نشأت عنه فرق كثيرة بلغت العشرين وكلها تنطوى تحت اسم الخوارج ؛ والى ايحاء هؤلاء الخوارج وتعاليمهم السياسية يرجع السبب الاكبر فى ثورات البربر التى عمت المغرب العربى يومئذ او كادت

## الحركات الخارجية بالمغرب

كانت منازعات الاحزاب السياسية بالمشرق على اشدها طوال العصر الاموى ، وعصفت برجال الدولة ثارات العصبية ، فكثر الاضطهاد وتعددت الخصومات ، وكان للامويين طائفة عظيمة من الاعداء السياسيين لا يكفون عن الشغب ولايكف الامويون عن تعقبهم بالاذى ، فكثر فرار هؤلاء من البلاد والتماسهم الامان في ناحية بعيدة عن مركز الدولة ، وكان المغرب من النواحى التى كثر التماس هؤلاء الفارين للامان فيها لاتساعها وتشعب مسالكها وكثرة قبائلها ، وكان الكثير من هذه القبائل ينطوى على السخط على العمال لما يصيبها من الاذى على ايديهم فكانت ترحب بهؤلاء الاجئين لانهم واياها على هوى واحد ، ولهذا كثر وفودهم على المغرب والتجاؤهم الى قبائلة (١)

ولقد حاول البربر التماس سناد لهم يتقون به السلطة العربية فلم يجدوا لهم خيرا من الاخذ بدعوة الخوارج التى ينص دستورها على علم اشتراط القرشية فى الخلافة ، وبقوا ينتظرون الفرصة لذلك حتى سنحت لهم على عهد امير افريقية عبيد الله بن الحبحاب الذى كان وقتئذ مهتما ومشتغلا بتجهيز جيش الفتح الى صقلية؛ فاندفع البربر يومئذ نحو تكوين دولة لهم مستقلة عن الحكومة المركزية ، فانتحلوا

---

١) انظر فتح العرب للمغرب ص ٢٩٢ و٢٩٣

مذهب الصفرية والاباضية (١) من الخوارج وترقبوا خروج الجيش العربي وفراغ الجو فاتفق يوما ان شخص الجند الى مدينة طبنة عاصمة الزاب (غربي اوراس)، فنهض البربر في نحو الاربعين الفا من الصفرية وخمسة وعشرين الفا من الاباضية ملتفين حول رئيسهم ميسرة المطغرى (٢) الصفرى الخارجي، واوقدوا ثوراتهم بالمغرب الاقصى فاحتلوا طنجة فعزلوا عنها عاملها يومئذ عمر بن عبد الله المرادى وبايعوا بها صاحبهم ميسرة خليفة سنة ١٢٢هـ — ٧٤٠م فكان هذا اول من دعى باسم الخلافة بالمغرب من البربر ثم انقلبوا عليه فقتلوه وولوا مكانه خالد بن حميد الزناتي، فقام هذا بشأنهم وزحف بهم فيما بين المغربين : الاوسط والاقصى، وجاءت عساكر الامير ابن الحجاب لرد هجمات البربر والتقى الجمعان بوادى شلف فانهزم فيها الجند العربي وقتل قائده يومئذ خالد بن حبيب وهي الواقعة المشهورة بواقعة الاشراف (١١٤هـ-٧٣٢م)

وفي سنة ١٢٣هـ-٧٤١م تذمرت الرعية من عسف الامير كلثوم بن عياض حيث كان يعاملها معاملة الرعايا الملزمين بأداء الجزية على الرغم من كونهم مسلمين قائمين بجميع الواجبات، فاشتكت امرها الى حبيب بن عبيدة بن عقبة بن نافع المقيم يومئذ بتلمسان، فكاتب هذا الى كلثوم ينهاه عن ذلك ويتهدده، فبعث كلثوم بالاعتذار الى حبيب تصنعا؛ ثم زحف بجنوده على تلمسان فقاتل

---

١) هما من اشهر واكبر فرق الخوارج الستة، فالصفرية هم اتباع زياد بن الاصفر، وقيل يعقوب بن ليثس الصفرى نسبة الى صناعة الصفر - النحاس -، وقيل هم اتباع عبد الله بن صفار السعدى وهو احد بني مقاعس الحارث بن عمرو، وقيل عبد الله بن صفار من بني صويمر بن مقاعس؛ وزعم بعضهم ان الصفرية بكسر الصاد؟.. ويقال لهم الزيادية والنكارية. والاباضية هم اتباع عبد الله بن اباض - بكسر الهمزة - المقاعسي التميمي الصريمي المتوفى سنة ١٣٠هـ - ٧٤٨م. ويقال انهم ينتسبون الى اباض - بضم الهمزة - وهي قرية بالعرض من ارض اليمامة لم ير اطول من نخلها، نزل بها نجدة بن عامر الخارجي وتسمى بأمير المؤمنين.

٢) ويقال ايضا المدغرى بالدال لا بالطاء نسبة الى المداغر الذين هم بأزاء ندرومة.

حبيبا ... وهكذا وجد رسل الخوارج المقبلون من المشرق واكثرهم من المنهزمين في حروب العصبيات امام المروانيين ؛ مرتعا خصبا لبذر تعليمهم حيث كانت النفوس مستعدة للثورة ، فحرصوا البربر على الخروج عن الخليفة الاموى وحركوهم لرفع راية العصيان ، حتى اذا تقدم البربر الى الخليفة بالشكوى فلم يستجب لهم ولم يسمح لهم حتى بالمثول امامه ، فاندلعت بافريقية حينئذ نيران الثورة من كل جهة ، وتوالت بعد ذلك الفتن وبقيادة هؤلاء الخوارج فدخلوا القيروان مرارا ؛ وهكذا حتى جاء حنظلة بن صفوان اميرا على افريقية سنة ١٢٤هـ - ٧٤٢م فحارب الخوارج واجلاهم وشرد جموعهم في مقتلة عظيمة ، قيل انه ما علم في الارض مقتلة كانت اعظم منها ، وانتشرت الفوضى والاضرابات فعمت المغرب كله من اقصاه الى اقصاه ويومئذ ظهر الفهريون احفاد عقبة بن نافع على مسرح تاريخ المغرب منهم عبد الرحمن بن حبيب الفهرى الذى غزا تلمسان سنة ١٣٥هـ-٧٥٢م وظفر بالبربر ودوخ افريقية كلها وذلل من بها من القبائل البربرية ؛ واستبد هؤلاء الفهريون بالادارة فبان ضعفهم وظهر عجزهم امام الخوارج الذين تغطرسوا على الحكومة العربية الى ان جهز لهم الخليفة ابو جعفر المنصور جيشا يشتمل على خمسين الف جندى موزعا تحت رعاية ثمانية وعشرين رجلا من خيرة القادة والرؤساء والكل تحت امرة واشراف القائد الاعلى محمد بن الاشعث امير مصر : فجاءت الجنود الى افريقية صيف سنة ١٤٤هـ - ٧٦١م فقضت اولا على ريح الثوار بطرابلس ومات يومئذ قائد الثوار ابو الخطاب بن السمح الاباضى في شهر صفر — ماى — ، فظن ابن الاشعث بذلك انه قد قضى على الفتنة بقتل ابى الخطاب ، وان الخوارج سينتهون عن خطتهم ويعودون الى الطاعة ، وسرعان ما علم ان هناك ستة عشر الف ثائر تنتظر امر رئيسها ابى هريرة الزناتى ، فتقدم الى هؤلاء فقاتلهم في شهر ربيع الاول ، صيف سنة ١٤٤هـ - ٧٦١م وتغلب عليهم فدخل القيروان عاصمة الامارة فجدد سورها واتمه في سنة ١٤٦هـ-٧٦٣م وما

كاد يستقر على عرشها حتى نهض بعض النداد والشراد الى مقاومة جيش الامارة العربية تحت قيادة احدهم يدعى‌ها شم بن الشاحج فهزموا جند الامير وتفرقوا فى البلاد وذهب رئيسهم الى تاهرت وقد كان معه من الاتباع نحو العشرين الفا ، ومنها ذهب الى تهودة بالزاب الجزائرى وهنالك قهرتهم الجنود العربية فاندحروا منهزمين ، وماكاد الامير يستريح من هذه الفتنة القائمة حتى فاجأه ثائر آخر من الجند يدعى عيسى بن عجلان الخراسانى ومعه طائفة من القادة العصاة فشنوا على الاماوة العربية حربا عوانا اعجزت ابن الاشعث عن المقاومة حيث تكاثرت ضده الوقائع والفتن، وكان هو في اقلية من الحامية والعساكر بسبب كثرة من مات منهم في تلك الحروب ، وحينئذ خرج ابن الاشعث من المغرب عائدا الى ولايته ومنصبه بمصر؛ وكان على ولاية الزاب يومئذ الاغلب بن سالم التميمى فعينه الخليفة اميرا على افريقية؛ فخرج يومئذ من دار عمالته طبنة ، وذهب الى القيروان ، وذلك في اواخر جمادى الثانية سنة ١٤٨هـ جوليط ٧٦٥م وخلفه على الزاب يومئذ عمر بن حفص بن قبيصة المهلبى المعروف بهزار مرد وبأبى‌الدوانق

## ثورة ابى قرة بتلمسان

انفق ان قبائل من البربر منهم مغيلة وبنو يفرن قد نقضوا بيعتهم ونهضوا بنواحى تلمسان فخرجوا عن الطاعة وبايعوا صاحبهم ابا قرة اليفرنى الصفرى(١) بالخلافة حوالى سنة ١٤٠هـ-٧٥٧م وثارت الحرب ضد الحكومة العربية فنهض اليهم الامير الاغلب بن سالم فشتت شملهم من غير قتال؛ ثم كانت الهزائم والحروب بينهم سجالا ، ومات الاغلب فيها في شهر شعبان سنة ١٥٠هـ – سبطمبر ٧٦٧م . فخلفه على الامارة ايضا عمر بن حفص المهلبى المعروف بهزار مرد والمشهور بأبى الدوانق وكانت بداية تاريخ امارته فى صفر ١٥١هـ – فيفرىى ٧٦٨م . وبعد ثلاث

١) هو الذى نزل عليه صقر قريش عبد الرحمن الداخل مقدمه من الشرق واختفى عنده

سنوات وأشهر من امارته أمر من طرف الخلافة بالمسير إلى مدينة طبنة عاصمة الزاب الجزائرى لتجديد بنائها وترميمها ؛ وقد بلغ سيبها يومئذ عشرين الفا ، فخرج عمر من القيروان واستخلف عليها حبيب بن حبيب المهلبى وبينما الامير منكبا على عمله في تعمير طبنة اذ انتقض عليه المغرب كله وجاءته الجموع الثائرة من كل جانب فاحاطت بالزاب وخاصة حيث الامير بطبنة ؛ وبلغ عدد جند الثورة يومئذ واحدا وسبعين الفا ؛ فكان مع ابى قرة منهم اربعون الفا ، ومع عبد الرحمن بن رستم خمسة عشر الفا ، ومع عاصم السدراتى ستة آلاف ، ومع المسعود الزناتى عشرة آلاف فارس ، وغيرهم من الاتباع كثير ، ولما تحقق الامير منهم الخطر عزم على محاربتهم والخروج اليهم بنفسه فمنعه الخاصة من اهل مشورته وقالوا له: اخرج منا من اردت الى عدوك ولا تبرح مكانك من طبنة ، فانك ان اصبت تلف المغرب وفسد ، وحينئذ لجأ الى الحيلة والدهاء واهتدى الى انقاذ الموقف بتقديم الاموال والحلل الفاخرة والهدايا الثمينة الى كل من ابى قرة واخيه فصانعهما بذلك، فعملا حينئذ على سحب الجنود من يومهما ، ثم لحقتهم جيوش الامير بتهودة فقضت على فئة عبد الرحمن بن رستم وهزمته الى تيهرت. ويومئذ اخذ امر الخوارج فى الضعف والانحلال واستمرت الوقائع تتكرر وتتجدد بين الخوارج والحكومة العربية ما بين مد وجزر الى ان قضى عليهم الامير يزيد بن حاتم المهلبى سنة ١٥٧هـ — ٧٧٤م فاستكانوا حينئذ للغلب واطاعوا للدين ؛ وقد بلغت وقائعهم نحو ثلاثمائة وخمس وسبعين وقعة فى مدة لا تزيد عن خمس وثلاثين سنة ؛ وكل هذه الوقائع نشأت كما ذكرنا آنفا عما جبلت عليه اخلاق البربر وما تركز فى غريزتهم من حب الحرية الى حد الفوضى وكراهية السلطة عليهم كيفما كان نوعها ، وما تهدف اليه عقيدة الخوارج من وجوب القيام على الحكومات الوراثية ، وكان الحافز الاكبر في ذلك ما كان عليه بعض ولاة المغرب يومئذ من العسف والجور ، فهذا مادفع باهل المغرب الى احضان الدعوة الخارجية .

## امارات الخوارج بالجزائر

كانت الحركة الخارجية بالمغرب عاملا قويا فى استقلال بعض القبائل الجزائرية تحت امارات اباضية ، فمنها امارة بنى مسرة وهم فخذ من زناتة ، وعاصمتهم «اوزكا» بنواحي سعيدة بعمالة وهران على ثلاث مراحل بجنوب تيهرت ورئيسهم عبد الرحمن بن اودموت بن سنان ثم تنقلت الرئاسة في بنيه من بعده . وامارة بنى دمر بنواحى قصر البخارى من عمالة الجزائر وعاصمتهم فيها «تيمطلاس» ورئيسهم مصادف بن جرتيل ، كان بين حصنه وبلد متيجة مسير ثلاثة ايام مما يلى البحر ، وامارة هوارة بنواحى وادى شلف حوالى نهرمينة شرقا ومدينة سيق غربا من عمالة وهران ، وعاصمتها «قلعة مغيله دلول» على مسافة يومين من مستغانم – بتقديرهم وهو ما يبلغ نحو المائة كيلومترا ؟ – ، وكانت رئاسة هؤلاء لرجل يقال له ابن مسالة الاباضى ، وهو مخالف للائمة الرستميين بتيهرت

## المجتمع المغربي

ان اعظم واجل مظهر برزت به افريقية العربية المسلمة فى هذا العصر هو اتجاه شمالها الى الشرق فى اقتباس حضارته ومدنيته ؛ فإلى مركز الوحى كان التفاته فى تصحيح عقائده وعباداته ؛ والى عواصم الشرق اللامعة كان اتجاهه فى ثقافته العلمية الفنية ، لو لا ما نشأ يومئذ عن بعض الواردين عليه من المشرق من دعاة الحزبية والطائفية والسياسة المفرقة فحاد عن جادة الاسلام حتى كاد يكون ان لا اسلام !... فنشأت عن ذلك تلك الفتن والاضطرابات التى شملت المغرب العربى كله وكانت منها تلك الوقائع التى فصلناها فيما تقدم وكلها نشأت عن سوء التوجيه فى نشر تعاليم الاسلام مع ما يمازجها من النزعات السياسية والمذهبية وقد نشأ عن ذلك نفور في النفوس من اهل التأويل والاحتكام الى العقل من المشارقة ، فابتعدوا لذلك عن مذهب ابي حنيفة الذى اشتهر اهله بالراى والقياس وتركوا فقهه

ونبذوا عقائد المعتزلة نتيجة لما اصاب بلادهم وما تعرضت له من المتاعب بسبب اصحاب الآراء والتأويلات من دعات الآراء المتطرفة وتمسكوا بالكتاب والسنة تمسكا شديدا حتى انهم رفضوا القياس والاجماع ؛ واقبلوا يومئذ على الاخذ بما جاءهم به من حضر مجالس مالك بن انس بالمدينة ممن قصد الحجاز من طلبة العلم الافارقة حيث علموا فيه التزام القرآن والحديث والابتعاد عن التأويل والقول بالرأى مع الاقتصاد فى القياس ما امكن وان كان جل اعتماد امراء افريقية من العرب فى هذه الفترة الى آخر عهد الاغالبة على العراقيين من فقهاء المذهب الحنفى ، وبذلك انقسم اهل المغرب الى قسمين ، فالحكام كانوا على مذهب اهل العراق ، والافريقيون وزعماؤهم من الفقهاء كانوا مالكية ، وقد شعر الحكام والامراء بهذه المعارضة القوية الخطرة التي يتزعمها اولئك الفقهاء ، فبطشوا ببعضهم وقتلوا البعض الآخر ، فزاد ذلك من تقدير الناس اياهم ، ولم يصبحوا مجرد فقهاء ذوى دين وخلق متينين فحسب ؛ بل شهداء لقوا الاذى والحتوف ايضا في سبيل العقيدة الصحيحة وفي سبيل الضعفاء والمظلومين من اهل البلاد ، وانتقلوا — بهذه الصفة المزدوجة — الى مقام الاولياء ، وارتبط فى اذهان الناس معنى الولى بصورة الزعيم القومى ، وهكذا نرى مبادى العقيدة التى اشتهر بها اهل المغرب فى الاولياء والصالحين ، ونستطيع ان نفسر تفانى المغاربة فى سبيل الصالحين وكبار الفقهاء ، ذلك لان الولاية ارتبطت فى اذهانهم بمعنى الدفاع عن الحق وحماية الرعية من الحكام الاجانب ، ومن هنا نضع ايدينا علي عصب ثان من اعصاب التاريخ المغربي الاسلامى ، عصب الايمان فى الزهاد والاولياء الذى ما زال ينبض حتى قامت بفضله الدول المغربية الاصلية ، وغير غريب فى هذه الحالة ان نجد الذين وضعوا اسس دولتي المغرب الكبيرتين — المرابطين والموحدين — كانوا من الفقهاء المالكيين على وجه التحديد (١) ، وبذلك عم

١) راجع مقدمة حسين مؤنس لكتاب رياض النفوس ط القاهرة ١٩٥١م

تقليد المذهب المالكي وصاحبه في سيرته ، وحتى في حياته الخاصة التي كان يعيشها الامام لنفسه ، سواء ذلك في مأكله ومشربه وملبسه وفي مشيته وحديثه الخ . .
وبذلك نستطيع ان نقول ان حضارة المغرب العربي وتهذيبه كانا على يدي مالك كما ان تمدن الاندلس كان على يدي زرياب

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان من اشهر من عرفه التاريخ من ولاة الجزائر في صدر الاسلام ؛ الاغلب بن سالم التميمي عامل طبنة - عاصمة الزاب الجزائري - قبل ولايته الامارة ؛ كما عرفنا المهنا بن المخارق الذي استخلفه عليها ايضا عمر بن حفص سنة ١٥٤هـ - ٧٧١م ، وعاصم السدراتي ، والمنصور الزناتي ، وعبد الملك بن سكرديد الصنهاجي الصفري والفضل بن روح قبل امارته وهو آخر المهالبة بها ، فكل هؤلاء كان على ولاية طبنة ؛ وكان على ولاية تلمسان ابو قرة اليفرني ، وموسى بن ابي خالد مولى معاوية بن حديج ، عزله ابن الحبحاب وولى مكانه حبيب بن ابى عبيدة ، وكان على ولاية وطن زناتة بهذا المغرب الاوسط عبد الجبار بن قيس المرادى ، وامير ورفجومة النفزاوية بجبل اوراس عاصم بن جميل الكاهن

# امراء افريقية وحكامها

## الامويون

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| عبد الله بن موسى بن نصير (اثناء تغيب والده بالاندلس) | ٩٥ هـ-٧١٤م |
| محمد بن يزيد ، مولى قريش (١) | ٩٦ هـ-٧١٥م |
| اسماعيل بن عبد الله بن ابى المهاجر دينار | ٩٩ هـ-٧١٨م |
| يزيد بن ابى مسلم دينار الثقفى | ١٠١هـ-٧٢٠م |
| محمد بن اوس الانصارى | ١٠٢هـ-٧٢١م |
| بشر بن صفوان الكلبى | ١٠٢هـ-٧٢١م |
| عبيدة بن عبد الرحمن (بن ابى الاغر) السلمى (ربيع الال-جوان) | ١١٠هـ-٧٢٩م |
| عبيد الله بن الحبحاب الموصلى (ربيع الثانى-ماي) | ١١٦هـ-٧٣٥م |
| كلثوم بن عياض القيسى (القشيرى؟) (رمضان-جوليط) | ١٢٣هـ-٧٤١م |
| حنظلة بن صفوان الكلبى (ربيع الثانى-فيفرى) | ١٢٤هـ-٧٤٢م |
| عبد الرحمن بن حبيب الفهرى | ١٢٧هـ-٧٤٥م |
| الياس بن حبيب الفهرى | ١٣٨هـ-٧٥٦م |

١) كانت له عملة مضروبة باسمه

# الخلفاء الامويون

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| سليمان بن عبد الملك | ٩٦ هـ-٧١٥م |
| عمر بن عبد العزيز | ٩٩ هـ-٧١٧م |
| يزيد بن عبد الملك | ١٠١هـ--٧٢٠م |
| هشام بن عبد الملك | ١٠٥هـ-٧٢٤م |
| الوليد بن يزيد بن عبد الملك | ١٢٥هـ-٧٤٣م |
| يزيد بن الوليد | ١٢٦هـ-٧٤٤م |
| ابراهيم بن الوليد | ١٢٦هـ-٧٤٤م |
| مروان بن محمد الجعدى | ١٢٧هـ-٧٤٤م |

# امراء افريقية وحكامها

## العباسيون

| | | تاريخ التولية |
|---|---|---|
| حبيب بن عبد الرحمن | (رجب—ديسامبر) | ١٣٨هـ-٧٥٥م |
| عاصم بن جميل الورفجومى (ثائر) | (محرم — ماى) | ١٤٠هـ-٧٥٧م |
| عبد الملك بن ابى الجعد اليفرنى (ثائر) | | ١٤٠هـ-٧٥٨م |
| ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى الاباضى | | ١٤١هـ-٧٥٩م |
| محمد بن الاشعث الخزاعى | | ١٤٣هـ-٧٦٣م |
| عيسى بن يوسف (او موسى) الخراسانى | (ربيع الاول-افريل) | ١٤٨هـ-٧٦٦م |
| على بن موسى الخراسانى (ثائر) | | ١٤٨هـ-٧٦٦م |
| الاغلب بن سالم بن عقال التميمى | (جمادى الثانية — جوليط) | ١٤٨هـ-٧٦٦م |
| الحسن بن حرب الكندى | | ١٤٩هـ-٧٦٦م |
| الاغلب (للمرة الثانية) | | ١٥١هـ-٧٦٧م |
| بنو المهلب | | |
| ابو جعفر عمر بن حفص هزار مرد المهلبى(١) | (صفر - فيفري) | ١٥١هـ-٧٦٨م |
| ابو خالد يزيد (٢) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب | | ١٥٤هـ-٧٧٠م |

١) ضرب العملة باسمه

٢) استمر ابو خالد على إمارته بافريقيه الى ان توفي يوم ١٨ رمضان سنة ١٧٠هـ—٨ ماى ٧٨٧م وقد ضرب العمله باسمه ، وفى عهده تأسست الدوله الرستميه بتيهرت سنة ١٦٠هـ—٧٧٦م وهى اول دولة مسلمة تأسست مستقلة بالجزائر

# الخلفاء العباسيون

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| ابو العباس السفاح | ١٣٢هـ-٧٥٠م |
| ابو جعفر المنصور | ١٣٦هـ-٧٥٤م |
| المهدى بن المنصور | ١٥٨هـ-٧٧٥م |
| الهادى بن المهدى | ١٦٩-٧٨٥م |
| هارون الرشيد | ١٧٠-٧٨٦م |

# مشاهير الجزائريين

## سمكو بن واسول

هو بربرى من قبيلة مكناسة من اهل مواطن ملوية ، كان يعد من تابعى التابعين ، وهو جد ملوك سجلماسة من بنى مدرار كان من حملة العلم الذين اخذوا عن عكرمة مولى عبد الله بن عباس ، وناهيك بعكرمة ، فقد قيل لسعيد بن جبير هل تعلم احدا اعلم منك ؟... فقال : عكرمة ؛ وجزم ابن خلكان في تاريخه بان عكرمة من برابرة المغرب

## ابو الوليد مروان المسيلى

ترجم له ابو العرب فى طبقات علماء افريقية وقال عنه انه كان ثقة مستجابا فاضلا فى مثل سن سحنون بن سعد ، وكان سحنون يقول : مروان رجل صالح وهو مولى آل عمر بن نافع سمع من عبد الرحمن بن مهدى ووكيع بن الجراح الذى قال فيه احمد بن حنبل : ما رايت احدا اوعى من وكيع ولا احفظ ، وكيع امام المسلمين . وكان سحنون يعرف فضله، وحدث عن ابى الوليد هذا ولده عبد الرحمن فقال : كان ابى يعمل الطوب بيده ، فيتصدق بثلث ما ربح ، وينفق الثلث ويرد ثلثا فى الطين والتبن وفيما يصلح به عمل الطوب . قال : ولم يكن له سرير يرقد عليه ، انما كان قد نصب طوبا فعليه ينام فى بيته . وكان يرمى بالتشبيه ، فقيل لسحنون ان مروان يرى التشبيه فلم يقبل ذلك وقال : مروان لا يقول الاماروى ؛ ونمى ذلك الى الامير محمد بن الاغلب فوجه فى طلبه فوافي قبل دخوله عليه خصيا بيده عود اوطنبور فأخذه مروان من يده بنزع

عنيف فكسره . فدخل الحصي على الامير وقال شيخ بالباب كسر من يدي كذ وكذا وخرق الحصي ثيابه لعظم ما نزل به عند نفسه، فلما دخل مروان على الامير عاتبه فيما صنع، فقال نعم رايت منكرا فغيرته !... فلم يراجعه الامير، وسأله عن مذهبه فيما قيل له وما يدين به في ذلك؟ . فقرأ عليه سورة الاخلاص حتى ختمها. قال وانما شنع عليه اهل الزيغ وكان بعيدا مما قيل فيه .... قال وكان موته فيما احسب قريبا من موت سحنون (١) في حدود سنة اربعين ومائتين للهجرة

١) طبقات علماء افريقيه لابى العرب ص ١١٥ ط باريس ١٩١٥م ورياض النفوس للمالكي ص ٣٠٣ ط القاهرة ١٩٥١

# جدول تاريخى

## ٨٥ ـ ١٥٧هـ

## ٧٠٤ ـ ٧٧٤م

| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث |
| --- | --- |
| ٨٥هـ-٧٠٤م | عزل حسان وبدء ولاية موسى بن نصير |
| ٨٦هـ-٧٠٥م | فتح زغوان |
| ٨٩هـ-٧٠٧م | حملة موسى بن نصير على المغرب الاوسط : الجزائر |
| ٩٠هـ-٧٠٨م | حملته على المغرب الاقصى |
| ١٢٢هـ ٧٤٠م | ثورة ميسرة المطغرى - او المدغرى - ومبايعته بالخلافة |
| ١٢٣هـ ٧٤٠م | واقعة الاشراف بنواحي وادى شاف ؛ ومقاتلة كلثوم بن عياض لحبيب بن عبيدة بتلمسان |
| ١٢٤هـ ٧٤٢م | واقعة القرن والاصنام ، وحروب حنظلة بن صفوان مع الخوارج |
| ١٤٠هـ ٧٥٧م | ثورات البربر بنواحي تلمسان ومبايعتهم لابن قرة اليفرني مؤسس مملكتهم |
| ١٤٤هـ ٧٦١م | مقاتلة محمد بن الاشعث للخوارج وموت زعيمهم ابى الخطاب |
| ١٤٨هـ ٧٦٥م | مقاومة الاغلب بن سالم التميمى لبرابرة تلمسان |
| ١٥٠هـ ٧٦٧م | حصار البربر من الخوارج للامير ابى جعفر عمر بن حفص بمدينة طبنة |
| ١٥١هـ ٧٦٨م | تعمير طبنة على يدى الامير عمر بن حفص |
| ١٥٧هـ ٧٧٤م | قضاء يزيد بن حاتم على الخوارج |

# الدولة الرستمية

## ١٦٠_٢٩٦هـ

## ٨٧٦_٩٠٩م

### نشأتها

خرج ابو الخطاب عبد الاعلى بن السمح المعافرى امام الاباضية من القيروان سنة ١٤١هـ-٧٥٨م لقمع شوكة قبيلة وفرجومة المقيمة طرابلس، واستخلف عنه القاضى عبد الرحمن بن رستم، وبقي ابو الخطاب هنالك الى سنة ١٤٤هـ- ٧٦١م حيث بعث لابن رستم ليلتحق به فى وقائع الامير محمد بن الاشعث ؛ وماكاد ابن رستم يتصل فى جنوده وعساكره الجرارة بأبى الخطاب حتى بلغه نعيه وانهزام جيشه ؛ وشاهد يومئذ ابن رستم فى قابس حوادث ثورات الاهالى على العامل بها ؛ فما وسعه الا الرجوع الى القيروان فصادفها كذلك فى ثورة عامة فتسلل منها فى اهله وولده وخرج مختفيا عن الاعين الى ان حل بالمغرب الاوسط فنزل على قبيلة (لماية) بجبل منيع يسمى سوفجج. فاقبله اهالى الجبل بما يليق به من الاكرام، وشاع يومئذ ذكره فى الآفاق فوفدت عليه وجوه الاباضية من العلماء والاعيان واخذوا حينئذ فى تدبير امرهم وتنظيم شؤونهم من رفع شأن الخوارج بإنشاء دولة لهم؛ وبينما القوم يخوضون فى ذلك اذ فاجأتهم جنود ابن الاشعث فأحاطت بالجبل ثم ارتدوا عنه بأمر اميرهم ؛ ويومئذ خرج ابن رستم فى اصحابه يطلبون مكانا منيعا يتخذونه كمركز لبث دعوتهم ونشر مباديهم فيه ، فكان ذلك المكان بعمالة وهران على غيضة بين ثلاثة انهر عند سفح جبل جزول ، هو (تيهرت) المعروفة اليوم بتاقدمت غرب المدينة الرومانية (تيارت) الحالية اي على نحوخمسة اميال منها،

وكان شروعهم فى ذلك سنة ١٤٨هـ — ٧٦٥م ؛ ثم كانت بيعة عبد الرحمن بن رستم بالامامة فيه سنة ١٦٠هـ-٧٧٦م فكان بذلك عبد الرحمن اول مؤسس لدولة اسلامية جزائرية مستقلة ، ويبدو من عدم مقاومة الامير العباسى بالقيروان لهذه الدولة الجزائرية الناشئة ان الامارة العربية كانت ضعيفة بالمغرب العربى يومئذ ؛ كما ان اهمال الاغالبة لها هو كذلك من بواعث نشاطها في توطيد ملكها بهذه الديار.

ولقد نجحت هذه الدولة في تأسيس مركزها هذا فوفقت فيه غاية التوفيق فإن قرب تيهرت من الصحراء يمنعها من الوقوع في يد العدو فى الحرب ، كما ان موقعها هذا بين جبال الاطلس الى بلاد التل الخصيبة جعلها تهيمن على بلاد المغرب من جهاتها الاربع . فلاهى متطرفة جنوبا ولا شمالا ، ثم انها كانت حسب موقعها الجغرافى ايضا متوسطة بين ولاية تونس والمغرب الاقصى.

## نظامها الحكومى

يرتكز محور هذه الدولة على قواعد الكتاب والسنة حسب اجتهاد ائمة المذهب الاباضى تحت ادارة واشراف رئيسها الاعلى الملقب بالامام ـ اذ لا خلافة وراثية عندهم ـ والامام يتعين فى منصبه هذا بالانتخاب والكفاءة او العهد اليه من سلفه؛ وله مستشارون ومحتسبون وامناء بيت المال؛ وللقاضى السلطة المطلقة في تنفيذ الاحكام الشرعية وهو في الغالب يكون من غير اهل البلد ليهابه الناس ، وهناك شرطية لحماية الامن العام وجند مختلط من العرب والعجم والبربر. وماليتها متكونة مما يتجمع في خزينتها من مال الزكاة والجزية والخراج (١) مع ماكان يتجمع لديها من تبرعات خوارج المشرق ايضا. فكانت الحكومة تنفق منها بالعدل وما فضل عنها ردته على الفقراء والمساكين اما لغتها الرسمية نهى العربية وبجانبها

١) الجزية مال يتقاضى من أهل الكتاب ، والخراج مال يؤخذ من ارض الصلح ومما فتح عنوة (قهرا وقسرا) بخلاف الفيء فانه لا يؤخذ الا من ارض العنوة فقط

البربرية وكثيرا ما ترجمت اليها كتب العلم والدين والدواوين ايضا وحتى القرآن الكريم ؛ ولقد تعاقب على ملك هذه الدولة ثمانية من الائمة.

## حدود المملكة الرستمية

يحد هذه المملكة شمالا تلول منداس الى قرب غليزان ، ويذهب الخط جنوبا من هناك الى فرندة وينعطف شرقى جبل عمور ، ومن هنالك الى وطن ميزاب والى وارجلة ، وينبعث الخط من الناحية الشرقية الى تيسميسل والسرسو، ويذهب صعداً الى ثنية الاحد والى قصر البخارى مشرقا واعالى وادى شلف : ويذهب جنوبا شرقى الاغواط الى تقرت ووادى ريغ ؛ وبالجملة فإن هذه الدولة قد استولت على جميع التراب الجزائرى الحاضر ما عدا ناحية الزاب شرقا وتلمسان غربا .

## الامام عبد الرحمن بن رستم

اصل هذا الامام فارسى وينسب الى الاسرة الملكية الكسروية؟.. وهو من موالى عثمان بن عفان ، بويع بالامامة سنة ١٦٠هـ – ٧٧٦م بتاهرت وكان على جانب عظيم من العلم والعمل والعدل والزهد ؛ وكانت له عناية كبرى باعلاء شأن دولته ، وله اهتمام خاص بفن المعمار ، مشتغل بشؤون الرعية والسهر على مصالحها ؛ وبلغ من زهده ان رد على اهل المشرق ما بعثوا به اليه من عشرة احمال ذهبا ، وقد سبق ان قبل منهم مثلها قبل ذلك حيث كانت الدولة فى حاجة اليه أيام التاسيس ، وكانت ايامه كلها سلما وأمنا ، وله من التاليف تفسير للقرآن العظيم وديوان خطب، ورسائل اخوانيات كاتب بها اخوانه واصدقاءه ، وكانت وفاته سنة ١٧١هـ–٧٨٧م وقد عهد بالامر بعده الى سبعة من الاعيان منهم ولده عبد الوهاب فبايعه الناس بعده

## الامام عبد الوهاب

بويع اثر وفاة والده بشهر ، وهو من اعلم علماء الاباضية فى وقته ، كان متضلعا فى علوم الشريعة وله في الفقه كتاب اشتهر باسم «مسائل نفوسة» ما عدا فتاوى ورسائل فى مسائل شتى . واشتهر بقوة الشكيمة والدهاء السياسى والحزم والثروة الطائلة ؛ وان اول ما قام به من الاعمال السياسية ان عمل على موادعة امير القيروان روح بن حاتم وربط صلته به ، فاطمأن الناس الى ذلك وتأكدوا من رسوخ قدم الدولة الرستمية فى الملك

## ثورة ابن فندين

هو احد الرجال السبعة الذين عهد اليهم عبد الرحمن بن رستم بأمر الشورى بعده ، فطمح اولا الى الملك وتطلع الى منصب الامامة ، وبعد ما تحقق اخفاقه بمبايعة عبد الوهاب تشوف الى تبوأ المناصب الممتازة فى الدولة فلم ينجح كذلك ، ويومئذ عمل على ايقاد نار الفتنة ضد الحكومة القائمة ودبر مكيدة لاغتيال الامام وجاء بشيعته من النكارية — وهم من الخوارج ايضا — فكانت بينه وبين الحكومة وقائع عديدة سفكت فيها الدماء انهارا فاضطرت الحكومة الى مهادنته حقنا للدماء؛ وبقي ابن فندين مع ذلك يترقب الفرصة للوثوب مرة ثانية على الدولة ؛ فاتفق يوما ان صادف تغيب الامام عن العاصمة — تاهرت — فزحف هذا الثائر باتباعه على المدينة فكان فيها حتفه على يد افلح بن عبد الوهاب ، ويقدر عدد القتلى فى هذه الواقعة باثنى عشر الفا ، فاستثار ذلك دفين حقد النكارية وكمين ضغينتهم فهاجموا العاصمة وقتلوا ميمون بن عبد الوهاب ثم انهزموا واندحروا

## عصيان زناتة (١)

رفضت هـذه القبيلة الجزائرية مبـايعة الدولة الرستمية واعلنت عصيانها سنة ١٧٣هـ - ٧٨٩م ومدت يدها الى دولة الادارسة القائمة يومئذ بالمغرب الاقصى وتلمسان ؛ فنهضت اليها الحكومة الجزائرية لردهـا الى الطاعة وسعت لديهـا بكل وسيلة فلم تنجح ويومئذ اعلنت الدولة الحرب فى وجه القبيلة وخاصة منها بطن مغراوة وبنى يفرن فلم يجد الحكومة ذلك نفعا واستمرت زناتة على عصيانها خاضعة للادارسة الى النهاية

## ثورة بنى مسالة

كانت رآسة قبيلة هوارة التى تحتل الساحل من برقة الى قابس ، لهؤلاء من بنى مسالة فاتفق ان خطب احد رؤسائها يد بنت رئيس من رؤساء قبائل البربر بالجزائر بقصد الالتحام مع هـذه القبيـلة تعزيزا لقبيلته ؛ فحال بينهما الامـام الرستمى خشية تحزب القبيلتين ضده وعقد هذه ، المصاهرة لنفسه، فغضب لذلك بنو مسالة فهـاجموا المغرب الاوسط وحملوا على الرستميين السلاح فانتصر عليهم الامام عبد الوهاب وطاردتهم جيوشه الى ناحية تلمسان

---

١) قبيلة بربرية عريقة فى القدم منتشرة فى كامل الشمال الافريقى وهى تسكن على الاخص المغرب الاوسط - الجزائر - بحيث انه ينسب اليها ويعرف بها ، فيقال وطن زناتة،ومنها بطن مغراوة وجراوة قوم الكاهنة ، بنو يفرن وورجله بالجنوب الجزائرى ، وكانت الرآسة فيهم قبل الاسلام لجراوة ثم لمغراوة وبنى يفرن وموطنهما بنواحى تلمسان الى وهران وشلف شمالا والى غربس من ناحية المعسكر جنوبا . ويقول الادريسى ان زناتة عرب صرح وانما تبربروا بالمجاورة والمحالفة للبربر من المصاميد ؟... ويؤثر عن حسان بن النعمان انه كان يقول بعروبتهم ؟... ومن زناتة بنو ورسيفن ملوك مليانه ، وبنو منديل ملوك مازونه ، وبنو خزر ملوك وهران

## امتداد المملكة الرستمية

اشتد سعير التنافس بين امراء افريقية من الاغالبة ورؤساء هوارة ، فادى ذلك الخلاف والنزاع الى اتقاد الحرب بينهما وكاد النصران يكون حليف الامارة الاغلبية لولا استنجاد هوارة بالدولة الرستمية واستنصارها بها ويومئذ راى الامام عبد الوهاب ان الفرصة سنحت له لبسط نفوذه على النواحى الشرقية ففتح منها طرابلس وقابس وجزيرة جربة ؛ وقضى نحبه سنة ١٩٠هـ-٨٠٥م . فبويع بعده لابنه افلح

## الامام افلح

هو اطول ائمة هذه الدولة مدة فى الملك ، فانه بويع اثر وفاة والده عبد الوهاب سنة ١٩٠هـ-٨٠٥م الى ان توفى سنة ٢٤٠هـ-٨٥٤م اى مدة خمسين سنة ، وكانت ايامه كلها ايام رغد ويسر ؛ وهو احد افذاذ ائمة الدولة البارزين والعلماء العارفين ذا ادب جم واطلاع واسع وشعر رقيق ومتانة في الدين ؛ كانت له مواقف حاسمة ردبها على ثوار جبل نفوسة ، وهو تارة يسلك معهم مسلك اللين واللطف ، وتارة يأخذهم بالشدة والعنف وكان الانتصار حليفه دائما .

اما علاقته بالخارج ، فانه كان على صفاء و اتصال و دى مع خلفاء الاندلس الامويين ومع السودان ايضا تربط بينهم جميعا او اصر التجارة ووحدة الهوى ايضا؛ ويظهر ذلك جليا في جفاء الامام للدولة الاغلبية المجاورة التى هى من صنائع الدولة العباسية : فانه لما بنى ابو العباس محمد بن الاغلب مدينة «العباسية» بقرب تيهرت سنة ٢٢٧هـ-٨٤١م هدمها الامام افلح واحرقها وكتب في ذلك الى صاحب الاندلس يتقرب اليه ، فبعث اليه هذا بمائة الف درهم ؛ فانتقم لذلك العباسيون بالقبض على ابنه ابي اليقظان حين قدم الى الحج واودعوه السجن ببغداد ، فحزن الامام

على ولده ولم يزل محزونا مهموما الى ان توفى سنة ٢٤٠هـ-٨٥٤م . وتولى بعده ولده الثانى ابوبكر

## الامام ابوبكر بن افلح

اشتهر الامام ابوبكر بخصال الكرم والجود ولين العريكة والتسامح وسهولة الخلق ميالا الى الدعة والرفاهية ، تاركا امر ملكه وادارة شؤون دولته الى صهره ابن عرفة التيهرتى الذى اصبح بسعاية من الوشاة والحسدة ينافس الامام في ملكه فحصلت بينهما من ذلك وحشة ادت الى اغتيال ابن عرفة واضطراب حبل الحكومة بقيام اصحابه على الامام واستمرت الفتن بتيهرت الى ان عاد ابو اليقظان من الشرق واستلم زمام الدولة من اخيه فقهر الثائرين وقضى على الخصوم فسكنت البلاد مدة ثم نشأت حركات ثورية ايضا من الاعاجم المزاحمين لآل ابن رستم فى الرآسة، انتصر فيها هؤلاء مرارا على الحكومة كما أذاقهم الجند بأسه ايضا فى كثير من مواقف القتال ، وعمت الفتنة اباضية جبل نفوسة فانظم اليهم ابو اليقظان وتعددت المعارك بين الطائفتين وكان النصر فيها سجالا ، ولم يزل شأن ابى بكر يضعف امام خصومه واعدائه حتى لاذ بالفرار بنفسه بعد عامين من ولايته فقط،واحتل المدينة محمد بن مسالة الهوارى فقبض على دفة الحكم وأجلى عن المدينة من كان فيها من أهل لواتة ثم أجمع الناس على مبايعة أبى اليقظان

## الامام ابو اليقظان

هو محمد بن افلح بويع بحصن لواتة على قرب من تاسلونت حيث تنفجر عيون نهر مينة الجارى قبلة تيهرت ، وكانت مبايعته اثر خروج اخيه الامام ابى بكر سنة ٢٤١هـ-٨٥٥م . وقد حفظ لنا التاريخ من صفاته الخلقية انه كان ربعة ابيض الراس واللحية ؛ ومن الخليقة انه كان ذا علم وورع متعففا ناسكا زاهدا فإن كل

ما وجد فى تركته بعد موته هو سبعة عشر دينارا فقط !.. وقد سبقت منا الاشارة الى حجه ايام ولاية والده افلح وقبض العباسيين عليه الى خلافة المتوكل حيث رفع عنه القبض فعاد الى الجزائر ، فوافاها ثائرة على اخيه فحاول القبض على زمام الدولة فلم ينجح واستمرت حوادث اصحاب ابن عرفة والمنافسين من الاعاجم حتى انضم ابو اليقظان الى اباضية نفوسة فاعانوه على القضاء على الثورة وفتح تيهرت صلحا واستقر بها اماما مطاعا الى وفاته سنة ٢٨١هـ - ٨٩٤م عن سن تناهز المائة سنة قضى منهازهاء اربعين سنة فى الولاية

## مجاعة ووباء !..

اشتد القحط بالناس وعمت المجاعة جميع بلاد المغرب والاندلس من سنة ٢٥٣ الى ٢٦٥هـ (٨٦٧ - ٨٧٨م) ثم اعقب ذلك وباء وموت مئات سنة ٢٨٥هـ - ٨٩٨م وقد عم ذلك بلاد مصر والحجاز ايضا

## ظهور الدعوة الشيعية بالجزائر

ظهرت هذه الدعوة الشيعية بالجزائر لاول مرة فى وادى الرمل (سوق حمار) بنواحى قسنطينة ومرماجنة (مابين مجانة وسبيبة) وكان ظهورها على يدى رجلين كلاهما جاء من الشرق سنة ٢٧٩هـ - ٨٩٢م موفدا من طرف جعفر الصادق لبث الدعاية ضد الخلافة العباسية القائمة يومئذ ببغداد . وخلافة الامويين بالاندلس والمغرب ، ونشر مبادى الشيعة التى ترمى الى اقامة الخلافة الاسلامية في آل البيت، فقاما بهذه الاوساط المغربية يعملان على تنفيذ خطتهما الى وفاتهما فخلفهما من بعد ابو عبد الله الشيعى بكتامة ، وهو الذى قضى على مملكة الاغالبة شرقا وبنى رستم غربا

## الامام ابو حاتم

هو يوسف بن ابى اليقظان جاءته البيعة اثر وفاة والده سنة ٢٨١هـ - ٨٩٤م وهو متغيب بجيشه فى حماية القوافل فعاد الى العاصمة مسرعا لتحمل اعباء المملكة وكان رجلا وسيماحيبا كريم السجايا والاخلاق مدربا على ادارة شؤون الدولة وتنظيم شأن الحكومة ، وبعد سنة من ولايته خرج عليه عمه يعقوب بن افلح وكان يكره الاباضية مع شذوذ فيه وجمع حوله طائفة من اهل تيهرت ومشيختها فأقصاهم الامام عن العاصمة ثم عادوا فاقتحموها عليه وأثاروا بها فتنتهم؛ ويومئذ خرج أبو حاتم عن عاصمته فاجتمع اليه انصاره فزحف بهم الى العاصمة وضرب عليها الحصار مشددا عليها الخناق الى ان اضطر اهلها الى طلب الكف عنهم والمهادنة ، فكف عنهم الامام على ان يسلموا اليه رؤساءهم وكبراءهم ، فأبوا ، وحينئذ عادت الحرب الى ماكانت عليه من قبل وبايعوا عمه يعقوب بن افلح

## الامام يعقوب بن افلح

بويع وهو بأرض زواغة غربى طرابلس، فاسرع من حينه الى العاصمة تيهرت فقاتل بها ابا حاتم ودامت الحال على ذلك مدة اربع سنوات الى ان سعى ذووا الوجاهة والفضل فى الصلح بين الطرفين فانتشر السلم بالمملكة اربعة اشهر . وفى اثنائها عمل ابو حاتم على استمالة القلوب اليه واكتساب مودة القوم فمالت اليه الرعية وانقلبت على عمه يعقوب فخلعته ، فذهب حينئذ الى حيث كان بجهات طرابلس ، وطال به اجله الى ان شاهد سقوط تيهرت بيد الشيعة العبيدين ، فارتحل اثرها الى بنى وارجالان - وارقله - وهنالك عرضت عليه البيعة فأبى لما عله من ضعف الرستميين امام الشيعة وقال يومئذ كلمته المشهورة التى ارسلها مثلا : لا يستتر الجمل بالغنم !... ومات هنالك .

## عودة أبي حاتم

تصدى ابوحاتم فى هذه المرة الى قمع الفتن وتسكين الثوار ورفع شأن العلماء على اختلاف مذاهبهم ونزعاتهم والعناية باصلاح البلاد ونشر العدل والامن بين الناس ، فجاءته وفود الخطباء والشعراء قائمة بين يديه تعدد اياديه وتنشر مناقبه، واخيرا ائتمر عليه منافسوه من بنى عمه واخوته فقتلوه غيلة سنة ٢٩٤هـ - ٩٠٦م وبايعوا اخاه اليقظان

## الامام اليقظان

هو ابن اليقظان محمد تولى الامامة وايام دولته ذاهبة والحكومة مضطربة ، فعاش مهدد الجانب مختل النظام ولم تطل ايامه حتى دخل عليه ابوعبد الله الشيعى فقتله فى خاصته وجماعة من اهل بيته فى شوال سنة ٢٩٦هـ - جوان ٩٠٩م وذلك بايعاز ومؤامرة من وجوه الرعية

## المذاهب والعقائد

كان المغرب العربى فى صدر الاسلام يسير فى عقائده وعباداته حسبما يرشد اليه الكتاب والسنة وما ورد فى ذلك من الآثار عن السلف الصالح من غير انتماء الى اهل مذهب او طائفة او فرقة او نحلة الى ان قدم عليه جماعة من المشرق ممن تشبعوا بآراء اهل العراق فكانوا يرون راى ابى حنيفة واصحابه مثل عبد الله بن فروخ الفارسي واسد بن الفرات قاضى افريقية فنشروا مذهب الكوفيين بافريقية الى ان تولى سحنون بن سعد القضاء فنشر مذهب مالك ؛ وكان الخوارج يومئذ ممن وفدوا على المغرب مختفين فنشروا هم كذلك عقائدهم ومذاهبهم من نكارية وصفرية واباضية الخ ... وكان ابن رستم مؤسس هذه الدولة من الاباضية (١)

١) راجع التعليق صفحة ١٧٨

فوضع قواعد دولتـه على اسس مذهبـه الخارجي وكان مع ذلك هـو وجميع من خلفه على عرش تيهرت متسامحا مع جميع اهل المذاهب الاخرى من اهل الراى وغيرهم ، فقد كانت المناظرات والمباحثات العلمية تعقد بين ايدى الأئمة للنـظر والجدل فى مسائل الاعتقاد وغيرهـا وذلك بصدر رحب قال ابن الصغير المالكى مؤرخ هذه الدولة .... ومن اتى الى حلق الاباضية من غيرهم قربوه وناظروه الطف مناظرة ، وكذلك من اتى من الاباضية الى حلق غيرهم كان سبيله كذلك (١) .... ورغم ذلك فانه وقع شيء من التنازع المذهبى بين النكارية والاباضية على عهد الامام عبد الوهاب وهو في حقيقة امره نزاع سياسى لا دينى سببه التهـالك على الرآسة من اصحاب المقاصد والمنافع الشخصية وهـو الذى كان سببا فى فتح باب الطعن في الامام والانكار عليـه ، وقد ادى ذلك الى وقائع دامية ، وهكذا حب الرآسة مهما دخل شيئا الا وافسده

---

١) لا تزيد مسائل الخلاف بين الاباضية وغيرهم من المسلمين أهل المذاهب الاخرى عن بضع مسائل اجتهاديه ؛ أهمها مسأله الصفات فغير الاباضيه يقولون انها غير الذات المقدسة وانها قديمة بقدمه عز وجل ، والاباضيه يقولون بأنها عين الذات. ومسألة رؤية البارى سبحانه فغير الاباضيه يثبتونها كما يليق بجلاله ، وهم ينكرونها . ومسألة القرآن فغير الاباضيه ينكرون خلقه ، وهم يقولون بأنه مخلوق محدث . ومسأله الايمان فهو عند الاباضيه لا يتم الا بالعمل ، وعند غيرهم انما هو مجرد اعتقاد يصحبه النطق. ومسأله الخلود في النار فغير الاباضيه لايقولون بخلود العصاة المؤمنين ، اما عندهم فمخلدون . ومسأله الكفر فانه لا يطاق عند الاشاعرة الا على من كفر بالله او اشرك ، وعند الاباضيه يطلق ايضا على المنافق وعلى من كفر بالنعمه . ومسأله الشفاعه فلا ينالها عند الاباضيه اصحاب الكبائر ، اما عند غيرهم فتعم . الخ... وهناك مسائل اخرى لا تختلف كثيرا عما هو موجود ومعروف كذلك بين الاشاعرة والماتريديه من الخلافات اللفظيه والمعنويه ؛ كما ان هنالك ايضا مسائل خلافيه في الفروع الفقهية هي من قبيل ما هو مستفيض وشائع بين سائر المذاهب الاسلامية ؛ ولكل وجهة ، ولكل مجتهد أجر.

## الثقافة والحضارة والعمران

ليست هنالك دولة من الدول الاسلامية الجزائرية تدانى حضارة هذه الدولة فيما بلغته من الرقى والازدهار المادى والادبى سوى حضارة الدولة الحمادية التي تلألأت بالقلعة وبجاية كما سنحدثك عنها فيما ياتى ؛ فلقد بلغت تيهرت يومئذ شأوا عظيما من المدنية والعمران ومن توفر اسباب الحضارة والرفاهية حتى انها كانت تشبه وتقاس بقرطبة وبغداد ودمشق من عواصم الشرق اللامعة ، وانها كانت تدعى بعراق المغرب وكان بها من القصور العالية والمنازل الرفيعة والحصون الحصينة والعمارات والمساجد والمنتزهات ما يشبه منشآت هذه البلاد وسكن بها من اهل الكوفة والبصرة والقيروان والاندلس وبلاد العجم وغيرهم من ارباب الصناعات والحرف والفنون الجميلة عدد وافر، وبها من العلماء والادباء ما يحق لها ان تفتخر بهم يومئذ على البلاد ويكفينا فى الاستدلال على ذلك نبوغ امثال يهوذا ابن قريش التاهرتى — فى القرن الرابع الهجرى — فانه كان متضلعا فى كل من اللغات العربية والعبرانية والآرامية والفارسية والبربرية ، وحاول المقاربة بين بعضها ، فهو الواضع لاساس النحو التنظيرى، وله فى ذلك كتاب موجود بمكتبة اوكسفورد من بلاد الانكليز هو من انفس ما كتب فى الموضوع . وقد كان ائمة هذه الدولة ورؤساؤها يعقدون مجالس العلم والتعليم يعلمون النـاس ويلقون عليهم بانفسهم دروسا عامة بالمساجد فى فنون من العلم مختلفة ؛ وفيهم من يقول الشعر ايضا ؛ فمن ذلك قول الامام افلح فى العلم :

| | |
|---|---|
| العلم ابقى لاهـل العلم آثـارا | يريك اشخاصهم روحـا وابكارا |
| حى وان مات ذو علم وذو ورع | مامات عبد قضى من ذاك اوطارا |
| وذو حيـاة على جهل ومنقصة | كميت قد ثوى فى الرمس اعصارا |
| لله عصبة اهـل العلم ان لهم | فضلا على النـاس غيابا وحضارا |

وهى قصيدة طويلة تنيف على الاربعين بيتا وكلها على هذا المنوال فى مدح العلم وبيان فضله ومزايا العلماء.. ولهؤلاء الائمة والولاة عناية شديدة بجمع الكتب النادرة وجلبها من اى مكان كانت فتكونت لهم بذلك خزانة دار الامارة المشهورة بمكتبة قصبة المعصومة وكان فيها من نوادر المخطوطات ونفائس الكتب ما يؤسف لفقده اليوم !... ولقد فقدت هذه الخزانة العامرة في حوادث الاحتلال الفاطمى .

وبينما الحال على ما وصفنا في الجزائر اذ كان شارلمان امبراطور فرانسا الاكبر – في القرن الثانى الهجرى ، والثامن الميلادى – يحاول ان يتعلم ويتحبب الى الاداب تحببا ساذجا كما يحب غير المتعلمين ان يروا احيانا السطور المكتوبة ، وكانت تشبه آداب عصره ادب صبيان المدارس وتمارينهم اليوم ، بل لم يكن في غاليا – فرانسا – شيء يشبه الادب ، ولقد فقد منها على عهد شارلمان وبعده بزمن طويل كل اهتمام بشيء يقال الثقافة العامة

اما عن الحياة الاقتصادية من فلاحة وتجارة وحركة الصادرات والواردات فان مملكة تيهرت كانت تعد احدى محطات العالم الاقتصادية الكبرى فهي واسعة الاخذ والعطاء فكانت الحبوب بانواعها تزرع بارض الجزائر والاسواق ملأى بمختلف البضائع والمصنوعات ، وكانت طرق القوافل معبدة متصلة بصحراء افريقية وبلاد السودان شرقا وغربا ، كما ان السفن تغدوا وتروح بين بر العدوة ومراسي الجزائر مشحونة بشتى اصناف السلع ،... ولقد خصت اخبار تيهرت بالتدوين ، فأفردها بالتأليف ابو عبد الله محمد بن يوسف التاريخى الاندلسى فى كتاب خاص لاندرى اين هو اليوم !....

## انهيار الدولة الرستمية

ان اكبر عامل فى سقوط هذه الدولة هو اختلاف الكلمة بين الحكومة والشعب وما انتشر عن ذلك يومئذ من الفتن والاضطرابات التى اضعفت الدولة امام رعيتها فتضعضعت بفقد جندها الحامى. واخذت احزاب الامة يومئذ فى حبك المؤامرات ضد الحكومة فقتل الامام ابوحاتم ؛ وقامت «دوسرا» بنت اليقظان — الامام نفسه — تشارك فى حملة ابى عبد الله الشيعى للقضاء على الدولة وقتل الامام !... وكانت الدعوة الشيعية يومئذ قد اطبقت البلاد وذاع خبر انتصارها على الدولة الاغلبية المجاورة فخرج الامام اليقظان مستسلما للعبيديين فقضوا عليه وعلى دولته سنة ٢٩٦هـ—٩٠٩م فكان ذلك كله من عوامل تيسير الاستيلاء الشيعى على البلاد فسقطت بيد العبيديين من غير قتال ولا حرب .

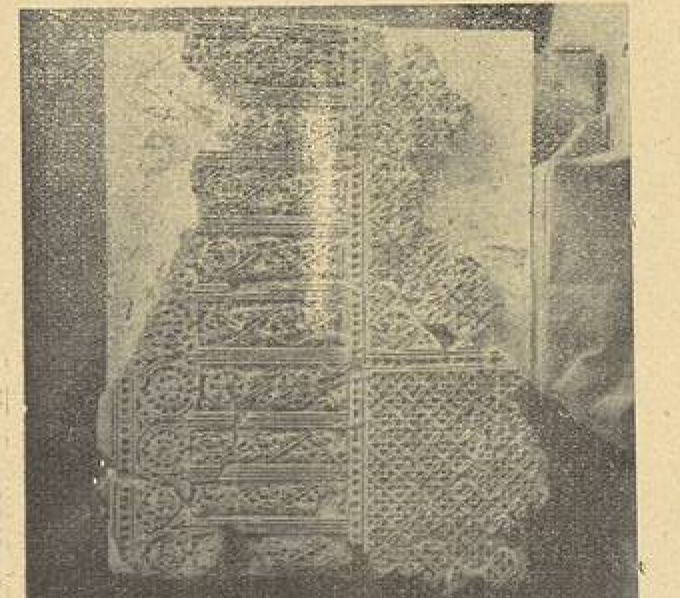
## تأسيس بلاد ميزاب

كان لسقوط هذه الدولة وقع عظيم فى نفوس اولى الغيرة الوطنية والحماس الدينى فهاجروا تيهرت الى الجنوب فمنهم من هاجر الى الجنوب الغربى ، ومنهم من هاجر مع الامام يعقوب الى نواحى وادى مينة فأسسوا مدينة الكريمة ، ودخلوا مدينة بنى وجلان — وارقلة — وهناك على بعد اربعة عشر كيلومترا جنوبا اخذوا فى تأسيس عاصمتهم الجميلة «سدراتة» المعروفة عند البربر باسدراتن ذات المدنية العظيمة ، فأنشؤوا بها قصورهم البديعة والمنازل الرفيعة واقاموا بها البساتين والمزارع والمنشآت الضخمة ونشروا فيها من الرفاهية والحضارة ما عجب له العلماء اليوم . ولقد شرع الباحثون من علماء الآثار والحفريات منذ ربيع سنة ١٩٥١م فى الكشف عن هذه المدينة التى غطتها الرمال وتراكمت عليها الكثبان ؛ فعثروا فى بحوثهم الحفرية على آثار جليلة قيمة من مبان عجيبة ونقوش مزخرفة وخطوط كوفية واشكال هندسية واوان متنوعة ذات اهمية كبرى فى تاريخ الجزائر

الحافل ولا يزال البحث مستمرا حول هذه المدينة التي يبلغ طولها اكثر من كيلوميترين ، وعرضها نحو كيلوميتر واحد ؛ فهي حقا احدى ذخائر وكنوز الفن الجزائري باتم معناه ؛ وبالمتحف الجزائري اليوم بعض تحف ثمينة وقطع نفيسة عثر عليها بهذه المدينة فهي موضوعة هناك معروضة للجمهور ، آية ناطقة بعبقرية الجزائري وتقدم الفن الاسلامي بالجزائر منذ اكثر من ألف سنة ؛ قال الشريف الادريسي عن مدينة «وارقلان» - وارقلة - : هي مدينة فيها قبائل مياسير وتجار اغنياء يتجولون في بلاد السودان الى بلاد غانة وبلاد ونقارة - هكارة ؟ - فيخرجون منها التبر ويضربونه في بلدهم - عملة مسكوكة - باسم بلدهم ، وهم وهبية اباضية .

وبعد ما اظهر القوم هنالك نشاطهم الاقتصادي والاجتماعي هابهم اهل وارقلة وتوجسوا منهم خيفة وخشوا منهم المنافسة والمزاحمة ، فأجلوهم عنها وحل محلهم الزنوج . فخرج الاباضية منها يومئذ الى جبال بني مصاب ، اومزاب (١) بالشمال الغربي من وارقلة فسكنوا اولا الخيام ثم اخذوا في تأسيس المدن والقرى ، فكان اول ما اسسوا هنالك مدينة العطف اختطها رئيسهم خليفة بن آبغور سنة ٤٠٢هـ - ١٠١١م . وفي سنة ٤٣٧هـ-١٠٤٥م تأسست مدينة بونورة ، ثم العاصمة غرداية سنة ٤٧٧هـ-١٠٨٤ اسسها ثلاثة من زعماء الاباضية : سليمان بن يحيى وعيسى بن علوان ، وابو جمعة ، واصبحت هذه المدينة مركزا لتلك القصور الاباضية السبعة ثم انشئت بعدها بقية القصور : بني يسقن ، ومليكة ، واخيرا القرارة وبريان . ومن الاباضيين من توجه بعد الجلاء من تيهرت وسدراتة الى البلاد الطرابلسية والتونسية فهم فيها الى الآن

١) بالصاد او بالزاي ، فانهما يتقاربان مخرجا في لغة البربر ، وهم فخذ من بطن بادين من زناته ويسكن بتلك الجهة من غير هؤلاء قوم من صنهاجة ولماية من بني قاتن وغيرهم



تفاصيل من الزخارف الجصية اكتشفت بسدراتة سنة ١٩٥٣

اطلال دار عربية بسدراتة اكتشفت سنة ١٩٥١

من اكتشافات ( مارقوريت فان برشيم ) في حفرياتها بسدراتة

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان ممن حافظ التاريخ على اسمائهم من ولاة هذا العصر وزعمائه : محمد بن مسالة امير هوارة المستبد بتيهرت ايام ابى بكر بن افلح ، ومحمد بن عرفة التيهرتي مفوض حكومة ابى بكر ، ويزيد بن فندين مناهض بنى رستم ، وشيخ المدينة ابو مسعود . وعبد الرحمن بن صواب النفوسي امين بيت المال ، ومحكم الهوارى الاوراسى قاضى تيهرت على عهد الامام افلح ، ومثله القاضيان : ابو عبد الله محمد بن ابى الشيخ وشعيب بن مدمان ؛ ومزور بن عمران وزير الامام عبد الوهاب ، ووزكار وابراهيم بن مسكين رئيسا الشرطة على عهد الامام ابى حاتم . وابو سهل الفارسي من احفاد الامام افلح تولى خطة الترجمة بدواوين الحكومة على عهد الامامين : افلح وابى حاتم ، وله تآليف كثيرة باللغة البربرية ودواوين شعرية وكان افصح اهل زمانه بها .

# أئمة الدولة الرستمية

| | تاريخ التولية |
| --- | --- |
| عبد الرحمن بن رستم | ١٦٠هـ-٧٧٦م |
| عبد الوهاب بن عبد الرحمن | ١٧١هـ-٧٨٧م |
| افلح بن عبد الوهاب | ١٩٠هـ-٨٠٥م |
| ابو بكر بن افلح | ٢٤٠هـ-٨٥٤م |
| ابو اليقظان بن افلح | ٢٤١هـ-٨٥٥م |
| ابو حاتم بن ابى اليقظان | ٢٨١هـ-٨٩٤م |
| يعقوب بن افلح | ٢٨٢هـ-٨٩٥م |
| اليقظان بن ابى اليقظان | ٢٩٤هـ-٩٠٦م |

# مشاهير الجزائريين

## بكر بن حماد

## ٢٠٠ـ٢٩٦هـ

## ٨١٦ـ٩٠٨م

ابو عبد الرحمن بكر بن حماد بن صهر او سهل ؟... بن ابى اسماعيل الزناتى التاهرتى هو من اشهر كبار علماء الجزائر وادبائها فى هذا العصر ، ولد ونشأ بتيهرت حوالى سنة ٢٠٠هـ-٨١٦م فأخذ العلم والادب عن علماء بلده ثم ارتحل الى القيروان فأخذ عن امثال صاحب المدونة سحنون بن سعد ، ودخل بغداد سنة ٢١٧هـ - ٨٣٢م فأخذ عن ابن مسدد وعمرو بن مرزوق وبشر بن حجر ، ولقى من الادباء امثال ابى تمام صاحب ديوان الحماسة . ودعبل الخزاعى ، وعلى بن الجهم ، ومسلم بن الوليد (صريع الغوانى) وابن الاعرابى ، والرياشى وابى حاتم السجستانى وغيرهم من فطاحل الادب العربى وشيوخ المشرق وعلمائه وكانت له مع هؤلاء مساجلات ومطارحات ادبية شعرية ونثرية ؛ واتصل بخلفاء الدولة العباسية وبملوك بلده تيهرت ، وحصلت له جوائز وصلات من الملوك والامراء ؛ قال عنه البكرى انه : كان ثقة مأمونا حافظا للحديث ؛ وقال ابن عذارى : كان عالما بالحديث وتمييز الرجال وشاعرا مفلقا . تصدر الشيخ بجامع القيروان لاملاء الادب والعلم سنة ٢٧٤هـ-٨٨٧م فارتحل اليه الكثير من اهل الاندلس للاخذ عنه والتخرج على يده ، وكان منهم قاسم بن اصبغ اليانى ؛ وكان مجلسه حافلا بطلبة العلم على اختلاف مذاهبهم ؛ ثم كانت عودته الى بلده تيهرت سنة ٢٩٥هـ-٩٠٧م وكانت وفاته بقلعة ابن حمة شمال

مدينة تيهرت وذلك فى شوال سنة ٢٩٦هـ - جوان ٩٠٩م اى فى نفس السنة التى سقطت فيها الجزائر الرستمية بيد العبيدين ؛ ومن شعره قوله لما عاد من العراق معتذرا للامام ابى حاتم :

ومؤنسة لى بالعراق تركتها — وغصن شبابى فى الغصون نضير
فقالت كما قال النواسى(١) قبلها — « عزيز علينا ان نراك تسير »
فقلت جفانى يوسف بن محمد — فطال علي الليل وهو قصير
ابا حاتم ما كان ما كان بغضة — ولكن اتت بعد الامور امور
فأكرهنى قوم خشيت عقابهم — فداريتهم ، والدائرات تدور

وله فى جميع اغراض الشعر قصائد طويلة وقطع رائعة هي متفرقة فى كتب الادب والتاريخ

---

١) ابو نواس الشاعر العباسى المشهور

# جدول تاريخى

## ١٦٠_٤٠٢هـ

## ٨٧٦_١٠١١م

| تاريخ الحوادث | أهم الحوادث |
| --- | --- |
| ١٤٨هـ–٧٦٥م | انشاء مدينة تاهرت – تيهرت – |
| ١٦٠هـ–٧٧٦م | مبايعة عبد الرحمن بن رستم بالامامة بتاهرت |
| ١٧١هـ–٧٨٨م | توثيق العلائق بين الحكومة الرستمية والاغالبة وولاية الامام عبد الوهاب |
| ١٧٣هـ–٧٨٩م | مقاومة الدولة لقبيلة زناتة الثائرة |
| ٢٣٩هـ–٨٥٣م | تخريب مدينة العباسية واحتراقها على يد الامام افلح |
| ٢٤١هـ–٨٥٥م | امتناع تاهرت عن ابى اليقظان |
| ٢٧٩هـ–٨٩٢م | ابتداء ذيوع الدعوة الشيعية بالجزائر والمغرب الاقصى |
| ٢٨٢هـ–٨٩٤م | الخلاف بين ابى حاتم وعمه يعقوب |
| ٢٨٥هـ–٨٩٨م | انتشار المجاعة والوباء |
| ٢٩٤هـ–٩٠٦م | اغتيال ابى حاتم وولاية اليقظان |
| ٢٩٦هـ–٩٠٩م | سقوط الدولة الرستمية وقتل اليقظان |
| ٣٦٠هـ–٩٧٠م | تأسيس مدينة سدراتة وبلدة الكريمة بالجنوب الجزائرى |
| ٤٠٢هـ١٠١١م | تأسيس بلاد مصاب – مزاب – |

# الدولة الادريسية

## ١٧٢ ـ ٣١١هـ

## ٧٨٨ ـ ٩٢٣م

### نشأتها

خرج ادريس الاكبر بن عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن على بن ابى طالب كرم الله وجهه من الشرق لما يئس من نجاح مطلب الطالبيين هنالك ونجا بنفسه من اضطهاد العباسيين الى المغرب ، وقد علم يومئذ ضعف سلطانهم به وانحراف اهله عنهم فقصده ونزل منه بمدينة «وليلى» بالمغرب الاقصى، فصادف تعطش المغاربة الى تأسيس دولة اسلامية مستقلة عن المشرق كما فعل اهل الاندلس وكانوا من قبل يبحثون عن زعيم لهم ليكونوا الوحدة المغربية ؛ وكان العلويون – ومنهم ادريس هذا – يرون احقيتهم فى الخلافة دون العباسيين ، وذلك لانعقاد الامامة الشرعية لهم قبل اولئك (١) ويومئذ انتهز ادريس هذه الفرصة واباح بسره حول تأسيس الدولة الجديدة واظهر بالمغرب دعوة العلويين الشيعية الزيدية (٢) فبايعته حكومة المغرب البربرية غرة ربيع الاول ١٧٢هـ-اوط٧٨٨م وكان على راس هذه الحكومة يومئذ اسحاق بن محمد بن عبد الحميد الاوربى المعتزلى، واطاعته معها القبائل البربرية المجاورة وخلعت طاعة العباسيين ، ويومئذ قضى

١) بويع محمد بن عبد الله ـ النفس الزكية ـ بالخلافة في المدينة ، وهو اخو ادريس وكان فيمن حضر البيعة يومئذ وبايعه ابو جعفر المنصور العباسي ثم نكث بيعته وقتله سنة ١٤٥هـ-٧٦٢م

٢) لا يزال اتباع هذه الدعوة باليمن الى اليوم ، وهم ينتسبون في دعوتهم الى زيد بن حسن بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب ؛ خرج زيد على هشام بن عبد الملك بن مروان فقتله الخليفة وصلبه ١٢١هـ—٧٣٩م

ادريس على ما بقى هنالك متفرقا بالبلاد من عقائد المجوسية واليهودية والنصرانية ومذاهب الاعتزال ووحد كلمة المغاربة حول الدولة العلوية الجديدة

## نظامها الحكومى

لا تختلف هذه الدولة فى نظامها الادارى وشكلها السياسى عن نظم بقية الدول الاسلامية المعاصرة عامة ؛ سوى انها غير مركزية ، وهي جناية سياسية كانت عليها وبالا ؛ وكان أئمة هذه الدولة يرون انفسهم احق بامارة المؤمنين من غيرهم لسبق انعقادها لهم قبل سواهم من العباسيين كما ذكرنا ، والامام هو صاحب السكة واللواء (١) والدعاء على المنبر ؛ وهناك ولاة وامراء وعمال منتشرون فى انحاء المملكة ولهم فيها نوع استقلال

## الجزائر الادريسية

وبعد ما اطمأن المولى ادريس على المغرب الاقصى واذعنت له قبائله زحف فى جموع مطغرة وغيرهم على المغرب الاوسط — الجزائر — لفتح الطريق الى المشرق وتوسيع مملكته المغربية ، فنزل على محمد بن خزر بن صولات المغراوى امير تلمسان فبايعه محمد في رجب سنة ١٧٢هـ — ديسمبر ٧٨٨م واسلم له تدبير شؤون ولايته الجزائرية بدون محاربة ولا قتال ، ودانت له القبائل المجاورة هنالك من بني يفرن ومغراوة وجميع امهات قبائل المغربين الاقصى والادنى وقد كان لهذه المبايعة اثر خطير في فصل الشمال الافريقي عن الخلافة العباسية وفي ظهور تلك القبيلة العتيدة زناتة على مسرح تاريخ هذا الشمال وخاصة الجزائر

١) كانت راية هذه الدولة بيضاء عكس المسودة من بني العباس ، وظلت كذلك الى عهد الدولة الصنهاجية فاتخذتها هذه من حرير ووشتها بالذهب ؛ واشتهر العلويون وهم الطالبيون عموما باسم المبيضة لاتخاذهم البياض شعارهم فى لباسهم وراياتهم مخالفة للعباسيين اعدائهم في شعارهم — السواد —

## حدود الجزائر الادريسية

واذا نظرنا الى حدود الجزائر الادريسية وجدناها لا تتعدى من جهة الشمال الشرقي مدينة وهران ونهر شلف ؛ ومن جهة الجنوب سهول غريس بناحية معسكر الى جبال مديونة قبلي فاس ؛ ولك ان تقول انها تمتد على الساحل من الريف غربا الى ارض الحضنة من عمالة قسنطينة شرقا ، ثم تعود بناحية تنس غربا وجنوب شلف الى مليانة وتنتهي بمتيجة

## امارة تلمسان

مكث ادريس الاول بتلمسان نحو السبعة اشهر وفيها كان تأسيس مسجده الجامع ونقش على صفح منبره هذه العبارة : بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما امر به الامام ادريس بن عبد الله بن الحسن المثنى بن علي رضي الله عنهم وذلك في صفر ١٧٤هـ ولم يبق من اثر هذا المسجد اليوم الا اطلال من مأذنته بأكادير — تلمسان القديمة — ثم عاد بعد ذلك ادريس الى عاصمته «وليلي» المعروفة اليوم بقصر فرعون (١) وترك ابن العلاء واليا على تلمسان . وفي هذه السنة اتخذ ادريس السكة وضرب عمله بمدينة ترغة، وفي فاتح سنة ١٩٩هـ — ٨١٤م احدثت طائفة الصفرية وقبائل نفزة ثورات بتلمسان عجز العامل عن اخمادها ، وهو يومئذ محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل ، فزحف اليهم ادريس الثاني من عاصمته الجديدة — فاس — فأقمع الثائرين وقضى على الفتنة ومكث هنالك بتلمسان ثلاث سنوات رسم فيها حدود مملكته وعقد فيها اتفاقية مع جيرانه الاغالبة على ان يكون نهر شلف هو الحد الفاصل بين المملكتين وتعاهدوا على السلم والموادعة . وأمر

١) هي اليوم خراب واطلال قائمة على ربوة متصلة بجبل زرهون من جهة وادي خوفان ، تعرف في الخرائط باسم Volubilis تبعد عن الضريح الادريسي بنحو ثلاث كيلومترا وعن مدينة فاس بخمسين كيلومترا غربا

ادريس يومئذ بترميم ما بلى من المسجد الجامع الذى اشاده والده واصلح منبره، وجدد العهد لابن عمه محمد على ولاية تلمسان ثم عاد الى فاس ؛ وبقى محمد هذا على ولايته مقيما بعين الحوت الى وفاته بجبل وهران ، فخلفه يومئذ ابناؤه وحفدته . واستمرت هذه الولاية فيهم الى ان سقطت بيد موسى بن ابى العافية المكناسى عامل الشيعة سنة ٣١٩هـ -- ٩٣١م ويومئذ خرج منها عاملها الادريسى الحسن بن ابى العيش وهو من اعقاب سليمان بن عبد الله الكامل ملتجئا الى جزيرة ارشقول ؛ وانتشر الادارسة يومئذ بالمغرب العربي كله واعقبوا فيه، ومنهم من استقل ببعض المدن الجزائرية ، فحكم بعضهم ارشقول ، وهي على خمسة عشر ميلا شمال تلمسان ، ومنهم من سكن تنس ، ومنهم بترنانا على ثمانية اميال من ندرومة ، ومنهم بغليزان ومدكرة بنواحي مليانة ومنهم من حل بسوق ابراهيم بنواحي شهبونة والسرسو حيث مصب نهر اسلى فى شلف وغيرها . وكل من هذه الاماكن والجهات كان مستقلا بيد هؤلاء الادارسة لا ارتباط لهم مع امامة فاس الا في الدعاء على المنابر والسكة

## امارة متيجة

كانت لبنى محمد بن سليمان العلوى ممالك متفرقة بالمغرب ، ومنها بالجزائر امارة متيجة هذه ، وهى ارض فسيحة كلها سهل واسع يمتد من العلة شرقا الى مارانكو غربا ويحدها من جهة الشمال مدينة الجزائر ، وجنوبا جبل بنى صالح وبنى ميسرة ، و«متيجة» اسم قاعدة هذه الامارة القديم ويقال لها ايضا «قزرونة» ولعلها نفس المكان المدعو اليوم خزرونة قرب مدينة البليدة باميال . كانت هذه الولاية تحت ادارة وتصرف محمد بن جعفر عم ادريس الاول ؛ ومن نسله ابو فريك الكافر المسماة عليه ناحية بوفاريك الخصبة الشهيرة بمتيجة قرب البليدة ، فهو من ولد جعفر بن الحسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ، وذكر ابن حزم ان نسله بمتيجة .

## امارة هاز

هاز اسم مدينة قرب المسيلة بنواحي عين بوسيف يسكنها بنو يرناتن وهي عاصمة البلاد التي بين البويرة وجبال جرجرة الى قصر البخارى ونواحي زاغز الشرقي ، وتشمل سهل حمزة الفسيح المنسوب الى حمزة بن الحسن بن سليمان الطالبي العلوى مؤسس مدينة البويرة ، وبه ابناؤه اصحاب هذه الديار ، ومن الاماكن والبلاد المشهورة بهذه الامارة مدينة عين بسام وسور الغزلان وسيدى عيسى ؛ وكان خراب هذه الامارة على يد زيرى بن مناد الصنهاجي حين اخذ بمبادى الدعوة العبيدية — الفاطمية — ثم اجلب عليها بعد ذلك جوهر الصقلي قائد المعز العبيدى فقضى عليها .

## متنبي تلمسان ؟!...

وفى هذا العهد ٢٣٧ هـ — ٨٥١ م ظهر بنواحي تلمسان رجل كان مؤذنا باحد المساجد هناك ولم يذكر لنا التاريخ اسمه ؟ . فادعى النبوءة واخذ يفسر القرآن الكريم على غير وجهه ويحمله من المعاني ما يتبرا منه الاسلام والعربية ، ونهى الناس عن خصال الفطرة قائلا : لا تغيير لخلق الله !... فاجتمع عليه من الاوغاد من يصح فيهم قول القائل : انعق بما شئت تجد انصارا ! ولما شعر بعزم الشرطة على القبض عليه ذهب الى مرسى هنين فركب من هناك الى الاندلس فرارا من امير تلمسان ، وفي الاندلس كذلك اخذ فى نشر دعوته فاجتمع عليه الانذال والاوباش فقبض عليه الامير فاستتابه فلم يتب فقتله وصلبه .

## اختطاط مدينتي تنس ووهران

كثيرا ماكان البحارة الاندلسيون يرتادون السواحل الجزائرية والاماكن المنيعة منها امنا من الزوابع والاضطرابات البحرية . وللتجارة ايضا ، وكان مما اعتادوا النزول به ساحل تنس ووهران ، وخاصة فى الشتاء فانهم كانوا يقصدون ساحل تنس خاصة ولم يكن بذلك المكان يومئذ سوى قلعة عتيقة فقط ، وفى ذات يوم اجتمع عليهم سكان هذه الناحية ورغبوا منهم اتخاذ هذا المكان سوقا لتجارتهم وسمحوا لهم باقامة ما شاؤوا من البنيان فى تلك البقعة ، ووعدوهم بالعون والمساعدة وحسن الجوار والعشرة ؛ فلبى هؤلاء الاندلسيون هذه الرغبة واجابوهم الى ذالك فكان يومئذ تأسيس مدينة تنس سنة ٢٦٢هـ-٨٧٥م على يد جماعة من الاندلسيين منهم ابوعائشة والصقر وصهيب والكركرني ..... وسكن بها على الاخص اهل البيرة وتدمير من بلاد الساحل الاندلسى ؛ واصحاب تنس يومئذ هم ابناء ابراهيم بن محمد الحسينى ، وماكاديتم اختطاط المدينة حتى اقبل على تعميرها ايضا سكان سوق ابراهيم في اربعمائة بيت ، فاوسع لهم اهلها واشركوهم فى اموالهم وتعاونوا جميعا على انشاء المدينة واشادة بنيانها؛ فأصبحت اذ ذاك عاصمة من عواصم القطر الجزائرى ومركزا علميا ثقافيا اشتهر بها جماعة من العلماء منهم ابراهيم بن عبد الرحمن التنسى مفتى مدينة الزهراء بالاندلس...

اما وهران فانها اسست كذلك على يد جماعة من الاندلسيين كانوا تجاراً ينتجعون مرفى المدينة الاثرية «ايفرى» بمعنى الكهوف ، بمشاركة نفزة وبنى مسقن الذين هما من قبيلة زداجة الزناتية ، و بذلك المكان تأسست مدينة وهران سنة ٢٩٠هـ-٩٠٣م ومن هؤلاء الاندلسيين الذين شاركوا فى هذا العمل العمرانى الجليل : محمد بن ابي عون ومحمد بن عبدوس فى آخرين من بحارة الاندلس فاستوطنها هؤلاء سبع سنين ثم نشب الخلاف بينهم فخربت المدينة واضرمت فيها النيران ثم انشئت من جديد كما ستقف عليه فى مكانه ؛ واشتهر من علمائها غير

واحد ، فمنهم عبد الرحمن بن عبد الله الوهراني شيخ الحافظين الاندلسيين ابن عبد البر وابن حزم .....

## المذاهب والعقائد

ما كان لهذا المغرب ان يتحد في عقيدته ومذهبه الا في عصر هذه الدولة الادريسية ؛ فانه بمجرد ما اطمأن ادريس الاول لتدعيم اركان دولته وتوطيد دعائم ملكه نهض للقضاء على ما كان بالمغرب من مختلف العقائد والاديان فقضى على بقايا اليهودية والنصرانية والمجوسية وناهض الخوارج والمعتزلة وجمع الناس على عقيدة السلف ودعاهم الى الاقتصار على مذهب الامام مالك وجاءهم بالموطأ فنشره بينهم ، وكان يقول نحن احق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه ، وذلك لرواية الامام فى الموطأ عن والده عبد الله الكامل ، ولما كان يراه مالك ايضا ويفتي به من خلع الخليفة العباسى ابى جعفر المنصور وصحة البيعة لمحمد النفس الزكية اخ ادريس : فانتشر لذلك يومئذ المذهب المالكى بالمغربين الاقصى والاوسط كما نشره سحنون بالمغرب الادنى — تونس — فعمت المالكية المغرب

## الثقافة والحضارة والعمران

كان عهد الادارسة بالمغرب عهد عمارة وتأسيس وذلك ماتمتاز به الحضارة الادريسية ، فانها كثيرا ما انشأت مدنا مزدهرة ومبان فخمة وخاصة بالمغرب الاقصى اعظمها عاصمة فاس وسبتة .... اماقى الجزائر فلم يكن لهم بها كبير اثر بسبب بعدها عن مقر الامارة ودار الملك ؛ وقد شاهدنا كيف تأسست مدينة تنس ووهران على يد الاندلسيين واكادير بتلمسان على يد ادريس الاول والبويرة على يد حمزة بن سليمان العلوى ، كما ان ابا العيش عيسى بن ادريس بن محمد بن سليمان العلوى اسس مدينة جراوة سنة ٢٥٩هـ-٨٧٣م وهي على مرحلة من وادى ملوية الى ناحية تلمسان ؛ وقد دعيت بهذا الاسم لكثرة من سكن بها

يومئذ من اهل قبيلة جراوة ، وهى منعدمة اليوم كما يمتاز هذا العصر – فى اوله – بانتشار الرخاء وخفض العيش وكثرة الخصب حتى بيع وسق القمح بدرهمين وثلاثة دراهم ووسق الشعير بنصف ذلك ، والكبش بدرهم ونصف ، والبقرة باربعة دراهم ، وخمسة وعشرون رطلا من العسل بدرهم واحد ، واما الفواكه والخضر والبقول والقطنية فلا سوم لها بحيث لاتباع ولا تشرى والياخذ منها من شاء ماشاء ، ولقد دام هذا الرخاء واليسر عشرات السنين الى توالى ايام القحط والاوبئة الفتاكة ٢٥٣–٢٦٥هـ ٨٦٧–٨٧٨م فتغيرت الاحوال حينئذ وارتفعت الاسعار الى حد الشطط .

اما عن الحياة الثقافية والحركة العلمية فلا نعلم عنها يومئذ الا هذه المؤسسة العلمية الضخمة التى احدثت بفاس : جامعة القرويين ٢٤٥هـ-٨٥٩م التى هى اقدم الجامعات – بعد جامعة الزيتونة بتونس (١) – وكثرة وفود العلماء عليها من كل ناحية وصوب ؛ وخاصة من اهل القيروان والاندلس .

اما عن الجزائر فقد حدثنا التاريخ عن عدة شخصيات لامعة جزائرية كان يشار لها بالبنان امثال الفضل بن سلمة البجائى وابى بكر بن يحيى الوهرانى وغيرهما من مشاهير علماء الجزائر فى التاريخ

## انهيار الجزائر الادريسية

اول ما يلاحظه طالب التاريخ في سقوط هذه الدولة هو انقسامها اولا على نفسها ، فانه لما توفى ادريس الثانى وتولى مكانه ولده محمد قسم بلاد المغرب بين ابنائه واخوته وبنى عمه وهم كثيرون فاقطعهم البلاد وجعل منهم فى كل بلدة او ناحيــة اميرا مستقلا لا يشاركه الامام الا فى الدعاء له على المنبر فقط !....

فكان هنالك من خرج عن طاعة الامام وبايع الامويين رغبة اوطمعا فى نيل رتبة منهم

١) تظافرت الروايات على ان المؤسس هو الامير عبد الله بن الحبحاب سنة ١١٤هـ وتم تأسيسه سنة ١٤١هـ (٧٣٢–٧٥٨م)

او رهبة لقرب بلاده من ولايتهم. وهكذا تقطعت اوصال الحكومة الادريسية وتبعثرت وحدتها فتمرد الامراء والعمال وانحاز كل الى عمله؛ وقد اكتنف الدولة يومئذ مطامع دولتين عظيمتين : الدولة الاموية بالاندلس ودولة العبيديين الفاطمية بتونس . ثم ان الحكومة نفسها لم تكن لتعتني بالشعب المغربي العناية اللازمة التي تتطلبها الظروف المكتنفة بها من حيث السياسة الخارجية ؛ مع شراسة اخلاق البربر ووضعيتهم الشاذة بل تركتهم على فطرتهم وطبيعتهم الفوضوية ينهضون مع كل ناعق ويتبعون كل ناعر، حتى اذا صاح بهم داعي الشيعة العبيدي فسقطت فاس عاصمة الدولة بيده بسرعة ثم انتهت بالقبض على آخر ملوكها الامام الحسن الحجام (١) سنة ٣١١هـ - ٩٢٣م وتأخرت قليلا بعدها امارات الجزائر الى ان جاء دورها فسقطت سقوط اوراق الخريف الواحدة تلو الاخرى ؛ فأولها سقوطا جراوة وكانت تحت الحسن بن ابى العيش عميد بنى محمد بن سليمان بن عبد الله الكامل فتغلب عليها موسى بن ابى العافية عامل العبيديين سنة ٣١٧هـ - ٩٢٩م فانتقل اهلها يومئذ الى جزائر ملوية ومنها الى مدينة ارشقول ؛ فتعقبهم ابن ابى العافية واخلى منهم البلاد واستولى على جميع ملكهم سنة ٣١٩هـ - ٩٣١م ثم رفض موسى التشيع واتصل بعبد الرحمن الناصر بالاندلس ودعا الى الخلافة الاموية . ثم كان سقوط ولاية تنس التي كان يراسها على بن يحيى فانتصر عليه زيرى بن مناد الصنهاجي حليف العبيديين سنة ٣٤٢هـ - ٩٥٣م فلحق يومئذ على بالخير بن خزر المغراوى صاحب وهران مستنصرا به وبعث بولديه الى الناصر الاموى بالاندلس ، ثم عاد زاحفا على تنس فلم يظفر بها فكان ذلك آخر العهد بالدولة الادريسية بهذه الديار وقد عمرت بالجزائر مائة وسبعين سنة. اما فى اقصى المغرب حيث كان مركز خلافتها فقد تقدم انهيارها عن امارات الجزائر باحدى وثلاثين سنة ، ولقد نهض بعض الادارسة بعد ذلك يحاولون اعادة مجدهم فلم ينجحوا

---

١) كان ينعت بذلك لشجاعته وطعنه لاعدائه فى المحاجم

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان محمد بن خزر المغراوى هو صاحب تلمسان قبل ولاية هذه الدولة على المغرب ، ولما احتلها ادريس الاول ولى عليها رجلا يعرف بابن العلاء ، ثم كانت من اقطاعات سليمان بن عبد الله اخ ادريس ثم خلفه عليها ابنه محمد ، ثم رجل من ابناء ملوك زناتة يقال له على بن حامد الزناتى . ولما تولى الخلافة محمد بن ادريس الثانى جعل المغربين الاوسط والاقصى اوزاعا بين اخوته واقاربه فكانت تلمسان واعمالها لاخيه حمزة ، ثم تولاها ابو العيش عيسى بن ادريس وتوارثها عنه ابناؤه من بعده الى ظهور بنى عبيد . وكان على امارة متيجة بنو جعفر بن حسن عم ادريس الاول ومنهم ابوفريك الكافر ، وعلى تيهرت الحسن بن محمد بن سليمان ، وعلى امارة هاز ابناء الحسن بن سليمان ، وعلى مدينة مدكرة بعيد متيجة محمد بن سليمان ثم ولده ، وعلى سوق ابراهيم ، عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان ؛ وعلى مدينة انمالتة قبل وادى ملوية غربا : محمد بن علي بن سليمان ؛ وكان على مدينة ارشقول على ضفة نهر التافنا عيسى بن ابراهيم بن محمد بن سليمان الى وفاته سنة ٢٩٥هـ — ٩٠٧م فتولاها بعده ابنه ابراهيم المعروف بالارشقولى ثم يحيى بن ابراهيم ، ثم اخوه ادريس بن ابراهيم الى ظهور الشيعة عليه سنة ٣٢٣هـ — ٩٣٥م وتولى قضاءها يومئذ عيسى بن جنون ، وكان على مدينة جراوة — على ستة اميال من البحر وعلى مرحلة من ملوية الى ناحية تلمسان — ادريس بن ابراهيم ثم ولده الحسن وكان للحسن هذا ولد يدعى بعبدالله الترنانى لولايته على ترنانا وهى على مرحلة من تلمسان ، وكانت ولاية مازونة وتنس ومستغانم لابراهيم بن محمد بن سليمان ثم لابنه محمد من بعده ثم ليحيى بن محمد ثم لعلي بن يحيى وهكذا اقتسم الطالبيون المغرب الاوسط بينهم كما فعلوا ايضا بالمغرب الاقصى .

# أئمة الدولة الادريسية وخلفاؤها

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| ادريس الاول بن عبد الله الكامل | (٤ رمضان — ٥ فيفري) ١٧٢هـ - ٧٨٩م |
| ادريس الثاني بن ادريس الاول | (فاتح جمادى الثانية — ١٣ سبتمبر) ١٧٧هـ - ٧٩٣م |
| محمد بن ادريس الثاني | (ربيع الاول — ماى) ٢١٣هـ - ٨٢٨م |
| علي الاول بن محمد | (ربيع الثاني — مارس) ٢٢١هـ - ٨٣٦م |
| يحيى الاول بن محمد | (رجب — جانفيي) ٢٣٤هـ - ٨٤٩م |
| يحيى الثاني بن يحيى الاول | » » |
| على الثاني بن عمر | » » |
| يحيى الثالث بن القاسم | » » |
| يحيى الرابع بن ادريس | ٢٩٢هـ - ٩٠٤م |
| الحسن بن محمد بن القاسم الحجام | ٣١٠هـ - ٩٢٢م |
| موسى بن ابى العافية (مغتصب) | ٣١٣هـ - ٩٢٦م |
| القاسم كنون بن ابراهيم بن محمد | |
| ابو العيش احمد بن كنون | ٣٣٧هـ - ٩٤٨م |
| الحسن بن كنون | ٣٤٣هـ - ٩٥٤م |

# مشاهير الجزائريين

## الفضل بن سلمة البجائى

### ٣١٩هـ ـ ٩٣١م

الحافظ الحجة والفقيه الضليع الفضل بن سلمة بن جرير الجهنى البجائى اخذ عن مشيخة بلده ثم ارتحل الى افريقية فلقي بها ابن مجلون والمغامى واحمد بن سليمان ويحيى بن عمر ولازم منهم العالم حماسا ومن فى طبقته من العلماء فذاع صيته يومئذ ونبه ذكره ، وارتحل اليه الناس للتلقى عنه فتخرج على يديه جم غفير من ذوى المكانة العلمية والتحقيق العلمى الدقيق ، منهم ولده ابو سلمة واحمد بن سعيد بن حزم وسعيد بن عثمان ومحمد بن عبد الملك الخولانى واحمد بن خالد ، وابو العرب ومحمد بن النجار فى آخرين من اهل الاندلس والقيروان ، وله من التآليف مختصر المدونة والواضحة والموازية وله كتاب جمع فيه مسائل الموازية والمستخرجة توفى رحمه الله سنة ٣١٩هـ – ٩٣١م

## ابوبكر يحيى الوهرانى

### ٤٣٠هـ ـ ١٠٣٩م

المحدث الكبير ابو بكر بن يحيي بن عبد الله بن محمد بن يحيى القريشي الجمحى الوهرانى ، روى عن الفقية ابى محمد عبد الله بن ابراهيم الاصيلى وابى عمر الاشبيلي وعباس بن اصبغ وابن العطار وابى نصر النحوى وآخرين ... وعنه تخرج ابوحفص عمر بن الحسن الهوزني وابو محمد بن خزرج وقال فى شيخه الوهراني : كان شيخنا هذا متصرفا فى العلوم قوى الحفظ حسن الفهم ، وكان علم الحديث اغلب عليه ، توفي حدود سنة ثلاثين اواحدى وثلاثين واربعمائة هجرية –١٠٣٩م

# جدول تاريخى

## ١٧٢ ـ ٣٧٥هـ

## ٧٨٩ ـ ٩٨٥م

| تاريخ الحوادث | أهم الحوادث |
|---|---|
| ١٧٢هـ ٧٨٩م | تأسيس الدولة الادريسية ومبايعة ادريس الاول بالامامة (٤ رمضان — ٥ فيفري) |
| ١٧٣هـ ٧٩٠م | اذعان تلمسان للادارسة (رجب — ديسمبر) |
| ١٧٤هـ ٧٩٠م | تأسيس المسجد الجامع بأكادير — تلمسان — (صفر — جوان) |
| ١٩٢هـ ٨٠٧م | تأسيس مدينة فاس |
| ١٩٩هـ ٨١٤م | قضاء ادريس الثانى على ثورة الصفرية ونفزة بتلمسان |
| ٢٤٥هـ ٨٥٩م | تأسيس جامعة القرويين بفاس (فاتح رمضان — ٣٠ نوفمبر) |
| ٢٥٩هـ ٨٧٣م | تأسيس مدينة جراوة قرب تلمسان — لا وجود لها اليوم — |
| ٢٦٢هـ ٨٧٥م | تأسيس مدينة تنس |
| ٢٩٠هـ ٩٠٣م | تأسيس مدينة وهران |
| ٣١٧هـ ٩٢٩م | انتصار ابن ابى العافية على امارات الادارسة بالجزائر والمغرب الاقصى |
| ٣١٩هـ ٩٣١م | سقوط ولاية تلمسان بيد الشيعة العبيديين |
| ٣٤٢هـ ٩٥٣م | قضاء زيرى بن مناد ـ عاهل صنهاجة وحليف العبيديين ـ على امارة تنس |
| ٣٧٥هـ ٩٨٥م | نهاية عصر الادارسة بالمغرب الاقصى |

# الدولة الاغلبية

## ١٨٤ - ٢٩٦هـ

## ٨٠٠ - ٩٠٩م

### نشأتها

كانت ولاية افريقية الشمالية بأواخر القرن الثاني الهجرى تحت امرة محمد بن مقاتل العكى - رضيع هرون الرشيد - فهو الذى كان يومئذ اميرا بالقيروان وبيده زمام هذه الولاية العربية بافريقية وكان لسوء سلوكه مع الرعية وحيفه واستبداده وجوره ان كرهه الناس وثاروا ضده سنة ١٨٣هـ - ٧٩٩م ومعهم يومئذ عامل تونس تمام بن تميم ، فانهزم ابن مقاتل وحاول الفرار من الثائرين الى دار الامارة بالقيروان ، فحال الناس بينه وبينها فعرج يومئذ على مدينة طبنة عاصمة الزاب الجزائرى مستنجدا بعاملها ابراهيم بن الاغلب بن سالم التميمى فأخذ بيده العامل وخرج معه الى قمع هؤلاء الناقمين فهزمهم وكسر من شوكتهم ، وعاد الامير منتصرا الى مركزه بالقيروان ، ولكن الرعية بقيت على كرهه وعملت على خلعه بمداخلة ابراهيم بن الاغلب وحثه على تولية الامارة ؛ فكاتب ابراهيم الخليفة فى ذلك ملتزما له بدفع اربعين الف دينار سنويا الى دار الخلافة ببغداد واسقاط ماكانت تتقاضاه هذه الامارة من النفقات : (مائة الف دينار) من خزينة الدولة العباسية لتنفق بمصالح افريقية ؛ فاستشار يومئذ الخليفة رجال السلك السياسى فى ذلك فاستصوبه اهل الراى منهم واشاروا عليه بقبوله نظرا لثقل كاهل الدولة العباسية الناشئة بولاياتها المترامية الاطراف من الهند والصين شرقا الى المغرب الاقصى وبلاد الاندلس غربا ؛ وحينئذ اصدر هرون الرشيد امره فى اواسط

جمادى الثانية ١٨٤هـ – جوان ٨٠٠م بعزل محمد بن مقاتل العكي عن ولاية افريقية وتولية ابراهيم بن الاغلب عليها وجعلها وراثية فى عقبه ومنحه شبه استقلال داخلي ؛ وهو يرمى بذلك الى تمكين المغرب من الدفاع عن حوزة الخلافة العباسية امام دولة العلويين – الادريسية – القائمة يومئذ بالمغرب الاقصى ، ودولة الامويين بالاندلس ، ومن هنا ابتدأ استقلال افريقية الذاتي ، فكانت بذلك ولاية المغرب هى اول ما استقل من الولايات العباسية فى العالم الاسلامى يومئذ

## نظامها الحكومى

الحكومة الاغلبية حرة فى داخليتها تابعة اسما للخلافة العباسية فى ظاهرها يدير امورها اميرها المقيم بالقيروان فهو صاحب النفوذ الاعلى على جميع المملكة الممتدة من طرابلس الى الحضنة والزاب الجزائرى ؛ ويعاضده فى ذلك وزيراه فهما المتصرفان فى انواع مصالح الدولة الاربعة : البحرية ، والحربية ، والمالية ، والبريد ، ولكل من هذه النواحى الاربع رئيس مفوض مسؤول عن ادارة كل واحدة منها ولكل ادارة كتاب، وفوق ذلك كله منصب الحجابة. فالحاجب عندهم بمنزلة مدير التشريفات اليوم ؛ واما الجند فإنه يشتمل عى اربعة فيلق، وكل فيلق منها مختص بطبقة او صنف من الناس؛ وهم ما بين عرب وعجم وبربر وعبيدسود، والكل مأجور، وهم ينقسمون حسب اعمالهم الى ثلاثة اقسام : الحرس الملكى ، والجيش البرى والجيش البحرى ؛ وسلاحهم جميعا السيوف والرماح والحراب والاقواس والدروع والدرق وما كان مستعملا كذلك يومئذ من بعض الآلات وادوات الحرب مثل المنجنيق والكبش والدبابة الخ. .. ويرجع امر الجيش كله الى تصرف مصلحة الجيش العامة وقيادة الحرب العليا ؛ وللحكومة الاغلبية اسطول ضخم عتيد توصلت به الى الاستيلاء على سواحل مملكة فرنسا وايطاليا وجزائر

كورسيكا وسردانيا وصقلية ، وهو يشتمل على عدة قطع فيها اشكال وانواع من هيآت السفن البحرية ؛ من اغربة وشواني وطردات وحراقات الخ... قال ابن حمديس الصقلي السرقوسي يمدح ابا يحيى الحسن بن علي بن يحيى :

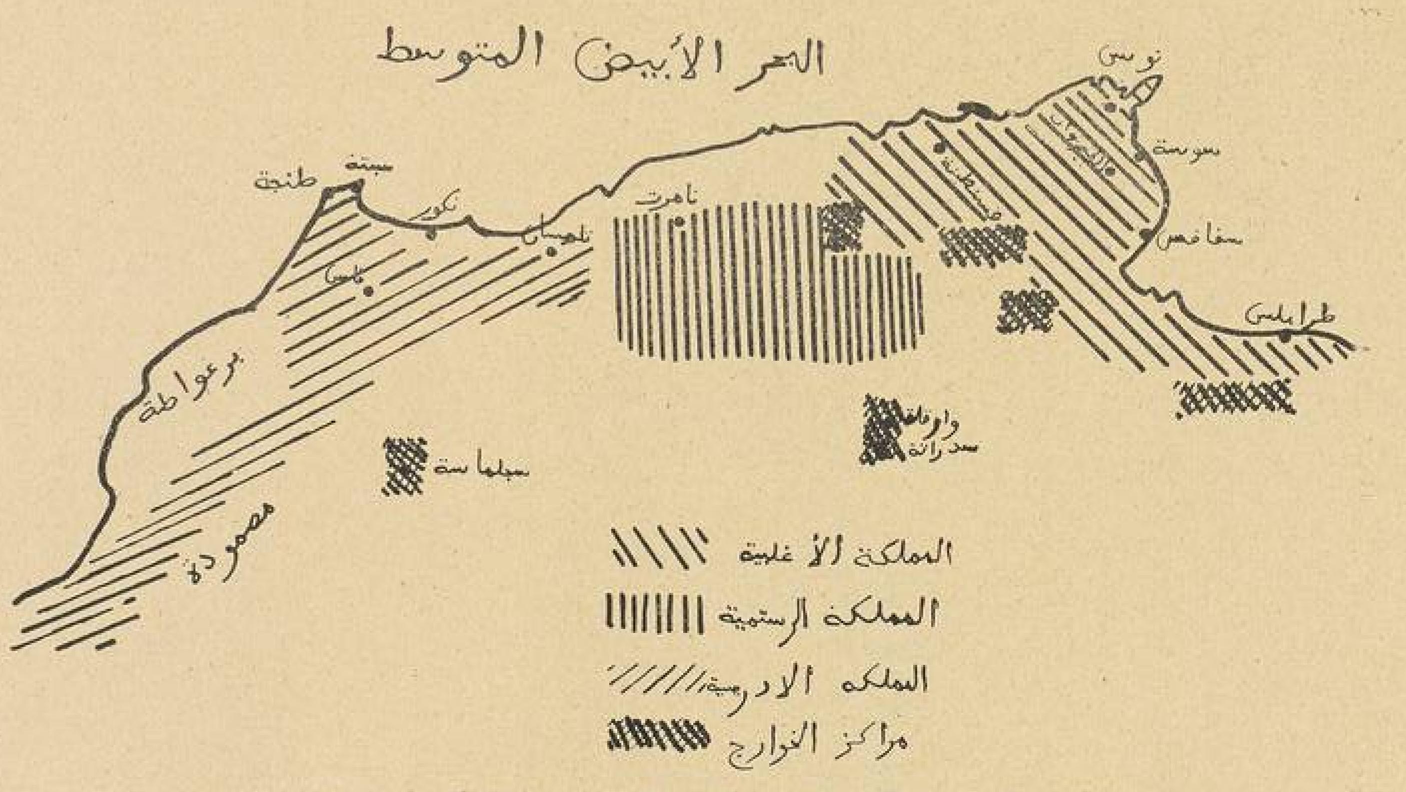
انشأت شواني طائرة  وبنيت على ماء مدنا
ببروج قتال تحسبها  في شم شواهقها قننا
ترمي ببروج ان ظهرت  لعدو مخرقة بطنا
وبنفط ابيض تحسبه  ماء وبه تذكى السكنا
ضمن التوفيق لها ظفرا  من هلك عداتك ما ضمنا

ولقد خلد تاريخ الاسطول الاغلبي ذكرا حسنا وصفحة ماجدة في تاريخ البحرية العربية الافريقية مما يبعث المغربي على المفاخرة والمباهاة به . ويومئذ اصبحت دولة الغرب الاسلامي دولة بحرية

واما القضاء فانه كان اولا من خصوصيات الخليفة فهو الذي يبعث برسم ولاية القضاء لمن يستحقه من صدور العلماء وائمة الفقه والتشريع ، وللقاضي التفويض في اصدار احكامه في جميع الحوادث والقضايا التي من شأنها ان ترفع الى القضاة من احكام الدماء او غيرها من المعاملات ، وله ان ينيب عنه من يتولى الحسبة والشرطة وغيرها من المناصب التي تعينه على فصل النوازل والقضايا اليومية التي تجرى بالقرى والاسواق . ولهذه الدولة عملتها الخاصة وسكتها المضروبة باسم ملوكها ، ولها علاقات ودية وتجارية مع دول اوروبا المجاورة لها

## حدود الجزائر الاغلبية

كان المغرب العربى منذ عهد الفتح الاسلامى الى انتصاب هذه الدولة منقسما الى خمسة اعمال : طرابلس ونواحيها الى حدود برقة ؛ وقسطيلة وهى بلاد الجريد اليوم وعاصمتها مدينة توزر ؛ وتونس وما حولها من شمال القطر التونسى ؛ وبلاد السوس او المغرب الاقصى وعاصمته يومئذ مدينة طنجة ؛ والخامس من هذه الاعمال هو بلاد الزاب الجزائرى وقاعدته مدينة طبنة وتارة بسكرة ويمتد الى جنوب عمالة قسنطينة ؛ وكانت الحدود الاغلبية بهذا القسم تمتد من سكيكدة شرقا الى وطن زواوة غربا، ومن ميلة وسطيف شمالا الى شط الجريد جنوبا ، ويصح ان نقول هى عمالة قسنطينة بحدودها المعروفة اليوم مع شىء قليل من التغيير ، ولكل من هذه الاعمال عامل يتصرف فى دائرته الخاصة به تحت سلطة دار الامارة العليا بالقيروان والباقى من ارض الجزائر موزع بين دولة الرستميين شرقا ودولة الادارسة غربا .




المغرب العربى فى القرن الثانى والثالث الهجرى – اوائل التاسع الميلادى –

(نقل وتعريب غالب الجيلالى ابن المؤلف عن تاريخ افريقية الشمالية لأندرى جوليان)

## أهم الحوادث الجزائرية

ليس هنالك ما يهم ذكره في تاريخ الجزائر فى هذا العصر سوى بعض الوقائع والاضطرابات التىحدثت بالزاب ، واغلبها يرجع الى نفور الشعب الجزائرى من سوء معاملة السلطة الحاكمة المتمثل فى ظلم بعض ولاتها وجورهم وقد قام بعملية القمع والزجر يومئذ ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب فقضى على اهل الزاب قاطبة كبيراً وصغيراً وحملهم على العجل — عربات النقل — فألقاهم فى الحفر سنة ٢٦٨هـ-٧٨١م كما اوقع ايضا بأهل بلد بلزمة — على مسافة ٢٧ كيلومترا فى الشمال الغربى من مدينة باتنة — سنة ٢٨٠هـ-٨٩٣م. وقام بمثل ذلك ابو العباس ابن ابراهيم الاغلبى سنة ٢٨٦هـ-٨٩٩م فأوقع بنى بلطيط ببسكرة فقاتلهم وشردهم فى البلاد ؛ ثم كان منه بعض اصلاح لما جرته هذه الوقائع من التخريب والتدمير وعاد ابو عبد الله الاغلبى بأمر والده ابراهيم بن احمد الى اهل الزاب فحمل عليهم فى جيش عظيم سنة ٢٨٨هـ-٩٠١م ثم كان استيلاء محمد بن خزر الزناتى وتغلبه على الزاب سنة ٣١٩هـ-٩٣١م فسقطت بسكرة بيده . وذلك كله يعود الى انزعاج الاهالى من جور الحكومة وشططها فى المغرم وتأبيها عن طبقات الشعب المغربى . ويمكن ان يلاحظ كذلك ما حدث يومئذ ٢٥٣-٢٦٥هـ (٨٦٧-٨٧٨م) من القحط والجدب الشديد الذى عم المغرب والاندلس وما اعقبه ايضا من المجاعة الكبرى التى حملت الناس على اكل بعضهم بعضا ؟!... فاذا استحضرنا كل ذلك علمنا اسباب الاضطراب الواقع يومئذ بالجزائر ايام بنى الاغلب

## ظهور ابى عبد الله الشيعى

لقد كان جميع ما تقدم ذكره من الظروف القاسية التي احاطت بالشعب الجزائرى وما كان من تعسف بعض امراء بنى الاغلب فرصة سانحة لظهور دعاة الشيعة في الجزائر وانتشار مبادى دعوتهم بها، والتبشير بقرب انهيار ملك الاغالبة وظهور المهدى المنتظر وقيام حكومة عادلة تحت طاعته وامره ، فكان ظهور هذه الدعوة الشيعية اولا بوادى الرمل ( سوق حمار ) بنواحي قسنطينة ، ومرماجنة – ما بين مجانة وسبيبة – سنة ٢٧٩ هـ – ٨٩٢ م ، ثم كان ظهور داعي الدعاة الاكبر ومعتمد المهدى العبيدى بهذه البلاد ابي عبدالله الشيعي الصنعاني ، فظهر بارض فرجيوة من بلاد كتامة (١) منتصف شهر ربيع الاول سنة ٢٨٠ هـ – اوائل جوان ٨٩٣م ، وقد سبق له التعرف ببعض رؤساء هذه القبيلة العتيدة في الحج فنزل عليهم ضيفا مكرما واخذ في نشر دعوته بينهم عشر سنين الى ان افتضح امره للامير ابراهيم الاغلبي فبعث الى عامله على الزاب موسى بن العباس يستطلعه خبر ابي عبدالله الشيعي ، فهون هذا عليه الامر واجابه بان الرجل بعيد عن مضان التهم !؟... وانه رجل دين وتقشف لاغير، فلم يقنع الامير الاغلبي بجواب عامله ولم يطمئن لتعليله هذا فبعث من يكفيه مؤونة الشيعى بمخالطته والاتصال به حتى يقف على حقيقة امره بنفسه فكان الامر كذلك ، وبعد ما اتضح امر الشيعى وانكشف حاله خاطبه الامير بواسطة رسوله هذا قائلا له : ما حملك على التعرض لسخطى والوثوب على ملكى وافساد رعيتي والخروج علي ؟... فان كنت تبغي عرضا من عرض الدنيا فانك تجده عندى ، وان كان قصدك غير ذلك فلقد علمت عواقب من سولت له نفسه ما سولت لك نفسك. وانما اردت الاعذار

١) هى من أشهر القبائل الجزائرية الكبرى، تسكن الفحوص والسهول والجبال فيما بين قسنطينة وبجاية ، يوجد منها بعض البطون بجبال اوراس ، وهى من اشد القبائل بأسا واطولها باعاً فى الملك ، ولها افخاذ وبطون منتشرة بالمغرب الاوسط

اليك ، وهذا اول كلامي لك وآخره فانظر في يومك لغدك !... فاجاب الشيعي رسول الامير بقوله : قد قلت فاسمع وبلغت فأبلغ ، اما ما ذكرت من التهديد فما انا ممن يروع بالايعاد ؛ واما تخويفك اياي برجال دولتك ابناء حطام الدنيا فاني في انصار الدين وحماة المؤمنين الذين لا تروعهم كثرة انصار الظالمين مع قول الله عز وجل ( كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ) واما اطماعه لي في دنياه فلست من اهل الطمع فيما عنده ، انا بعثت رسولا لامر حم وقرب وانجاز وعد من الله سبق والله لا يخلف الميعاد . هذا جواب ما جيئت به . وما كاد ينتشر تصريح الشيعي هذا بين الاوساط الاغلبية حتى تآمروا على قتله والفتك به لولا ان فرقتهم السياسة ، فخاص يومئذ داعى الشيعة الى غرضه ونجح . . .

## محاربة الشيعي

وبعد ما تحقق الاغالبة الخطر في جانب هذا الداعي الشيعي الكبير وادركوا ان ملكهم مهدد بالزوال عزموا على مقاتلته فخرج اليه ابو عبد الله الاحول بن الامير الاغلبي سنة ٢٨٩ هـ - ٩٠٢ م فنازله بنواحي طبنة ، على نحو اربع كيلوميترات من شمال بريكة ، وكان النصر بينهما سجالا . . .

## زحف الشيعي على عمالة قسنطينة

وفي نفس التاريخ غزا ابراهيم الاصغر جزيرة صقلية وخلف ابنه ابا العباس وصيا على العرش واوصاه بمراقبة موقف الشيعة من المملكة والدفاع عن الحوزة وكان من المقدر ان توفي الامير الاغلبي في غزوته هذه سنة ٢٨٩هـ- ٩٠٢م، ودفن بصقلية فخلفه ولده ابو العباس على امارة افريقية ، فسكن الشيعة يومئذ الى ان تهيأت لهم الفرصة باشتغال الامير ابى العباس بولده ابي مضر والي صقلية حيث

انكر عليه والده اشياء فعزله وادخله السجن سنة ٢٩٠ هـ - ٩٠٣ م ، فاغتاظ لذلك ابومضر وعمل الحيلة للتخاص من السجن والقضاء على والده فقتله وجلس على عرش الاغالبة بالقيروان ليلة الاربعاء ٢٩ شعبان ٢٩٠ هـ - فاتح جوليت ٩٠٣م واعمل السيف في جميع من كان مضنة الخروج عليه من اهله واقاربه وبني عمه ويومئذ اندفعت الشيعة لاختلاس الفرصة من بين هذه الظروف والزوابع الحرجة القائمة يومئذ في بيت الملك فزحف ابو عبد الله الشيعي على بلاد كتامة فاحتلها ودخل ميلة وباغاية وسطيف وبلغت جيوشه الى مجانة فاصبحت جميعها تحت طاعته وامره .

## منازلة كتامة

استمرت الوقائع والحروب بين جموع الشيعة والاغالبة بنواحي كينونة ؟... وكان النصر فيها للشيعة ، ويومئذ حشد زيادة الله الثالث جموعه وفيالقه وجمعهم كلهم تحت قيادة حاجبه أبي المقارع ومعه شبيب القمودي وخفاجة العبسي يعاضدانه وخرجت الكتائب سنة ٢٩٣ هـ - ٩٠٥ م ، لمقاتلة كتامة الممالئة يومئذ للعدو فكانت هنالك وقائع حربية هائلة قتل فيها عدد عظيم من الطرفين وكان ذلك مقدمة لانهيار قوى الاغالبة وضعفها بالمغربين : الجزائر وتونس .

## المذاهب والعقائد

لا يخفى ماكان لقاضي قضاة الخلافة العباسية ابي يوسف صاحب ابى حنيفة من نفوذ الكلمة والسطوة والمشورة عند خلفاء بغداد والمقام السامى الذى كان يحتله بين رجال البلاط العباسي وخاصة الخليفة الرشيد نفسه المسيطر على جميع الولايات الاسلامية يومئذ ، وما الامارة الاغلبية الا صنيعته ، فكان من الطبيعي ان تأخذ هذه الامارة بتقاليد دار الخلافة فتقلدها فيما تدين به من المذاهب والعقائد وخاصة فى تشريع الاحكام والقوانين التي يجرى عليها نظام الحكم فى

البلاد ؛ فكانت الدولة الاغلبية بذلك حنفية ؛ ثم انه لا يخفى كذلك ما كان يتمتع به تلامذة المدرسة المالكية من الجاه والحرمة والتقدير عند الشعب خاصة، مثل ابي القاسم الزواوى تلميذ الامام مالك، واسد بن الفرات وسحنون بن سعد، وما قام به ادريس بن عبد الله الكامل بالمغرب الاقصى من نشر المذهب المالكى واخذ الامة المغربية به، وما كان كذلك ليحيى الليثى من الحضوة والسلطان لدى خلفاء بني امية بالاندلس الخ .... فكل ذلك كان عاملا قويا في نشر المذهب المالكى بالمغرب، فاجتمع يومئذ بالمغرب المذهبان الحنفى والمالكى وقد عرف الناس مع ذلك مذهب الشافعي وداود ولكنه بقلة. وفى ذلك يقول عياض فى مقدمة كتابه المدارك :

واما افريقية وما وراءها من المغرب فقد كان الغالب عليها فى القديم مذهب الكوفيين الى ان دخل علي بن زياد وابن اشرس والبهلول بن راشد وبعدهم اسد بن الفرات وغيرهم بمذهب مالك فأخذ به كثير من الناس ولم يفشوا الى ان جاء سحنون فغلب فى ايامه وفض حلق المخالفين واستقر المذهب بعده فى اصحابه فشاع فى تلك الاقطار الى وقتنا هذا (٤٧٦-٥٤٤ﻫ) وكان بالقيروان قوم قلة في القديم اخذوا بمذهب الشافعي، ودخلها شيء من مذهب داود (الظاهرى) ولكن الغالب عليها اذ ذاك مذهب المدينة والكوفة. وروى ابن البزاز الكردرى في تاريخه بسنده عن عبد الله بن عبيد الله قال : رايت ابى يناظر فى المسجد الحرام رجلا غريبا في المسائل الدقاق وحوله جماعة، فقال له ابى من اين انت ؟... قال من طنجة اقصى بلاد المغرب ليس وراءه اسلام، من مكة على راس الف وخمسمائة فرسخ او اكثر، قال كيف وقعت هذه الدقائق عندكم ؟.. قال وقعت عندنا كتب الامام ابى حنيفة رضى الله عنه ؛ وقد تذكر عندنا اقاويل الامام مالك والاوزاعي، وفتوانا على راى ابى حنيفة (١) وطالما شاهدنا الخلاف قائما بين اتباع

(١) مناقب الامام الاعظم لابن البزاز الكردرى ج ٢ ص ١٠٥ ط حيدر آباد الدكن ١٣٢١ﻫ

المذهبين المالكي والحنفي وكثيرا ما تفاقم الخلاف والجدل بين الحاكم والمحكوم حتى بالغ الولاة في البطش بمخالفيهم الى حد القتل في بعض الاحيان ، ولكن المالكية تصلبوا في التمسك . بموقفهم الى النهاية . ولقد استمر مذهب اهل العراق سائدا بالمغرب بجانب المذهب المالكي الى اواخر القرن الثالث الهجرى حيث افل نجمه الى العهد التركي في القرن العاشر الهجرى

وكانت العقائد ومباحث اصول الدين بعيدة عن الاراء الفلسفية والمذاهب الاعتزالية فالايمان البسيط الظاهر عندهم كاف فى صحة عقيدة المسلم ، وكيف يستطيع اهل الجدل الدينى التظاهر بعقيدتهم او المناظرة في علم الكلام في دولة منع قاضى قضاتها الصلاة خلف المتكلمين الذين يجادلون في الصفات ؟! ..

## الثقافة والحضارة والعمران

يمتاز عصر الاغالبة هذا بكثرة عقد الرحلات في طلب العلم . وكتب التراجم حافلة بذكر اسماء العلماء من اهل المغرب الذين اخذوا علمهم عن مالك وابن القاسم ومحمد بن الحسن وسفيان بن عينه واضرابهم من ائمة المشرق ؛ وشاع يومئذ بين الناس التعليم العام والخاص فى المساجد والكتاتيب وغيرها وعلى الخصوص علم الفقه والتشريع لشدة حاجة الناس اليه يومئذ حيث انهم لا يزالون حديثوا عهد بنظام الاسلام وقوانينه التشريعية . فكثير من الجزائريين الذين اشتهروا بالتفوق الادبى وحازوا علي الرآسة فى العلم ببلدهم وفي غيرها كذلك، مثل محمد بن حسين الطبنى وإسحاق الملشونى واحمد بن علي الباغائى وابى القاسم يوسف البسكرى وابى الفضل عطية الطبنى وهو القائل :

قالوا التحى وانكسفت شمسه    وما دروا عذر عذاريه
مرآة خديه جلاها الصبى    فلاح فيها فى صدغيه

كما انتشرت يومئذ بالمغرب علوم الحكمة والفلسفة والطب على يد العالم الحكيم

ابى يعقوب اسحاق بن عمران البغدادى فقد استدعاه الامير زيادة الله الثالث لمعالجته حين اصيب بمرض اعجز الاطباء علاجه ، فجاء هذا الى القيروان ومعه ابوالحسن بن حاتم؛ وكان ابو يعقوب ماهرا حاذقا فى صناعة تأليف الادوية المركبة والبسيطة بصيرا بتفرقة العلل واسع الاطلاع على علوم الفلسفة جيد القريحة فاستوطن القيروان سنة ٢٩٣هـ-٩٠٥م وبها الف كتبه ونشر علمه وعنه اخذ المغاربة الطب والفلسفة ؛ ولا ننس كذلك فضل علي بن نافع الملقب بزرياب وما جاء به من علم وفن الى بلاد المغرب ايام مكثه بالقيروان فى طريقه الى الاندلس؛ وكان مما زان هذا العصر ايضا نبوغ احمد بن الجزار صاحب كتاب «زاد المسافر» الجامع للمعلومات الطبية المتعارفة في وقته واليه يرجع الفضل فى انتشار هذه العلوم بأوروبا إبان القرون الوسطى كما اعترف بذلك كبار دكاترة الغرب انفسهم. وتعتبر اعمال هؤلاء جميعا هى النواة الاولى لتأسيس دار الحكمة فى القيروان

ثم ان هذه الدولة عرفت كيف تستثمر خلاصة حضارات من تقدمها من الدول العظيمة الكبرى التى حكمت هذه البلاد مثل دولة الفنيقيين والرومان ، فانها انتفعت بما احدثه هؤلاء من سبل وجهازات للرى ، وبما جاء به الاعاجم كذلك من صناعات النسج والطرز وبما خلفه الكنعانيون من اساليب التجارة فى البر والبحر والزراعة وغيرها من صناعة البناء (١) فأحدثت المساجد والاسوار

---

(١) جاء فى كتاب التاريخ العام للعالمين : لافيس ورامبو ، ان انكلترا الانكلوساكصونية فى القرن السابع الميلادى الى ما بعد العاشر كانت فقيرة فى ارضها منقطعة الصله بغير بلادها ، سمجة وحشية تبنى البيوت بحجر غير نحيت وتشيدها من تراب مدقوق وتجعلها في وطإ من الارض ... ولم يكن الناس احسن مسكنا وامنا من الحيوانات ، وكانت البيوت فى باريس ولندن تبنى من الخشب والطين المعجون بالقش والقصب ولم يكن فيها منفذ ولا غرف مدفئة . وقد اعترف المنصفون من علماء اوروبا بأن كل ما كان بعد ذلك من اشراق وفن وجمال في حضارة اوروبا ورقيها المادى والادبى انما كان مطلعه شمال افريقية فى عهدها العربى الاسلامى وذلك لان المدنية الغربية تكونت بعد فتح العرب للاندلس وجنوب فرنسا وصقليه وسواحل ايطاليا وسائر جزر البحر الابيض المتوسط ، وكل هذه الفتوحات ماعدا جزيرة قبرص صدرت عن شمال افريقيه ثم تشهد لهم بذلك آثارهم الباقيه ببعضها الى اليوم

والقصور والمنائر (١) وتمهدت الطرق وعبدت السبل واسست المدن مثل العباسية بالجزائر قرب تاهرت ٢٢٧هـ - ٨٤١م وغيرها بولاية تونس وكان السفر مأمونا والاميال معلمة ؛ فان طول المسافة من القيروان الى السوس الادنى على المحيط الاطلسى يبلغ الفين ومائة وخمسين ميلا ، وكان على طول مسافة الساحل محارس ومخافر لجند الحماية ، وكانت الصناعات مثل الحدادة والنجارة والنقش والحياكة والتعدين منتشرة فى انحاء المملكة فانهم كانوا يستخرجون من معادن مجانة وبونة وغيرهما انواع الحديد والرصاص والفضة والكحل ، ومن مرسى الخرز - القالة - انواع اللؤلؤ والمرجان مما لم يتفق لغير هذه الدولة ممن حكم هذه البلاد من قبل وقد بلغ خراج الفدان (٢) الواحد على عهد ابراهيم بن الاغلب ١٨ دينارا ، وكان مبلغ خراج ارض افريقية وجبايتها فى اوائل القرن الثالث ١٣,٠٠٠,٠٠٠ درهما و ١٢٠ بساطا وكل ذلك يدلنا على سعة ثروة البلاد ورفاهيتها

---

١) هى مواقيد بنيت على رؤوس الجبال العالية بحيث يتقارب بعضها ويشرف بعضها على بعض ، ويقال لها ايضا القباب والمناور او المناظر ، يقام فيها حراس يستعملون المرايا لارسال العلائم بالنهار عندما يرون حدوث شىء مهم بجهتهم ؛ ويوقدون النيران بالليل ، وهكذا يفعل الذين يلونهم ثم الذين يلونهم الى ان يصل الخبر الى المدينه او الثغر او المسلحه في زمن قليل فقد كانت الرسائل تصل من سبتة الى الاسكندريه بواسطتها فى مدة اقل من اربع ساعات ، وقد كان بالمغرب يومئذ نحو العشرة آلاف منار ، وكلها كانت مبنية بالحجارة والكلس وعليها ابواب من حديد ولم تكن هذه المنائر معروفه عند المسلمين الا فى البلاد التى كانت تابعة للدولة البيزنطيه من قبل

٢) مساحة من الارض تقدر بـ ٤٢٠٠ مترا مربعا

## انهيار الدولة الاغلبية

ان اهم ما اضر بهذه الدولة وكان سببا مباشرا فى سقوطها هو معاملتها القاسية للشعب واخذها له بالعنف والتضييق عليه فى ضرب المغارم والاتاوات الباهضة واثارة مشاعره بالعصبية العربية والتعصب المذهبى مع اتخاذ الجند المأجور الذى لا يتحرك الا عن طمع وجشع فلا حمية دينية تبعثه ولا حفيظة او حماسة وطنية تحرؤه انما هو اجير ، ومتى اجارك اجير ؟.. ويلاحظ على الدولة فى قصر نفوذها واكتفائها فى حكم المغرب الاوسط ببسط يدها على قسم من نوميديا الشرقية فقط؛ مع سوء سلوكها مع اهل الزاب وبلزمة من ايقاعها بهم واهلاكهم سنة ٢٨٠هـ - ٨٩٣م كل ذلك مما زاد فى نفور الرعية وهيجان كتامة والتغالى فى تصلبها وتمسكها بالدعوة الشيعية ؛ ثم كان القضاء المبرم الذى قضى به زيادة الله الثالث على دولته بالدمار وهو الموقف الشنيع الذى وقفه تجاه والده وغالب رجال البيت الاغلبى من القضاء عليهم باراقة دمهم جميعا وهتكه لحرمات الملك بتهتكه فى الخلاعة والانهماك فى الشهوات حينما كان الشيعة يتقمون سراعاً فى مواقفهم الحربية منتصرين على خصومهم، فكان هذا كله فرصة لابى عبدالله الشيعى لاذاعته في القوم فكرة التحرر والاستقلال عن الدولة العباسية وانتظار المهدى المنتظر وبثه فيهم مذهب الاسماعيلية فتغلغلت فيهم عقائد الشيعة وتجمع الناس حول الداعى ابى عبدالله وكانت هنالك حروب خرج لها زيادة الله الثالث في ثمانين الف مقاتل ، فالتقى الجمعان بنواحى الاربس - قرية بنواحي الكاف بتونس - وهنالك دارت بينهم رحى الحرب فكانت هذه الوقعة هي المعركة الفاصلة في مستقبل البلاد فانهزم الاغالبة فيها شر هزيمة وخرج زيادة الله هاربا من رقادة (١) مصحوبا باهله وذويه ليلة الاثنين

---

١) مدينة أسسها ابراهيم الاصغر سنة ٢٦٤هـ - ٨٧٧م تبعد عن القيروان بثمانية اميال جنوبا وهى اليوم اطلال

٢٦ جمادى الثانية ٢٩٦ هـ - مارس ٩٠٩ ، وذهب بعدها الى بيت المقدس وسقطت مملكة الاغالبة بما فيها - الجزائر - بيد الشيعة . فكانت مدة حكمهم ١١١ سنة وثلاثة اشهر .

## ولاة الجزائر وزعماؤها

لم تكن سلطة الاغالبة في الوطن الجزائرى لتتعدى حدود عمالة قسنطينة كما ذكرنا ، وكانت عاصمة الجزائر الاغلبية يومئذ هي مدينة طبنة على نحو اربع كيلو ميترات شمال بريكة وقد تولاها لهذا العهد الاغلب بن تميم ، ثم المخارق بن غفار الطائي ، ثم المهلب بن يزيد من آل المهلب بن ابي صفرة ثم ابراهيم بن الاغلب ثم عمر بن حفص المهلبي المعروف بهزارمرد ، وكان من ولاتها ايضا منصور الترمذى فانتقض يوما على زيادة الله الاول وسار الى تونس فملكها سنة ٢٠٧هـ-٨٢٢م ؛ ولما فتح الشيعة طبنة كان بها يومئذ امير مسالة : الفتح بن يحيى فقتله الشيعي ؛ وكان على بلد ميلة رجل من بني سليم يقال له موسى بن العباس بن عبد الصمد فقتله الشيعي ايضا وولى مكانه ماكون بن ضبارة ؛ وكانت ولاية سطيف لبني اسد بن خزيمة وآخرهم علي بن جعفر بن عسكوجة واخوه ابوحبيب، وكانت ولاية بلزمة في بني تميم ومواليهم وكانت ولاية المسيلة وميلة لموسى بن العياش فقتله الشيعي في غزو لهاته . وكان من امراء كتامة لهذا العهد عروبة بن يوسف ؛ وعلى باغاية هرون الطبني : وكان على الزاب سالم بن غلبون فقتله الاغالبة مع ولده ازهر بسبب ثورتهما عليهم سنة ٢٣٣هـ-٨٤٧م . وكان من ولاة الزاب ايضا احمد بن سوادة المتوفي سنة ٢٦٠هـ-٨٧٣م

# امراء الدولة الاغلبية

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| ابراهيم بن الاغلب | جمادى الثانية ـ جوان ١٨٤هـ ـ ٨٠٠م |
| ابوالعباس عبد الله الاول | صفر ـ اكتوبر ١٩٧هـ ـ ٨١٢م |
| زيادة الله الاول | ذو الحجة ـ جوان ٢٠١هـ ـ ٨١٧م |
| ابوعقال الاغلب | ١٤ رجب ـ ١١ جوان ٢٢٣هـ ـ ٨٣٨م |
| ابوالعباس محمد الاول | ٢٢ ربيع الثانى ـ ١٨ فيفري ٢٢٦هـ ـ ٨٤١م |
| ابوابراهيم احمد | ٢ محرم ـ ١١ ماى ٢٤٢هـ ـ ٨٥٦م |
| زيادة الله الثانى | ١٣ ذى الحجة ـ ٢٨ ديسمبر ٢٤٩هـ ـ ٨٦٣م |
| ابوالغرانيق محمد الثانى | ٢٠ ذى القعدة ـ ٢٣ ديسمبر ٢٥٠هـ ـ ٨٦٤م |
| ابراهيم الاصغر | ٦ جمادى الاولى ـ ١٦ فيفري ٢٦١هـ ـ ٨٧٥م |
| ابوالعباس عبد الله الثانى | شعبان ـ جوليط ٢٨٩هـ ـ ٩٠٢م |
| زيادة الله الثالث | رمضان ـ جوليط ٢٩٠هـ ـ ٩٠٢م |

# مشاهير الجزائريين

## اسحاق الملشونى

### أواسط القرن الثالث الهجرى
(اواسط التاسع الميلادى)

هو شيخ امراء بنى الاغلب ونديم بلاطهم اسحاق بن ابى عبد الله عبد الملك الملشونى نسبة الى ملشون قرية من قرى بسكرة قرب تهودة وهي يومئذ حاضرة العلم؛ كان اسحاق هذا عالما ثقة مؤرخا ثبتا ذا دراية ومعرفة واسعة بفن التاريخ والمحاضرات، كان يحمل عنه وعن ابيه العلم، اخذ عن والده وعن مشائخ بلده، كما جالس الامام سحنون بالقيروان واخذ كل منهما عن صاحبه قال ابو العرب كان ابو القاسم بن شبلون الفقيه رضى الله عنه يروى فيما كان يرويه ان سحنون بن سعد دخل على محمد بن الاغلب الامير اول يوم من شهر رمضان فألفى الامير خاليا. فقال له: اراك ايها الامير خاليا، فقال نعم، انفردنا فى هذا الشهر المعظم وخلونا فيه وتركنا ماكان لغير الله عز وجل، فقال سحنون: فأين انت ايها الامير من اسحاق الملشونى يحدثك بأخبار الامم السالفة والاعوام الماضية؛ فأمر محمد بن الاغلب باحضاره، فكان يحضر عند محمد بن الاغلب فى كل يوم يحدثه بذلك حتى انقضى شهر رمضان؛ قال ابو العرب: وسمعت بعض المشائخ ممن يروى البرى من الاخبار يحدث عن اسحاق بن عبد الملك الملشوني انه قال: لم يدخل افريقية نبى قط، واول من دخلها بالايمان بعض حواريي عيسى بن مريم عليه السلام(١) فأين زعم القائلين بوجود قبر النبى خالد بن سنان بالقطر الجزائرى ودفنه حيث الضريح المنسوب اليه المشهور قرب بسكرة؟...

(١) طبقات علماء افريقية ص ٨ ط باريس ١٩١٥م

نعم روى ابو العرب فى طبقاته والمالكى فى رياضه كلاهما عن قاضى افريقية الثقة عبد الرحمن بن زياد بن انعم المتوفى سنة ١٦١هـ-٧٧٧م . انه قال : كنت امشى وانا غلام مع عمى بقرطاجنة فإذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية : «انا عبد الله بن الاراشى رسول رسول الله صالح بعثنى الى اهل هذه القرية ادعوهم الى الله ، اتيتهم ضحى ، قتلوني ظلما حسبهم الله» وقيل ان شعيبا هو الذى بعث عبد الله ابن الاراشى . والاراش فخذ من بلي (١) ولم نعثر على اى رواية صحيحة تثبت لنا صحة نسبة القبر الى خالد بن سنان العبسى؛ (٢)

## محمد بن حسين الطبنى

## ٣٩٤هـ - ١٠٠٤م

الاديب الكبير والشاعر المفلق ابو عبد الله محمد بن حسين بن محمد الطبنى نسبة الى طبنة عاصمة الزاب الجزائرى ولد بها سنة ثلاثمائة او ٣٠٣هـ ؟... وصفه ابن بشكوال بسعة العلم والتبحر فى الادب وقال : انه لم يصل الى الاندلس اشعر منه ، وكان اتصاله بالاندلس سنة ٣٢٥هـ وكانت وفاته منسلخ شهر ذى الحجة سنة ٣٩٤هـ - اكتوبر ١٠٠٤م وشاهد جنازته المظفر عبد الملك بن ابي عامر فى اهل دولته وصلى عليه ابن فطيس رحمهم الله جميعا

١) طبقات علماء افريقية ص ٧ ط باريس ١٩١٥م ورياض النفوس ص ٥ ط القاهرة ١٩٥١م
٢) راجع ص ١٣٨-١٣٩-١٤٠-١٤١ من كتابنا هذا

# جدول تاريخى

## ١٨٤ ـ ٢٩٦هـ

## ٨٠٠ ـ ٩٠٩م

| تاريخ الحوادث | أهم الحوادث |
|---|---|
| ١٨٤هـ-٨٠٠م | تأسيس الدولة الاغلبية (جمادى الثانية - جوان) |
| ٢٠٧هـ-٨٢٢م | استيلاء منصور الترمذى - والى طبة - على تونس |
| ٢٢٧هـ-٨٤١م | انشاء مدينة العباسية - قرب تيهرت - قضى عليها الرستميون |
| ٢٥٣هـ-٨٦٧م | اشتداد ازمة القحط بالمغرب العربي كله ، وقد دام سنوات |
| ٢٦٨هـ-٨٨١م | فتك ابراهيم بن احمد بن محمد بن الاغلب بأهل الزاب |
| ٢٧٩هـ-٨٩٢م | ظهور الدعوة الشيعية بنواحي قسنطينة |
| ٢٨٠هـ-٨٩٣م | ظهور ابي عبد الله الشيعى بأرض فرجيوة من بلاد كتامة |
| ٢٨٦هـ-٨٩٩م | مقاتلة الحكومة لبنى بلطيط ببسكرة |
| ٢٨٨هـ-٩٠١م | مقاتلة اهل الزاب |
| ٢٨٩هـ-٩٠٢م | منازلة الدولة لابي عبد الله الشيعى بنواحى طبنه |
| ٢٩٠هـ-٩٠٣م | سقوط بلاد كتامة وميلة وباغاية وسطيف ومجانة بيدالداعية الشيعى |
| ٢٩٣هـ-٩٠٥م | انتقام الدولة من كتامة |
| ٢٩٦هـ-٩٠٩م | انهيار الدولة الاغلبية ووقوعها بيد الشيعة (٢٦ جمادى الاولى مارس) |

# الدولة العبيدية ـ الفاطمية ـ

## ٢٩٦ ـ ٣٦١هـ

## ٩٠٩ ـ ٩٧٢م

### نشأتها

تنتسب هذه الدولة — حسب اسمها — الى عبيد الله المهـدى الشيعى مؤسس الخلافة العبيدية بالمغرب ، وجد الخلفاء الفاطميين (١) بالمشرق ؛ فهـو عبيد الله ابن احمد بن اسماعيل الثانى بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ؛ على ما فى هذا النسب من جدل وخلاف ؟!... ولد عبيد الله بالسلمية من بلاد الشام وقيـل ببغداد سنة ٢٦٠هـ-٨٧٣م ؛ وبنى خطته السياسية على فكرة القول بالامام المهدى المنتظر وما يحيط بها من غموض وخفاء ، وكثيرا ما استعملت هذه الفكرة فى انشاء دول وعصبيات سياسية لترويج دعوتها والقضاء على غيرها ؛ وهى فكرة شيعية محضة

والشيعة لقب اصطلاحى خاص باحدى الفرق الاسـلامية التى ترتكز فى دعوتها السياسية والاجتماعية والدينية ايضا على تفضيل علي بن ابي طالب رضى الله عنه وتقديمه على غيره من الصحابة ؛ وانه الوصى على الخـلافة وانها مستمرة فى عقبه الى النهاية ، وان الخلفاء من نسله معصومون الخ ... وكان من فرق الشيعة المشهورة طائفة الاسماعيلية الملقبة بالباطنية ذات البدع الشنيعة فى الاسلام ، القائلة بامامة اسماعيل بن جعفر الصادق ، مع انه مات قبـل والده !... وذلك توصلا منهم الى انتقـالها فى عقبه المتحدر منـه عبيد الله المهدى مؤسس هذه الدولة ؛

---

١) تسموا بذلك تعريضا بالعباسيين ؛ فقد يقول هؤلاء انهم ابناء العباس عم النبى صلى الله عليه وسلم ولكنهم لا يتطاولون الى الانتماء الى فاطمة الزهراء، فهو انتماء الى بيت النبوة ذاته ، وليس هو كالانتماء الى الاعمام ...

ولا تزال طـائفة الاسماعيلية هذه قائمة الى اليوم في بلاد العجم والهند والشام يراسها «آغاخان» الزعيم الديني الهندى المشهور المقيم الآن باريس

في الوقت الذى كان عبيد الله المهدى مضطهدا من طرف العباسيين بالمشرق مختفيا عن اعين الناس مطاردا ؛ كان داعيته الاكبر ابو عبد الله الصنعاني الشيعي بالمغرب يعمل على توطيد الدعوة الشيعية وتركيز الخلافة وتهيئتها لسيده المهدى ؛ ولمـا اطمأن بنجاحه في الدعوة بعث الى عبيد الله يستقدمه - وهو يومئذ مختفيا بمصر فخـرج المهـدى مع ولده ابي القاسم وابى العبـاس احمد اخ الصنعـاني فارتحلوا جميعا في زى التجار وجاؤوا الى طرابس فمكث بها ابو العباس وارتحل عنها المهدى وولده الى قسنطينة ثم الى سجلماسة - تافيلالت - وهنـاك وقـع في قبضة صاحبها اليسع بن ميمون المنتصر من بنى مدرار عامل بني العباس ؛ وسريعا ما اتصل الخبر بالصنعـاني فاستقدم اخـاه من طرابلس فخـلفه على ولاية رقادة وخرج يجر وراءه جيشا اضطرب له المغرب الاوسط ، فقضى على دولة بني رستم وامتلك تاهـرت وانتحى بجيشه ناحية المغرب الاقصى فاستـولى في طريقه على عدة مراكز وتابع سيره الى سجلماسة فشن عليها الغارة وقضى على عاملها اليسع وخلص الى المهدى وولده فانقذهما من الاسر ورجع بهما الى رقادة ، فدخلهـا المهدى راكبا على فرس ورد وعليه ثوب خز ادكن وعمامة مثله متنعـلا نعـلا عربية وخلفه ولده ابو القاسم مرتديا ثوب خز خلوقى وعمامة مثله وتحته فرس اشقر؛ متقدما امامهما الصنعاني على فرس كميت وعليه ثوب توتي، وظاهرة كتان وعمامة ومنديل اسكندراني وبيده سبنية يمسح بها العرق والغبار عن وجهه والناس بين يديه يسلمون وهو يقول : هذا مولاكم حتى انزله المخيم برقادة ، وهنـاك كانت البيعة له بأمير المؤمنين وذلك يوم الجمعة ٢١ ربيع الثاني ٢٩٧هـ - ٩ جانفيى ٩١٠م فكان بذلك اول من اعلن مزاحمة الخليفة العباسي في لقبه ؛ ولقد اتصف عبيد الله بقوة البنية وجمال السمت والهيبة ، كما اتصف ايضا باليقظة

واصالة الراي والعلم مع سعة الحيلة ورباطة الجأش وشدة الحزم فأعانته صفاته الخلقية هذه وما اعتمده فى دعوته من الوسائل الدبلوماسية التي لم يسبق اليها سابق ولم يهتد اليها احد قبله على انشاء دولته التي اقامها بين اكثر من ست دول اسلامية وغيرها كلها تحاربها وتخشى عاقبتها

نظامها الحكومى

قامت هذه الدولة الشيعية على كاهل فن التخذيل او كما يسمى فى العصر الحديث «الطابور الخامس» فكانت لذلك اعظم واجل رتبة بها هي وظيفة داعى الدعاة، لا يفضلها الا مقام قاضى القضاة او الخليفة نفسه الذى يعتقدون فيه العصمة، ولم يكن لهذه الدولة وزراء الا بعد انتقالها الى مصر فى عهد الخليفة العزيز بالله، وهناك خطة صاحب المظلة يختار لها فارس يحاذى الملك في سيره من حيث كانت الشمس ، ولا يعلم احد من الملوك اتخذ هذه المظلة المكللة قبل بني عبيد ، وفى ذلك يقول ابن هانىء الاندلسى من قصيدة يمدح بها الخليفة المعز العبيدى :

وعلى اميـر المؤمنين غمـامة ... نشأت تضلل تـاجه تضليـلا
نهضت بثقل الدرع ضوعف نسجه ... وجرت عليه عسجدا محلولا

وفي القصر منشئوون وكتاب لا يقل مرتب احدهم عن ثلاثين ديناراً لكل شهر ولرئيسهم مائة وخمسون دينارا ، ولجلب الخراج والجباية والمغرم وقبض الزكاة موظفون آخرون . وللعمل بالبلاد اناس هم غالبا من سكان البلاد الوطنيين واكثر الجند متجمع من قبيلة كتامة الشديدة البأس ، وكان ابو عبد الله الصنعاني اذا اراد ان يركب للحرب نادى مناديه : يا خيل الله اركبوا ، وكتب على افخاذ الخيل «الملك لله» وعلى السلاح عدة الله» وعلى الراية البيضاء «سيهزم الجمع ويولون الادبار» ؛ وقد يكون على ألويتهم احيانا أهلة من ذهب فى كل منها صورة سبع ، وكان منقوشا على خاتمه الذى يختم به السجلات «وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم» . وللاسطول العبيدى ميزانية ضخمة

من خراج الاقطاعات الموقوفة عليه ولرؤساء المراكب مرتبات تبلغ العشرين ديناراً فى كل شهر ؛ قال ابن خلدون : وكان لكل بلد تتخذ فيه السفن اسطول يرجع نظره الى قائد من النواتية يدبر امر حربه وسلاحه ومقاتلته ، ورئيس يدبر امر جريه بالريح او بالمجاذيف وامر إرسائه فى مرفئه ، فاذا اجتمعت الاساطيل لغزو محتفل او غرض سلطانى مهم عسكرت بمرفئها المعلوم ، وشحنها السلطان برجاله ، وانجاد عساكره ومواليه ، وجعلهم لنظر امير واحد من اعلى طبقات اهل مملكته ، يرجعون اليه كلهم ثم يسرحهم لوجههم وينتظر ايابهم بالفتح والغنيمة (١) وتمتاز هذه الدولة العربية الناشئة بالمغرب بالمحافظة على عاطفة الاهالى سكان البلاد الاصليين فأشركتهم فى الادارة باسنادها مشيخة النواحي وادارة البريد وحماية الفرسان اليهم ؛ ثم كان لهم التقدم فى المناصب على غيرهم اثر الفتح الفاطمى بالمشرق . وللدولة بعد ذلك عملتها وسكتها المضروبة باسمها منقوش فيها « بلغت حجة الله » وعلى الوجه الآخر « تفرق اعداء الله » وهي مستقلة استقلالا تاما لا يسيطر عليها فيه احد ، وبقيام هذه الدولة فى المغرب كان فى العالم الاسلامى يومئذ ثلاث خلافات : خلافة العباسيين ببغداد ، وخلافة الامويين بالاندلس ، ثم هذه الخلافة العبيدية بالمغرب .

## حدود الجزائر العبيدية

لاول مرة فى تاريخ المغرب العربي اتحدت افريقية الشمالية تحت لواء دولة اسلامية واحدة ، وقد كان بالوطن الجزائرى يومئذ اربع ولايات : ولاية المسيلة وهى تشتمل على مواطن زناتة بالزاب والحضنة ومواطن عجيسة ما بين سطيف وقلعة بنى حماد ؛ وولاية باغاية المشتملة على وطن كتامة من نواحى عنابة وقالمة الى نواحي سطيف وجيجل ، وولاية اشير المحتوية على مواطن صنهاجة وما يجاورها من زواوة وزناتة ، وولاية تاهرت المشتملة على مواطن مغراوة ما بين مليانة ومازونة ، ويفرن وغالب زناتة

---

١) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٣ ط بولاق ١٢٧٤هـ

## فتح عمالة الجزائر الشرقية

كان ابتداء ظهور الدعوة الشيعية بالجزائر حوالي سنة ٢٧٩ هـ — ٨٩٢ م ، بواسطة الدعاة المنبثين فى الاقطار المرسلين الى المغرب من طرف جعفر الصادق، وكان ظهورهم اول مرة بناحية قسنطينة — سوق حمار — ما بين ارض مجانة وسبيبة ثم ظهر بكتامة ابو عبد الله الصنعاني؛ المنتصر بقبائل لهيصة وغسمان المتحالفة معه ضد كل معاكس له فى دعوته ، وهكذا استمر ابو عبد الله بذكائه وعزمه النادر فى استمالة القوم اليه بدعوى التحرير من ربقة السلطة الاغلبية والانتصار للدين حتى امتلك قلوبهم واكتسب مودتهم فاجتمعوا عليه وكثر عددهم حوله فأخذ حينئذ فى تأسيس مدينة بـ «ايكجان» قرب Chevreul الحالية بنواحى «فج مزالة» فجمع بها انصاره وسماها «دار الهجرة» ومنها زحف الى ميلة ففتحها سنة ٢٩٠هـ-٩٠٢م . وجرت بينه وبين الاحول اخ ابى العباس الاغلبى حروب طاحنة ووقائع شديدة بنواحى سطيف وبلزمة انتصر فيها الاحول اولا ثم دارت الدائرة عليه فتغلب الشيعى وفتح طبنة عاصمة الزاب — على نحو اربع كيلومترات شمال بريكة — واحتلها صلحا فى آخر ذى الحجة سنة ٢٩٣هـ — اكتوبر ٩٠٦م واظهر لاهلها التقشف والتعصب للكتاب والسنة وانتهاج مناهج العدل والاستقامة فتمسك به القوم ورغبوا في توليه عليهم ؛ وفي شعبان سنة ٢٩٤هـ — ماى ٩٠٧م خرج الشيعى من طبنة في جموعه فاستولى على بلزمة وباغاية ومنها توجه الى مسكيانة وتبسة ، وهناك جاءته الوفود من اهالى مدينة سطيف مستأمنة على نفسها فأمنها بعد ما هدم المدينة ، ثم استولى بجنوده واتباعه على تيجس ومرماجنة وقسنطينة ومجانة وسائر بلاد الجزائر ونواحيها الشرقية ، ومنها اندفع الى ناحية تونس وقفصة وكان معه يومئذ ما ينيف على مائتى الف جندى ؛ وهنالك التقى بجيش الاغالبة الذى كان يبلغ نصف العدد وكانت المعارك بينهم بالاربس فانتصر عليهم الصنعانى بجيوشه واحتل القيروان

في اواخر جمادى الثانية ٢٩٦هـ - مارس ٩٠٩م وتقدم في رجب - افريل الى رقادة دار ملك الاغالبة فتبوأها ، فكان ذلك آخر العهد بدولة بنى الاغلب

## فتح عمالة الجزائر الغربية

بعد ان ظفرت الدولة العبيدية بالمملكة الشرقية من الجزائر الى تونس حولت انظارها الى امتلاك الجهة الغربية؛ فجهزت لها جيشا عتيدا بقيادة عروبة بن يوسف الكتامي فاحتل مملكة الرستميين وقضى على امامة الخوارج بها لتناقض الفكرتين فيها، وجعلت ولاية العاصمة تاهرت الى ابى حميد دواس بن صولات اللهيصى والسيد الصغير ابراهيم بن محمد المعروف بالهوارى . وفي سنة ٢٩٧هـ-٩٠٩م هجم محمد بن خزر الزناتى امير مغراوة فى قبيله على تيهرت فهزمه واليها ابو حميدة واسره في قومه بحصن ابن بخاتة - المعروف بتاهرت القديمة - ثم اجهز عليهم ونجا ابن خزر بنفسه ، وفي سنة ٢٩٨هـ-٩١٠م نهض التاهرتيون ضد عامل الشيعة العبيدى فخرج منها العامل ملتجئا الى حصن ابن بخاتة وأسند اهلها رآستهم الى امير مغراوة محمد بن خزر الزناتى فنزل هذا المدينة وتغلب على ارباضها : ثم جاءت الحملة الشيعية في شهر صفر ٢٩٩هـ - سبتمبر ٩١١م فاقتحمت مدينة تيهرت قهرا ونصبت على رأسها مصالة بن حبوس المكناسى ، واستمرت هذه الولاية في عقبه الى سنة ٣١٤هـ-٩٢٦م حيث عاد إليها ابن خزر السالف الذكر وهاجمها مرارا فلم ينجح ، وقد التهبت النيران في تيهرت سنة ٣٠٥هـ-٩١٧م فأحرقت اسواقها . وفي سنة ٣١٥هـ-٩٢٧م تقدم ابو القاسم بن عبيد الله المهدى متوغلا في اعمال تيهرت ففتح يومئذ بلاد هوارة ومزاتة ومطماطة

وفي ذى الحجة سنة ٢٩٧هـ- اوط ٩١٠م اوعز الخليفة عبيد الله المهدى الى ابى حميد اللهيصى عامل تيهرت بحصار مدينة وهران ومقاتلة اهلها من بنى مسقن الزناتيين ان هم امتنعوا عن الاستسلام ، فحوصرت وهران ومنع اهلها

الماء فخرج منها بنو مسقن ليلا وتركوا اموالهم الى النهب وخربت وهران فاضرمت فيها النيران وفر عنها يومئذ مؤسسوها الأندلسيون، محمد بن ابى عون ومحمد بن عبدوس في جماعة .... ثم ردهم اليها ابو حميد وشرعوا في تجديد المدينة في شعبان - افريل ٢٩٨هـ-٩١٠م فعادت ابهج مما كانت عليه من قبل وتولى عليها يومئذ محمد بن ابى عون الاندلسى فتقدم بها العمران والرقى الى منتصف جمادى الثانية سنة ٣٤٣هـ- اكتوبر ٩٥٤م. حيث كانت بها الوقعة المشهورة بين يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى وبين زداجة وبنى مسقن - كلهم من زناتة ومواطنهم بازاء وهران - فاحتل يعلى المدينة وعمل على خرابها والعيث والفساد فيها واوقد فيها النيران فعادت وهران الى ما كانت عليه من التدمير والخراب واخذ يعلى في نقل اهلها الى موطنه الزناتي، وكانت الغاية من هذه الوقعة مقاومة الشيعة لا غير وبقيت وهران على ذلك مدة سنوات ثم تراجع الناس اليها وبنيت من جديد . وفي سنة ٣١٩هـ- ٩٣١م تحرك محمد بن ابى العافية عامل العبيديين على المغرب الاقصى فجاء في جموع كثيرة فاحتل ولاية تلمسان ووهران وتنس وشرشال وقطع يومئذ دعوة الادارسة من المغرب الاوسط ؛ ثم كان بعد ذلك من الفتن والثورات بهذا الوطن ما اخرجه مرارا عن طاعة العبيدين وادخله في طاعة الامويين تحت تصرف يعلى الافرنى عامل الناصر الاموى بالمغرب ، وبقى الامر على ذلك بين الطائفتين ما بين مدوجزر الى ان تجرد لها القائد جوهر الصقلى سنة ٣٤٧هـ-٩٥٨م فاخضع جميع هذه النواحى الجزائرية نهائيا الى سلطة الدولة العبيدية وأضافها الى اعماله بالمغرب الاقصى . ثم منحتها الحكومة الى حليفها حاكم مدينة اشير ومؤسسها زيرى بن مناد الصنهاجي

## مؤامرة تنس

يقال ان ابا العباس احمد المعروف بالمخطوم اخ ابى عبد الله الصنعاني ندم على ما صدر منه ومن اخيه في خدمة الدولة الشيعية وتوطيد الملك وتمهيده لبنى عبيد، فكان مما رواه التاريخ عنه انه أسرَّ لاخيه ذات يوم فقال له : تكون انت صاحب البلاد والمستقل بأمورها وتسلمها الى غيرك وتبقى من جملة الاتباع ؟!... فكان هذا مما حمس ابا عبدالله على اضمار الغدر بعبيدالله المهدى وفي يوم الجمعة ١٧ ذى الحجة ٢٩٧هـ - اوط ٩١٠م تم تدبير المؤامرة بمدينة تنس ضد الخليفة ؛ وبيتوا على قتل المهدى فكان هناك من نمى الخبر الى الخليفة فاحترس اولا من المتآمرين متربصا بهم الدوائر الى ان حان الوقت فدس لابى عبد الله واخيه من قتلهما صبراً ، وذلك وقت الزوال من يوم الثلاثاء منتصف جمادي الاولى سنة ٢٩٨هـ - ١٩ فيفري ٩١١م وكان قاتل ابى عبد الله هو عروبة بن يوسف من وجوه كتامة ؛ ومعه اخوه حباسة ، وقيل معه جبر بن نماسب الميلى ؛ يقال انه لما حمل عروبة على الداعية الصنعانى واراد قتله ، قال له لا تفعل يا بني !... فأجابه هذا : ان الذى امرتنا بطاعته امرنا بقتلك . وقتل معهما جماعة من شيوخ كتامة ممن تمالؤوا على ذلك ، واظهر الخليفة الرضى عن غيرهم ممن ظن فيهم الظنون ، فجعل يفرقهم فى المناصب النائية كأنه يكافئهم ويعتمد عليهم وهو فى الواقع يقصيهم عن مواطن الخطر ويوقع بينهم الحذر والمنافسة

## مناهضة الشيعة بالجزائر

اشتد غضب كتامة على الخليفة حين اوقع ببعض الذوات من رؤسائهم - الذين شاركوا في المؤامرة - فأزمعوا على الانتقام واصروا على الخلاف فكثرت الحوادث والوقائع والحروب ضد الشيعة ؛ وفي سنة ٢٩٩هـ - ٩١١م اقتطع الزاب عن العبيديين فقويت شوكة اعدائهم به ؛ فنهض اليهم يومئذ ابوالقاسم محمد بن عبيد الله

المهدى فأخضعهم واحتل مدينة قسنطينة واعمالها؛ وفي سنة ٣١٠-٩٢٧م غزت قبيلة زناتة بلاد كتامة بدعوى مناهضة الشيعة المحتلين لتلك البلاد، فكانت الحرب بينهم شديدة انهزمت فيها زناتة، فانتهزها يومئذ الامويون فرصة فمدوا ايديهم للاخذ بضبع زناتة فبايعهم رئيسها يومئذ محمد بن خزر سنة ٣١٦هـ-٩٢٨م واذعن للخلافة الاموية وحمل على ناحية التل فاستولى على مدينة وهران وتنس وشلف ثم اخفق فى الاخير

## مقتل عامل آوراس

لقد بالغ ابومعلوم فلحون الكتامى عامل آوراس فى مطالبة رعيته بدفع المبالغ الباهضة من المغرم وكلفها من الكلف ما لا تطيقه، فأظهرت له الرعية الطاعة والامتثال متربصة به حتى ظن انه نجح فى خطته واطمأن فانقض عليه يوما اهل الجبل فقتلوه ومن معه من الحامية والجند ٣١٠هـ-٩٢٢م؛ فكانت هذه الحادثة من متممات حوادث مناهضة الشيعة بالجزائر

## مقتل عامل تاهرت

كثيرا ما خرجت ولاية تاهرت عن طاعة العبيديين، وتولاها رؤساء زناتة تلك القبيلة التي لم تكن لتذعن لهذه الدولة الشيعية طيلة ولايتها على المغرب؛ وكثيرا ما نشأت بينهما حروب دامية، منها هذه الحرب التى خرج فيها مصالة ابن حبوس عامل تاهرت مهاجما لقبيلة زناتة المنشقة، وقد استولى فى طريقه على النواحى؛ ففيها كان حتفه يوم الجمعة ٣٠ شعبان سنة ٣١٢هـ-١٩ جانفيى ٩٢٥م وانهزم يومئذ حزب الشيعة، ولم تكد تنقطع الوقائع بين زناتة والشيعة ومن والاها من قبائل صنهاجة وكتامة مدة نحو خمسين سنة

## انشاء مدينة المسيلة

بعد ما انتهى الخليفة ابو القاسم محمد بن عبيد الله المهدى من خولته فى انحاء الوطن للقضاء على الثورات القائمة ضده تقدم يومئذ لبلاد مطماطة وهوارة ونواحي تاهرت ففتحها نهائيا واوغل في التخوم الى ما وراءها فكسر من شوكة المعارضين هنالك ، وفي منصرفه الى قاعدته مر في طريقه على وادى سهر فأعجب بهذا المكان الذى كان يسكنه يومئذ بنو ملكان من بطون هوارة ، فأمر بنقلهم الى فج القيروان، واخذ رمحه فاختط به فى ذلك المكان مدينة المسيلة وهو راكب على فرسه ؛ وقد كان ذلك اليوم الاحد ٩ صفر سنة ٣١٥هـ - ١٥ ابريل ٩٢٧م وعهد بالقيام على بنائها والوقوف على تحصينها وتحسينها الى احد قادته المشهورين ابي الحسن علي بن حمدون المعروف بابن الاندلسي (١) وجعلها سدا منيعا بينه وبين عادية زناتة ، ولما تم بناؤها نسبها الخليفة الى نفسه ودعاها باسمه «المحمدية» ونقلت ادارة الزاب اليها من طبنة ، فأصبحت المسيلة - المحمدية - هى عاصمة الزاب يومئذ وبلغت من الحضارة والعمران الغاية القصوى ، فقد كان بها من القصور والمنشآت المعمارية من حمامات ومنتزهات ومساجد الخ .... ما يحق للجزائر ان تفخر به على غيرها فى ذلك العصر ؛ وقصدها يومئذ العلماء والادباء فجاؤوها من كل جهة وصوب وجعلت ولايتها لمؤسسها علي بن حمدون الى ان هلك في حرب ايوب بن يزيد الخارجي سنة ٣٣٤هـ - ٩٤٦م فخلفه عليها ابنه جعفر ممدوح بن هانى ، وبقي في ولايته الى ان نافسته صنهاجة ونشأت الحرب بينهما فقتل فيها زيرى بن مناد الصنهاجي وذهب فيها ضحية عثرة فرسه ، فقام ابنه بلكين منتقما لوالده وظهر على جعفر فخرج منها حينئذ يوم ١٨ رمضان ٣٦٠هـ - ١٥ جوليط ٩٧١م . وذهب الى قرطبة فكان هو واخوه يحيى في جانب المنصور بن ابى عامر على اعدائه

---

١) هو الذى خرب مدينة أدنة — على مرحلة شرقي المسيلة — وامر باسقاطها عند رجوع ميسور الفتي من المغرب سنه ٣٢٤هـ — ٩٣٥م

وقتل جعفر هنالك وفر يحيى الى مصر، فأضاف المعز العبيدى ولاية المسيلة يومئذ الى بلكين الصنهاجي فعمت ولايتـه حينئذ كلا من اعمال الجزائر الثلاثة : المسيلة وتاهرت واشير

## انشاء مدينة اشير

هى مدينة بالجنوب الشرقى من البرواقية قرب « ثلاثاء الدوائر » انشأهـا زيرى بن مناد رئيس صنهاجة واميرهـا سنة ٣٢٤هـ ـ ٩٣٦ م وجعلهـا مركزا حربيا لمغاورة بلاد زناتة الممتنعة عن طاعة العبيديين المغيرة علي ثغورهم ، جاب اليها البنائين والصناع من المسيلة وطبنة فاحكموا وضعها واشادوا بناءها حتى قيل انه ليس في هذه الاقطار احصن منها ولا احكم ؛ وبعد ان رأى الخليفة المنصور شدة نكاية مؤسسها فى العدو ـ ابى يزيد ـ بقلعة كتامة واخلاصه في نصرة الدولة وصله بتحف وهدايا نفيسة وعقد له على قومه وعلى تيهرت واعمالها واذن له في اتخاذ القصور والمنازل والحمامات بمدينة اشير فاستبحر بها العمران وقصدها العلماء والتجار من القاصية وكانت بها سوق تباع فيها كل لطيفة وظريفة ، وضرب بها العبيديون عملتهم، ثم جاء بلكين ولد المؤسس فابتنى سورها سنة ٣٦٧هـ ـ ٩٧٧م وبقيت المدينة حرما آمنا الي ما بعد سنة ٤٤٠ هـ ـ ١٠٤٨ م حيث خربها يوسف بن حماد الصنهاجى ، ثم تراجع اليها الناس بعد سنة خمس وخمسين واربعمائة ـ ١٠٦٣م فعادت الى ما كانت عليه

## ثورة ابى يزيد الخارجى

كان ابو يزيد هـذا رجلا مشهورا بالتقشف يركب الحمار ويلبس الخشن من الصوف متسما بالسنة آخذا نفسه بالحسبة يامر بالمعروف وينهى عن المنكر ويعلم الصبيان القرآن ويؤدبهم، واسمه ابو يزيد مخلد بن كيداد المشتهر بصاحب الحمار ومذهبه النكارية من فرق الخوارج ، متعصبا لمذهبه وهو من اهل جبل اوراس

فنى سنة ٣٣٢ هـ-٩٤٣م بايعه اهل الجبل على الثورة فى وجه الشيعة وتلقب بشيخ المؤمنين وعمره يومئذ ستون سنة فخرج معه الكثير من خوارج زناتة ومشيخة المالكية ايضا وكلهم يدعو الى مبايعة الخليفة عبد الرحمن الناصر الاموى صاحب قرطبة ، وذلك توصلا منهم الى نبذ الدعوة الشيعية وتحرير البلاد من سلطة بنى عبيد ، فخرج ابو يزيد من اوراس على راس هذه الجموع ناشرا الويته الصفر فاحتل من بلاد الجزائر مدينة تبسة ومجانة وغالب مدن القطر الجزائرى الشرقية وحاصر قسنطينة وبلغ في سيره الى القيروان ثم الى تونس فاحتلها وحاصر المهدية دار ملك العبيديين ثمانية عشر شهرا حتى كاد الخليفة المنصور العبيدى - وهو يومئذ بها - ان يغتم وييأس لولا انه عمل الحيلة في التخلص بنفسه منها وذهب الى بسكرة ثم الى مقره من بلاد الزاب الجزائرى ، ومن هناك كاتب رئيس صنهاجة زيرى بن مناد مستنجدا به على ابي يزيد واهدى اليه فى ذلك اموالا كثيرة وحللا وتحفا نفيسة كما استعان ايضا بصاحب المسيلة علي بن حمدون ، فلبى كل منهما دعوة المنصور وخرجت الجحافل فاحاطت بابى يزيد - وهو يومئذ محاصر للمهدية - فافرج عنها فى صفر سنة ٣٣٤ هـ - سبطمبر ٩٤٥ ، وفي اثناء ذلك نهض شاب بجبل اوراس متزعما حركة اخرى ضد الشيعة ايضا فقبض عليه صاحب المسيلة وجاء به مصفدا الى الامير فامر بحمله معه وصلبه اينما حل وارتحل فكان يظهره للناس مصلوبا ارهابا لهم وظل ابو زيد يتنقل في العواصم والبلاد الجزائرية والخليفة المنصور فى اثره الى ان بلغ باغاية فامتنع عنه اهلها ومنعوه من الدخول اليها فضرب عليها الحصار ونزل المنصور يومئذ بطبنة وفى تلك الاثناء فسدت سيرة ابي يزيد وساء سلوكه فاختلفت عليه زناتة وانقلبت ضده ، فجاءت رسل محمد بن خزر الزناتى امير مغراوة الى الخليفة تستامن للقبيلة فامنهم الخليفة مشترطا عليهم تسليم ابى يزيد ، فانطلقوا جميعا خلفه وكانت له معهم وقائع

وايام مشهورة باسمائها فى التاريخ كوقعة يوم الرؤوس بفحص باتنة ، ووقعة الحريق بجبل كياتة - قلعة بنى حماد - حيث احاط العبيديون بالقلعة ، وبعد حرب ضروس قبض الخصوم على ابي زيد مثخنا بالجراح بجبل معديد شمال الحضنة فى المحرم ٣٣٦هـ - جوليت ٩٤٧ م فأمر الخليفة باسعافه فغلب عليه نزف الدم فمات يوم الخميس لليلة بقيت من المحرم ؛ فمثل الخصماء بجثته وعبثوا بها... ويومئذ نهض ابناء ابي يزيد الثلاثة : الفضل وايوب ويزيد فى قومهم منادين باستمرار الثورة على العبيديين والمطالبة بدم ابيهم فانتشبت الحرب من جديد وتقدم الفضل على راس جيوشه فحاصر طبنة وبسكرة وباغاية وكاد لهيب الفتنة يعم الاوراس لولا ان قتل الفضل غدرا فى شهر ذى القعدة من سنته - ماى ، جوان - وقتل اخوه ايوب بعده ٣٤١هـ - ٩٥٢م وزحف بعدهما يزيد الى باغاية فانهزم عنها ولم يخمد اوار الثورة بأوراس الى ان جهزلها الخليفة رئيس صنهاجة بلكين بن زيرى الصنهاجى فقضى على الثائرين هنالك وانتهت يومئذ حركات الخوارج بالمغرب ، واسندت ولاية باغاية الى قيصر الصقلى مولى المعز العبيدى وبقي فى منصبه هذا الى ان ظهر منه ما استوجب قتله فقتله سيده سنة ٣٤٩هـ - ٩٦٠م

## اصطدام الدعوة الشيعية بالاموية فى الجزائر

كان المغرب العربي فى اوائل القرن الرابع الهجرى محط انظار الدعاة السياسيين من الامويين والشيعة ، يزدحمون عليه ويتسابقون بينهم في مد ايديهم اليه؛ فانه بعد ما تمكن العبيديون من دولة الادارسة والاغالبة بالمغرب وبلغت دولتهم الى شواطى المحيط وسبتة واخذت تهدد الاندلس ، وكان الثوار فى الاندلس يومئذ يفاوضون العبيديين ويتآمرون معهم على الدعوة لهم ؛ أسرع عبد الرحمن الناصر الخليفة الاموى الى دفع هذا الخطر عن دولته فنزل بساحل افريقية وفتح مليلة سنة

٣١٤هـ-٩٢٤م وبث دعاته هنالك فاخترقوا المغرب الى بلاد الجزائر فلباهم صاحب ارشقول - فرضة تلمسان وهي على مسافة عشرين ميلا منها - وهو يومئذ ادريس بن ابراهيم ، واقتفى اثره في ذلك الحسن بن ابي العيش صاحب جراوة ، وموسى بن ابى العافية صاحب المغرب الاقصى، ومحمد بن خزر المغراوى عاهل زناتة ، فنشبت يومئذ حروب بين الشيعة ودعاة الاموية فى هذه الامارات المذكورة فانهزم فيها هؤلاء، وخضعوا للشيعة؛ ثم عادت زناتة الى الدعوة الاموية لما كان للامويين عليها من الولاء ، فاتحد اميرها الخير بن خزر وحميد بن يصل على رفض دعوة العبيديين فحوصرت يومئذ تيهرت واحتلت وهران واقيمت بهما دعوة الامويين سنة ٣٣٣هـ-٩٤٥م واخذت البيعة للخليفة عبد الرحمن الثالث الملقب بالناصر لدين الله صاحب قرطبة ، وكان العبيديون يومئذ في شغل عن هذا مهتمين لحروب ابي يزيد الخارجى ، وبعد ما قضوا عليها عمدوا الى القضاء على الدعوة الاموية بالمغرب ، فخرج المنصور بنفسه سنة ٣٣٦هـ-٩٤٧م ونزل بسوق حمزة - قرب البويرة من عمالة الجزائر - ومعه زيرى الصنهاجي في جموعه وهناك اخذ الخليفة في حشد الجنود وجمع العساكر مندفعا نحو تيهرت ، فأخرج حميد عنها وعقد المنصور عليها ايعلى بن محمد اليفرنى كما انه عقد لزيرى ابن مناد الصنهاجى على قومه وسائر بلاد صنهاجة

وفي سنة ٣٤١هـ-٩٥٢م . اعاد الناس الدعوة الى الامويين بالمغرب الاوسط، فقدم على الناصر الاموى بقرطبة فى ذلك قاضي وهران احمد بن ابي عون في وجوه اهل البلد واعيان الوطن ، فتجهز لهم جوهر الصقلي قائد المعز العبيدى وخرج لقتالهم سنة ٣٤٧ هـ - ٩٥٨ م فاعترضه يعلى بن محمد اليفرنى في جيوش عظيمة على مقربة من تيهرت ، وكانت هنالك مقتلة شديدة بين الطائفتين ، فعمد يومئذ جوهر الى بذل الاموال وتوزيعها بين رؤساء كتامة على ان يفتكوا بيعلى ويعفوا اثره . فجاؤوه براسه وهزم يومئذ بنو يفرن قوم يعلي وانتصر العبيديون

ثم كانت فترة قصيرة سكنت فيها الجزائر الى ان غزا ابن خزر الزناتي مدينة باغاية سنة ٣٥٨ هـ - ٩٦٨ م واعلن عصيان الشيعة ، ودعا للناصر الاموى ايضا وامتدت الفتنة الى الزاب وواد ريغ ووارقلة - بالقاف المعقودة - ويومئذ خرج المعز الفاطمى لقتالهم جميعا فشتت جموعهم واعاد الدعوة للشيعة ، وفر ابن خزر مختفيا حيث لم يظهر له اثر ، فاجتهد المعز فى القبض عليه فلم ينجح ، ويومئذ انتدب له بلكين الصنهاجي واوغل فى البلاد باحثا عنه ايضا بالسهول والنجاد مقتفيا اثره فلم يظفر به ، وبعد مضى سنة من الحادثة اقبل ابن خزر بنفسه فدخل على الخليفة المعز بدار الخلافة «المنصورية» ربيع الثانى ٣٥٩هـ - فيفرى ٩٧٠م ، مستأمنا على نفسه فأمنه وعفا عنه وابقاه هنالك حتى قضى بالقيروان وقد اناف على مائة سنة ؛ ويومئذ تلاشت اطماع الامويين فى المغرب .

## حروب صنهاجة وزناتة

ولما هلك محمد بن خزر الزناتي خلفه على رئاسة القبيلة ولده الخير متمسكا بدعوة الامويين الى وفاته، ثم قام بعده ولده محمد مستمسكا بحزب والده السياسى، وكان متجبرا عاتيا، فاثار العبيديون عليه قبيلة صنهاجة الموالية لهم وكان على رأسها بلكين بن زيرى فنشبت الحرب بين القبيلتين سنة ٣٦٠هـ - ٩٧٠م وكاد ان يؤسر فيها رئيس زناتة لولا انه عرف كيف ينجو بنفسه من ذل الاسر فانتحر ، وقتل يومئذ سبعة عشر اميرا من صنهاجة . ثم نهض الخير بن محمد الزناتي فقام مكان والده المنتحر متزعما قبيلة زناتة فقاتل صنهاجة حتى وقع اميرها زيرى عن فرسه فصرع ؛ ولقد استمرت المناوشات بين هاتين القبيلتين نحو نصف قرن ، وكلها كانت ناشئة عما تكنه زناتة في نفسها من الحرمان مما كانت ترجوه من خلفاء الشيعة من الرئاسة والتزعم على المغرب الاوسط المعروفة به وقد فاز بذلك خصماؤها الصنهاجيون وكتامة .

## انشاء مدينة فكان

هى على نحو الخمسة والعشرين كيلو ميترا بالجنوب الغربى من معسكر المعروف مكانها اليوم باسم أفكان - بتشديد الكاف ، كان مركز هذه المدينة اولا سوقا لزناتة ؛ فمدنها رئيسها يعلى بن محمد بن صالح اليفرنى واسس بهذا المكان مدينة عظيمة سنة ٣٣٨ هـ - ٩٤٩ م واتخذها مركزا لرئاسته فارتحل اليها الناس يومئذ من تيهرت ووهران ومعسكر وغيرها من بلاد الجزائر فانتشر بها العمران واسس بها مسجدا جامعا وارحاء وحمامات الخ .... ثم كان خرابها على يد القائد العبيدى جوهر الصقلي فى حوادث ثورات زناتة على الشيعة سنة ٣٤٧ هـ - ٩٥٨ م .

## مهاجمة الاندلسيين للجزائر

لقد علمنا مما تقدم مبلغ الخلاف والنزاع الذى كان ناشيئا عن تنافس الشيعة والامويين بالمغرب ، ويومئذ امر المعز اسطوله الرابض بصقلية ان يهجم ويغزو سواحل الاندلس ؛ فخرج الاسطول سنة ٣٤٤ هـ - ٩٥٥ م غازيا سواحل المرية فعاث فيها وغنم وسبى ثم عاد الى مقره ، ويومئذ خرج الاسطول الاموى منتقما لدولته فحل بسواحل افريقية فاخفق ، ثم عاد فكرر الهجوم في سبعين مركبا وحل بمرسى الخرز - القالة - شرقي بونة فاحرقها وكانت بها يومئذ مصانع السفن واساطيل الدولة .

## حركات الاسطول

لم يسمح التاريخ - في هذا العصر الذى نؤرخه - لاى دولة مطلقا ان تفتخر بالتفوق البحرى بهذا البحر المتوسط والانفراد بالسيادة العالمية فيه غير هذه الدولة المغربية الاسلامية ، فقد كان سلطانها به مرهوبا وجانبها مرموقا

ما بين بوغاز طارق الى بيروت فجميع مدنه الساحلية ومراسيه وجزره المنقطعة مثل كورسيكا وسردانية وصقلية الخ .... كلها كانت بيد هؤلاء العبيديين الذين عنوا كثيرا بتقدم الحركة البحرية وصناعة السفن ، فقد بلغ عدد ربابنة البحر في هذه الدولة الى خمسة آلاف ربان (١) وكانت مدينة بونة — عنابة — ومرسى الخرز — القالة — بالجزائر كلاهما مركزا هاما لصنع المراكب البحرية ، ومقرا عاما للاسطول الذى بلغ المائتى مركب علاوة على مرفإ المهدية بتونس الذى كان يسع مائة سفين ، فمن هذه الامكنة كانت تصدر البعثات البحرية لغزو بلاد الروم وفتح ما ولاها من بلاد ضفاف البحر الابيض المتوسط ، كما انها كانت تغدو وتروح كذلك فيه مواخر للتجارة واستخراج معادنه وكنوزه من صدف وخرز وودع ومرجان وفصوص الحجارة الخ .... ولعظم صولة العرب البحرية وشدة شكيمتهم به انحاز الافرنج بمراكبهم يومئذ الى الجانب الشمالي الشرقى منه فتراهم لا يعدونه ابدا فلم يكن لاروبا سلطان على هذا البحر خلال القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى — اذ كان لابد لمن يريد منهم قضاء مأرب فيه ان يخطب ود العرب كما فعلت نابولي وغيتة وأمالفى (٢) قال ابن خلدون :

وكان المسلمون لعهد الدولة الاسلامية قد غلبوا على هذا البحر — الابيض المتوسط — من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه ، فلم يكن للامم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر ايامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومة من الفتح والغنائم وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل مثل ميورقة ومنورقة ويابسة وسردانية وصقلية وقوصرة ومالطة واقريطش وقبرص وسائر ممالك الروم والافرنج .... والمسلمون خلال ذلك كله قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر وسارت اساطيلهم فيه جائية وذاهبة ،

---

١) رئيس الملاحين

٢) الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج٢ ص٣٦٦ ط القاهرة ١٩٥١م

والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الاساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدوة الشمالية فتوقع بملوك الافرنج وتثخن فى ممالكهم ... وانحازت امم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالى الشرقى منه من سواحل الافرنجة والصقالبة وجزر الرومانية لا يعدونها ، واساطيل المسلمين قد ضريت عليهم ضراء الاسد بفريسته ، وقد ملأت الاكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا ، واختلفت فى طرقه سلما وحربا فلم تظهر للنصرانية فيه الواح (١) فاسمع الى قول شاهد عيان وهو شاعر الدولة ابو القاسم بن هانى يصف اسطول المعز بقصيدة تدل على مقدار ما وصلت اليه قوة هذه الدولة البحرية :

اما والجوارى المنشآت التى سرت ... لقد ظاهرتها عدّة وعديد
قباب كما تزجى القباب على المها ... ولكنّ من ضمت عليه أسود
ولله مما لا يرون كتائب ... مسومة تحدو بها وجنود
اطال لها ان الملائك خلفها ... فمن وقفت خلف الصفوف ردود
وان الرياح الذاريات كتائب ... وان النجوم الطالعات سعود
وما راع ملك الروم الا اطلاعها ... تنشر أعلام لها وبنود
عليها غمام مكفهر صبيره ... له بارقات جمة ورعود
مواخر فى طامى العباب كأنه ... بعزمك باس او لكفك جود
انافت به اعلامها وسمالها ... بناء على غير العراء مشيد
وليس بأعلى شاهق وهو كوكب ... وليس من الصفاح وهو صلود
من الراسيات الشم لو لا انتقالها ... فمنها قنان شمخ وربود
من الطير الا انهن جوارح ... فليس لها الا النفوس مصيد
من القادحات النار تضرم للصلى ... فليس لها يوم اللقاء خمود
اذا زفرت غيظا ترامت بمارج ... كما شبّ من نار الجحيم وقود

---

١) المقدمة ص ١٢٣ ط بولاق ١٢٧٤هـ

فأنفاسهن الحاميات صواعق وافواههن الزافرات حديد
لها شعل فوق الغمار كأنها دماء تلاقتها ملاحف سود
يشب لآل الجاثليق سعيرها وما هي من آل الطريد بعيد
تعانق موج البحر حتى كأنه سليط له فيه الذبال عتيد
ترى الماء فيه وهو قان خضابه كما باشرت درع الخلوق جلود
وغير المذاكي نجرها غير انها مسومة تحت الفوارس قود
فليس لها الا الرياح اعنة وليس لها الا الحباب كديد
ترى كل فود للتليل كما انثبت سوالف غيد اعرضت وخدود
رحيبة مد الباع وهي نتيجة بغير شوى ، عذراء وهي ولود
تكبرن عن نقع يثار كأنها موال وجرد الصافنات عبيد
لها من شفوف العبقرى ملابس مفوفة فيها النضار جسيد
كما اشتملت فوق الارائك خرد او التفعت فوق المنابر صيد
لبوس تكف الموج وهو عطامط وتدرأ بأس اليم وهو شديد
فمنه دروع فوقها وجواشن ومنها خفاتين لها وبرود

ويقول Adam Mez مؤرخ الحضارة الاسلامية في القرن الرابع ان فى سنة ٣٢٤هـ ـ ٩٣٥م استطاعت مراكب عبيد الله المهدى الفاطمى ان تغزو جنوب فرانسا ومدينة جنوة ، وان تنهبهما ، وان تفعل مثل هذا بمدينة بيزا فى عامي ١٠١١ — ١٠١٤م مع ان اسطول الفاطميين كان فى ذلك الحين اقل كفاية من اسطول الشام .... وكانت مراكب العرب تقطع البحر الابيض عرضا فى ستة وثلاثين يوما من مبدئه فى الغرب الى آخره حيث انطاكية (١)

(١) جغرافية الادريسى طبعة دوزى ص٢١٤

## المذاهب والعقائد

نشأت دولة العبيديين بالمغرب ونشأ معها فيه مذهب التشيع بعقائده وقواعده، وهو مذهب آل البيت النبوى المطهر كمذهب جعفر الصادق وزيد بن حسن واسماعيل بن جعفر ؛ وان اشهر فرق الشيعة اثنان : الامامية والزيدية ، ولكل منهما طوائف وفروع ؛ منها مذهب الاسماعيلية المتفرع عن الامامية وهو مذهب الدولة الرسمي ؛ غير انه مدخول بعقائد الروافض المقتبسة من الماجوسية والمانوية والمزدكية والدهرية ؛ وفي المذهب الكثير من الافكار الشرقية التي حلت مكان الافكار الاسلامية المحضة ؛ ولم يكن للشيعة فى القرن الرابع مذهب كلامى خاص بهم بل تراهم يأخذون بمذهب اهل الاعتزال في ذلك

كان اول من نشر الافكار الشيعية بالجزائر منيب بن سليمان المكناسى نزل بأعمال تيهرت ونواحي وانشريس فنشرها هنالك بين العامة ، ثم جاء بعده السفياني والحلواني فنشراها ايضا ما بين اهالى مرماجنة من بلاد مجانة وسوق حمار بنواحي قسنطينة ، وهكذا استمرت الدعوة الشيعية في سيرها سرا حتى جاء ابو عبد الله الصنعاني فأفشاها بهذه الاوطان ثم تعين الاخذ بها ايام ابي عبيد الله المهدى ، وكان مما احدثه ان قطع صلاة التراويح في شهر رمضان وامر بصيام يومين قبله، وقنت في صلاة الجمعة وجهر بالبسملة في الصلاة المكتوبة، واسقط من اذان صلاة الصبح : «الصلاة خير من النوم» وزاد «حيَ على خير العمل محمد وعلى خير البشر». وكان نص الاذان طول مدة بنى عبيد بعد التكبير والتشهدين: «حيَ على الصلاة وحيَ على الفلاح» مرتين «حي على خير العمل محمد وعلى خير البشر» مرتين مرتين «لا اله الا الله» مرة . ثم يقول : المؤذن احياك الله يا مولانا حافظ نظام الدنيا والدين ؛ جامع شمل الاسلام والمسلمين ؛ واعز بسلطانك جانب الموحدين ؛ واباد بسيوفك كافة الملحدين ؛ وصلى الله عليك وعلى آبائك الطاهرين ؛ وابنائك الاكرمين ؛ صلاة دائمة الى يوم الدين ،

وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين (١) وجميع شرائع القرآن لها عندهم معنيان ظاهر وباطن ، والعارف هو الذى يطلع على المعنى الباطن ويتخاص من الظاهر ، وكثيرا ما عقدت مجالس المناظرة والمساجلة بين شيوخ المذهب المالكى مذهب البلاد القديم ، وبين رؤساء وزعماء المذهب الشيعى الجديد وكانت هنالك المساجلات والمجادلات بين فقهاء المذهبين طالما افحم فيها فقهاء الشيعة بالحجة وقاطع البرهان ، وجرت هنالك محن ورزايا لمشيخة المالكية وعظمت فيها الحوادث والوقائع استشهد فيها عدد عظيم من العلماء والعباد ، ولم ينج احد من اهل المذاهب الاخرى يومئذ الا الحنفية لموافقتهم للشيعة فى مسألة التفصيل فكان فيهم القضاة والرآسة (٢) وبقى المذهب المالكى راكدا بهذه الديار نحو نصف قرن حتى كانت مناهضة الرافضية على عهد باديس عاهل صنهاجة ؛ فبعثه وبقي اهالي هوارة من بنى كملان ومكناسة وسكان مدينة باغاية وفحصها من قبائل مزاتة وضريسة من قلاع جبل اوراس على مذهب الاباضية

## الثقافة والحضارة والعمران

لم تطل اقامة الدولة العبيدية بهذه البلاد حتى تتمكن من بسط حضارتها بهذا الاقطار ، ومع ذلك فقد نهجت في سيرها نهج الدول المثقفة التى تسعى لتوطيد ملكها وتثبيت حكمها باساليب الحكمة والعدل وهى فى ذلك تنافس دولة العباسيين . ويبدو ان الدولة العبيدية عملت على نشر الثقافة وخدمة العلم بمختلف الالسن واللغات ، فقد احتفظ لنا التاريخ بوثيقة ملكية يصرح فيها الخليفة المعز بأن دعاته منتشرون فى الاقاليم يدعون الى الدولة ويبشرون بأيامها وينشرون علمها ويتذرون بأسها بتصاريف اللغات واختلاف الالسن (٣) وهو نفسه كان يحسن لغات جميع

١) اخبار ملوك بنى عبيد لابن حماد ص ١٥-١٦ ط الجزائر ١٣٤٦هـ
٢) مقدمة كتاب المدارك ص ٢١ ط باليرمو ١٩١٠م
٣) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص٥٨

الامم التي تتصل بالخلافة العبيدية كالبربرية والرومية والايطالية والنوبية علاوة على توسعه في علوم العربية . ومما يدلنا على انتشار الروح العلمية يومئذ كثرة حلق الجدل والبحث بين علماء الشيعة ومعارضيهم من اهل المذاهب الاخرى، وانشاء المصانع الحربية لصنع السلاح والاساطيل كمصنع بونة والمهدية ، وصناعة تعدين الحديد التي كانت من اشهر خصوصيات افريقية الشمالية ومصنع الزجاج الصافي وتفاصيل الصوف بطرة (اوطرا) من بلاد نفزاوة ؛ ونسج ذلك البساط العجيب الذي امر بصنعه المعز من حرير ازرق ملون مطعم بالذهب فيه صورة الاقاليم والبحار والانهار والجبال والطرق وفيه صورة الحرمين الشريفين مكتوبة اسماؤها عليها وفيه هذه العبارة التالية : « مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهارا لمعالم رسول الله في سنة ٣٥٣هـ . وكانت النفقة عليه اثنين وعشرين الف دينار ، وهذا نهاية التفوق الصناعي في فن الزخرفة ، ومما اثبته التاريخ ايضا لهذا الخليفة العبيدي من ابتكار واختراع ، انه هو الذي امر بصنع قلم الحبر Styloqraphe على هذا الشكل، وتقدمت اقتصاديات البلاد تقدما باهرا، فقد بلغ ثمن بيع وقرجمل من التمر بدرهمين ، وكانت القوافل تخترق الصحراء تحمل التمر في الغالب وتعود بسبائك الذهب وسبي العبيد اذكان شمال افريقية في القرن الرابع مثل مصر وجنوب جزيرة العرب من اكبر اسواق الرقيق الاسود كما ان صناعة تجفيف السمك والتجارة فيه كانت رائجة بالمغرب ايضا، مثل استخراج المرجان بمرسى الخرز وسبتة ؛ فقد كان يعمل في ذلك مايزيد على الخمسين قاربا ، وفي كل قارب نحو العشرين رجلا ، وكان اكثر ما يحمل الى بلاد غانة والسودان ، كما انتشرت خدمة القطن ايضا فكانت بذلك ثروة البلاد واسعة ، قال ابن حوقل انه دخل القيروان من مال المغرب سنة ٣٦٠هـ- ٩٧٠م فوق سبع مائة الف دينار وهذا من اعظم ما يسجل في تاريخ دخل الدول في القديم . وكان من آثار الدولة المعمارية بالجزائر مدينة المسيلة واشير ودار الهجرة — المندرسة الآن — وهي

ذات حضارة ومدنية عجيبة ، بله ما اقامته فى الاقطار الشقيقة مثل طرابلس وتونس والمغرب الاقصى من المنشآت والمؤسسات .

ويحدثنا اهل الجغرافية ومؤرخو القرن الرابع بانه لم يكن فى المغرب من الفواحش وتعاطى الامور المنكرة والفسق مثل ما هو موجود اذذاك بالمشرق ؛ وكان الزواج بينهم مقصورا على الواحدة ولم يفش التعدد امتثالا وطاعة للخليفة المعز ، فانه خاطب جماعة من شيوخ كتامة قائلا لهم يوما : « واقبلوا بعد الاعمال على نسائكم والزموا الواحدة التى تكون لكم ، ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فينغص عيشكم ، وتعود المضرة عليكم ، وتنهكوا ابدانكم ، وتذهب قوتكم ، وتضعف نحائزكم ، فحسب الرجل الواحد الواحدة (١)

ومن مبرات الفاطميين بالمغرب ما حكاه ابو جعفر الجزار عن سنة ٣٤٠ هـ ٩٥١ م ، قال انه في هذه السنة امر الخليفة المنصور اسماعيل بن القائم بامر الله الفاطمى ان يكتب له اولاد القواد ووجوه رجاله من كتامة والعبيد والجند وضعفاء الناس من اهل القيروان وغيرها ، ليختنوا ويحسن اليهم بالكسى والصلاة ، فبلغوا اكثر من عشرة آلاف ، فابتدا في ختانهم ، وعمل ولائم واطعم خاصة الناس وعامتهم ، واعطى الصبيان على قدر مراتبهم من مائة دينار لكل واحد الى مائة درهم واقل من ذلك ، فكان يختن فى كل يوم من خمسمائة الى الف وثلاثمائة ، فاقام على هذا سبعة عشر يوما ، قال ابو جعفر الجزار : فسمعت من يقول من اهل الخدمة انه احصى ما انفق فى هذا الختان فكان مائتى الف دينار ، وحدث في البلد عند ذلك من الانفاق واللهو ما لم ير مثله (٢)

---

١) خطط المقريزى ج ١ ص ٣٥٢
٢) الحضارة الاسلامية ج ٢ ص ٢٥١

## فتح مصر وانتقال الخلافة الفاطمية اليها

طالما راينا نشوب الخلاف واحتدام اوار النزاع بين الحكومة العبيدية الشيعية وبين الرعية السنية ، وطالما اختلفت وجهة النظر بين الراعى والرعية وتباينت الافكار بينهما ، وكانت هنالك مواقف حرجة ادت الى المقاطعة والنفور بين الطرفين فكان ولابد للدولة من التفكير والبحث عن بلاد آخرى تبث فيها دعوتها ؛ فحول الخليفة الفاطمى يومئذ نظره الى غير المغرب وعزم على الانتقال الى المشرق والقضاء على الخلافة العباسية هنالك وقد حاولت الدولة ذلك مرتين من قبل فلم تنجح فكان من المصادفة هذه المرة اضطراب الحال بمصر لوفاة صاحبها كافور الاخشيدى وقد كان الدعاة بها من قبل يعملون على تمهيد الفتح الفاطمى فكانت المراسلة والمكاتبة بينهم وبين المعز دائمة دائبة وكانوا مما يرمزون به فى مكاتبتهم للخليفة بالمغرب قولهم ؛ « اذا زال الحجر الاسود ملكت الدنيا » وهم يعنون بذلك كافوراً لسواده ؛ فلما توفى كافور واضطربت المملكة المصرية بما وقع فيها من الغلاء والوباء انتهز المعز الفرصة وامر قائده جوهر بن عبد الله الصقلي بغزو المشرق على ان تكون البداءة بمصر ، فخرج القائد من رقادة يوم السبت ١٤ ربيع الاول ٣٥٨هـ - ٧ فيفرى ٩٦٩م ومعه من الجند اكثر من مائة الف فارس ، ومن الاموال مايزيد على الف ومائتى صندوق تحتوى على نحو ثلاثة وعشرين مليون دينارا ؛ وهو مبلغ عظيم يدلنا على سعة مداخيل ميزانية الدولة وما تجمع لديها من الثروة الطائلة باشتطاطها فى جمع المال ؛ وكان معه كذلك من السلاح والخيل والعدد الجم الكثير ؛ وماكان يبلغ خبر تجهيز جيش الفتح هذا الى مصر حتى تفرق عنها اهلها وتركوها نهبا للغالب ، فاحتلها جوهر يوم الثلاثاء ١٨ شعبان - ٨ جوليط من نفس التاريخ ، وخطب فيها يوم الجمعة ٢٠ منه - ١٠ جوليط باسم مولاه وسيده المعز لدين الله ، ثم اختط مدينة القاهرة المعزية وبعث ببشارة الفتح الى الخليفة بالمغرب فسر لها سرورا بليغا ،

وعزز البعثة يومئذ ببعوث اخرى فتحت الشام واحتلت الرملة ودمشق . وبعد رسوخ قدم الخلافة الشيعية بمصر والشام والحجاز وانتظام احوال الدولة بها انتقل اليها المعز فخرج من عاصمته المنصورية – صبرة – فى ابهة الملك وعظمة السلطان يوم الاثنين ٢٢ شوال ٣٦١هـ ٨ اوط ٩٧٢م فنزل اولا جزيرة سردانية ريثما التحقت به الجموع التى صحبته الى المشرق ، وبها عقد العهد لبلكين الصنهاجي على ولاية المغرب العربى ، ثم اخذ يتنقل ويطوف بالبلاد فيقيم اياما فى بعضها ثم يجد السير الى ان عبر النيل ودخل القاهرة يوم الثلاثاء ٥ رمضان ٣٦٢هـ ٩ جوان ٩٧٣م

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان القطر الجزائرى يومئذ مجزءا الى اربع ولايات ؛ ولاية المسيلة ، وباغاية ، واشير ، وتيهرت ؛ فاما ولاية المسيلة فانها كانت لعلي بن حمدوى المعروف بابن الاندلسية الى ان انتقل ولده جعفر الى الاندلس سنة ٣٦٠هـ–٩٧١م . فاضافها يومئذ المعز الى بنى زيرى رؤساء صنهاجة ؛ واما ولاية باغاية فقد تولاها عروبة بن يوسف الكتامى المقتول فى ثورة ٣٠٢هـ–٩١٤م وابو معلوم فلحون الكتامى المقتول سنة ٣١٠هـ–٩٢٢م وقيصر الصقلى المقتول ايضا سنة ٣٤٩–٩٦٠م . واما ولاية اشير فانها كانت فى بني زيرى الصنهاجيين الى نهاية ايامهم . اما ولاية تيهرت فقد تولاها على عهد الفواطم جماعة ، عرفنا منهم ابا حميد دواس اللهيصى ولاه عليها ابو عبد الله الصنعانى حين توجه منها الى سجلماسة سنة ٢٩٦هـ–٩٠٨م ومات ابو حميد قتيلا مصروفا عنها، ثم تولاها مصالة بن حبوس المكناسى سنة ٢٩٩هـ–٩١١م . الى ان قتله محمد بن خزر الزناتى فى شعبان سنة ٣١٢هـ– نوفمبر ٩٢٤م فوليها بعد اخوه يصل بن حبوس الى ان توفى سنة ٣١٩هـ ٩٣١م . فوليها يومئذ ابو مالك بن يغمراسن (١) بن ابى شحمة ـ بضم الشين وسكون الحاء وفتحها ـ

(١) ضبطه ابن خلدون بفتح الياء والغين وكسرها ، وفتح السين وكسرها

اللهيصي الى ان ناهضه اهل البلاد فخرج منها مطرودا سنة ٣٢٣هـ-٩٣٥م .وولوا عليهم ابا القاسم الاحدب بن مصالة بن حبوس فحاربهم ميسور الخصى عند منصرفه من المغرب سنة ٣٢٤هـ-٩٣٦م فظفر بالبلاد وقتل ابا القاسم وولى عليها داود بن ابراهيم العجيسي فاقام بها داود الى ان اخرجه منها حميد بن يصل فى جمادى الثانية سنة ٣٣٣هـ-جانفيى ٩٤٥م . واقام بها الدعوة الاموية الى ان اقتحم عليه المدينة الخليفة اسماعيل المنصور سنة ٣٣٦هـ- ٩٤٧م وعقد لميسور عليها؛ فخرج منها حميد الى الاندلس ، وسار ميسور فى الرعية بالظلم والجور فنهضت الرعية فى وجهه واضرمت البلاد عليه نارا واستدعت محمد بن خزر الزناتى مفوضة اليه ام المدينة ، فكر محمد بقومه على تيهرت ومعه ولده الخير واظهر الانتصار لميسور حتى وقع بين يديه فغدر به واسره واحتلت زناتة المدينة ؛ ثم اضطرب امر هذه الولاية فتغلب عليها يعلى بن محمد اليفرنى الزناتى ودعا فيها الى الاموية ورفض التشيع ، الى ان كانت حملة جوهر الصقلى الكبرى سنة ٣٤٩هـ-٩٦٠م فزحف على المغرب العربى كله واحتل تيهرت وقتل يعلى واسندت رآسة هذه الولاية الى زيرى الصنهاجى : ويذكر لنا التاريخ ان رآسة مدينة الجزائر يومئذ كانت لحمزة بن ابراهيم ، وعمالة بسكرة لزيدان الخصى ، وقيادة الجيش لموسى بن محمد الكتامى ورآسة البحر ليعقوب الكتامى، وكان من ولاة ميلة ماكنون بن ضبارة ولاه عليها ابو عبد الله الصنعاني ، ورآسة قبيلة يفرن لمحمد بن صالح المقتول على يد عبد الله بن بكار اليفرني ، ولم يكن هذا الرئيس اليفرني خاضعا لدعوة العبيديين

# الخلفاء العبيديون بالمغرب

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| عبيد الله المهدى | ٢٩٧هـ-٩٠٩م |
| ولده ابو القاسم محمد القائم بأمر الله | ٣٢٢هـ-٩٣٣م |
| ولده الطاهر اسماعيل المنصور | ٣٣٤هـ-٩٤٥م |
| ولده ابو تميم معد المعز لدين الله | ٣٤١هـ-٩٥٢م |

# مشاهير الجزائريين

## جعفر بن علي

## ٣٦٤هـ - ٩٧٤م

ابو علي جعفر بن علي بن احمد بن حمدون المعروف بابن الاندلسي صاحب المسيلة وامير الزاب ؛ قال ابن خلكان : كان سمحاً كثير العطاء مؤثراً لاهل العلم ؛ تولى امارة المسيلة بعد وفاة والده سنة ٣٣٤هـ-٩٤٥م . في وقعة ايوب بن ابي يزيد الخارجي . قال ابن حماد : ووصلت هذه المدينة - المسيلة - من العمارة والحضارة ، وملك علي بن حمدون وابنيه جعفر ويحيى الى الغاية القصوى والامد الاقصى ؛ وقال البكري في وصف المسيلة : والمدينة اسواق وحمامات وحولها بساتين كثيرة ويجود عندهم القطن وهي كثيرة اللحم رخيصة السعر

ولما تمكن زيري بن مناد الصنهاجي من ولاية اشير وامارة صنهاجة زاحم جعفرا في خدمة الدولة ونافسه في التقرب من الخليفة العبيدي وسما به في الرتب وتاخمه في العمالة ، وكان للدولة صاغية اليه والى ابنه بلكين فأخذا يرميان جعفرا بالميل الى زناتة حتى اوغرا عليه صدر المعز بن المنصور ، فلما عزم على الرحيل الى مصر اشيع عنه انه مستخلف بلكين ، فعظم على جعفر ان يبقى تحت ولاية منافسه ، ثم ان المعز ارسل اليه احد مواليه يستقدمه ويطمعه في خلافته ، فقويت استرابته وغادر المسيلة في اوليائه بني برزال ، ولحق بزناتة سنة ٣٦٠هـ-٩٧٠م فجهز المعز زيري صاحب صنهاجة اثره فكانت حرب صرع فيها زيري واحتز راسه فذهب به وفد من وجوه زناتة برأسهم يحيى بن علي اخو جعفر؛ الى المستنصر الاموي بالاندلس فقام يومئذ بلكين مقام والده فقاتل زناتة وثأر لابيه منها واستظهر على جعفر ، فلحق جعفر بأخيه يحيى وبقيا هنالك

مرموقين بعين التجلة والاحترام الى ان حدث في السياسة الاندلسية ما دعا المنصور بن ابي عامر الى الاستعانة بجعفر وشيعته بنى برزال من زناتة على مزاحميه من رجال الدولة ، فلما قضى عليهم خشي جعفرا ايضا فقتله سنة ٣٦٤هـ-٩٧٤م وفر يحيى الى مصر فنزل على العزيز بن المعز الى ان مات (١) ولقدام جعفرا بالمسيلة الشاعر العظيم ابو القاسم محمد بن هانيء فمدحه بقصائد بليغة منها قوله :

المدنفان من البرية كلها ... جسمي وطرف بابلي احور
والمشرقات النيرات ثلاثة ... الشمس والقمر المنير وجعفر

وقوله من اخرى :

ابنى العوالى السمهرية والموا ... ضى المشرفية والعديد الاكثر
من منكم الملك المطاع كأنه ... تحت السوابغ تبع فى حمير

قال ابن معصوم : يحكى انه انشد هذه القصيدة وممدوحه راكب فى جيشه، فلما بلغ ذينك البيتين ترجل العسكر كله ، ولم يبق احد راكبا سوى الممدوح . فلم يعلم سؤال كان جوابه نزول عسكر جرار غيره

١) راجم ابن خلدون ج ٦ ص ١٥٤ وابن خلكان ج١ ص١٤٠ وتاريخ الميلى ج٢ ص٩٦ واخبار ملوك بني عبيد ص ١٣

## جعفر بن فلاح الكتامى

### ٣٦٠هـ-٩٧١م

القائد الجزائرى العظيم رئيس اركان حروب العبيدين وفتوحاتهم بالمشرق ابو علي جعفر بن فلاح الكتامى نسبة الى كتامة تلك القبيلة العتيدة الكبرى بالجزائر التى قامت على سواعدها الدعوة الشيعية بالمغرب ؛ اشتهر جعفر بقوة البأس وشدة الشكيمة والبطولة فى الحرب ، ولما اجمع الخليفة المعز على فتح المشرق بعث به مع القائد جوهر على راس الجيش الفاتح ، فذهبا معا الى مصر وفتحاها وتولى جعفر وحده فتح بلاد الشام فدخل الرملة عنوة فى ذى الحجة سنة ٣٥٨هـ - اكتوبر ٩٦٩م . وقضى على حكومة ابن طغج ، واحتل أيضا طبرية ثم قصد عاصمة الامويين - دمشق - فاحتلها فى شهر المحرم سنة ٣٥٩هـ - نوفمبر ٩٦٩م وحدث بها يومئذ اضطراب وفتن من اهلها فأقمعهم صاحب الشرطة ثم سعى اهلها في الصلح فصالحهم جعفر واستقام له الملك بها ، وبعدها نزل الى الدكة فوق نهر يزيد بظاهر دمشق فابتنى بها قصره العجيب ومكث هنالك الى ان زحف القرامطة على الشام تحت راية رئيسهم الحسن بن احمد القرمطى المعروف بالاعصم ، فخرج اليهم جعفر وهو يومئذ عليل فانتصر عليهم ، ثم وقع تخاذل في جيش جعفر فظفر بهم القرمطى وقتل جعفر في جماعة من اصحابه يوم الخميس ٦ ذى القعدة سنة ٣٦٠هـ - ٣١ اوط ٩٧١م . قال ابن خلكان : وكان جعفر رئيسا جليل القدر ممدوحا وفيه يقول ابو القاسم محمد بن هانيء الاندلسى الشاعر المشهور

كانت مساءلة الركبان تخبرني    عن جعفر بن فلاح اطيب الخبر
حتي التقينا فلا والله ما سمعت    اذني بأحسن مما قد رأى بصري

# جدول تاريخى

## ٢٩٦ - ٣٦١هـ

## ٩٠٩ - ٩٧٢م

| تاريخ الحوادث | أهم الحوادث |
|---|---|
| ٢٩٦هـ ٩٠٩م | تأسيس الدولة العبيدية |
| ٢٩٧هـ ٩١٠م | مبايعة عبيد الله المهدى بالخلافة |
| ٢٩٨هـ ٩١٠م | هيجان الشعب الجزائرى ضد الشيعة وقتل الداعية الصنعانى |
| ٢٩٩هـ ٩١١م | الحملة الشيعية الكبرى على المغرب الاوسط |
| ٣١٠هـ ٩٢٢م | مقتل ابى معلوم فلحون عامل أوراس |
| ٣١٢هـ ٩٢٤م | مقتل مصالة بن حبوس عامل تيهرت |
| ٣١٤هـ ٩٢٦م | ابتداء ظهور الدعوة الاموية بالمغرب العربى |
| ٣١٥هـ ٩٢٧م | انشاء مدينة المسيلة |
| ٣٢٤هـ ٩٣٦م | انشاء مدينة آشير |
| ٣٣٦هـ ٩٤٧م | القضاء على ثورة ابى يزيد الخارجى صاحب الحمار |
| ٣٣٨هـ ٩٤٩م | انشاء مدينة فكان |
| ٣٤٥هـ ٩٥٦م | هجوم اسطول الامويين بالاندلس على مرسى الخرز - القالة - وطبرقة |
| ٣٥٨م ٩٦٩م | اعادة ظهور الدعوة الاموية بالجزائر ؛ وفتح البلاد المصرية |
| ٣٦١هـ ٩٧٢م | انتقال الخلافة الشيعية الى مصر |

# الدولة الزيرية ـ الصنهاجية ـ

## ٣٦١ـ٤٠٥ هـ

## ٩٧٢ـ١٠١٤م

### نشأتها

تنتسب هذه الدولة الجزائرية لحما ودما الى عاهل صنهاجة وزعيمها الاكبر زيرى بن مناد الصنهاجي منشىء مدينة اشير بجبل تيطرى ـ شرقى قصر البخارى ـ

وصنهاجة ـ بضم الصاد وكسرها ـ علم يطلق على وطن وقبيلة ، اما الوطن فهو قطعة من ارض الجزائر ما بين زواوة شرقا وزناتة غربا ، ويمتد على الساحل البحرى من مدينة الجزائر الى تنس، يحده وطن الحضنة والمسيلة والمدية ومليانة . واما القبيلة فانها راجعة بنسبها الى جذمين : قار وحزمار ابنى صنهاج . من قبائل البرانس ، وهي ذات بطون وافخاذ منتشرة بكامل هذا الشمال الافريقي فلا يكاد يخلو منها مكان . وعدها الهمداني صاحب الاكليل وغيره من المحققين فخذا من قبائل حمير العربية ، وليس لها في البربرية سوى النسبة العرفية

كانت هذه القبيلة مرغمة على الخضوع للخلافة العباسية والاذعان للامارة الاغلبية ، وذلك لكونها علوية بالولاء . فلما استتب الامر لدولة بنى عبد العلوية بهذه البلاد انقلبت على العباسيين فكانت بجانب الفاطميين ، فاستعان بها هؤلاء على محاربة اعدائهم زناتة احلاف الامويين ومواليهم ، فكانت هنالك حروب واهوال عظيمة بين هذين القبيلتين وكلها ترجع الى هذا الاختلاف السياسى في المبدا والتزاحم على الرئاسة ايضا ، وقد ألمعنا فيما تقدم الى ما كان من حوادث الشيعة والامويين بالمغرب، وما كان لزيرى الصنهاجي من اليد البيضاء في القضاء على ثورة

ابى يزيد الخارجي سنة ٣٣٥هـ-٩٤٦م وفتح المغرب الاقصى سنة ٣٤٧هـ-٩٥٨م ومقاومة كل ناهض ضد بنى عبيد ؛ فأحرزت صنهاجة بذلك مقاما رفيعا ومكانا ساميا لدى الدولة الفاطمية وعلا شأن رؤساءها عند الخلفاء فبالغ هؤلاء الملوك والخلفاء فى اكرام رؤساء صنهاجة وتقديرهم ؛ واطلق الخليفة يد زيرى فى قومه وعلى كل مكان تغلب عليه او احتله بأى صفة كانت ، وولاه امر تاهرت وباغاية فأمنت دولة العبيديين يومئذ من اخطار سكان هذه النواحى من بنى يفرن الزناتيين ؛ فملك زيرى يومئذ البلاد وضرب العملة باسمه

ولما عزم المعز بن المنصور العبيدى على الانتقال الى مصر دعا جعفر بن علي بن حمدون امير ولاية المسيلة والزاب ليعهد اليه بأمر افريقية، فاستراب جعفر من ذلك لما علمه من سعاية منافسة زيرى الصنهاجي لدى البلاط الفاطمي وامتنع؛ فأكد المعز دعوته هذه بارسال بعض مواليه الى جعفر ، فخشي جعفر مغبتها وخرج عن ولايته معتصما بمغراوة وقام هنالك مع الخير بن محمد الزناتى بالدعوة الاموية؛ فنشبت الحرب حينئذ بين زناتة وصنهاجة ، وفيها كان مقتل زيرى الصنهاجي عرضا (١) فى رمضان ٣٦٠هـ -جوان ٩٧٠م وذلك بعد ما تملك بهذه الديار ستا وعشرين سنة ويومئذ علم الخليفة الفاطمي لا احق ولا اجدر بالولاية من هذه القبيلة الصنهاجية المتفانية فى نصرة الدولة الشيعية وتوطيد اركان ملكها بالمغرب؛ فكان لها من الجزاء مثل ما كان لانصار الخلافة العباسية من الفرس حينما ظاهروهم على قهر اعدائهم الامويين ، فاصطفت الدولة العبيدية اسرة آل زيرى وعهدت بالامارة والوصاية على المغرب العربي لبلكين بن زيرى مستثنية طرابلس وقبيلة كتامة الموالية

---

١) احتزت مغراوة رأسه وبعثت به الى الحاكم المستنصر الاموى بالاندلس ؛ ولما تغلب زاوى ابن زيري الصنهاجى على قرطبة سنة ٤١٠هـ—١٠١٩م نقل الرأس من هنالك الى الجزائر فضمه الى جسد والده فدفنه معه

## حدود الجزائر الزيرية

كان بالجزائر على عهد الفاطميين اربع ولايات : اشير ، وتاهرت ، والمسيلة، وباغاية ؛ وفى ايام الدولة الزيرية هـذه ضمت الولايات الاربع الى بعضها فأضيفت اعمال باغـاية والقسم الشمالى من ولاية المسيلة الى اشير ، وجعل القسم الجنوبى من ولاية المسيلة الى تاهرت ، فأصبحت الجزائر ذات ولايتين عظيمتين ، همـا ولاية تاهرت واشير

## الامـير بلكين بن زيرى

تولى الامارة على افريقية الشمالية بعهد من الخليفة المعز الفاطمى يوم الاربعاء ٢٢ ذى الحجة ٣٦١هـ-٤ اكتوبر ٩٧٢م ولقبه بسيف الدولة وكناه بأبى الفتوح وسماه بيوسف وامر الناس بالسمع والطاعة له واوصاه بأمور كثيرة مؤكدا عليه فى المحافظة عليها وخاصة منها امور اربعة قائلا له : ان نسيت ما اوصيتك به فلا تنس اربعة اشياء : اياك ان ترفع الجباية عن اهل البادية ، والسيف عن البربر ، ولا تول احدا من اخوتك وبنى عمك، فانهم يرون انهم احق بهذا الامر منك، وافعل مع اهل الحاضرة خيرا . ولعـل الشيعة كانت شـائعة بين اهل الحضر خلافا لاهل البادية ؛

كان بلكين فى اول امره واليا على مدينة الجزائر ايام امارة والده زيرى على صنهاجة ؛ ثم خلفه فى امارته هذه قبل ان يتولى ولاية افريقية ، ويومئذ اشتهر فيها بالثبات ومضاء العزم والشجاعة النـادرة مع حدة الذهن وتوقد القـريحة ؛ ولقد استطاع هو وحده ان يحقق تدريجيا وحدة الشمال الافريقي على نحو لم يوفق اليه حكام المغرب العربى قبله ؛ فضرب العملة باسمه وبعث بالعمال والجبـاة الى الآفاق واستعد للطوارىء ؛ وبجلوس بلكين على عرش افريقية انتهى عهد العرب

بالملك والدولة بهذا المغرب الاسلامي واستقل البربر بأمر وطنهم تحت لواء الاسلام تتداوله قبائلهم طائفة بعد اخرى وجيلا بعد جيل تارة يدعون الى الامويين خلفاء الاندلس وتارة الى بنى هاشم العباسيين الى ان استقلوا بالدعوة لانفسهم الى زمن الاتراك بالجزائر وتونس وطرابلس

## مناجزة صاحب المسيلة

كان من الطبيعى ان يستمر جعفر بن علي صاحب ولاية المسيلة والزاب على عصيانه للشيعة وعلى مقاومة مزاحميه الصنهاجيين ، فكانت يومئذ حركة بلكين الى المغرب الاوسط وهى اول حركاته الى الجزائر بعد الامارة فقضى على قبيلة مغراوة الزناتية التى كانت ملجأ لخصمه جعفر صاحب المسيلة وشتت شمل المحاربين فاستأصل شافتهم وفتح معاقل بلاد زناتة وسبى الذرارى والاموال؛ فانهزم جعفر وكسرت شوكته ففر الى الاندلس يوم ١٨ رمضان ٣٦٠هـ - ١٥ جولبيط ٩٧١م والمعز الفاطمي لا زال يومئذ بالمغرب، وتقدم بلكين يخوض غمار البلاد الجزائرية الى ان بلغ سجلماسة - تافيلالت - فأخضعها واوغل فى بلاد المغرب الاقصى الى ان بلغ حصن تيطوان وهو فى ذلك لا يعترضه حصن او اى معترض كان الا وحطمه ؛ وهو الذى قضى من قبل على حركة محمد بن الحسن بن خزر المغراوى فى قيامه ضد الشيعة وافضى به الى الانتحار

## زحف بلكين على المغرب الاوسط

كان الداعي الاول الى خروج بلكين وزحفه على الجزائر هذه المرة ٣٦٣هـ - ٩٧٤م هو عصيان اهل باغاية وتمردهم على عاملهم وانتصارهم عليه وشاركهم في ذلك ايضا اهل شرقى جبل اوراس تمرداً على السلطة القائمة مع الشيعة، ثم انتشرت الفوضى والاضطرابات فعمت القطر الجزائرى فكانت هنالك ثورة بتاهرت خرج منها العامل مطرودا ، واخرى بأعمال تلمسان حيث نزلت عليها زناتة

الاموية مناهضة للشيعة ، فخف يومئذ بلكين الى منازلة هؤلاء الثوار وحاصر تلمسان وقضى على حركة زناتة بها ونقل اهلها الى اشير ، وانتصر على تيهرت ايضا فبطش بأهلها وخرب المدينة ، ويومئذ اسرع اليه بالطاعة الثائرون من اهل شرق جبل اوراس وباغاية وجاؤوه مستأمنين خاضعين فأمنهم وعفا عنهم واجلاهم عن بلدهم بعد ما خربها وهدم سورها، فذهب الكثير منهم ملتجئا الى المغرب الاقصى معتصما بجباله وصحاريه ، ويومئذ عمل بلكين على تغيير حدود المناطق والولايات الجزائرية فحذف ولاية المسيلة بالكلية واضيفت ناحيتها الجنوبية الى تيهرت وناحيتها الشمالية الى اشير : وجعلها ولايتين اثنتين : ولاية بآشير واخرى بتاهرت

## اجلاء زناتة ووفاة بلكين

اعاد بلكين زحفه على زناتة سنة ٣٦٩هـ-٩٨٠م فقضى عليها وابعدها عن المغرب الاوسط فأقفره منها واحلها ما بين ملوية وطنجة وتقدم بزحفه الى سجلماسة فاحتلها واستولى على مدينة فاس ، وبينما هو سائر فى فتوحاته بالمغرب الاقصى اذ جاءه كتاب من الخليفة الفاطمي ينهاه عن التقدم والسير فى طريق الفتح بأقصى المغرب فرجع ، وفى اثناء ذلك تغلب خزرون بن فلفول المغراوى الزناتي على سجلماسة فعاد اليها بلكين سنة ٣٧٣هـ-٩٨٤م فهزمه واسره واستعاد سجلماسة الى طاعته ، وفى طريقه الى اشير ادركه حمامه فمات بمكان يقال له واركلان او - واركش ؟ - بين تلمسان وسجلماسة ، وذلك يوم الاحد ٢٢ ذى الحجة ٢٧ ماى من هذه السنة

## الامير المنصور بن بلكين

كان المنصور يوم وفاة والده مقيما بولايته اشير وقد عهد اليه والده بالامارة بعده فبويع يوم وفاته ٣٧٣هـ-٩٨٤م وكان رجلا شجاعا عادلا ذكيا جوادا حازما صارما فى الحق عطوفا شفوقا بالرعية عفيفا عن الدماء سائرا سنن ابيه، واليك نتفا من خطاب العرش يوم تولى الامارة على المغرب فيها اجمال لخطته السياسية وبرنامجه الحكومى فقال : ان ابي وجدى كانا يأخذان الناس بالسيف قهرا ، وانا لا آخذ احدا الا بالاحسان ، ولا اشكر على هذا الملك الا الله تعالى ، ولست ممن يولى بكتاب ويعزل بكتاب ، لانى ورثته عن آبائي واجدادى وورثوه عن آبائهم واجدادهم حمير (١). وقال يوم انكر عليه اعيان دولته مصاهرته وعقده لاحد ابنائه على بنت سعيد بن خزون سيد زناته — المعادية — : كان ابى وجدى يستتبعان زناتة بالسيف ، اما انا فمن رماني برمح رميته بكيس حتى تكون مودته طبعا واختيارا !... على هذه الاسس السياسية الرشيدة بنى المنصور قواعد ملكه وقاد امته الى المجد ، فكان يعامل جميع رؤساء القبائل والعشائر بكل مكرمة واحسان ، ويحادثهم بحديث كله لطف وود وإخاء متناسيا كل سخيمة وحقد . وكانت اقامة المنصور تارة بالمنصورية — هي مدينة صبرة القريبة من القيروان — وتارة بأشير ، فتراه متنقلا بينهما متصلا بجميع المملكة ، وله سكة باسمه تضرب بها العملة مثل ابيه من قبل

---

١) راجع نسب الاسرة الزيرية فى وفيات الاعيان ج ١ ص ١٢١

## ثورة ابى الفهم الكتامى

لقد كان لقبيلة كتامة كما علمت يد فى إشادة ملك الفاطميين بالمغرب وكان مما اجازهم به العبيديون علي ذلك ان رفعوا عنهم يد الامارة الصنهاجية واوصوها بهم خيرا ؛ فكانت كتامة مستقلة عن دولة صنهاجة لا طاعة لهذه عليها ؛ غير ان ذلك لم يكن فى نظر كتامة كافيا فى مكافاتها عما قامت به تجاه العبيديين فى دور التكوين ؛ بل كانت ترجو ان تكون خليفتها على المغرب لما تراه هى فى نفسها من الجدارة والاستحقاق والتقدم على غيرها فى هذا الامر ؛ فلما رات ذلك كله بيد صنهاجة نهضت بقيادة ابى الفهم حسن بن نصر الكتامي الخراسانى واظهرت العداوة والبغضاء لصنهاجة ؛ وخرج ابو الفهم للقتال فضرب سكته ونشر بنوده وجمع حوله من الجند والعسكر ما كثر به جمعه ، فاستأذن الامير المنصور فى قتال كتامة بكتاب وجهه الى الخليفة الفاطمى بمصر ، فجاءه الجواب بواسطة رجلين بعث بهما الخليفة الى المنصور ؛ يأمره بعدم التعرض لكتامة حيث لا سلطان له عليها ثم اراد الرجلان الالتحاق بكتامة حسب مأموريتهما فسجنهما المنصور وحال بينهما وبين كتامة

## القضاء على شوكة كتامة

يبدو من جواب الخليفة للمنصور حول كتامة ان الدولة الفاطمية كانت مستشعرة عظمة صنهاجة وانها كانت تخشى استفحال امرها وتضخم سلطانها فتركت بجانبها قبيلة كتامة مستقلة عنها استعدادا للطوارىء فهي من نوع سياسة التفرقة التي ساد بها اليوم الغرب على الشرق ، وما يدرينا ان ثورة كتامة كانت بتمالؤ وإيعاز من الشرق ؟... والا فما معنى اعتراض الخلافة الفاطمية على المنصور فى محاربة هؤلاء ؟... وما معنى محاولة الرجلين المبعوثين من الشرق الى المنصور الاتصال بكتامة ؟... ولكن ذلك كله لم يحل بين المنصور وبين ما بيته من عزيمة

فى مقاتلة هذه القبيلة المحاربة ، فنزل بالشمال الغربي من قسنطينة محاصرا مدينة ميلة في شوال سنة ٣٧٨هـ - جانفبى ٩٨٩م ونشر هنالك اعلامه الكبيرة الموشاة وقرع بها الطبول إيذانا بمحاربة كتامة ، فخرج اليه العجائز والصبيان متضرعين باكين متوسلين اليه فى ترك الحرب والبقاء عليهم فرثى لحالهم وبكى لذلك المنظر الحزين ورجع عن ميلة بعد تخريب اسوارها ونقل اهلها الى باغاية شرق اوراس، وفي طريق هؤلاء الى باغاية لقيهم ماكسن بن زيرى الصنهاجي — عم المنصور — فجردهم مما كان معهم من المال والنشب

ثم جعل المنصور لا يمر فى طريقه على مدينة او قرية من بلاد كتامة الا ويأمر بتحطيمها ، حتى بلغ الى مدينة سطيف وهي يومئذ مركز عز كتامة فحصل بينه وبين ابي الفهم قتال عنيف انهزم فيه ابو الفهم وفر الى جبل هنالك يعصمه من الموت اوالقتل، فكان مثل ولد نوح فى ذلك !... فأدركه المنصور فقتله فاستكانت يومئذ كتامة لصنهاجة واذعنت لطاعتها واحدث المصور اذ ذاك منصب خليفة عنه بميلة وآخر بسطيف واذن بالافراج عن مبعوثي الخليفة فلحقا بالبلاط الفاطمي وحدثا هنالك بما رأيا من جراءة المنصور وانتصاراته فجاءت الهدايا من القصر الى المنصور توددا وتقديرا لمركزه السياسي الذى احرزه بشجاعته واقدامه

## ثورة ابى البهار بتاهرت

ماكادت تنتهي حوادث كتامة حتى ظهرت علائم الخلاف والشقاق من والى تيهرت ابى البهار بن زيرى الصنهاجي عم المنصور؛ فغلب على وهران وشلف وكثير من بلاد الزاب فبرز اليه المنصور سنة ٣٧٩هـ - ٩٨٩م ففر ابو البهار من تيهرت واختفى بالمغرب الاقصى ، ودخل عسكر المنصور المدينة فأكثر بها النهب والقتل يومئذ ثم خرج منها بأمر من الامير وامن المنصور اهل تيهرت على انفسهم ونصب عليها اخاه يطوفت وانتقل منها الى قاعدته الجزائرية «اشير»

فعقد لاخيه حماد عليها ثم عاد الى المنصورية . وفي سنة ٣٨٢هـ-٩٩٢م ظهر ابو البهار بالقيروان بعد اختفائه بالمغرب فوفد على المنصور معتبا فعفا عنه واكرمه وانزله احسن منزل ثم اعاده الى ولايته على تيهرت

## اقامة الدعوة الاموية بالجزائر

كان لسقوط مدينة فاس بيد زيرى بن عطية من بني خزر المغراويين سنة ٣٣٧٧هـ-٩٨٧م اثر ظاهر فى انتشار الدعوة الاموية بالمغرب من جديد وتسربها الى الجزائر وكان يومئذ على ولاية تاهرت ابوالبهار عم المنصور الصنهاجى فرفض دعوة العبيديين ودعا الى الخلافة الاموية القائمة يومئذ بالاندلس وخالف على ابن اخيه للمرة الثانية وتغلب على مدينة تلمسان ووهران وشلف وجبال وانشريس وشرشال وكثير من بلاد الزاب وغيرها من النواحي الشرقية بالجزائر وبعث ببيعته الى المؤيد الاموى وحاجبه المنصور بن ابى عامر بالاندلس ، فكتب اليه هذا بالعهد على ما بيده من البلاد مع هدايا وخلع واربعين الف دينار ، فقبض ابو البهار ذلك ومكث يدعو الى الاموية مدة شهرين ثم خلعهم وعاد الى العبيديين ، فغضب لذلك المنصور بن ابي عامر فكتب بعهده على بلاد المغرب الى زيرى بن عطية وامره بمقاتلة المخالفين ، فبرز ابن عطية فى عدد لا يحصى من قبائل زناتة وغيرهم متوجها من فاس الى قتال والى تاهرت، فخرج يومئذ ابوالبهار من ولايته ملتحقا بابن اخيه الامير المنصور الصنهاجى، فاحتل زيرى المغراوى مدينة تلمسان واستولى على جميع اعمال ابى البهار بالجزائر ؛ ثم كانت هنالك مقاومة لدعوة زيرى الاموية من قبل بعض الولاة الصنهاجيين فسكنت ريحه هنيهة، واخيرا تحرك زيرى للقضاء على هؤلاء المخالفين فتم له النصر على القطر الجزائرى سنة ٣٨١هـ- ٩٩١م . واقام به دعوة الامويين الى وفاته سنة ٣٩١هـ-١٠٠٠م فانحاشت الدعوة اذ ذاك الى المغرب الاقصى

## انشاء مدينة وجدة

ولما تمكن زيرى بن عطية المغراوى الزناتى من ملك المغربين الاوسط والاقصى وصفا له الجو وخلا عن المنازع والمزاحم رغب فى تأسيس مدينة تكون واسطة عقد مملكته ، فاختار موقع مدينة وجدة ، واخذ فى تأسيس المدينة وشرع فى بنائها فى شهر رجب سنة ٣٨٤هـ-اوط ٩٩٤م وانتقل اليها بأهله وحشمه وحمل اليها جميع امواله وذخائره وجعلها عاصمة الامارة الزناتية التابعة للخلافة الاموية بقرطبة ، ثم آلت هذه الامارة بعده الى ابناء عمومته ، وكان آخر الامراء فيهم معنصر بن المعز المغراوى الذى قتله المرابطون سنة ٤٦٢هـ-١٠٦٩م وقضوا على امارته

## استئصال كتامة

كأن كتامة لم تكتف بما تلقته من النكبات فى حوادث ابى الفهم الماضية ، فتمردت هذه المرة عن دفع الجباية وامتنعت من الرضوخ للدولة ، فقامت خلف رجل ينتسب للقائم العبيدى اسمه ابو الفرج فضرب السكة باسمه واتخذ البنود والطبول وجرت بينه وبين عاملى المنصور الصنهاجى على ميلة وسطيف حوادث كبرى وحروب عظيمة هى اشد واعظم من وقائع ابى الفهم السالفة ، فبرز لها يومئذ المنصور سنة ٣٨٠هـ-٩٩٠م فظفر بابى الفرج فقتله وشحن جميع ارض كتامة وبلادها بالجند والحامية وبث العساكر فى الثكنات بجميع النواحى والجهات حتى لا يستطيع احد منهم ان ينهض او يتحرك ، وبعث بالولاة والعمال الى سائر الاعمال فقضى بذلك على كتامة ،

## الامير باديس بن المنصور

توفى المنصور يوم الخميس ٣ ربيع الاول ٣٨٦هـ - ٢٦ مارس ٩٩٦م فبويع ولده باديس الذى كان حائزا على سجل ولاية عهد ابيه من العزيز الفاطمى منذ سنة ٣٨١هـ - ٩٩١م ، وبعد مبايعته بالامارة اتصل بموافقة الحاكم الفاطمى فى السنة التالية ولقبه بنصير الدولة ، وكان مولد باديس بمدينه اشير - بالجزائر - ليلة الاحد ١٣ ربيع الاول ٣٧٤هـ - ١٤ اوط ٩٨٤ ، وكان ملكا شجاعا مقداما كريما حليما حازم الراى شديد البأس ، وكان يعتم بالحمرة وفيه يقول الشاعر :

تجلو عمامته الحمراء غرته  كانه قمر فى حمرة الشفق

## رئاسة ولاية الجزائر

كان اول ماقام به باديس من الاعمال الادارية ان عقد لعمه حماد بن بلكين على جميع ولاية الجزائر الشرقية واقطعه مقاطعة آشير وامده بالخيل والسلاح وعدد الحرب اتقاء لطوارىء القبيلة المعادية زناتة ، وجعل ولاية تاهرت وجميع ارض الجزائر الغربية لعمه ايضا يطوفت بن بلكين ويحمل كل منهما لقب نائب باديس ، وكثيرا ما كان الاخوان يطوفت وحماد وعمهما ابو البهار يتداولون عمل اشير

## فوز الامويين بالجزائر

حاولت قبيلة زناتة افتكاك بعض الاعمال الجزائرية من يد صنهاجة فاظهرت الخلاف على باديس ، وعملت على مناهضته ، فانتهزها يومئذ زيرى ابن عطية فرصة ودعا لمبايعة المؤيد الاموى بالاندلس فبايعته زناتة ، فزحف يومئذ زيرى بجموعه على ولايتى تلمسان وتيهرت فاستولى عليهما سنة ٣٨١هـ - ٩٩١م فنهض اليه باديس من مركزه ومر فى طريقه بطبنة فاستجاش بصاحبها فلفول

ابن عم زيرى بن عطية المغراوى فامتنع وانقلب على باديس؛ واندلع لهيب الثورة يومئذ ضد صنهاجة وامتد شررها من طبنة الى تيجس من اعمال قسنطينة وحاصر فلفول مدينة باغاية سنة ٣٨٩هـ-٩٩٩م. واحتلها ثم انهزم عنها فلحقته جنود صنهاجة وطاردته من مرماجنة ايضا فلحق بالجبال، وهنالك اتصل فلفول بخصوم باديس ومزاحميه من آل زيرى الصنهاجي فنزلوا تبسة فحمل عليهم باديس واجلاهم عنها. ويومئذ حدثت وحشته بين الامير زيرى بن عطية الزناتى وبين الوزير المنصور ابن ابى عامر حاجب الخلافة الاموية بالاندلس فاعلن الوزير الحرب على عدوه الزناتى وكان ميدانها المغرب الاقصى واندلع لهيبها الى المغرب الاوسط فسقطت اعمال تاهرت وتلمسان بيد الحاجب الاموى

## خيبة زناتة في حملتها على تيهرت

هاجمت هذه القبيلة على اعمال تيهرت سنة ٣٨٩هـ-٩٩٨م. وكادت ان تنتصر عليها فكتب عاملها يطوفت بن المنصور الى باديس مستمدا ومستنصرا، فجهز اليه الامير جيشا عرمرما وجعله تحت قيادة كاتبة محمد بن ابى العرب وخرج القوم من دار الامارة فى منتصف صفر-فيفرىـمن هذه السنة قاصدين تيهرت، فمروا في طريقهم على آشير مستعينين بجندية حماد بن بلكين فانضم اليهم حماد بجنوده والتحق الجميع بعسكر يطوفت وزحف الجيش الصنهاجى من هنالك نحو اماكن العدو فالتقى الفريقان غرة جمادى الاولى ـ ٢٠ افريل ـ بوادى ميناس ـ على مرحلتين من مدينة تاهرت ـ فانتصرت زناتة وانهزمت جنود صنهاجة الى آشير تاركة خلفها جميع معداتها الحربية وأموالها نهبا للعدو، واحتلت زناتة معظم العواصم الجزائرية فنزلت تيهرت، وتلمسان، وشلف، وتنس، والمسيلة وجملة من بلاد الزاب وحاصرت آشير ايضا؛ وكان السبب فى خذلان صنهاجة هذه المرة كراهية الجيش الحمادى لاميره لقلة عطائه وحدة اخلاقه الشرسة

وطار خبر هذه الهزيمة الشنعاء الى باديس فسخط لذلك وحمل بنفسه على مراكز العدو بتيهرت ، ففرت امامه زناتة الى باغاية وطبنة ، واختلفت عليه من هنالك ، فتعقبها باديس بجنوده ودحرها فى وقائع وحروب طاحنة

## عصيان ماكسن وزاوى

هما اخوان من ابناء زيرى بن مناد الصنهاجى حاولا الخروج عن طاعة باديس واظهرا الخلاف والمعصية في جملة اعمامه الذين لم يتح لهم التمتع بالحكم والرآسة ؛ فعقد باديس لعمه الداهية حماد على اخضاعهم سنة ٣٩٠هـ-١٠٠٠م. فقتل ماكسن وانحصر اخوه زاوى بجبل شنوه بناحية شرشال مستأمنا فيمن كان معه من الاتباع فاشترط عليهم حماد الجلاء عن بلاد الجزائر ، فخرج زاوى يومئذ فى فئته وابناء اخيه الى الاندلس ملتحقا بالمنصور بن ابى عامر فاكرم المنصور وفادتهم ، ثم كان لهم بعد ذلك شأن وملك هنالك

## بعث الدعوة الاموية بالجزائر

كنا المعنا الى سقوط ولايتي تلمسان وتيهرت بيد زيرى بن عطية المغراوى الزناتي القائم بدعوة الامويين بالمغرب سنة ٣٨١هـ-٩٩١م . ثم بيد المنصور بن ابى عامر الحاجب الاندلسى سنة ٣٨٩هـ-٩٩٩م . واستمرت هذه القطعة من الجزائر تحت ادارة المنصور هذا الى ان عهد بها وبعمل سجلماسة الى المعز بن زيرى بن عطية سنة ٣٩٣هـ-١٠٠٣م فاستبد هذا بالمغرب الاقصى وجعل على ولايتي تلمسان وتيهرت ولده يعلى سنة ٣٩٦هـ-١٠٠٦م فجدد بها الدعوة الى الخلافة الاموية ، واورثها بنيه ، ولم يزل بعد ذلك بنو يعلى فى حرب مع بنى حماد الى ان تغلب عليهم اخيرا المرابطون فأجلوهم عن هذه الامارة سنة ٤٧٣هـ-١٠٨٠م

## قهر زناته

استمرت زناتة على تمردها ضد السلطة الحاكمة فاضطرب لذلك حبل النظام بالمغرب الاسط وقلق منه باديس ، فأوعز الى عمه حماد بالقضاء على حركة زناته واخماد ثوراتها المتحددة ، فاقتحم حماد هذه الفرصة السانحة ليحقق اغراضه في الملك والرئآسة فاشترط على الامير انه ان نجح في زحفه على زناته ان يوليه المغرب الاوسط ، وان له جميع ما يملكه في غزوته هذه من البلاد ، وان تكون له الحرية فى اختيار مكان اقامته بالبلاد ، فوافقه باديس على ذلك ؛ فغزا حماد يومئذ زناته سنة ٣٩٥هـ-١٠٠٥م فظفر بهم واستأصل شافتهم بحيث لم يظهر لهم بعد ذلك اى أثر في الحرب مع حماد . وما كانت ثورات زناتة في حقيقة امرها الا عن ضغينة وحقد لحقها من خيبتها ، اذ لم يكن لها في هذه الدولة من الحكم والرئاسة نصيب

## انشاء قلعة بنى حماد

اندفع حماد بعد انتصاره على زناته يتجول في أنحاء الجزائر ثملا بنخوة الظهور والغلبة وهو في ذلك يرتاد مكانا حصينا يتخذه مركزا لسلطانه ويحتاط فيه لنفسه، فوفق الى جبل منيع مطل على بحيرة الحضنة يعرف بجبل كياته على نحو ٣١ كيلوميترا جنوب برج بوعريريج وعلى نحو ٢٠ كيلوميترا بالشمال الشرقى من مدينة المسيلة تحيط به سهول وبأعلاه حصن «تاقربوست» المعروف في القديم باسم قلعة ابى طوبل على نحو ١٥ كيلوميترا شرقى برج الغدير ؛ وهناك شرع حماد سنة ٣٩٨هـ- ١٠٠٧م في وضع قلعته وتاسيس عاصمته التى قدر لها ان تكون حينا من الدهر عاصمة القطر الجزائرى ؛ وقد تم تمصيرها في عامين، ثم احاطها بسور من الحجارة سنة ٤٠٥هـ-١٠١٤م يبلغ ارتفاعه ميترا واحد ويمتد حول جبل كياتة على استدارة سبعة أميال

يقول الادريسي في وصف هذه القلعة انها «من اكبر البلاد قطرا واكثرها خلقا واغزرها خيرا ، واوسعها اموالا ، واحسنها تصورا ومساكن ، واعمها فواكه وخصبا ، وحنطتها رخيصة ولحومها طيبة ؛ وكانت مقصد التجار ومحط رحالهم يأتون اليها من العراق والحجاز والشام ومصر الخ ..... واهلها في غاية الذكاء والفطنة ولهم في ذلك نوادر واقاصيص عجيبة يرويها اهل الجغرافية والتاريخ (١)

## بداءة الخلاف بين حماد وباديس

استقر حماد بن بلكين بعاصمته الجديدة - القلعة - وصار يتنقل بينها وبين آشير يوما هنا ويوما هناك ، واصبح حسب تفوض الامير صاحب النفوذ المطلق بالجزائر وارض الزاب ايضا وركدت ريح زناتة وتبدد شملها ؛ واشتهر ذكر حماد فطار بالبلاد صيته وعظم شأنه وكثر دخله ؛ ويومئذ عملت عوامل الحسد وحسائك الحقد والضغينة في صدور اعدائه فأخذوا في السعاية والوشاية به الى باديس وذكروا له اشياء كرهها الامير من حماد وخشي على ضياع نفوذه واستفحال امر عمه حماد؛ وبقي باديس يلتمس الفرصة ليطلع نفسه على نوايا عمه حول الامارة والملك ؛ ففي شهر ذي الحجة ٤٠٧هـ - ماي ١٠١٧م جاء العهد من الخليفة الحاكم الفاطمي بولاية المعز بن باديس امارة افريقية بعد والده ، فبادر باديس الى امر حماد بالتنازل عن ولاية عمل قسنطينة وتيجس - على نحو تسعين كيلوميترا بالجنوب الشرقي من قسنطينة -للمعز ولي عهد امارة صنهاجة، فامتعض حماد لهذا الامر وامتنع واصر على بقائه في ولايته وجاهر برفض التشيع وقتل الروافض ؛ فنشأت عن ذلك عداوة ووحشة بين القصر وحماد

---

١) راجع المسالك والممالك للبكري ص ١٨٤

## نشوب الحرب بين حماد وباديس

ولما اتضح لباديس موقف عمه العدائى تجاه ملكه والدعوة الشيعية جهز له جيشا وامر عليه كبير قادته هاشم بن جعفر واهب به الى ناحية الجزائر فخرجت الكتائب من القيران فلقيها حماد بمدينة الكاف ومعه ثلاثون الف مقاتل فانهزم جيش هاشم وتقدم حماد الى تونس وباجة فاحتلهما واثار أهلهما ضد الشيعة ، ويومئذ زحف اليه باديس فهزمه ونكص حماد على عقبه ملتجئا نحو آشير فتنكر له اهلها ففر الى ناحية شلف فلحقه باديس وقد امتلك فى طريقه مدينة المسيلة وآشير وبلغ الى سهل السرسو فانضم اليه هناك جميع اعداء حماد وخصومه الناقمين عليه ، فاشتد ساعد باديس بأولئك فأجاز بهم وادى شلف وقضى على قوات حماد الكامنة هنالك فى اوائل جمادى الاولى سنة ٤٠٧هـ-اكتوبر ١٠١٦م ، فانهزم حماد من مجانة الى شلف وهرب الى القلعة فتخلى عنه اصحابه وذهبوا الى الامير ، واشتغل القوم يومئذ باستفادة ما خلفه حماد وراءه من الغنائم والاموال والاثقال مما لا يحصى عدا !... ثم احاط الجميع بقلعة حماد فحاصروها وكادوا ان يظفروا به لو لا ان فاجأهم موت باديس بالمسيلة يوم الثلاثاء ٣٠ ذى القعدة ٤٠٧هـ-٣٠ افريل ١٠١٧م فرأسوا عليهم اخاه كرامة وجعلوه كقائد اعلى يرجعون اليه في تسيير هذه المعركة وكتموا موت الامير ، فحمل يومئذ كرامة على حماد فى سبعة آلاف مقاتل وانفق في ذلك اموالا طائلة ، واستعد حماد لمقاومته في الف وخمسمائة فارس فهزمه الى القيروان ومعه جثمان باديس فدفن بها وبويع ولده المعز

## الامير المعز بن باديس

سير اليه الخليفة الفاطمي تشريفا وسجلا لقبه فيه بشرف الدولة ، وكانت توليته الامارة يوم ٢١ ذى الحجة سنة ٤٠٧هـ-٢١ ماى ١٠١٧م وسنه يومئذ ثمان سنوات واربعة اشهر ، فكفلته عمته ام ملال الى ان بلغ سن الرشد فاشتهر بالتدين والعلم ورقة القلب والتعفف عن سفك الدماء الا ما كان فى حق وكان يجيد الشعر بحسن الألحان الموسيقية والعزف معها وله خبرة ودراية بالاحجار الكريمة محبا لاهل العلم والادب ومحط آمالهم ، فكان عصره اضخم واترف ملك عرفه البربر بافريقية ، فهو ثالث ملوك هذه الدولة الذين ضربت السكة بأسمائهم ، واول من اتخذ المهدية قاعدة لملكه الى ان استولى عليها الصقليون سنة ٥٤٢هـ-١١٤٧م . ولم تطل مدة احد من اهل بيته في الولاية والملك كمدته ، اذ كان فيها من اكرم اهل بيته

## استمرار الحرب بين حماد والمعز بن باديس

استمر كرامة بن المنصور محافظا على عرش اخيه باديس حتى تمت المبايعة لابنه المعز ، ويومئذ تخلى عن العرش لابن اخيه وصالح حمادا على اموال قبضها والتحق بالبلاط الصنهاجى ؛ فأسرع حماد يومئذ الى تبوئة مكانه بالمغرب الاوسط ودخل المسيلة وآشير واستعد فيهما للقتال ، وخرج لحصار باغاية فأجلاه عنها جيش المعز وهزمه يوم ٢٢ صفر ٤٠٨هـ-٢١ جوليط ١٠١٧م فسر لذلك اهل باغاية وبعثوا بهدايا وتحف نفيسة الى المعز كان من بينها عبيد وثلاثمائة وخمسة وثلاثون برذونا مسرجة بالسروج المحلات الخ ......... ثم بعد مضى شهر من وقعة باغاية كانت هنالك وقعة ثانية هى اشد واعظم من الاولى انهزم فيها حماد، كذلك وتفرق عنه الجند واسر اخوه ابراهيم بما معه من العتاد ونجا حماد بنفسه، ثم سار جند المعز الى مدينة سطيف وقصر الطير وقفل بعدها الى حضرته

## الصلح والموادعة

ولما استبان لحماد عجزه عن مداومة الحرب بعث الى المعز مستسلما طالبا للامان فقبل منه ذلك مشترطا عليه ارتهان ولده القائد ؛ وبعد ما استوثق حماد على ابنه بواسطة اخيه ابراهيم بعث به الى المعز ومعه هدايا نفيسة فاقتبله الامير فى منتصف شعبان ٤٠٨هـ ـ جانفيى ١٠١٨م واكرمه واغمره باحسانه وامضى له ما ارتضاه والده من الصلح واقطعه مدينة المسيلة وطبنة ومرسى الدجاج وسوق حمزة ـ برج حمزة قرب البويرة ـ وزواوة ومقرة وغيرها من بلاد الجزائر ، فكأن ذلك كان ترشيحا من المعز لانشاء دولة بنى حماد ثم عاد القائد بعد ذلك الى والده فى رمضان من سنته يحمل معه صكوك السلم والاقطاع ؛

ثم كانت هنالك حوادث زناتة بالزاب فنهض اليها الجند الصنهاجى فأخمدها سنة ٤٢٩هـ ـ ١٠٣٨م بعد ما قتل فيها عددا وافرا من الناس واحتل جميع قلاع الزاب . ثم فى سنة ٤٣٢هـ ـ ١٠٤١م حدثت وحشة بين عاهل صنهاجة وحماد ، فزحف المعز الى القلعة الحمادية فحاصرها مدة سنتين ثم اقلع عنها وعاد الى حاضرته ؛ فلم يختلفا بعد ذلك ؛ ويومئذ تمحض ملك الجزائر للاسرة الحمادية واستمرت الولاية فيهم زهاء قرن ونصف كما سنفصله فى تاريخ دولتهم ؛ ومنذ ذلك الحين انقسمت المملكة الزيرية الصنهاجية بالمغرب الى قسمين : مملكة شرقية وقاعدتها القيروان ثم المهدية حكم فيها ابناء المعز الى ان قضى عليهم النورمان سنة ٥٤٣هـ ١١٤٨م . ومملكة غربية كانت لبنى حماد وقاعدتها القلعة ثم بجاية الى ان سقطت بيد الموحدين سنة ٥٤٧هـ ـ ١١٥٣م

## المذاهب والعقائد

كان المغرب العربى فى اول عهده بالاسلام سائرا فى تدينه على مذهب السلف الصالح وعقائد اهل السنة والجماعة ؛ الى ان كانت حوادث فتنة الجمل وصفين بالمشرق فنشأت عنها احزاب وطوائف سياسية مختلفة تسربت الى المغرب فتطورت العقائد معها الى احساس سياسى وتفرقت الامة في عقائدها واتجاهها الديني الى مذاهب وطرق شتى فحدثت يومئذ مذاهب الاعتزال والخارجية واختلفت الآراء فى اصول الاعتقاد ؛ وسلك الناس فى عباداتهم ومعاملاتهم هذا المسلك ايضا ، فاختلفوا الى مذاهب شتى ؛ وكان اظهر المذاهب الاسلامية يومئذ بالمغرب مذهب ابى حنيفة ومالك كما المعنا الى ذلك فيما تقدم

وفي عهد بنى عبيد الفاطميين حاولت هذه الدولة نشر مذهب الشيعة الاسماعيلى بعقائده وعباداته بين الشعب الافريقى كله ، ومحو مذهب اهل السنة ، فكان هنالك من اخذ به ، ومنهم من رفضه ؛ وكان فقهاء المالكية على الخصوص في محنة عظيمة مع هؤلاء الروافض من الشيعة الى سنة ٤٠٧هـ–١٠١٧م . حيث اختلف حماد بن بلكين على باديس وفسدت ذات البين بينهمافأعلن حماد برفض عقائد الروافض والغاء مذهب الشيعة والتمسك بمذهب اهل السنة ؛ فانقطعت بذلك دعوتهم بالجزائر ؛ واستمرت المعارضة المالكية تعمل في الشعب المغربى حتى تغلغل فيه الوعى السنى فانتهز المعز بن باديس هذا الموقف ليتخذمنه سبيلاالى اعلان انفصالهايضاعن دولة الفاطميين واستقلاله بالمغرب العربى؛ فانتحل يومئذ مذهب اهل السنة وحمل الناس على مذهب الامام مالك ومنعهم من تعدد المذاهب ، فجمع الفقهاء للمناظرة بين يديه ، وكان فيهم المالكية والحنفية ؛ فسألهم عن موطن ابى حنيفة ، فقيل له الكوفة ، فقال ومالك ؟... فقالوا المدينة ، فقال عالم اهل المدينة يكفينا وامر باخراج اصحاب ابى حنيفة ، وقال لا احب ان يكون

في عملي مذهبان . واعلن يومئذ انفصاله السياسي عن الفاطميين ، ولعن مذهب الروافض ، وابطل شعائرهم وقطع الخطبة باسمهم ودعا للخلافة العباسية ببغداد، فحظى منها بالتقليد والخلع فنشر الرايات السود وهدم دار الاسماعيلية وذلك حدود سنة ٤٣٥هـ-١٠٤٣م فاندفع الناس حينئذ لمقاتلة الشيعة واضطهادهم ابرح قتال واشد اضطهاد ؛ فكانت هذه الحركة الدينية الفقهية بالمغرب العربي حركة قوية نشيطة اكثر ما خدمت فقه الامام مالك واستقلال البلاد

ويحدثنا المقدسي فى كتابه الجغرافي الجليل «احسن التقاسيم» الذى وضعه سنة ٣٧٥هـ-٩٨٥م بعد ما جال فى هذه الاوطان المغربية واتصل بأهلها ، فقال «ان اهل المغرب لا يكادون يعرفون الا كتاب الله وموطأ مالك ؛ .... وانهم لا يعرفون مذهب الشافعي ايضا ، انما هو ابو حنيفة ومالك ؛ قال « وكنت يوما اذاكر بعضهم فى مسألة ؛ فذكرت قول الشافعى ، فقال : اسكت من هو الشافعى ؟ انما كان بحران ابو حنيفة لاهل المشرق ومالك لاهل المغرب ، افنتركهما ونشتغل بالساقية .؟. قال وما رايت فريقين احسن اتفاقا واقل تعصبا منهم ... وسألت بعضهم : كيف وقع مذهب ابي حنيفة اليكم ولم يكن على سابلتكم ؟... قالوا : لما قدم وهب بن وهب من عند مالك وقد حاز من الفقه والعلوم ما حاز ، استنكف اسد بن عبد الله ان يدرس عليه لجلالته وكبر سنه ، فرحل الى المدينة ليدرس على مالك فوجده عليلا ، فلما طال مقامه عنده قال له : ارجع الى وهب فقد اودعته علمى ، وكفيتكم به الرحلة فصعب ذلك على اسد ، ثم سأل هل يعرف لمالك نظير ؟... فدل على محمد بن الحسن صاحب ابى حنيفة ، فرحل اليه ، واقبل محمد عليه اقبالا لم يقبله على احد لما راى منه من فهم وحرص ، فلما راى محمد انه قد بلغ مراده سيبه الى المغرب ، فلما دخلها اختلف اليه الفتيان وراوا فروعا حيرتهم ، ودقائق اعجبتهم ، ومسائل ماطنت على اذن ابن وهب ففشا مذهب ابي حنيفة بالمغرب

وفيما يرجع الى رواية القرآن الكريم واقراءاته بالمغرب فانه كان يتلى بقراءة الامام حمزة بن حبيب ، الى ان رحل ابن خيرون الاندلسى الى المشرق فى صدر المائة الرابعة فعاد برواية قانون وورش عن نافع فانتشرت هذه القراءة ايضا بين الناس بعد ان كان لا يقرأ بها الا الخواص

## الزحف الهلالى

تأثر الخليفة الفاطمى كثيرا لهذا الحادث الخطير وهذا الانقلاب الدينى السياسى العظيم الذى وقع بافريقية، فعظم عليه خروج المغرب عن الامبراطورية الفاطمية وانقراض دعوة الشيعة به ، فكتب المستنصر بالله العبيدى الى المعز بن باديس كتابا يتهدده فيه ويقول : هلا اقتفيت آثار آبائك فى الطاعة والولاء ؟... فأجابه المعز قائلا ؛ ان آبائى واجدادى كانوا ملوك المغرب قبل ان يملكه اسلافك ، ولهم عليهم من الخدم اعظم من التقديم ولو اخروهم لتقدموا بأسيافهم

ويومئذ دبرت مكيدة الحملة الهلالية باشارة من اليازورى وزير المستنصر حيث كان واغر الصدر على المعز ، وكان هؤلاء الاعراب من بنى هلال وبنى سليم ورياح وزغبة قد اضروا بالديار المصرية واصبحوا خطرا على الدولة هناك ففتح لهم الخليفة باب الهجرة الى المغرب ورغبهم فيه بأنواع من المرغبات وعقد لرؤاسهم ورجالاتهم على امصار البلاد وثغورها وقلدهم كثيرا من الاعمال والولايات انتقاما من دولة صنهاجة الزبرية المشاقة؛ واذن لهؤلاء الاعراب فى الانتقال الى هذا الشمال الافريقى؛ وقال لهم : قد اعطيتكم المغرب وملك المعز بن بلكين الصنهاجى ذلك العبد الآبق فلا تفتقرون ؛ وترك تحقيق ذلك الى سيوفهم ورماحهم

خرجت الحملة الهلالية الاولى من الديار المصرية سنة ٤٤٢هـ-١٠٥١م فى نحو الاربعمائة الف شخص ،واذ ذاك كتب اليازورى الى المعز ( .. امابعدفقد ارسلنا اليك

خيولا ، وحملنا عليها رجالا فحولا ليقضى الله امرا كان مفعولا» ونزل هؤلاء الاعراب بافريقية فانتشروا ببرقة ونواحى قابس وتونس ؛ فأكثروا فيها الفساد والنهب وتكررت الوقائع بينهم وبين الاهالى والدولة وتعددت النكبات فتخلى لهم المعز عن القيروان الى المهدية فتعقبوه اليها ، وكان الملتحم بالجزائر فى نواحى جبل راشد ومصاب والزاب الشرقى وفيه قتل القائد ابو سعدى خليفة الزناتي القتري وزير بني خزر بتلمسان : وكان من جملة المقلدين في هذه الحملة الحسن بن سرحان فانه جاء برسم ولاية قسنطينة فاحتلها وقد شهدت البلاد فى هذه الآونة من البلايا والاهوال والحروب الاليمة ما يشيب لها الاطفال !... وعجز عن المقاومة كل من صنهاجة وزناتة وامراء تلمسان من بني خزر وامراء القلعة من بنى حماد وفاز هؤلاء المهاجرون من الاعراب الهلاليين بامتلاك اعظم الجهات بافريقية ، فكان لبنى سليم نواحى المغرب الشرقية ، ولبنى هلال النواحى الغربية ، ولقد احدث هذا الغزو الهلالى انقلابا عظيما فى البلاد من حيث الاقتصاد والسياسة والاجتماع

## أهم المواطن العربية الهلالية بالجزائر

كل ما فى هذا الوطن من عرب هذه الحملة يرجع نسبهم الى اصول اربعة ، بنى هلال ، بنى سليم ، زغبة ، رياح ؛ كانت مواطنهم الاصلية بالحجاز حول مكة والمدينة وبسائط الطائف الى جبل زغوان وبأرض تيماء من نجد والبحرين واليمن . وكان انتقالهم لمصر ايام ولاية عبد الله بن الحبحاب عليها . ثم انحاز الكثير منهم الى القرامطة ايام ظهورهم وتغلبهم على بلاد الشام ومصر في القرن الثالث الهجرى ؛ ثم بعد الفتح الشيعى للبلاد المصرية اسكنهم الخليفة العزيز بلاد الصعيد وانزلهم بالعدوة الشرقية تجاه بحر القلزم — البحر الاحمر — فأقاموا هنالك يعيشون على البداوة والخشونة . ويجرون على طبيعتهم في السلب والنهب فحصلت منهم اضرار كثيرة بالبلاد الى سنة ٤٤٢هـ-١٠٥١م فانتقلوا من

بلاد النيل الى المغرب فسكنوه وتفرعت عنهم فروع كثيرة وبطون عديدة انتشرت بأنحاء الشمال الافريقي وامتزجت بأهله امتزاج الماء بالماء حتى كدت لا تفرق اليوم بين العربى والهجين

فمنهم بعمالة الجزائر : قبائل الثعالبة والمعقل وهم بسهول متيجة ؛ وعبيد وعمراوة حول بلاد جرجرة؛ واولاد ماضي وسليمان حول مدينة سور الغزلان؛ وجندل والعطاف حول جنوب مليانة ونواحى المدية ، واولاد نائل فى نواحى الصحراء ، وزغبة بين مصاب وجبل راشد

وبعمالة وهران: بنو عامر وهم ما بين مدينتي وهران وتلمسان ، والغرابة هم بتلك النواحى ايضا ، والمجاهر قرب مستغانم ، وصهيب قرب الاصنام ، والجعافرة واولاد خالد واولاد الشريف ما بين الساحل وفرندة وسعيدة

وبعمالة قسنطينة : المخادمة واولاد جلال ، واولاد سعيد فى الهضاب العليا والصحراء ومنهم عتبة بنواحى بجاية ، ورياح بنواحى قسنطينة الخ.... ولقد حصلت لهؤلاء العرب رئاسة وزعامة بهذه الاوطان فاندمجوا فيها واصبحوا يدافعون عليها دفاع الاسد عن العرين

## رفاهة البلاط الصنهاجى وثراء الجزائر

لا ادل على الحقائق التاريخية ولا اثبت للحجة من ذكر الحوادث والوقائع مجردة يستنتج منها الباحث والمطلع عليها بنفسه الحكم على العصر الذى جرت فيه تلك الحوادث ، وها نحن نقدم له اسنادا صحيحة واقعية كبرهان قاطع يوضح لنا مبلغ ما وصلت اليه هذه الدولة الزيرية من الرفاهية والبذخ وما بلغت اليه الرعية من الثراء والغنى

قال صاحب البيان المغرب فى سياق الحديث عن وقائع حماد ضد باديس سنة ٤٠٧هـ-١٠١٦م : ان الناس اخذوا من غنائم حماد وامواله ما لا يحصى عددا

وكثرة ، ووجد رقعتان فيهما ان الذى عند القائد فلان صندوق فيه خمسون الف دينار وسبعمائة ، ومن الورق الف الف وخمسمائة درهم ، ومن الامتعة خمسون صندوقا ، غير ما كان فى بيت حماد وخزائنه

قال ابو اسحاق وجد رجل بين يديه بغل يسوقه ، فتتشه بعض الوصفان بين ايدينا ، فوجد فى حشو برذعته وصوفها ثمانية آلاف دينار ، ومثل هذا ما لا يحصى كثرة

وفى سنة ٤١٥هـ-١٠٢٤م وقف شرف الدولة المعز بن باديس لهدية صندل والى بسكرة فعرضت عليه ، فاذاهى ثلاثمائة حصان ، ومائة فرس انثى ، وبغلات منها عشرون بالسروج المحلاة وعبيد ومائة حمل من المال ، فخلع عليه وجدد له الولاية على بسكرة ، وبلغت عطية عامل باغاية مائة حمل من المال ، واعطى باديس الى قلفول بن مسعود الزناتى صاحب طبنة ثلاثين حملا من المال وثمانين تختا من الثياب وعشرة بنود مذهبة ، ومراكب بالسروج المحلاة وكانت منحة المعز بن باديس للمنتصر بن خزرون الزناتي مائة الف دينار

وياما اروع يوم زواج ام العلو بنت باديس بعبد الله بن حماد وما اجمل الايوان ايام ذلك العرس وما ابهى موكب زفاف العروس ! فانه لما كان يوم الاربعاء غرة شعبان ٤١٥هـ ٨ اكتوبر ١٠٢٤م زين الايوان المعظم للسيدة الجليلة ام العلو ، ودخل الناس خاصة وعامة فنظروا من صنوف الجواهر والاسلاك والامتعة النفيسة واوانى الذهب والفضة ما لم يعمل مثله ولا سمع لاحد من الملوك قبله ، قال ابو اسحاق الرقيق : فبهر عيون الخلق حال ما عاينوه ، وابهتهم عظيم ما شاهدوه ، وحمل المهر فى عشرة احمال على عشرة بغال ، وعلى كل حمل جارية حسناء ، وجملته مائة الف دينار عينا ؛ وذكر بعض الحذاق من التجار انه قوم ما هو لها فكان ما يزيد على الف الف دينار ، ولم ير مثل هذا لامراة قبلها بافريقية

وزفت العروس يوم الخميس ومضى بين يديها عبد اخيها شرف الدولة المعز ،

وابيهانصير الدولة باديس ، وجدهاعدة العزيز بالله ، ووجوه رجال الدولة ، فكان يوما سارت الركبان بمحاسن آثاره وعجبت الناس لعجائب اخباره ؛ وقل مثل ذلك فى مآتمهم ايضا فإنها كانت لا تقل عن افراحهم فى مظاهر الابهة والبذل

فانه لما توفيت زوجة نصير الدولة باديس سنة ٤١١هـ-١٠٢٠م جهزت فيما لم يذكر ان ملكا من ملوك الارض جهز فى مثله الا ما كان من ملوك الفراعنة بمصر !.... فقد روى المؤرخون عن من حضر هذه الجنازة ان قيمة جهاز التكفين بلغت مائة الف دينار ، من غير التابوت الذى جعلت فيه نهو من عود هندى مرصع بالجواهر وصفائح الذهب وقدر مبلغ قيمة مساميره الذهبية بألفى دينار ، وجعل عليه عشرون سبحة من نفيس الجوهر ، وذبحت مائة بقرة وخمسون ناقة ، والف شاة ، وفرق على الناس عشرة آلاف دينار !

هذه صورة مصغرة لبلاط ملك دولة صنهاجة وما كان عليه حال الناس يومئذ من اليسر والبذخ والرفاهية سقناه كتصديق لقول ابن خلدون عن ملك هذه الدولة : كان ملكهم اضخم ملك عرف للبربر فى افريقية واترفه وابذخه

## الثقافة والحضارة والعمران

من القواعد المقررة لمعرفة حيوية المجتمع وحركته الصناعية والاقتصادية ، النظر الى منشآته ومؤسساته العمرانية ، فاننا إذا نظرنا الى ذلك فى هذا العصر وجدنا حركة البناء والتعمير مطردة في تاريخ هذه الدولة ، فما كان انشاء مدينة آشير ٣٢٤هـ ٩٣٦م الا على يد زيرى بن مناد راس الاسرة المالكة ، و قد كان فيها من الدور والقصور والمنازل والحمامات والمساجد ما حمل الكثير من السادة والاعيان والعلماء والادباء على الانتقال اليها فاستبحر عمرانها وضربت السكة بها ، وكذلك مدينتا المدية ومليانة فانما كانتا بفضل بلكين بن زيرى فانه هو الذى انشأهما بأمر والده سنة ٣٥٥هـ-٩٦٦م وعاصمة الجزائر كذلك سنة ٣٦٢هـ-٩٧٣م . وهذا

من غير ما اشادته الدولة بـبلاد تونس وغيرها من اسباب الحضارة والعمران .
اما مهنة الزراعة والفلاحة فانها رائجة يومئذ بسبب التعامل التجاري الذي كان يجري مع الخارج فعم الرخاء وايسر الناس ، وبلغ دخل الدولة من موارد التجارة فقط نحو الستة ملايين فرنكا ذهبا سنويا ، واستمر الحال على ذلك الى ايام الزحف الهلالي حيث اشتدت الازمة بالناس ولحقهم من الضرر كثير

واشهر الحرف يومئذ كانت صناعة استخراج المرجان من بحر بونة ومرسى الخرز — القالة — فكان العمل في ذلك لا ينقطع ليل نهار والتجارة فيه رائجة وبالاخص ما كان يصدر منه الى الهنـد والصين ، كما اشتهـرت يومئـذ صنـاعة الاسلحة الحربية ، فقد كانت المصانع المغربيه تنتج منها في المدة القريبة مـا يعجز عنه غيرها في الزمن المديد

ومما يدلك على انتشار الحرف والصناعات وانطلاق ايدى الناس فيهـا سرعة ضرب السكة وسهولة امرها على كل قائم بدعوة او ثائر على الحكومة ؛ فقد كان لابى الفهم الكتامى الثائر عملة مضروبة باسمه ؛ ولابى الفرج الثائر بميلة وسطيف كذلك ، وللخير بن محمد بن خزر المغراوى ايضا ، وليد وبن يعلى اليفرني الخ . .
فكل ذلك يدلنا على فشو الصناعات والفنون ، ويكفينا في تصور مبلغ المستوى الثقافي وانتشار العلم والادب يومئذ . اجتماع مائة شاعر على باب المعز بن باديس ونبوغ امثال الحكيم ابن عمرون الوهراني وابن رشيق المسيلي والداودي التلمساني الخ . .

ومن ضمن الشعراء المـائة الذين كانوا يترددون على القصر ، الشـاعر ابو إسحاق الرقيق القائل في وقائع شلف — بالجزائر — :

لم انس يوما بشلف راع منظره ... وقـد تضايق فيه ملتـقى الحدق
والخيل تعبر بـالهامـات خائضة ... من سـافح الدم مجرى قانيء الفلق
والبيض في ظلمات النقع بـارقـة ... مثل النجوم تهاوت في دجى الغسق
وقد بدا معلما بـاديس مشتهـرا ... كالشمس في الجو لا يخفى على الحدق

وان راحته لو فاض نائلها    وبأسها في الورى اشفوا على الغرق
تجلو عمامته الحمراء غرته    كأنه قمر في حمرة الشفق
لوصور الموت شخصا ثم قيل له    ابو مناد تبدى ، مات من فرق

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كانت رآسة قبيلة مغراوة الزناتية لبنى يعلى بن محمد النفزى ، وتوارثها كذلك بنو عطية بن عبد الله بن خزر ، وبنو فلفول بن خزر ، الى ان انتصر عليهم بلكين السنهاجى فأخرجهم من مواطنهم هذه الى سبتة ؛ وكان على ولاية تيهرت ايام المنصور بن بلكين اخوه ابو البهار ، وعلى اشير اخوه يطوفت وتولى يطوفت ايضا على ولاية تيهرت ثم ابنه ايوب ، وعقد المنصور لاخيه حماد على ولاية آشير والمسيلة ؛ وزاده المعز عمل طبنة والزاب وتاهرت واطلق يده في جميع ما يمتلكه من البلاد ؛ وكان سعيد بن خزرون واليا على طبنة سنة ٣٨١هـ–٩٩١م ثم بعده ولده فلفول ، وابن ابى حلى كذلك كان واليا بطبنة ايام باديس ، وكانت رآسة قبيلة توجين – بنواحى شلف – لعطية بن دلفين وبدر بن اغمان بن المعتز ، وكانت طبنة والمسيلة ومقرة ومرسى الدجاج وسوق حمزة وزواوة للقائد بن حماد ومتيجة للقائد يوسف بن ابى محمد ، وولاية باغاية وبسكرة لصندل ، واعمال الزاب لابى سعيد خليفة اليفرنى .

# أمراء الدولة الزيرية ـ الصنهاجية ـ

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| بلكين بن زيرى بن مناد الصنهاجى | ٣٦١هـ-٩٧١م |
| ابو الفتح المنصور بن بلكين | ٣٧٣هـ-٩٨٤م |
| ابو مناد باديس بن المنصور | ٣٨٦هـ-٩٩٦م |
| المعز بن باديس | ٤٠٦هـ-١٠١٦م |

# مشاهير الجزائريين

## الحسن بن رشيق

### ٣٨٥ ـ ٤٦٣ ﻫ

### ٩٩٥ ـ ١٠٧١ م

ابو علي الحسن بن رشيق احد ائمة الادب العربى ومفخرة من مفاخر الجزائر، ولد بمدينة المسيلة سنة ٣٨٥ﻫ ٩٩٥م ونشأ بها متأدبا وتعلم صناعة الصياغة على والده وبرز فى فنون الادب والفقه والحديث والتاريخ ، ولما بلغ احدى وعشرين سنة من عمره ارتحل من بلده للقاء الشيوخ بالقيروان فنزل بعاصمة الشمال الافريقى سنة ٤٠٦ﻫ -١٠١٥م ولقى بها عميد علماء اللغة والادب الشيخ ابا عبد الله محمد بن جعفر القزاز ، وعبد الكريم النهشلى وغيرهما من العلماء ومشيخة القيروان فلازم مجالسهم حتى اشتهر فضله وذاع صيته فى الاوساط العلمية والادبية فاختاره المعز يومئذ لبلاطه وقربه اليه فكان بصحبته الى وفاته، فالتحق ابن رشيق يومئذ بولده الامير تميم ولم يزل مقربا لديه الى ان كانت الحملة الهلالية فانتقل المترجم الى صقلية فسكن مدينة «مازرة» الى ان وافاه اجله بها سنة ٤٦٣ﻫ-١٠٧١م تاركا وراءه ثروة ادبية ضخمة وتراثا علميا عظيما ،

ومن اشهر مؤلفاته كتابه الجليل « العمدة » وهو يبحث فى صناعة الشعر وفنونه ونقده وعيوبه فهو اجل كتاب وضع فى هذا الفن ، قال ابن خلدون : ان كتاب العمدة هو الكتاب الذى انفرد بهذه الصنعة واعطاها حقها ولم يكتب فيها احد قبله ولابعده مثله . وهو مطبوع بالقاهرة في جزئين . وله كذلك كتاب «قراضة الذهب في نقد اشعار العرب» وكتاب «الشذوذ» في اللغة .

و «انموذج الزمان في شعراء القيروان» و «ميزان العمل في تاريخ الدول» و «تاريخ القيروان» و «الروضة الموشية في شعراء المهدية» ورسالة «نجح الطاب» ورسالة «قطع الانفاس» ورسالة «رفع الاشكال» و «المساوى» في السرقات الشعرية ، وشرح موطأ الامام مالك وله ديوان شعر ورسائل اخرى عديدة ، قال الصلاح الصفدى فى كتابه الوافى بالوفيات : وقد وقعت على هذه المصنفات والرسائل المذكورة جميعها فوجدتها تدل على تبحره في الادب واطلاعه على كلام الناس ونقله لمواد هذا الفن وتبحره في النقد ؛ ومن شعره قوله في مدح الشعر :

| | |
|---|---|
| الشعر شيء حسن | ليس به من حرج |
| أقل ما فيه ذهـا | ب الهم عن نفسى الشجى |
| يحكم فى لطافة | حل عقود الحجج |
| كم نظرة حسنها | في وجه عذر سمج |
| وحرقة بردها | عن قلب صب منضج |
| ورحمة اوقعها | في قلب قاس حرج |
| وشاعر مطرح | مغلق باب الفرج |
| قربه لسانه | من ملك متوج |
| فعلموا اولادكم | عقار طب المهج |

ولطول مكث ابن رشيق فى بلاط ملوك صنهاجة بالقيروان اشتهر وعرف بين الادباء بالقيرواني والا فهو جزائرى «مسيلي» ولادة ومنشأ

## ابن عمرون الوهرانى

هو الحكيم الرياضى والعالم الثقة ابو محمد عبد الله بن يونس بن طلحة بن عمرون الوهرانى احد شيوخ العلم والحكمة له رواية واسعة عن شيوخ افريقية كابى محمد بن ابى زيد وغيره من كبار علماء عصره ، متضلع في علوم الحساب والطب نافذ البصر فيهما ماهرا في المعالجة ومداوات ما استعصى من العلل والامراض سافر الى الاندلس فى تجارة له سنة ٤٢٩هـ-١٠٣٧م فسكن اشبيلية عام السيل الكبير ، حدث عنه ابن خزرج وقال انه قارب الثمانين في عمره وترجم له ابن بشكوال ولم يذكر تاريخ وفاته

## احمد الداودى

## ٤٠٢هـ - ١٠١١م

هوشيخ الاسلام وامام علماء الشريعة المجتهدين الشيخ ابو جعفر احمد بن نصر الداودى التلمسانى ، اصله من مدينة المسيلة وقيل من بسكرة وسكن طرابلس الغرب طلبا للعلم ثم نزل تلمسان فاقام بها الى وفاته وبها الف كتابه الذى حازبه الفضل على غيره من جميع من تقدمه او تأخر عنه من علماء الاسلام ، الا وهو شرحه لصحيح الامام البخارى المسمى بالنصيحة ، فانه اول شرح وقع لهذا الكتاب الجليل اذ لم يسبقه غيره مطلقا الى هذا الفضل ، وله كتب جليلة اخرى فى الحديث والفقه كثيرة اهمها بعد شرحه على البخارى ، كتاب النامى شرح به موطأ مالك ، وكتاب الواعى فى الفقه ، والايضاح في الرد على القدرية الخ... وله من التلاميذ والمريدين كثير منهم ابو بكر بن محمد بن ابى زيد ، وعبد الملك البونى وغيرهما. توفى رحمه الله بتلمسان القديمة سنة ٤٠٢هـ-١٠١١م ودفن شرقى باب العقبة ، وضريحه مشهور بها ، ويقول ابو راس المعسكرى ان وفاته كانت في آخر القرن الرابع ،وعده ابن فرحون من اهل الطبقة السابعة ،

# جدول تاريخى

## ٣٦١ـ٤٤٢هـ ٩٧٢ـ١٠٥١م

| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث |
| --- | --- |
| ٣٦١هـ ٩٧٢م | تولية الامير بلكين على المغرب العربى |
| ٣٦٣هـ ٩٧٤م | زحف بلكين على المغرب الاوسط – الجزائر – |
| ٣٦٩هـ ٩٨٠م | القضاء على ثورة زناتة |
| ٣٧٣هـ ٩٨٤م | وفاة بلكين وولاية ابنه المنصور |
| ٣٧٨هـ ٩٨٩م | القضاء على ثورة ابى الفهم الكتامى وقتله |
| ٣٧٩هـ ٩٨٩م | خيبة ابى البهار فى ثورته بتاهرت وولاية يطوفت عليها وحماد على آشير |
| ٣٨٠هـ ٩٩٠م | استئصال كتامة |
| ٣٨١هـ ٩٩١م | انتصار زيرى بن عطية على الجزائر وبثه للدعوة الاموية |
| ٣٨٤هـ ٩٩٤م | انشاء مدينة وجدة |
| ٣٨٦هـ ٩٩٦م | وفاة المنصور وولاية ولده باديس |
| ٣٨٩هـ ٩٩٩م | سقوط اعمال تيهرت وتلمسان بيد الحاجب الاموى |
| ٣٩٥هـ ١٠٠٥م | استئصال زناتة على يد حماد |
| ٤٠٠هـ ١٠٠٩م | تأسيس مدينة القلعة الحمادية |
| ٤٠٧هـ ١٠١٧م | اختلاف حماد على باديس ووفاة الامير وولاية ابنه المعز |
| ٤٢٩هـ ١٠٣٨م | رد هجمات زناتة |
| ٤٣٢هـ ١٠٤١م | حصار القلعة والافراج عنها – بعد سنتين – وانفصال مملكة الجزائر عن ولاية افريقية |
| ٤٣٥هـ ١٠٤٣م | رفض الدعوة الشيعية والتمسك بمذهب الامام مالك |
| ٤٤٢هـ ١٠٥١م | الزحف الهلالى |

# الدولة الحمادية

٤٠٥-٥٤٧هـ

١٠١٤-١١٥٣م

## نشأتها

هى ثانى دولة مسلمة جزائرية نظاميه تأسست بهذه البلاد ، انشأها ذلك البطل الداهية مؤسس القلعة حماد بن بلكين بن زيرى الصنهاجى، فهي اخت دولة صنهاجة الشرقية غيرانها كانت متقدمة عن اختها فى الاستقلال ورفض التشيع والدعوة الى الخلافة العباسية ببغداد ، وذلك ما كان سببا في نشوب ماتقدم ذكره من الحروب بين حماد وباديس ، ثم بين المعز وحماد ، كما علمته فيما ذكرناه من تاريخ دولة صنهاجة الزيرية ؛ وانتهى الامر باستقلال حماد بمملكة الجزائر سنة ٤٠٥هـ-١٠١٤م

كان ابتداء ظهور شخصية حماد وتألقها في عالم الحكم وميدان السياسة منذ سنة ٣٨٧هـ-٩٩٧م حيث ولاه الامير باديس اعمال الجزائر الشرقية واقطعه مدينة آشير ونواحيها ومنحه لقب نائب الامير بتلك النواحى ، ولقد اظهر حماد فى ولايته هذه مقدرة عظيمة في السياسة والبطولة الحربية وقيادة الجيش ، وخاصة ايام ثورة الاخوين ماكسن وزاوى سنة ٣٩٠هـ-١٠٠٠م . وفي قضائه على زناتة ٣٩٥هـ-١٠٠٥م فطمحت نفسه يومئذ لانشاء مملكة جزائرية مستقلة ، فأنشأ القلعة سنة ٣٩٨هـ-١٠٠٧م واتم تحصينها فى عامين ومكث بها منازعا لباديس في حكم الجزائر فاستحكم بينهما الشقاق الى ان اظهر حماد الانفصال عن دولة باديس ونقض البيعة سنة ٤٠٥هـ-١٠١٤م واعلن سلطته عن الجزائر ؛ فكانت هنالك

حروب وخطوب بين عاهلي صنهاجة والنصر فيها سجالا ثم كانت الموادعة والصلح بينه وبين المعز فتسالما مدة اربع وعشرون سنة ، ثم تغير عليه المعز سنة ٤٣٢هـ - ١٠٤٠م فحاصره بالقلعة ثم عدل عنه وتركه لشأنه فتفرغ يومئذ حماد لاقامة دعائم ملكه واشادة سلطانه

يقول لسان الدين بن الخطيب فى وصف حماد بانه كان نسيج وحده ، وفريد عصره ، وفحل قومه ، ملكا كبيرا ، وشجاعا ثبتا ، وداهية حصيفا ، وكان من اكمل الملوك ؛ قرأ الفقه بالقيروان ونظر في كتب الجدل . وحدثوا عنه انه قال ما تداهى على احد قط ولا خدعنى الا امراة وكعاء من البربر !.... في قصة وقعت له حكاها البكرى فى مسالكه

كان مقر حماد تارة بالقلعة وتارة بآشير ، ويغلب عليه المكث بالقلعة ، وهكذا استمر في سلطانه الى ان وافاه اجله بالقلعة وقيل بمكان اخر يقال له «تازمرت» وذلك فى شهر رجب ، ولا يعلم تاريخ سنة وفاته بالضبط ، غير ان ولده القائد تولى ملك ابيه سنة ٤١٩هـ-١٠٢٨م فمن المحتمل ان تكون وفاته فى هذه السنة

## نظامها الحكومى

شكلها السياسى ملكى وادارتها حرة مستقلة تحت اشراف رئيسها الاعلى الامير او الملك كما شئت فسمه ، ولقد كان للمملكة عاصمتان ، القلعة اولا ثم بجاية ، واعضاء الدولة يومئذ هم الوزراء والعمال المنبثون في اهم مراكز القطر الجزائرى كقسنطينة وبونة - عنابة - والجزائر ، واشير ، والقلعة ، وجيجل ، ومرسى الدجاج - ما بين ازفون وبجاية - ونقاوس الخ... ولادارة ارض الجنوب جماعة من المحنكين تتصرف فيها تحت رعاية الملك الحمادى ، وعاصمة الجنوب يومئذ مدينة بسكرة . اما الجيش فهو متجمع من جميع بلاد الجزائر ، ولقد بلغ عدد فرسان القلعة فقط ايام الناصر اثنى عشر الف فارس ، عدا المشاة . وللحكومة

اسطول ضخم كله من صنع دار الصناعة ببجاية ، وخزينة الحكومة غنية بمواردها من المغنم والخراج وغير ذلك من الموارد الشرعية . وقد خصصت لها ادارة خاصة ، اما النقود فانها لم تكن مسكوكة باسم هذه الدولة الا فى عصر الملك المنصور بن الناصر بن علناس ، ويرجع نظام القضاء عندهم غالبا الى مقتضى سير مذهب الامام مالك ، وكانت صلاة الامير فى المسجد في مقصورة خاصة على سنة الملوك وشارة السلاطين

## حدود الجزائر الحمادية

هي لا تتعدى حدود عمالتى الجزائر وقسنطينة المعهودة اليوم تقريبا وتمتد في الجنوب الى بنى وارجلان — وارقلة — ويجاورها غربا دولة المرابطين ومواطن زناتة ،وشرقا مملكة بنى زيرى الصنهاجية .

## الامير القائد بن حماد

تولى مملكة الجزائر سنة ٤١٩ هـ — ١٠٢٨ م وكان مثل والده فى الحصافة وحسن الراى والتدبير ذا دراية بشؤون الادارة عظيم القدر محترما فى قومه ، استقام له الامر عندما اشتغل عنه المعز بن باديس بما دهمه من زحف الاعراب

## حملة الجنويز على بونة

اشتدت شوكة المسلمين على النصارى بسواحل هذا البحر وجزره ، فاتحدت يومئذ امم النصرانية مع الجنويز وسكان بيزة من الامة الطليانية ، وحملوا بتهور عنيف سنة ٤٢٥ هـ — ١٠٣٤ م على مركز الاسطول الاسلامى الجزائري ببونة فدمروا المرفأ وتركوا المدينة خرابا .

المملكة الزيرية
المملكة الحمادية
مواطن زناتة
قبائل حرة

البحر الأبيض المتوسط

تونس
بجاية
الجزائر
مليانة
المدية
قسنطينة
قلعة بني حماد
أشير
القيروان
قفصة
قابس
حملة بني هلال
سبتة
طنجة
نكور
غمارة
تلمسان
فاس
برغواطة
مصمودة
سجلماسة

المغرب الاسلامى فى اواسط القرن الرابع الى اواسط السادس الهجرى – اواسط الحادى عشر الميلادى –

## خيبة امير المغرب الاقصى في حملته على الجزائر

تحرك حمامة بن زيري المغراوي من مركز امارته بالمغرب الاقصى زاحفا بجيوشه الجرارة على الجزائر سنة ٤٣٠ هـ - ١٠٣٨ م فردته جيوش القائد بن حماد عن الحمى وظهرت عليه بحيلة حربية فاذعن حمامة يومئذ لبذل الطاعة والصلح

## رفض دعوة بني عبيد الشيعية

وبعد ان اطمأن القائد وزالت الوحشة وارتفعت الاحن التى كانت بينه وبين المعز ، عاد الملك سنة ٤٣٢ هـ - ١٠٤١ م الى رفض الدعوة الشيعية مقلدا فى ذلك والده حمادا ودعا مثل ابيه الى الخلافة العباسية ، فنهض المعز الى مقاتلته فحاصره بالقلعة وأشير واطال حصاره سنتين ثم كانت هدنة

وفى سنة ٤٣٩ هـ - ١٠٤٧ م تظاهر القائد باظهار الطاعة لبني عبيد فاكتسب بذلك مودة البلاط الفاطمي وحاز رضاء الخليفة عنه فأنعم عليه بلقب شرف الدولة ، وكان القائد يريد بذلك تأكيد حريته واستقلال بلاده ، وان منزلته السياسية بالجزائر لا تقل عن رتبة المعز بافريقية ، ولما بلغ مبتغاه وحاز على مراده من عدوه ومنافسه انقلب على الفاطميين ونقض بيعتهم وعاد الى مبايعة الخلافة العباسية وبقى على ذلك الى وفاته فى شهر رجب او ذى القعدة سنة ٤٤٦ هـ - اكتوبر ١٠٥٤ فخلفه ولده محسن

## الامير محسن بن القائد

تسلم زمام الملك اثر وفاة والده سنة ٤٤٦ هـ - ١٠٥٤ م وكان شبيها به فى اخلاقه وسجاياه ، غير انه كان شديدا قاسيا ، وكان فيما اوصاه به والده ان لا يخرج من القلعة ثلاث سنوات وان لا ينازع اعمامه فى مناصبهم ، فخالف محسن ذلك كله ، فثار ضده عمه يوسف واستحكم الخلاف بينهما ونهضت الشحناء فقتل اربعة

من عمومته ، ويومئذ ابتنى عمه يوسف قلعة بجبل منيع سماها الطيارة وزحف منها اواسط القرن الخامس الهجرى فخرب مدينة آشير واستباح اموالها

## تزاحم آل حماد

حاول محسن الانتقام من عمه يوسف فجهز جيشا لمقاتلته وجعله تحت امرة بلكين بن محمد بن حماد ، قاصدا به الغدر ايضا فجعل فى مؤازرته رجلين هما من سادة العرب موعزا اليهما بقتله فتفطن بلكين للمكيدة فعمد الى الاحسان اليهما وغمرهما باكرامه وافاض عليهما من انواع البر والجود ما حول نظرهما اليه فعدلا عن الفكرة المبيتة واخبراه بما اسر لهما الامير محسن فزادهما ذلك عنده شرفا ورفعة ويومئذ تآمروا جميعا على اغتيال الملك ورجعوا الى القلعة ولم يكن بها محسن ، ولما اتصل بخبر رجوع القوم ومعهم بلكين وكان يظن انه قد مات ؛ أغذ السير الى القلعة فادركه بلكين وقتله فى ربيع الثانى ٤٤٧هـ — جوليط ١٠٥٥ م واحتل المدينة ليلا ودعا فيها لنفسه فأذعن له القوم وبايعوه

## الامير بلكين بن محمد بن حماد

اشتهر بلكين هذا بالبطولة والشهامة والنجدة والفتوح ، وكان جريئا سفاكا للدماء ذا إرادة وعزيمة جبارة مؤثرا للعزلة والانفراد عن الناس مولعا بالادلاج كثير الغارات ، وكان لا يخرج الا دارعا ولكثرة غزواته ابغضته الرعية وانحرف عنه عمال بسكرة من آل رومان فنكل بهم سنة ٤٥٠هـ — ١٠٥٨م وعاقبهم عقوبة مؤلمة

## الزحف الى المغرب الاقصى

لقد اكثر بلكين من زحفه على المغرب الاقصى حتى استولى على عاصمته فاس فى صفر ٤٥٤ هـ — فيفرى ١٠٦٢ م وقاتل هنالك المصامدة وأخرج منها يوسف بن تاشفين منهزما الى الصحراء واوغل بلكين فى ديار المغرب

## اغتيال بلكين

بالغ بلكين فى الغلظة والجفاء من قومه واخافة اقرانه واقاربه وغلا فى الحذر منهم فقتل وسفك دماء الكثير ممن حامت حولهم الشكوك والظنون ، وكانت من بين هؤلاء القتلى « تاضميرت » ابنة عمه اخت الناصر بن علناس فحقد عليه اخوها هذا واضمر الانتقام منه وكتم غيضه الى ان واتته الفرصة يوم ان عاد بلكين من غزو المغرب الاقصى سنة ٤٥٤ هـ - ١٠٦٢ م فدخل عليه الناصر فى مجلس انسه وطربه في جماعة من صنهاجة فقتلوه يوم الخميس منتصف شعبان - ٢٤ اوط .

## الامير الناصر بن علناس

هو من أشهر ملوك هذه الدولة واعظمهم شانا واعلاهم كعبا واثبتهم قدما فى الملك ،كان جوادا كريما وشجاعا كميا ، سفاكا للدماء وفي ايامه استفحل ملك بنى حماد وشف على غيره من ممالك الشمال الافريقى ،كان اول ما تولى الملك مقيما بالقلعة ، ثم استوخمها وكره المقام بها فابتنى لاقامته قصورا شامخة خارج القلعة فسكن بها واحتفل بالمسجد الجامع فاشاده من جديد

## القضاء على بنى رومان ببسكرة

كانت ولاية بسكرة فى آل رومان يتوارثونها بينهم تحت رعاية ونفوذ الحماديين فلما قتل بلكين بن محمد اعتلاهم التطاول على الناصر بن علناس فخرجوا عن طاعته فجهز اليهم الملك وزيره خلف بن حيدرة فقضى عليهم وعلى مناصريهم ممن آزرهم فى هذه الثورة واسر رؤساءهم فحملهم معه الى القلعة فصلبوا فيها جميعا ، ويومئذ انتقلت ولاية بسكرة من بنى رومان الى اسرة عروس من بني سندي

## وقعة سبيبة والزحف الهلالى

لم يظهر لبنى هلال اثر فى الجزائر الى ان حالف الملك الناصر قبيلة الاثبج الهلالية سنة ٤٥٧ هـ - ١٠٦٥ م وخرج لامتلاك تونس فيومئذ تمالأ الحلفاء من الاثبج مع قومهم رياح وزغبة وزناتة ايضا ضد الناصر ، وخرجت جيوش تميم بن المعز لرد الحملة الناصرية فكان هؤلاء جميعا يداً واحدة على الناصر . وكان اللقاء بفحص سبيبة غربي القيروان وعلى نحو الخمسين كيلو ميترا جنوب الاربس فانهزم الناصر وقتل من جيشه اربعة وعشرون الفا واستشهد اخوه القاسم ، فضطر الى التقهقر والرجوع الى الجزائر ونجا الى قسنطينة فتبعه الهلاليون واقتحموا عليه المدينة فاستولوا عليها وعلى القلعة والمسيلة وطبنة وهم مع ذلك ينهبون ويخربون فتركوا البلاد بلاقع ! والديار خرابا !... ثم تلاحقت طوائف الاعراب باحلافهم الهلاليين الى الجزائر من طريق سبيبة ودخلوا تبسة وانتشروا في جنوب اوراس وقرى الزاب وسلكوا طريقهم ما بين الاطلسين التلي والصحراوى حتى انتهوا الى وادى الساحل وجبال البيبان وانحدر منهم اخرون من نواحي باجة فظهروا بنواحي القالة وبونة وقسنطينة الى القل وجبال بابور ويومئذ احيطت مدينة بونة الحديثة ( هي على ثلاثة اميال من القديمة ) بسور ؛ وكيفما كان الامر فان اضرار بني هلال بالجزائر لم تبلغ مبلغها بتونس وطرابلس وذلك حيث ان الجزائر لم تكن مقصودة من الحملة بالذات ،

## اخفاق المنتصر الزناتى فى هجومه على الجزائر

ماكادت تلتئم جراحات حوادث سبيبة والهجوم الهلالى على الجزائر حتى فاجأها المنتصر الزناتي بهجومه ايضا فخرج بقومه من طرابلس الغرب وحمل على المسيلة واشير طمعا في استرجاع ماكان لاجداده من الملك والسلطان بالحضنة فاجلاه الناصر يومئذ الى الصحراء ثم اعاد الزناتي هجومه على القلعة الحمادية

واوغل بتلك النواحى فاكثر فيها الفساد ، فصالحه الناصر على تسليم مقاطعة الزاب وريغة لزناتة واوعز الى عامله على بسكرة عروس بن سندى باغتيال المنتصر فأقام العامل مأدبة فى داره واستدعى اليها المنتصر وقتله بواسطة بعض الخدم عند انكبابه على الطعام وذهب برأسه الى الناصر فنصبه ببجاية ونصب الجثة بالقلعة سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٨ م وحمل الحماديون يومئذ على امرة زناتة فقضوا عليها وقتلوا رؤساءها واحتلوا بنى وارجلان - وارقلة -

## انشاء مدينة بجاية

تشاءم الملك الناصر كثيرا لحوادث الهلاليين بتونس والجزائر وخاصة لما اصبحت عليه عواصم القطر الجزائرى باعمال القلعة وقسنطينة من التدهور والانهيار ، فكان كثير التفكير في انشاء مدينة حصينة لسلطانه ، وندم على ما فرط منه في محاربة ابن عمه تميم بن المعز الصنهاجي وهجومه على مملكته فسرعان ما اظهر رغبته فى حقن الدماء وعقد الهدنة . فجاء يومئذ سفير تميم ووزيره المفوض محمد بن البعبع الى القلعة لابرام وثيقة الصلح ، وكان مروره فى طريقه الى القلعة على ضيعة صغيرة كانت لصنهاجة تدعي «بجاية» على مقربة من مدينة « صلداى الفينيقية » فاعجب بمركزها الطبيعي الجميل وموقعها الجغرافي الحربى المنيع ، فلما اتصل بالناصر اخبره بما رآه في طريقه من حسن موقع بجاية وحصانتها من هجوم العدو وانها صالحة لان تكون عاصمة ملك بنى حماد نظراً لمناعتها واهمية خليجها الفسيح الذى يسع اسطولا ضخما ، فخرج الناصر حينئذ بنفسه الى هذه الناحية لتحقيق ما اشار به السفير فوجد فيها ضالته المنشودة فشرع في تأسيس العاصمة الحمادية الثانية « بجاية » بذلك المكان سنة ٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م ثم انتقل اليها في السنة بعدها وسماها « الناصرية » باسمه واسقط عن سكانها الجباية والخراج ، وانشأ بها دارين لصناعة المراكب والسفن واساطيل القتال واقام بها من العمارات والصناعات والفنون ما جعلها قبلة اهل الشرق والغرب

## ثورة عاملي المدية والشلف

كانت ولاية اعمال المدية وشلف على عهد الناصر لرئيسين من بني سنجاس فالمدية لابي الفتوح بن حنوش ، وشلف لمعنصر بن حماد فخرج الاول عن طاعة بني حماد فقتله الناصر وهجم الثاني على مدينة مليانة وقتل من بها من المشيخة والرؤساء من بني ورسيفان المغراويين ، فاستأذن يومئذ سكان مليانة في قتال معنصر فاذن لهم الناصر فقتلوه وبعثوا برأسه اليه ببجاية فوضعه الى جنب المنتصر الزناتي

## امتداد المملكة الحمادية

كثر عيث الاعراب الهلاليين بنواحي تونس فاضطر اهلها الى الالتجاء الى عاهل الدولة الحمادية بالقلعة الناصر بن علناس ، فوفد عليه سنة ٤٥١ هـ — ١٠٥٩ م وجوه اهل تونس وزعماؤها مذعنين اليه بالطاعة ومستغيثين به من هؤلاء الخراب !.. فاقبل عليهم واكرمهم وولى عليهم عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان ، وسرعان ما جاهر هذا العامل بالعصيان والاستقلال عن دولة بني حماد ، فخرج الناصر الى ولاية تونس في حلفائه العرب سنة ٤٦٠ هـ — ١٠٦٧ م فاحتل مدينة ( الاربس ) وقتل عاملها ابن مكرز وامن اهلها ثم نزل بالقيروان فمكث بها سنة كاملة واخيرا عاد الى الجزائر مخافة اضطراب حبل الرعية وفسادها عليه ، فتأسست حينئذ دولة بني خراسان بتونس ولم يكد يمضي على انشائها مدة قرن واحد حتى قضى عليها الموحدون

## مصاهرة عاهلي صنهاجة

بعدما اتم الناصر تأسيس عاصمته الجديدة «الناصرية» -بجاية- بالجزائر واستقر بها واطمأن على بلاده خطب الامير تميم بن المعز ملك المهدية في بنته بلارة توثيقا

لعرى المودة والصداقة بين المملكتين المتجاورتين وتأكيدا لروابط الاوشاج العائلية بين الاسرتين ، فزوجها ابوها منه سنة ٤٧٠ هـ - ١٠٧٧ م وجعل الناصر لها ثلاثين الف دينار صداقا ، فلم يقبل منها الامير تميم الا دينارا واحدا كمهر شرعي فقط ورد الباقي على الناصر ، وسار موكب العروس من المهدية الى بجاية في ابهة وبهجة تحف به الجنود والسادة والاشراف يحملون معهم جهاز العروس الفخم من حلي وحلل ... وكان اقبال الموكب ببجاية اقبالا باهرا ، وانزلت العروس بقصرها الخاص الذي انشأه الناصر باسمها « قصر بلارة »

## خيبة عجيسة في تمردها

عجيسة اسم لقبيلة من بربر الجزائر تسكن ما بين سطيف والقلعة : كانت تترقب مفترصة غفلة الملك لاعلان ثورتها ضد السلطة الحمادية ، حتى سنح لها ذلك يوم خروج الناصر لتفقد مملكته ؛ فوثبت على القلعة برئاسة قائدها علي بن ركلان وكان الناصر يومئذ بالمسيلة ، فانبرى الى هؤلاء الثوار فدحرهم وقضى عليهم ؛ وانتحر رئيسهم ابن ركلان

## المرابطون في الجزائر

ما كان لدولة المرابطين ان تتجاوز وتصفح عن حملة الحماديين على المغرب الاقصى سنة ٤٥٤هـ-١٠٦٢م وماكانت لتنسي كذلك انهزام حكومة فاس يومئذ الى الصحراء فبقيت تعمل في الخفاء على الانتقام وتستعد للهجوم حتى تيسر لها ذلك في سنة ٤٧٢ هـ - ١٠٧٩ م فنهض القائد اللمتوني مزدلي بن بحلان على راس عشرين الف مقاتل زاحفا على المغرب الاوسط فبلغ تلمسان فعاث بنواحيها ثم عاد الى مركزه من المغرب الاقصى ولم تمض سنة بعد ذلك حتى فاجأ المرابطون مدينة تلمسان فاخرجوا منها امراء بني خزر الزناتيين واستولوا عليها وضربوا بها العملة وفي سنة ٤٧٤ هـ - ١٠٨١ م زحف الامير يوسف بن تاشفين نحو الجزائر

فابتنى محلته الشهيرة بتاقرارت فى ضواحى تلمسان ليجمع فيها جنوده وعتاده ، ومنها توجه الى وهران ففتحها ثم الى تنس وجبال وانشريس واعمال شلف متتبعا مواطن زناتة حيثما كانوا حتى اتى على جميع امـاكن مغراوة فبلغ الى جـدران مدينة الجزائر ، ثم أحجم ورجع الى حضرته فدخل مراكش فى ربيع الثـاني ٤٧٥ هـ ـ سبطمبر ١٠٨٢ م فكان ملك المرابطين يومئذ بافريقية مـن مدينة الجزائر شرقا الى طنجة غربا الى آخر جبال السوس الاقصى والى جبـال الذهب من بلاد السودان ، وانحازت يومئذ المملكة الحمادية بالجزائر الى الشرق

## وفاة الناصر بن علناس

كانت وفاة الناصر يوم الجمعة سابع جمادى الاولى ٤٨١هـ - فـاتح شهر اوط ١٠٨٨ م وذلك بقصره خارج بجاية فحمل منه الى العاصمة الحمـادية فدفن بهـا بعد ان قضى نحو ربع قرن على رأس المملكة الجزائرية ، وكان عصره من ازهر ايـام بني حماد

## الامير المنصور بن النـاصر

نشأ المنصور عزيز النفس شهما انوفا ابيا ، محافظا متسما باوصاف الكمال ذا خصال شريفة اديبا كاتبا يقول الشعر ويرويه ، تولى عرش الجزائر بعد وفـاة والده سنة ٤٨١ هـ — ١٠٨٨ م فساس الرعية بحكمة وحصافة ، واتم مـا اختطه اسلافه من برامج العمل لخير الحكومة والشعب فاشاد المصانع والقصور واعتنى بالرى والزراعة فاجرى المياه وامر بغرس البساتين والحقول ، وكان من آثـاره بالقلعة قصر الملك وقصر المنار وقصر الكـوكب وقصر السلام ؛ وبعد انتقاله الى بجاية سنة ٤٨٣ هـ — ١٠٩٠ انشأ بها قصر اللؤلـؤة وقصر اميمون ، وهـو مع ذلك فى نفسه يميل الى التقشف والزهد يخصف نعليه تارة بيده ويرقع ثيابه بنفسه واليه يعود الفضل فى تمدن مملكة بنى حماد

## تمرد عامل قسنطينة

كانت ولاية قسنطينة تحت ادارة بلباز عم المنصور ، فحدثته نفسه يوما بانتقاض العهد وخفر الذمة؛ فرماه المنصور بقائده ابي يكنى فقبض عليه ودفعه الى القلعة اسيرا وجلس هو مكانه وجعل اخاه ويغلان على ولاية بونة - عنابة -

## دلس الاندلسية

كانت ولاية المرية بالاندلس للمعتصم بن صمادح ، فلما بلغه استيلاء المرابطين على اشبيلية مات غما وترك ولده معز الدولة بن صمادح واليا على المرية فاستولى عليها المرابطون ايضا سنة ٤٨٤ هـ - ١٠٩١ م ويومئذ ارتحل بن صمادح باهله وماله من الاندلس ملتجئا الى الجزائر فنزل على الملك المنصور ببجاية ؛ فاقطعه المنصور احواز مدينة دلس فاصبحت هذه المدينة بعد ذلك بفضل عمل هذه الجالية الاندلسية مركزا ثريا ؛ فكان فيها كما يقول الادريسي : الديار والقصور والمنتزهات ؛ وبها من رخص الفواكه والاسعار والمطاعم والمشارب ما ليس توجد بغيرها مثله ؛ كما يوجد بها الكثير من البقر والغنم ؛ وتباع جملتها بالاسعار اليسيرة ويخرج من ارضها الى كثير من الافاق

## ثورة أبي يكنى

هو ابو يكنى بن محسن بن القائد بن حماد احد قادة المنصور وقرباه تولى على قسنطينة بعد ظفره بعم المنصور بلباز الثائر ؛ فاستبد بالامر واعلن عصيانه سنة ٤٨٧هـ - ١٠٩٤ م وبعث باخيه ويغلان عامل بونة الى تميم بن المعز امير المهدية يستجيشه فى مقابلة تسليم ولاية بونة ؛ فاستجاب له تميم وبعث معه ولده ابا الفتوح واخذا معا فى استنصار المرابطين ومن حولهم من الاعراب ؛ وبينما هم جميعا في تدبير غزو المنصور حتى فاجأتهم جيوشه فاحاطت بمدينة بونة واحدقت

بها من جميع جهاتهـا طيلة سبعة اشهر ثم هاجمتها وقبضت على ابى الفتـوح فاعتقلته بالقلعة ؛ وتقدمت الى حصار قسنطينة ففر امامها ابو يكنى الثائر مختفيا بقلعة فى جبل آوراس ؛ مستخلفا عنه صليصل بن الاحمر احد رؤساء قبيلة الاثبج العربية ؛ وسرعان ما نزل صليصل عن قسنطينة مذعنا للمنصور فوصله الملك باموال ولم تزل الجنود الحمادية في اثر ابى يكنى حتى ظفرت به فى معقله فاقتحمته عليه وقتلته وجعلت ولاية قسنطينة يومئذ للحسن بن العزيز

## سقوط آشير بيد المرابطين

لم تزل دولة المرابطين تترصد غرة من حكومة بني حماد لاستكمال الفتح بالجزائر حتى سنحت لها فرصة اشتغالها بثورة ابى يكنى وتفرق جنودها فى هذا المجال فاحتل المربطون يومئذ مواطن صنهاجة الغربية بالجزائر وتحصنوا بها فاجلاهم عنها المنصور ، ثم عقدت الهدنة والصلح بينه وبين يوسف بن تاشفين؛

واعاد المرابطون بعد ذلك غزوهم للجزائر بقيادة محمد بن تينمار فردهم عنها عبد الله بن المنصـور وكانت الوقائع حول مدينة الجـزائر شديدة فحوصرت المدينة يومين ، وسقطت مدينة آشير بايديهم

## انكسار شوكة المرابطين بتلمسان واخضاع العصاة

لم يكد يهدا روع المنصور مما اوقع بمملكته المرابطون ، حتى خرج بنفسه لقتـالهم فى شوال سنـة ٤٩٦هـ - جوليـط ١١٠٣م وحمل عليهم حملة شعواء بتلمسـان في عشرين الف مقـاتل ، فكثر يومئذ عدد القتلى والجرحى وكسرت شوكة المرابطين فهزموا عن تلمسان الى تسـالة ودخلهـا المنصور في جنده فعاث فيها جيشه وعظمت المحنة بـاهلهـا ، فخرجت يومئذ زوجة والى المرابطيـن مستعطفة المنصور ومستعتبة ، فتأثر الملك لمنظرها الحزين وانكبابهـا على قدميه ، فتجافى عنهم وابقى عليهم . وتم السلم بين المملكتين المتجاورتين ثم قفل المنصور

عائدا الى عاصمته . فعرج على القلعة فنزل بها متخنا في قتال زناتة بنواحى الزاب ؛ ثم انتقل الى وطن زواوة فناجز العصاة من بنى عمران وبنى تازروت واهل المنصورية وجمعة الصهريج والناظور . ثم لم يكن هناك من الاحداث بالجزائر ما يستحق الذكر الى وفاته سنة ٤٩٨ هـ — ١١٠٤ م

## الامير باديس بن المنصور

يكنى بابي معد ، تملك بعد وفاة والده في شهر ربيع الثاني ٤٩٨هـ — ديسمبر ١١٠٤ م ، واشتهر من بين ملوك هذه الدولة بشدة الشكيمة والباس وسرعة الغضب والبطش وسفك الدماء ؛ ولم يصلنا عنه من الاعمال ما يستحق التدوين الا ما كان من قبيل التولية والعزل ، فانه اكثر من ذلك الى حد الاضطراب وعدم التثبت . فعزل اخاه العزيز عن ولاية الجزائر ونفاه الى جيجل وقتل وزير والده عبد الكريم بن سليمان ونكب بعامل بجاية ورمى ببعض الصالحين الى الاسود وتوعد امه بالقتل !... الى غير ذلك مما شاكل هذه الاعمال السوداء

ولم تطل مدته ، اذ توفي من سنته في الثالث عشر من شهر ذى الحجة٤٩٨هـ ٢٧ اوط ١١٠٥م

## الامير العزيز بالله بن المنصور

كان يلقب بالميمون لولادته ليلة ولاية ابيه المنصور ٨ جمادى الاولى ٤٨١هـ ٢ اوط ١٠٨٨ م وبويع بالملك وهو في منفاه بجيجل آخر سنة ٤٩٨هـ — ١١٠٥ وكان اول من بايعه هو قائد الاسطول الحمادي علي بن حمدون فتولى الملك يومئذ وسنه سبع عشرة سنة ، وكان حازما ماهرا جميل الصورة عارفا بتسيير الدول والممالك . وكان من دهائه ان تزوج من بيوتات خصمائه زناتة ومن بيت الملك بالمهدية ، فبنى ببنت ماخوخ الزناتي اولا ، ثم ببدر الدجى بنت يحيى بن تميم ملك المهدية ، سنة ٥٠٩ هـ — ١١١٥م فأمن لحينه ثورات زناتة المتوالية ،

وعداوة دولة صنهاجة ، وكثيرا ما كان يكاتب ملوك عصره في الافاق متوددا ، فانتشر الامن ببلاده وساد الهدو بين الناس ، ومن فرط شغفه بالعلم انه كان يحضر بنفسه مجالس المناظرة بين العلماء

## رد عادية الاعراب عن القلعه

اغار الاعراب الهلاليون بحلفائهم على القلعة الحمادية سنة ٥١٢ هـ — ١١١٨م فاوقعوا باهلها واكتسحوا المدينة فاهلكوها فخرج الى محاربتهم يحيى ولد العزيز ومعه القائد علي بن حمدون فحلا بالعدو ووثبا عليه فخضع ثم عادا الى بجاية وكان مما سجله التاريخ من حوادث هذه السنة انتشار الوباء والقحط الشديد بالمغرب فبلغ ربع الدقيق بتلمسان عشرين درهما

## تمرد والي تونس

كانت ولاية تونس خاضعة لدولة بني حماد يديرها ولاة من بنى خراسان ، ففي سنة ٤٨٨هـ — ١٠٩٥م هلك عبد العزيز الخراساني وتولى مكانه ولده احمد فاستمر على الطاعة للدولة الى اوائل القرن السادس الهجرى فاظهر شارة الملك والسلطان وخرج عن مألوف سيرة الولاة الى رفاهية الملوك والسلاطين غير مبال بالسلطة الحمادية ، فنازله العزيز سنة ٥١٤هـ — ١١٢٠م حتى عاد احمد الى الطاعة والخضوع ، ويومئذ تقدم الاسطول الحمادى الى جربة فاحتلها ثم بعد ذلك بسنة كانت وفاة العزيز ٥١٥هـ — ١١٢١م فخلفه ولده يحيى

## الامير يحيى بن العزيز بالله

كان اول ما ضربت العملة في تاريخ هذه الدولة ان ضربت باسم هذا الملك سنة ٥٤٣هـ — ١١٤٨م وكان فصيحا كاتبا اديبا رصينا مغرما بالصيد واللهو منهمكا فى شهواته . وبه تم عقد ملوك بني حماد وانتهت دولتهم وتقلص سلطانهم

## غزو المهدية

لقد اصبحت البلاد التونسية تتساقط وتهوى مثل الشهب بايدي النورمان (١) الواحدة تلو الاخرى ، فتحرك الامير يحيى للذب عن حوزة الاسلام والمسلمين والدفاع عن جيرانه وبنى عمه وجلدته فغزا البلاد بجيوش جرارة جعلها تحت قيادة ابن المهلب ، فحاصر المهدية سنة ٥٢٢هـ — ١١٢٨م ثم انصرف عنها من غير طائل .

## الاستيلاء على تونس

كان لاعتداء النورمان واستيلائهم على اطراف المملكة التونسية تذمر عظيم لدى سكان تلك النواحي ومنهم الاعراب المهاجرون، فاجتمع لذلك وفد من هؤلاء وجاء الى الامير يحيى بن العزيز يشكو اليه حالة البلاد مع النورمان وسوء سلوك الامير الحسن بن علي الصنهاجي ، راغبا في بسط نفوذ سلطان بنى حماد على تونس ، ووعده بالمدد والمساعدة على ذلك ان هو فعل ، وقد جاء معه بابنائه كرهائن توكيدا منه والحاحا فى الطلب ؛ فصادف ذلك من يحيى هوى في نفسه فاستجاب للوفد وأمر بتعبئة الجيش من مشاة وفرسان فامر عليهم كبير قادته مطرف بن علي بن حمدون واوصاهم بالتعفف عن الدماء .

خرج الجيش الحمادي من بجاية حوالي سنة (٥٢٢-٥٢٩هـ)١١٢٩-٣٤ م فحاصر المهدية ثم نكص عنها الى تونس فاحتلها ، وجلس على عرشها كرامة بن المنصور — عم الامير يحيى — وحمل صاحبها احمد بن عبد العزيز الخراساني

---

(١) هم امة الشمال الاروبي هاجموا اوروبا الوسطى في القرن التاسع الميلادى واستولوا على قسم من شمال فرانسا الغربى لازال ينسب اليهم الى يومنا هذا « نورماندى » ثم استولوا على جنوب ايطاليا وصقلية على الاخص ، وغزوا فيما بين القرن الثالث والخامس الهجري سواحل بلاد المغرب ، واشهر ملوكهم رجار الثانى ( روجى ) فانه حمى الحضارة الاسلامية ورجالها بصقلية فازدهرت في ايامه أيما ازدهار .

باهله وولده الى بجاية ، وبقى كرامة بتونس واليا تحت اشراف دولة بني حماد الى وفاته بها ، فخلفه عليها اخوه ابو الفتوح بن المنصور ثم حفيده محمد فلم تحمد سيرته فعزله يحيى وولى مكانه عمه معد بن المنصور فبقي بها الى الزحف النورماني سنة ٥٤٣هـ — ١١٤٨م فخرج منها معد الى بجاية

## وقعة زويلة

اعاد الحماديون غزو المهدية سنة ٥٣٠هـ — ١١٣٥م فهاجموها برا وبحرا واقاموا حولها نيفا وستين يوما ، فردهم عنها الاعراب حلفاء صنهاجة وكان ميدان القتال بينهم بظاهر زويلة — من ارباض المهدية — فانتصرت يومئذ دولة صنهاجة واستولت على مركبين من الطرائد الحمادية بعد قتل رئيسهما فانهزمت البقية الباقية الى الجزائر

## اعتداء النورمان على الجزائر

لقد احفظ النورمان ذلك الهجوم المتكرر من دولة بني حماد على ولايتي تونس والمهدية فانتقموا منها سنة ٥٣٧هـ — ١١٤٢م بغزو مدينة جيجل فانتهبوها وبالغوا في خرابها واحراق دورها ، وكان من بين ما افسده النورمان بها قصر النزهة الذى اشاده الملك يحيى بن العزيز فوق جبل عيوف مشرفا على المدينة تجاه البحر ، ولم ينج يومئذ من القتل والتلف بهذه المدينة سوى من اعتصم بقمم الجبال او آوى الى مكان سحيق ، ومنذ ذلك الوقت هجرت المدينة وابتنى اهلها بلدة حصينة باعلى جبل هنالك يبعد عنها بنحو ميل ، فاذا كان زمن الشتاء سكنوا الساحل واذا كان زمن الصيف وقت سفر الاسطول النورماني نقلوا امتعتهم وجملة بضائعهم الى الحصن الاعلى البعيد عن البحر .

واعاد النورمان غزو الساحل الجزائرى سنة ٥٣٨هـ — ١١٤٣م فاحتلوا في هذه المرة جيجل وبرشك وشرشال وتنس

## انهزام ملك المهدية الى الجزائر

ولما احدق الخطر بامير المهدية الحسن بن علي وشعر بالهزيمة امام النورمان وايقن بسقوط مملكته في ايديهم ارتحل عنها ودخلها العدو يوم الاثنين ١٢ صفر ٥٤٣ هـ - ٣ جوابيط - ١١٤٨م ، فرغب الحسن يومئذ فى الالتحاق باهله الى الجزائر ريثما يستعد للانتقال الى مقابلة ملك الموحدين بالمغرب الاقصى . وبعث ببنيه الثلاثة الى يحيى ببجاية يخبره بغرضه هذا ويستأذنه فى النزول عليه؛ وجاء ابناء الحسن الى بجاية . فاقتبلهم الوزير ميمون بن حمدون بالنيابة عن الملك واذن لهم بذلك فى كتاب سطره الوزير الى ابيهم يحثه فيه على الاعراض عن رأيه في مقابلة عبد المؤمن ملك الموحدين والاقتصار فى نزوله على الجزائر فقط وذلك خشية ما ينشأ عن اجتماعه بخليفة الموحدين من تدبير حول المملكة الجزائرية

ولما اقترب الحسن من ارض الجزائر ندب اليه السلطان وزيره ميمون لاقتباله فامتنع ، وحينئذ امر اخاه القائد بن العزيز بالاستعداد الى لقائه في مشيخة البلد واعيانها وامرهم بالعدول به عن بجاية الى مدينة الجزائر فكان الامر كذلك فنزل الحسن بهذه المدينة في المحرم سنة ٥٤٤هـ - ماى ١١٤٩م، وكان منزله فيها دون مقامه حيث جعل تحت الرقابة مضيقا عليه الخناق ممنوعا من التصرف مطلقا ، واجريت عليه جراية طفيفة ، واستمر الحسن في معتقله هذا ، ولا نقول فى موطنه الى ان دالت دولة بني حماد وسقطت بيد الموحدين سنة ٥٤٧هـ - ١٢٥٢م

## المذاهب والعقائد

كان عصر الحماديين اظهر العصور الاسلامية في تاريخ حرية الاديان واحترام العقائد بالجزائر منذ الفتح الاسلامي الى القرن الرابع الهجرى ، اذ فى عهدهم تأسست اول كنيسة بالقلعة سنة ٤٠٠هـ - ١٠٠٩م يديرها قسيس من رتبة اسقف Evêque ، وفي سنة ٥٠٨هـ - ١١١٤م تأسست كنيسة مريم العذراء بادارة القسيس عزون المعروف عند العامة باسم الخليفة ، وقد ابتنى دار سكناه بجانب الكنيسة .

وبلغ الحماديون في التسامح الدينى الى انهم كانوا لايعترضون على المطارنة وكبار رجال النصرانية فى توظيف من شاؤوا من القساوسة بمملكة الجزائر ، ففى سنة ٤٦٩هـ - ١٠٧٦م قدم مطران قرطاجنة قسيسا اسمه « سيرفاند » ليتولى اسقفية كنيسة بونة ، فلم يعترض عليه الناصر بل صادق على تعيينه وحمله رسالة ودية الى البابا « قريقوار السابع » واصحبه بطائفة من الاسرى المسيحيين الذين ظفر بهم الناصر بمملكته فاعتقهم واكد للبابا في رسالته انه مهما ظفر باسرى آخرين الا وسعى فى تحريرهم ، وجاءت يومئذ بعثة من رجال الكهنوت من طرف البابا الى بجاية تردد آيات الشكر والثناء معترفة بفضل الناصر ومنته على المسيحية ونقل عن الاب « ميشون » انه قال : ان من المحزن للامم المسيحية ان يكون التسامح الدينى الذى هو اعظم ناموس المحبة بين الشعوب هو ما يجب ان يتعلمه المسيحيون عن المسلمين

اما الرعية المسلمة فانها كانت على مذهب الامام مالك تدرس الموطأ والمدونة والتلقين لعبد الوهاب بن علي البغدادى ، وعقيدتها هى عقيدة اهل السنة والجماعة

## الثقافة والحضارة والعمران

ان من ينظر تاريخ الجزائر في ايام حكومة بنى حماد يجده من احفل التواريخ ثقافة وحضارة وعمرانا .

فقد كانت المدارس والمعاهد العلمية والمساجد حافلة بدروس العلم والمجالس العلمية ، وكانت المنح والجوائز الدولية توزع على العباقرة وارباب القرائح المبرزين فى كل علم وفن ، على مثال ما تصنعه الدول الراقية المعاصرة اليوم ، فازدحم يومئذ على معاهدها الكثير من العلماء والحكماء والاطباء والشعراء واهل الفنون الرياضية والهندسية ، وام عواصمها الكثير من جلة علماء الاندلس والشام ومصر والحجاز والعراق والعجم رغبة منهم فى الاطلاع على تبحر عمرانها والاستيقاء من حضارتها كما إستفادت الجزائر منهم بدورها علمهم وثقافتهم الشرقة اللامعة ولقد بلغ من اقبال الناس على العلم يومئذ انه كان يجتمع على المدرس الواحد ما ينيف على المائة طالب ، ولافرق فى ذلك بين المسلم وغيره ، فترى المدرس يتلقى طلبته على اختلاف مللهم واجناسهم بصدر رحب تأدية لامانة العلم ، قال شارل سنيوبس Charles Seignobos فى كتابه تاريخ الحضارة Histoire de la civilisation كان اهل بيزا الايطاليون ينزلون مدينة بجاية في الجزائر فتعلموا من مصانعها صنع الشمع ، ومنها نقلوه الى بلادهم والى اوروبا ، ولا يزال مسمى الشمع عندهم بوجى Bougie وهو اسم بجاية في نطقهم الافرنجي . وبها تعلم الرياضي والمهندس الايطالي العظيم « اليونارفيوتشى » المولود حوالي سنة ٥٧١هـ-١١٧٥م العلوم الرياضية وخاصة منها علم الجبر والمقابلة وادخلها الى اوروبا (١)

---

(١) ان اول من ادخل هذه الارقام العربية Les Chiffres arabes الى اوروبا هو البابا سيلفيسترا الثانى (٩٩٩-١٠٠٣م) تعلمها بجامع القرويين بفاس حيث تلقى معلوماته هناك

ولقدعرف علماء الجزائر يومئذ منزلة الاختصاص في العلم فكانوا يجتهدون في التخصص في العلوم والتبريز فيها ، فلقدبلغ عدد المفتين في زمن واحد ببجاية تسعين مفتيا واشتهر فيها ابن النباش البجائي بالعلـوم الفلسفية والطبيعية والحكمة والطب ، وكان يجيد المعالجة وتركيب الادوية .

واعجب من ذلك ! ان هناك من العوام واشباههم من كان يحفظ عن ظهر قلب امهات كتب الفقه والحديث كصحيح البخاري وموطأ مالك ومدونة سحنون وتلقين عبد الوهاب البغدادي... فنشط العلماء بهذا التشجيـع واقبال العامة عليهم فاكثروا من الكتابة في مختلف انواع العلوم والفنون (١) وبفضل هذه الحركة العلمية والنشاط الادبي تقلص ضل اللغة البربرية الى الجبال والوهاد وانتشرت العربية في العواصم الجزائرية بين جميع طبقات الشعب

واذا نظرنـا نحـو الجزائر الفنية وجدناهـا كذلك غنية بجمال صناعاتهـا الفنية الرائعة وحسنهـا الرائق البهيـج ، فلقد دلتنـا النصوص التاريخية والآثار الحفرية على انتشار فن التصوير والتزويق والنحت والنقش على الجص الملـون وعلى الخزف المطلي والزليج المزين بالصور والفسيفساء وصنع القرورات الزجاجية وشبهها من الاباريق البلارية وتطعيمها بالذهب وتزيينها بالخـط العربي البـارز الجميل ، ولا يخفى ما يتطلبه كل ذلك من الادوات والالآت المتقنة والمواد المختلفة والخيال الواسع والذوق المرهف . . .

---

(١) يقول الدكتور غوستاف لوبون في كتابه حضارة العرب : واذا رجعنا الى القرن التاسع والعاشر ( اى هذا العصر الذى نؤرخه ) يوم كانت المدنية الاسلامية زاهرة باهرة ، نرى ان المراكز العلمية الوحيدة في عامة بلاد اوروبا كانت عبارة عن مجموعة ابراج يسكنها سادة نصف متوحشين يفاخرون بانهم أميون لا يقرؤون ولا يكتبون !.. وطال عهد الجهالة في اوروبا وعم تأثيره بحيث لم تعد تشعر بتوحشها، ولم يبد فيها بعض الميل للعلم الا في القرن الحادي عشر ، وبعبارة اصح في القرن الثاني عشر م ( السادس الهجرى )

كان بالقلعة خاصة معامل لنسج الاكسية واللبابيد والسجاجيد المزخرفة ، والملابس الفاخرة ؛ فكانت عمامة الملك وحدها دون بقية لباسه تبلغ قيمتها الى ستمائة دينار فاذا وضعت على راس صاحبها باتقان كانت كانها تاج مذهب .

اجتهد حماد في تعمير القلعة واكثر فيها من انشاء المساجد والفنادق والاسواق ، فاستبحر بها العمران وارتحل اليها طلاب العلم وهواة الفن والتجارة من الثغور والبلاد القاصية ، واستوطنها ارباب الصنائع والحرف لنفاق اسواقهم بها ؛ فكانت الرحال تشد اليها من العراق والحجاز ومصر والشام وسائر بلاد المغرب

وفي بجاية من المصانع والمعامل كثير ، ففيها كان يصنع الاسطول وجميع المراكب البحرية ، وبها كان يصنع السلاح وعتاد الحرب واواني النحاس والذهب والفضة ....

كانت تقدر مساحة مدينة بجاية على هذا العهد ( ١٥٠ هكتار ) اى ١٥٠٠٠٠٠ ميترا مربعا ، وهي مجزاة الى ٢١ حيا ، وفيها من السكان ما يبلغ ١٥٠٠٠٠ نسمة ، وفيها من البناءات الضخمة والاستحكامات العجيبة والقصور المزخرفة والدور المروقة ما جعلها قدوة لمنشآت النورمان بصقلية وغيرها .

وكان من بين القصور التى احتفظ لنا التاريخ باسمها وصفاتها : قصر اللؤلؤة ببجاية الذى يقول فيه ابن خلدون : كان من اعجب قصور الدنيا !... بني حوالي سنة ٤٧٠هـ – ١٠٧٧م وموقعه كان بحذاء القشلة والمستشفى العسكري اليوم – على قمة البريجة – وقصر الحكومة بالقلعة ، وقصر يحيى بن العزيز بجبل عيوف بجيجل اقيم تجاه البحر والمدينة ، حطمه روجي الثاني النورماندى سنة ٥٣٨هـ ١١٤٣م وقصر المنار بالقلعة لاتزال تظهر منه بقايا اطلال وخرائب جدران سوره وقصر أميمون وقصر الكوكب وقصر العروسين وقصر السلام وقصر الامراء وقصر بلارة زوجة الناصر ببجاية والرياض البديع والرياض الرفيع ، وكلها كانت آية فى الفن والجمال يتألق حسنها ويتلألأ نورها ، فاسمع الى ابن حمديس

كيف يصف لنا قصر المنصور ببجاية فيقول :

اعمر بقصر الملك ناديك الذى　　اضحى بمجدك بيته معمورا
قصر لو انك قد كحلت بنوره　　اعمى لعاد الى المقام بصيرا
واشتق من معنى الحياة نسيمه　　فيكاد يحدث للعظام نشورا
نسي «الصبيح» مع «المليح» بذكره　　وسما ففاق خورنقا وسديرا
ولو ان بالايوان قوبل حسنه　　ما كان شيئا عنده مذكورا
اعيت مصانعه على الفرس الاولى　　رفعوا البناء واحكموا التدبيرا
ومضت على الروم الدهور ومابنوا　　لملوكهم شبها له ونظيرا
اذكرتنا الفردوس حين اريتنا　　غرفا رفعت بناءها وقصورا
فالمحسنون تزيدوا اعمالهم　　ورجو بذلك جنة وحريرا
والمذنبون هدوا الصراط وكفرت　　حسناتهم لذنوبهم تكفيرا
فلك من الافلاك الا انه　　حقر البدور فاطلع المنصورا
ابصرته فرايت ابدع منظر　　ثم انثنيت بناظري محسورا
وظننت انى حالم في جنة　　لما رايت الملك فيه كبيرا
واذا الولائد فتحت ابوابه　　جعلت ترحب بالعفاة صريرا
عضت على حلقاتهن ضراغم　　فغرت بها افواهها تكسيرا
فكأنها لبدت لتهصر عندها　　من لم يكن بدخوله مأمورا
تجرى الخواطر مطلقات اعنة　　فيه فتكبوا عن مداه قصورا
بمرخم الساحات تحسب انه　　فرش المها وتوشح الكافورا
ومحصب بالدر تحسب تربه　　مسكا تضوع نشره وعبيرا
يستخلف الاصباح منه اذا انقضى　　صبحا على غسق الظلام منيرا
وضراغم سكنت عرين رئاسة　　تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكانما غشي النضار جسومها　　واذاب من افواهها البلورا

اسد كأن سكونها متحرك ‏ في النفس او وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما ‏ اقعت على ادبارها لتثورا
وتخالها والشمس تجلو لونها ‏ نارا والسنها اللواحس نورا
فكانما سلت سيوف جداول ‏ ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه ‏ درعا فقدر سردها تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها ‏ عيناي بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى ‏ سحر يؤثر في النهى تأثيرا
قد صولجت اغصانها فكأنما ‏ قصت لهن من الفضاء طيورا
وكأنما تأبى لواقع طيرها ‏ ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقعة ترى منقارها ‏ ماء كسلسال اللجين نميرا
خرس تعد من الفصاح فان شدت ‏ جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما فى كل غصن فضة ‏ لانت فارسل خيطها مجرورا
وتريك فى الصهريج موضع قطرها ‏ فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا
ضحكت محاسنه اليك كأنما ‏ جعلت لها زهر النجوم ثغورا
ومصفح الابواب تبرا نظروا ‏ بالنقش بين شكوله تنظيرا
تبدو مسامير النضار كما علت ‏ فلك النهود من الحسان صدورا
خلعت عليه غلائلا ورسية ‏ شمس ترد الطرف عنه حسيرا
واذا نظرت الى غرائب سقفه ‏ ابصرت روضا فى السماء نضيرا
وعجبت من خطاف عسجده التى ‏ حامت لتبنى فى ذراه وكورا
وضعت به صناعه اقلامها ‏ فأرتك كل طريدة تصويرا
وكأنما للشمس فيه ليقة ‏ مشقوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنما ماء اللازورد مخرم ‏ بالخط فى ورق السماء سطورا
وكأنما وشوا عليه ملاءة ‏ تركوا مكان وشاحها مقصورا

يا مالك الارض الذى اضحى له ملك السماء على العداة نصيرا
كم من قصور للملوك تقدمت واستوجبت لقصورك التأخيرا
فعمرتها وملكت كل رئاسة منها ودمرت العدا تدميرا

واغلب هذه القصور التى كانت فى مناعة الحصون قضى عليها الاسبان ايام احتلالهم بجاية كما قضوا قبلها على تراث المسلمين ومجدهم بالاندلس !....

## الحركة الاقتصادية

لا يفوتنا هنا ذكر سعة نطاق الحركة الاقتصادية بالجزائر ، فان طرق القوافل بين اقطار الشمال الافريقى وارض السودان كانت لا تخلو من السابلة غادية رائحة حاملة لانواع البضائع والسلع ، كما ان السفن كانت تجرى بانهار قسنطينة ووديانها وفى حوض هذا البحر الابيض المتوسط للمواصلات والتجارة

ويحدثنا الادريسى عن الحياة الاقتصادية بالجزائر فى هذا العصر فيقول . ومدينة بجاية فى وقتنا هذا ( ٥٤٨هـ — ١١٥٣م ) مدينة المغرب الاوسط وعين بلاد بنى حماد ، والسفن اليها مقلعة ، وبها القوافل منحطة والامتعة اليها براً وبحرا مجلوبة ، والبضائع بها نافقة واهلها مياسير تجار وبها الصناعات والصنائع ما ليس بكثير من البلاد ، واهلها يجالسون تجار المغرب الاقصى وتجار الصحراء وتجار المشرق ، وبها تحل الشدود وتباع البضائع بالاموال المقنطرة ، ولها بواد ومزارع لفلاحة انواع الاثمار والاشجار وغراسة القطن والكتان وبقية انواع المتوجات الزراعية ، والحنطة والشعير بها موجودان كثيرا والتين وسائر الفواكه بها منها ما يكفى لكثير من البلاد ، وبها دار صناعة لانشاء الاساطيل والمراكب والسفن والحرابى لان الخشب فى اوديتها وجبالها كثير موجود ، ويجلب اليها من اقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران ؛ وبها معادن الحديد الطيب موجودة وممكنة كما هى كذلك بعنابة ؛ وبها من الصناعات كل غريبة ولطيفة .

وكان لدول اوروبا البحرية معاهدات تجارية وقصلية دقيقة مع بجاية

واذا ذكرنا بجاية فانما هي بالنسبة لكونها عاصمة المملكة يومئذ ، والا فان في القلعة وبونة وقسنطينة ووهران وتلمسان من الحركة الاقتصادية يومئذ ما يشابه الحياة في بجاية وان كانت هذه تفوقها ، فقد كان دخل مرسى الخرز — القالة — من تجارة بيع المرجان فقط عشرة آلاف دينار سنويا ، وكان مستخلص بونة عشرين الف دينار ، وقس على ذلك ...

## انهيار الدولة الحمادية

ان اهم الاسباب الاساسية فى سقوط هذه الدولة وانتهاء ايامها هو ما لحق بها من داء الهرم وضعف العصبية القومية وتضعضع الدعائم والقوى فى حروبها الداخلية وما تكبدته الحكومة من الخسائر الباهضة فى الاموال والانفس ايام الحملة الهلالية ؛ وما كان عليه الامير يحيى بن العزيز ايضا من الانحلال في الاخلاق والانهماك فى الشهوات والاشتغال باللهو عن الملك وتواكله وسخريته برجال دولته فان مباشرة تسيير دفة الدولة كانت بيد الوزير ميمون بن حمدون الذى كان الملك كثيرا ما يقبح افعاله ويسخر منه ويستنقصه ، فكان يدعوه الشيخ الكذاب وهو مع ذلك عمدته في الادارة !....

امتعض الوزير ميمون يوما مما الحقه به الملك من الخسف والهوان وابت له نفسه الابية الصبر على المذمة والاحتقار ، فخشى من ضياع نفوذه والذهاب بمجده وسمعته ، وقد راعه ايضا ما رأى من تهالك النورمان واحتكاكهم على المغرب الاسلامى ، فبادر الى مكاتبة خليفة الموحدين عبد المؤمن بن علي في شأن التملك على الجزائر ، فطار لها الخليفة فرحا وبدت له بذلك فرصة طالما هف اليها قلبه وارتقبها خاطره فخرج من مراكش متوجها نحو الجزائر سنة ٥٤٦هـ ١١٥١م سالكا في طريقه سبيل التضليل والتورية ، فاوهم الناس انه يريد الاندلس

حتى نزل بغتة بخيله ورجله بتخوم « سيو سيرات » المعروفة بفحص « سيق » وهي يومئذ حدود الجزائر الغربية ، وقد اخلاها الوزير ميمون من الجند والحامية فكانت الطريق الى الاستيلاء على مملكة بني حماد ممهدة معبدة

اقتحم عبد المؤمن الحدود الجزائرية بدون عناء ولا مشقة حتى بلغ المدية واحتل الجزائر ففر عاملها القائد الى اخيه يحيى ملك بجاية ، واخذا معا في الاستعداد لمقاومة غزاة الموحدين ، وما فتى الملك الحمادى يستعد المقاومة حتى فاجأه عبد المؤمن بجيوشه على ابواب بجاية ، تاركا مدينة الجزائر تحت امرة الحسن بن علي آخر ملوك صنهاجة بالمهدية ، وذلك ما خشيه ملك بجاية من قبل .... وكانت هنالك فتنة وهرج ومناوشات حربية وقف فيها الوزير ميمون بجانب الموحدين فانتصر الموحدون من غير قتال كبير ،وفتح لهم ابو عبد الله بن الوزير المذكور ابواب مدينة بجاية فاحتلوها بعد يومين من الوقعة فكان دخولهم اليها في ذى القعدة ٥٤٧هـ — فيفرى ١١٥٣م

فخرج حينئذ يحيى بن العزيز من بجاية فركب البحر منهزما الى بونة فنزل على عاملها اخيه الحارث بن العزيز ، فاغلظ له هذا القول وانكر عليه تسليم العاصمة الحمادية ، فاعرض عنه يحيى وعدل متوجها الى قسنطينة فنزل على اخيه ايضا الحسن بن العزيز فاحتفي به وادناه ونزل له عن هذه الولاية اكراما وتعظيما له

واستمر عبد المؤمن في سيره زاحفا فاحتل القلعة في وقعة عظيمة ضد الاعراب قتل فيها نحو الثمانية عشر الف نسمة من اهلها ؛ وكان فيمن قتل بها يومئذ عاملها جوشن بن العزيز اخو الامير يحيي ؛ ثم كان بعدها حصار قسنطينة وتضييق الخناق عليها حتى اضطر يحيى الى النزول عن عرشه والاستسلام الى الموحدين وتقدم بنفسه الى الخليفة عبد المؤمن فبايعه مستأمنا على نفسه فأمنه واخذه معه الى المغرب الاقصى فانزله مع ابن عمه الحسن بن علي آخر ملوك

صنهاجة بقصر بني عشرة في مدينة سلا . وقد حاز يحبى عند الخليفة مقاما رفيعا ورتبة ملحوظة ،وبقى هنالك محترم الجانب الى وفاته سنة ٥٥٨ هـ-١١٦٣م فدفن بمقابرها الجوفية – الجنوبية – مما يلي البحر . فكان هذا اخر العهد بملوك بنى حماد

واستمر الحارث بن العزيز آخو يحبى على رأس ولاية بونة غير ملتفت الى سلطة الموحدين على الجزائر مستنصرا بجيش النورمان الى سنة ٥٥١هـ- ١١٥٦ فسقطت هذه الولاية ايضا بيد الموحدين وانتهت بذلك دولة بنى حماد بالجزائر بعدما اعمرت ١٤٢ سنة . وقد تيسر لها في هذ المدة اليسيرة من اسباب المدنية والحضارةوالعلم ما لم يتيسر لغيرها من الدول في اكثر من هذا العدد من السنين . وتلك الايام نداولها بين الناس .

## ولاة الجزائر وزعماؤها

تنقلت رآسة مملكة الجزائر الحمادية بين مدن ثلاث : آشير ثم القلعة ثم بجاية . فبها كان مستقر ملوك هذه الدولة وأمرائها من بنى حماد الصنهاجيين وكان لهؤلاء من العمال والولاة ما هو منبث في كامل اهم عواصم القطر الجزائرى ومدنه المختلفة كبونة وقسنطينة وبسكرة والجزائر الخ ....

فمن مشاهير رجال الحكم والوزارة فى هذا العهد : خلف بن حيدرة وابو بكر بن ابى الفتوح ؛ فسعت صنهاجة بخلف الى الناصر فقتله واستوزر مكانه احمد بن جعفر بن افلح ، وكان عبد الكريم بن سليمان وزيرا للمنصور . وفي ايام يحبى انحازت الوزارة الى بنى ميمون بن حمدون ، وكان اخوة الناصر وابناؤه ولاة على اعمال قسنطينة والجزائر ؛ فمنهم اخوه بلباز بقسنطينة كما تولاها ايضا الامير سبع بن العزيز اخ يحبى؛وكان عبد الله بن الناصر بالجزائر ومرسى الدجاج واخوه يوسف على آشير ، وكباب على مليانة ورومان على حمزة – نواحي قصر البخاري – كما تولاها ايضا على عهد القائد بن حماد اخوه ويعلان،وتولى خزر على

نقاوس ، وكانت قيادة الجيش العامة على عهد حماد بـن بلكين لعباد بن صـادق وعبد الله بن سكر الصنهاجيين ، وكان على رأس قيادة الجيش المحارب للعرب من رياح وزغبة سنة ٤٥٧هـ — ١٠٦٥م القاسم بن علناس أخ الناصر ، ورئاسة بسكرة والزاب لجعفر بن ابى رمان ، ثم ادال منهم الناصر ببنى سندى ( او هندى ؟ ) ، وكان على ولاية المدية ايام الناصر ابو الفتوح بن حنوش من بنى سنجاس ، وعلى ولاية شلف معنصر بن حماد وكلاهما قتل في ثورته على الناصر كما اسلفناه ، وكانت إمرة بني توجين لمناد بن عبدالله ثم إنتقلت الى آل عطية بن دقلتن بـن ابى بكر المنقوشي .

وجاء يحيى بن وطاس الى الناصر موفداً مـن طرف اهـل قسنطينة لاعـلان طاعتهم فعقد الملك ليوسف بن خلوف الصنهاجى على هذه الولاية ، وعقد المنصور لابي يكنى بن محسن بن القائد بن حماد على ولاية قسنطينة واذن له فى غزو عمه بلباز ، فتمكن ابو يكنى من هذه الولاية واعلن سلطته عليها سنة ٤٨٧هـ ١٠٩٥ م وجعل اخاه ويغلان واليا على بونة ، ثم حدث ما اضطر ابـا يكنى الى الفرار من ولايته فتولى مكانه صليصل بن الاحمر مـن رجـالات الاثبج ، ثم كانت ولايتها للحسن بن العزيز اخ الامير يحيى .

وكانت قيادة الجيش العليا ايام يحيى بن العزيز الى الفقيه مطرف بن عـلي بن حمـدون ، ومن ولاة يحيى وعماله على الجزائر اخوته ، فالقائد كان عـلى مدينة الجزائر والحسن على قسنطينة والحارث على بونة وجوشن على القلعة ، ومـن رؤساء بجاية ومشيختها محمد بن نـزال الريغى ، وكانت رئاسة صنهـاجية فى بني حسن ورئاسة مقرة فى بني ابي واليل

ولما احتل المستنصر الزناتى المسيلة واشير صالحه الناصر واقطعه ولاية نواحي الزاب وريغة ثم قتله غدرا

وكانت رئاسة مغراوة فى بنى ورسيفان المغراويين ورئاسة زناتة لماخـوخ ،

وكان من عمال بجاية على عهد باديس بن المنصور سهام ، فنكل به الامير ، وكان على مدينة الجزائر العزيز فعزله باديس ونفاه الى جيجل ، وكانت امرة تلمسان ورئاستها فى بنى يعلى المغراويين

اما تونس الحمادية فانها كانت لكرامة عم الملك يحيى . وبعد وفاته خلفه اخوه بو الفتوح بن المنصور ، ثم بعده ابنه محمد فلم تحمد سيرته فعزل بعمه معد ابن المنصور . كما تولى هذه الولاية للحماديين عبد الحق بن عبد العزيز بن خراسان

# ملوك الدولة الحمادية

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| حماد بن بلكين بن زيرى | ٣٩٨هـ — ١٠٠٧م |
| القائد بن حماد | ٤١٩هـ — ١٠٢٨م |
| محسن بن القائد | ٤٤٦هـ — ١٠٥٤م |
| بلكين بن محمد بن حماد | ٤٤٧هـ - ١٠٥٥م |
| الناصر بن علناس | ٤٥٤هـ — ١٠٦٢م |
| المنصور بن الناصر | ٤٨١هـ — ١٠٨٩م |
| باديس بن المنصور | ٤٩٨هـ — ١١٠٤م |
| العزيز بالله بن المنصور | ٤٩٨هـ — ١١٠٥م |
| يحيى بن العزيز بالله | ٥١٥هـ — ١١٢١م |

# مشاهير الجزائريين

## ابو القاسم يوسف البسكرى

## ٤٠٣ ـ ٤٦٥ هـ

## ١٠١٢ ـ ١٠٧٢ م

هو العلامة الامام الرحالة المقريء الشيخ ابو القاسم يوسف بن علي بن جبارة بن محمد بن عقيل الهذلي المغربي البسكرى ، ولد سنة ثلاث واربعمائة للهجرة ؛ اخذ العلم عن مشيخة بلده ثم ارتحل للطلب مستزيدا من العلم سنة خمس وعشرين فطوف بلاد الشرق والغرب فقرأ على المشائخ باصبهان ، منهم الحافظ ابو نعيم احمد بن عبد الله الاصبهاني وغيره ودخل بغداد فقرأ بها على القاضي ابي العلاء محمد بن علي بن يعقوب الواسطي وورد نيسبور سنة ثمان وخمسين فحضر دروس ابي القاسم القشيري في الاصول وابي بكر بن منصور وغيرهما

انصرف الشيخ الى التضلع والاختصاص فى علوم اللغة والقراءات فخاض عبابها وتعمق فى استخراج اسرارها ودقائقها واكثر من الرحلة فيها حتى قال عنه ابي الجزرى : فلا اعلم احدا في هذه الامة رحل في القراءات رحلته ، ولاق من لقي من الشيوخ ، قال الامير بن ماكولا : كان ابو القاسم البسكرى يدرس علم النحو ويفهم الكلام ، وكان مقدما فى علوم اللغة وعلل القراءات ، وكان الامام القشيرى يراجعه فى مسائل النحو والقراءات ويستفيد منه

ذاع ذكر الشيخ على الافواه وقرع صيته الاسماع فاستدعاه الوزير نظام الملك سنة ثمان وخمسين واربعمائة الى الاقراء بمدرسة نيسابور وقرره استاذا فيها ، فمكث فيها الشيخ ناشرا علمه بها الى وفاته سنة خمس وستين واربعمائة وقد عمي في آخر عمره رحمه الله .

وله من التآليف كتاب الكامل في القراءات الذى جاء فيها قوله : فجملة من لقيت في هذا العلم ثلاثمائة وخمسة وستون شيخا من آخر المغرب الى باب فرغانة يمينا وشمالا جبلا وبحرا ، ولو علمت احدا تقدم علي فى هذه الطريقة في جميع بلاد الاسلام لقصدته .. الى ان قال : والفت هذا الكتاب فجعلته جامعا للطرق المتلوة والقراءات المعروفة ونسخت به مصنفاتي كالوجيز والهادى ، وعلق ابن الجزرى على هذا الكلام بقوله : كذا ترى همم السادات في الطلب !

## أبو محمد عبد الله الاشيرى

## ٥٦١ هـ - ١١٦٥م

الامام المحدث الفقيه الاديب الشيخ ابو محمد عبد الله بن محمد الاشيرى نسبة الى بلدة « آشير » بالجنوب الشرقى من مدينة البرواقية فى سفح جبل تيطرى من عمالة الجزائر

كان رحمه الله امام اهل عصره في الفقه والحديث والادب ، انتقل الى الشام فسكن حلب الشهباء ففاق بها جميع علمائها كما قال ياقوت : امام اهل الحديث والفقه والادب بحلب خاصة وبالشام عامة ؛ يتسابق الناس الى الاخذ عنه والتشرف بالانتساب اليه ، ويتفاخر الوزراء والملوك بمجالسته والاسترشاد بعلمه وآرائه .

استدعاه الوزير ابو المظفر عون الدين يحيى بن هبيرة وزير المقتفى والمستنجد الى بغداد وطلبه من الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي لاقراء الحديث وتدريس علومه بدار السلام — بغداد — فسيره الملك اليه محفوفا بالاجلال والاكرام ؛ فاقرا هنالك كتاب « الافصاح عن شرح معانى الصحاح » بمحضر الوزير مؤلف الكتاب نفسه ، وهو شرح يحتوى على تسعة عشر كتابا شرح بها الوزير احاديث الصحيحين .

وقد جرت للشيخ مع الوزير منافرة فتقاطعا ثم ندم الوزير على موقفه هذا تجاه الشيخ فاعتذر اليه واغدق عليه بره واحسانه ، ثم سار الشيخ من بغداد الى مكة ثم عاد الى الشام فمات رحمه الله ببقاع بعلبك سنة ٥٦١هـ-١١٦٥م

## ابن الرمامة

## ٤٧٨ - ٥٦٧هـ

## ١٠٨٥ - ١١٧١م

العلامة النظار والحكيم الفيلسوف الفقيه ابو عبد الله محمد بن علي المشهور بابن الرمامة ، ولد بعاصمة الجزائر الحمادية « قلعة بنى حماد » فى رجب سنة ٤٧٨ هـ - ١٠٨٥م روى عن ابى الفضل بن النحوى بالقلعة وتفقه به ، وعن ابي محمد المقرى ببجاية ، وابي اسحاق ابراهيم بن حماد ، وعن خاله ابي الحسن على بن طاهر بن محشوة بمدينة الجزائر .

ارتحل الى الاندلس تاجرا وطالبا للعلم فلقى بقرطبة الفيلسوف الحكيم القاضى ابا الوليد ابن رشدوابا محمد بن عتاب وابا بحر الاسدي ؛ وابا الوليد بن طريف فاخذعنهم ، ثم انتقل الى المغرب فنزل مدينة فاس وتولى بها خطة القضاء سنة ٥٣٦هـ-١١٤٢م وعكف هنالك على الدرس والنظر فى الاحكام فاخذ الناس عنه ، وكان يميل الى مذهب الشافعية

له من التآليف كتاب تسهيل المطلب في تحصيل المذهب وكتاب التفصي عن فوائد التقصي وكتاب التبيين فى شرح التلقين الخ وبذل همته ووسعه فى تحقيق كتاب البسيط للغزالي وتحرير نكته ومباحثه

ومن اشهر من روى عنه واخذ عنه كتبه الحافظ ابو ذر الخشني وابو الحسن بن المفضل وابو القاسم بن بقى وغيرهم ، وكانت وفاته رحمه الله بمدينة فاس يوم الاثنين ١١ رجب سنة ٥٦٧ هـ - ١٠ مارس ١١٧٢م

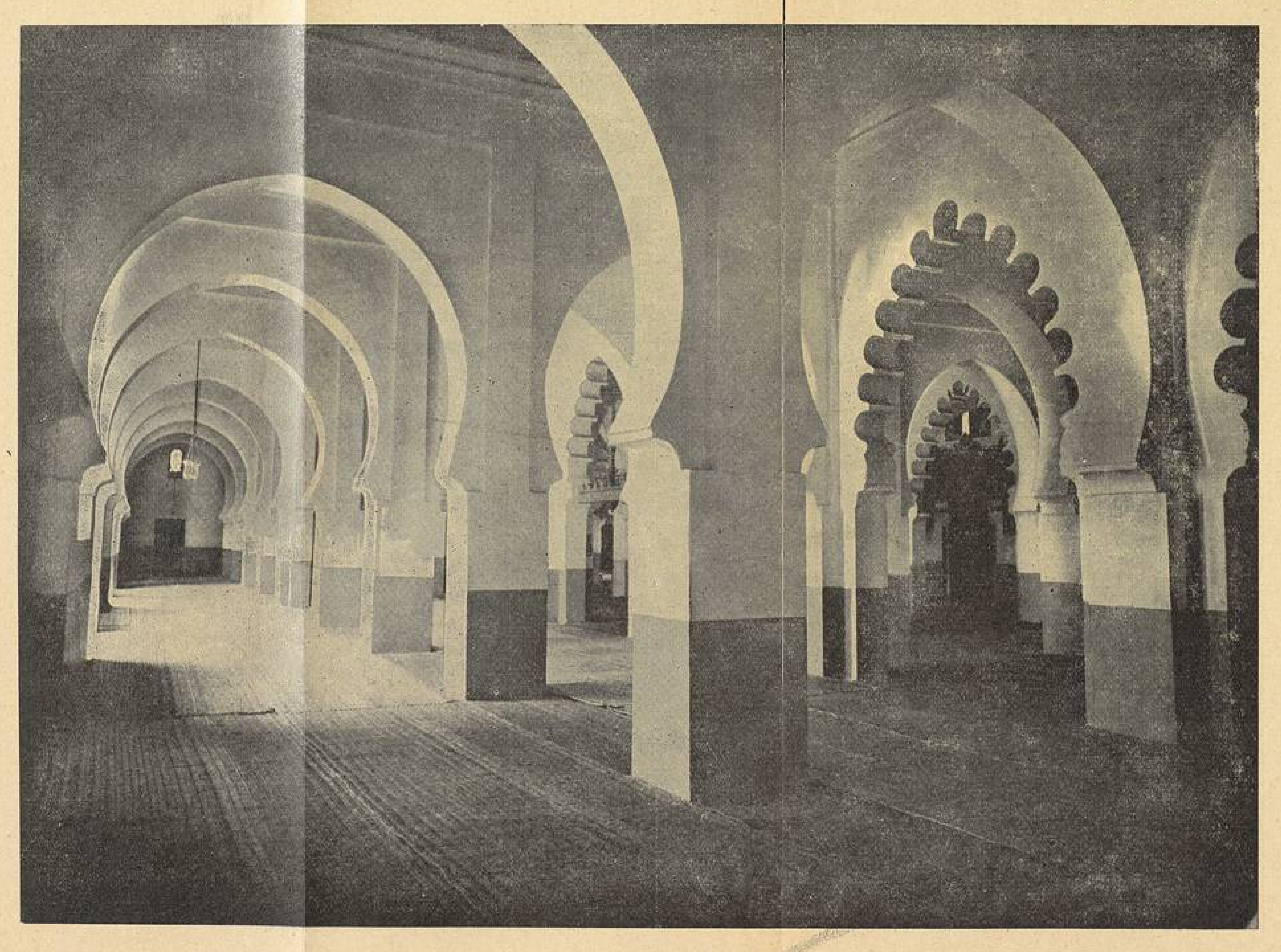
# جدول تاريخي

## ٤٠٥ـ٥٤٧هـ (١٠١٤ـ١١٥٣م)

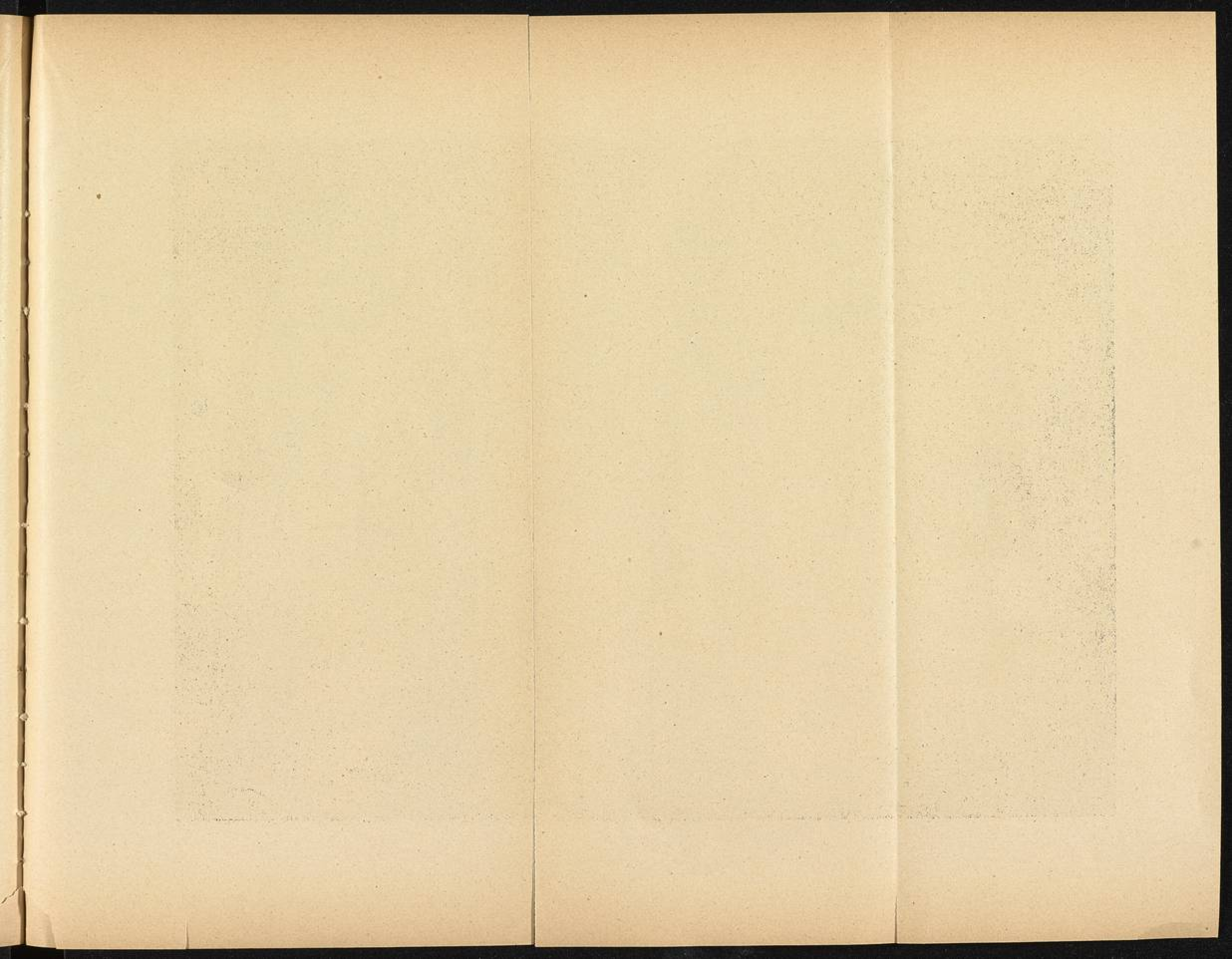
| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث |
| --- | --- |
| ٤٠٥هـ ١٠١٤م | تأسيس المملكة الحمادية |
| ٤١١هـ ١٠٢٠م | اشتداد القحط وكثرة الفناء فى الناس من تاهرت الى سجلماسة |
| ٤٢٥هـ ١٠٣٤م | خراب بونة على يد الجنويز |
| ٤٣٠هـ ١٠٣٨م | انهزام حمامة بن زيرى المغراوى عن الجزائر |
| ٤٣٢هـ ١٠٤١م | تلاعب القائد بالدعوة الشيعية |
| ٤٤٧هـ ١٠٥٥م | تشعب آل حماد وانشقاقهم على انفسهم واغتيال الملك محسن |
| ٤٥٠هـ ١٠٥٨م | نكبة ولاة بسكرة من آل رومان على يد بلكين بن محمد |
| ٤٥٤هـ ١٠٦٢م | اغتيال بلكين وولاية الناصر بن علناس؛ والاستيلاء على فاس، وولاية آل عروس بن سندى على بسكرة |
| ٤٥٧هـ ١٠٦٥م | وقعة سبيبة والزحف الهلالي على الجزائر |
| ٤٦٠هـ ١٠٦٨م | خيبة المنتصر الزناتى فى هجومه على الجزائر وقتله ، وفيها كان تأسيس مدينة بجاية وثورة اهالي المدية وشلف وفتح الاربس والقيروان |
| ٤٧٠هـ ١٠٧٧م | تزوج الناصر ببلارة بنت تميم ملك المهدية |
| ٤٧٥هـ ١٠٨٢م | فتح المرابطين لاعمال تلمسان ووهران واحواز مدينة الجزائر |
| ٤٨١هـ ١٠٨٨م | وفاة الناصر بن علناس وولاية ولده المنصور |
| ٤٨٣هـ ١٠٩٠م | انتقال عرش المنصور من قلعة بني حماد الى بجاية |
| ٤٨٤هـ ١٠٩١م | اقطاع مدينة دلس لمعز الدولة بن صمادح الاندلسى |
| ٤٨٧هـ ١٠٩٤م | ثورة ابى يكنى بقسنطينة وقتله وسقوط اشير بيد المرابطين |

| | |
|---|---|
| ٤٩٦هـ ١١٠٣م | فتك المنصور بالمرابطين وعقد الهدنة بين المملكتين |
| ٤٩٨هـ ١١٠٤م | وفاة المنصور وولاية ولديه باديس ثم العزيز |
| ٥١٢هـ ١١١٨م | خيبة الاعراب في اغارتهم على القلعة |
| ٥١٤هـ ١١٢٠م | اذعان تونس للسلطة الحمادية واحتلال جربة |
| ٥١٥هـ ١١٢١م | وفاة العزيز وولاية ولده يحيى |
| ٥٢٣هـ ١١٢٩م | حصار المهدية واحتلال تونس |
| ٥٣٠هـ ١١٣٥م | وقعة زويلة وحصار المهدية ( مرة ثانية ) |
| ٥٣٧هـ ١١٤٢م | اعتداء النورمان على جيجل و استيلاؤهم عليها |
| ٥٤٣هـ ١١٤٨م | سك النقود الحمادية ببجاية والتجاء امير المهدية الحسن بن علي الى الجزائر بعد سقوط مملكته بيد النورمان |
| ٥٤٧هـ ١١٥٣م | نهاية دولة بني حماد |
| ٥٥٨هـ ١١٦٣م | وفاة يحيى بن العزيز آخر ملوك الدولة الحمادية |

تصوير اوفالاك الجزائر



الجامع الكبير بالجزائر – الحرم الداخلى



# الدولــة المرابطية

## ٤٧٢ ـ ٥٣٩ هـ

## ١٠٧٩ـ١١٤٥م

### الرباط والمرابطة

ان كل من درس تــاريخ المغرب الاسلامي في هــذا العصر يعلم انــه كان معرضا للغارات البحرية المفاجئة مــن القسطنطينية او صقلية وجنوبي ايطاليــا وسردانية ، فاعتبره المسلمون لذلك ثغرا يعد الرباط فيه جهادا في سبيل الله وقربة اليه ، فانشئت لذلك الرباطات والحصون بسواحل افريقية لحراسة المسلمين والتعبد لله رب العالمين ، ولقد نظم المقيمون فيها امور انفسهم تنظيما حسنا مكنهم من القيام بواجباتهم كلها على وجه حسن ، واصبح الرباط مع الزمن نظاما عسكريا دينيا تحددت اصوله وقواعده شيئا فشيئا

ولقد بلغ من حماس اهل المغرب للرباط ان اصبح ذوو الحمية من اهل قبائل الصحراء يقبلون الى ساحل البحر للرباط وحراسة المسلمين ، ثم عمت هذه الحركة شيئا فشيئا حتى شغلت روح الرباط قبائل باسرها واخذ المتشوفون للجهــاد من اهل قبائل الصحراء يرابطون على احواز الصحراء لحمــاية ما يليهم من بــلاد الاسلام من اخطار من يليهم من الجنــوب ، وقامت «الربط» على حدود بلاد السودان ، وصارت هذه «الربط» الصحراوية مراكز للغزو والتوسع ونشر الاسلام في السودان وبلاد افريقية الغربية ، وما زالت هذه الحركة تقوى وتشتــد حتى قامت على اساسهــا دول ؛ اولهــا دولة المرابطين هذه ثم تلاهــا الموحــدون والحفصيون كذلك والمرينيون (١) . . .

---

(١) انظر رياض النفوس ج ١ ص٢٥

وعلى ضوء ما قدمنا نستطيع ان نفهم وضعية الخوانق والزوايا الصوفية المنتشرة في مجاهل اطراف الشمال الافريقي وتخومه، وماكان لهذه الزوايا او — الربط — من الاثر الجليل في خدمة الاسلام واهله خدمة سياسية واجتماعية ودينية . . . . وبالجملة فان الدور الرئيسي الذى قام به اهل المغرب في التاريخ العام للاسلام هو دور رباط وحماية لجناحه الغربي كله

## نشأة الدولة

تنتمي هذه الدولة الى قبيلة لمتونة احدى فصائل القبيلة البربرية الكبرى صنهاجة. واشتهرت باسم دولة الملثمين ايضا لاتخاذ قومها الخطام شعار اتمتاز به ما بين مختلف الامم والقبائل البربرية المنتشرة بكامل هذا الشمال الافريقي ، وفي سبب اتخاذ ذلك اللثام خلاف بين المؤرخين (١)

كان مستقر هذه القبيلة باعماق الصحراء فيما بين بلاد البربر والسودان — السينيغال — وكان دينها المجوسية الى ما بعد فتح الاندلس فاسلمت طوائف منها وبقي الآخرون الى ما بعد المائة الثالثة ، ثم ظهر فيهم عبد الله بن ياسين الجزولي الذى جاء به الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فصار يعلمهم الدين الاسلامي ، واسس رباطه بوادى النيجير — السينيغال — فلازمه منهم جماعة عرفوا فيما بعد باسم المرابطين وهم الذين كان على يدهم تأسيس هذه الدولة سنة ٤٣٤هـ - ١٠٤٢م ، ففتحوا بلاد الصحراء والمغرب الاقصى وانتصروا على بلاد الاندلس ، وكان استفحال ملكهم على عهد الامير يوسف بن تاشفين عاهل لمتونة ورافع عماد الدولة المرابطية

[١] انظر ابن خلدون ج ٦ ص ١٨١ وابن خلكان ج ٢ ص ٤٩١ والحلل الموشية ص ٨ وتحفة الزائر ج ١ ص ٤٠

## نظامها الحكومي

نشأت هذه الدولة في اول امرها سائرة سير الاقوام المتغلبة قهرا وقسرا الى ان نشأ فيها الامير يحيى بن ابراهيم الكدالي فأخذ قومه بتعاليم الاسلام ومبادئه فنشرها بينهم بواسطة عبدالله بن ياسين فتطور يومئذ دستور الدولة واصبح يسير على مقتضى الكتاب والسنة

وجاء يوسف بن تاشفين ٤٦٥هـ — ١٠٧٣م فتشدد في التمسك باهداب الاسلام مستمدا من الخليفة العباسي سلطته الروحية ، فقلده المقتدى ولاية المغرب والاندلس وكتب له تفويضا لقبه فيه بناصر الدين وبعث اليه بالخلع والاعلام ، وكثيرا ما خرجت السفارات من المغرب الى المشرق حاملة للهدايا النفيسة الى امراء المؤمنين ، وكانت المراسلة بينهما مستمرة وتسمى يوسف يومئذ بامير المسلمين تأدبا مع الخليفة امير المؤمنين ، ثم جرى على هذا اللقب كل من تولى امر هذه الدولة الى انقراضها ،

وما تسامح العباسيون مع هذه الدولة كل هذا التسامح واطاعوها فيما في رغبتها هذه الا عن قصد ايجاد منافس بجانب الخلافتين القائمتين بالمغرب يومئذ: خلافة بنى عبيد الفاطمية ، وبني امية في الاندلس فجعل الخليفة العباسي من دولة المرابطين هذه مزاحما لهما يضعف من شأنهما بالمغرب

ذاع صيت سلطان المرابطين يوسف بن تاشفين في انحاء العالم الاسلامى كله فخطب له على اكثر من الفي منبر ، وقد اجمع المؤرخون على عدالة هذه الدولة وقيامها بحقوق الرعية والرعوية كما يوجبه الاسلام ويقتضيه فقه الامام مالك ؛ فقد كان الامراء لا يقطعون امرا دون مشورة الفقهاء فيه ؛ وكثيرا ما كان الامير يباشر بنفسه ماجريات الاحوال والمسائل العامة ؛ ولم يجر في عمل المرابطين طيلة ايامهم رسم مكس ولا ضريبة مغرم لا في الحضر ولا في البادية ؛ وانما هي اموال الزكاة والعشر والجزية والخراج واخماس المغانم ؛

وذكروا اسم الخليفة العباسي على نقودهم كرمز لطاعته .

وبلغ عدد جيش المرابطين في اوائل امرهم الى مائة الف جندى ، وهذا من غير المتطوعة من اعيان القبائل وزعمائهم الخاضعين لهذه الدولة ، وفي سنة ٤٦٤هـ ١٠٧١م أدخل فى نظام الجندية نحو الالفى فارس من عبيد السودان ثم اضيف اليهم نحو مائتين وخمسين من علوج الاندلس ، واتخذ على بن يوسف بن تاشفين بالمغرب جيشا من الروم فى اوائل القرن السادس الهجرى الحقه بجيوش المسلمين وجعله لا يحضر في الجهاد خشية تمالؤه مع العدو ، فكان يستعين به فى قتال المنشقين عن الطاعة والمتخافين عن الدولة فقط ، ثم كانت هذه سنة متبعة قلده فيها جميع ملوك المغرب ودوله فيما بعد ، وذلك ما يشبه الفرقة الاجنبية اليوم في الجيش الفرنسى ، ولقد تعورف هذا النظام العسكرى من قبل فى الامم السالفة ايضا ، فقديما جند حنبعل قوما من الغاليين – سكان فرانسا – ، والسويسريون انفسهم كانوا يمثلون اقدر الفرق التي ترتزق بسيوفها فى ربوع اوروبا وتحارب تحت اعلام مختلف ملوكها وامرائها

وكان مما اثبته التاريخ لهذه الدولة وسجله بمداد الفخر فى ميدان الجندية انه لم يحفظ لجند المرابطين فرار من زحف قط ؛ وكان قتالهم رجالة صفوفا، بايدى الصف الاول القنا الطوال ويحمل الصف الثانى معه المزارق ، يتقدمهم رجل يحمل بيديه الراية السوداء فلا ينفكون عن الحرب والقتال ما قامت الراية فاذا ما امالها صاحبها الى الارض جلسوا ؛ واما الاسطول فانه بلغ الى مائة قطعة حربية كانت تجول على الدوام في طول هذا البحر الابيض وعرضه مترددة على جزائر الخالدات « كانارى » وكانت قيادته لبني ميمون .

## الحدود الجزائرية

يمتد ملك المرابطين من تخوم المغرب الاقصى فيتخطى حدود ملوية الى اسوار مدينة الجزائر ، فكان غرب القطر الجزائرى تقريبا كله تحت نفوذ المرابطين ، غير ان ايامهم لم تطل بهذا الوطن سوى ٦٧ سنة

## الاستيلاء على الجزائر

كنا المعنا فيما تقدم الى ما كان بين دولة المرابطين وبنى حماد ملوك القلعة وبجاية من التنافس والتزاحم على زعامة المغرب الاوسط وبسط نفوذهم عليه ، وكانت هنالك مهاجمات ومناوشات بين الحكومتين في كلا القطرين : الجزائر والمغرب الاقصى كما مر تفصيله .

وفي سنة ٤٧٢هـ - ١٠٧٩م تحرك جيش المرابطين من مراكش بقيادة مزدلي بن بكلان اللمتونى وجاء غازيا للجزائر فى نحو عشرين الف مقاتل فحل باحواز تلمسان فقاتلهم عنها عاملها يومئذ يحيى من بنى خزر المغراويين الى ان سقط ميتا فى الميدان ؛ فانطلق جند ابن تاشفين يعبث بتلك النواحي ثم عاد الى مصدره .

ثم فى السنة بعدها خرج الامير يوسف بن تاشفين بنفسه فغزا مملكة الجزائر وافتتح منها عدة اماكن واستولى فيها على تلمسان وقضى على من كان فيها من امراء بنى خزر ، واختط بها محلته المشهورة «تاكرارت» التى كانت مأوى له ولاشياعه ومعسكرا لجيشه ، ومنها توجه الى وهران وتنس وجبال وانشريس واعمال شلف فقضى على ممالك زناتة ومحا آثار مغراوة من جميع المغرب الاوسط ، ودخل متيجة موغلا فيها الى اسوار مدينة الجزائر ، فردته عنها حصونها ؛ فانكفأ وارتد الى عاصمته مراكش فدخلها في ربيع الثانى سنة ٤٧٥هـ - سبتمبر ١٠٨٢م واصبحت اعمال الجزائر الغربية يومئذ كلها بيد المرابطين

## المذاهب والعقائد

ان اهم ما ارتكزت عليه هذه الدولة فى نشاتها السياسية ونهضتها القومية هو الدين ، فباسم الدين رسخت قواعدها فى الملك وتمكنت جذورها من الارض ، وذلك بفضل عبد الله بن ياسين ، وعبد الله هذا مالكى المذهب ، فكانت جميع اعماله واقواله تجرى على مقتضى الفقه المالكى الا ما شذ فيه من بعض فتاويه وتشديداته ؛ وقلده فى ذلك المرابطون حكومة وشعبا ؛ وبعدما التحق المرابطون بالاندلس وجدوا هنالك مذهب مالك منتشرا بها ايضا فتغلغلت المالكية حينئذ فى الامة واصبحت الحكومة لا تقضي امرا الا على وفق هذا المذهب ، فحاز فقهاء المالكية بذلك فضلا عظيما ومنزلة رفيعة عند الامراء وغيرهم من اتباع هذه الدولة ، ونبذ الناس يومئذ سوى ذلك من المذاهب والاصول وبالغت الدولة في التمسك بهذا المظهر حتى كاد ان ينسى النظر فى كتاب الله وسنة رسوله !... ولم يكن لاهل المذاهب الاخرى مظهر بالجزائر سوى فى بنطيوس من قرى بسكرة ، فانه كان بها مسجد واحد للاباضية ، وكان اهل تهودة – سيدى عقبة – على مذهب اهل العراق

ودان اهل ذلك الزمن بتكفير كل من ظهر عليه الخوض فى شيء من علم الكلام ، وقرر الفقهاء بمحضر علي بن يوسف بن تاشفين تقبيح الفلسفة وعلم الكلام والنظر فيهما وكراهية السلف لهما ؛ وهجروا كل من ظهر عليه شيء من ذلك بدعوى انه بدعة وقالوا بان الاكثار منه يؤدى الى اختلال فى العقائد ووهن في الايمان وحملوا الامير عليا على نشر اوامره فى البلاد بذلك وكتابته فى كل وقت الى الولاة والعمال بالتشديد والتوعد لكل من يشتغل بهذا العلم او يوجد عنده من كتبه شيء منها ، واحرقت في ذلك كتب الغزالي وهدد من وجدت عنده بسفك دمه ومصادرة امواله ... ولم يرتفع هذا الكابوس الا في عهد الموحدين فكان الامر على نقيض ذلك كله كما سنقصه عليك .

## الثقافة والحضارة والعمران

اشتد تعلق امراء هذه الدولة بعلماء الديـن حتى كان بلاطهم لا يخلـو من عالم او فقيه او اديب ، وكان من شغف يوسف بن تاشفين باهل العلم والفضـل ان زوج ابنته بالعلامة الفيلسوف الكبير ابن باجة الاندلسى ، وفي ايامه كثر بالمغرب ذوو القرائح وارباب الحـرف والصناعات والمهندسون ، وقد بلغ ذلك الغزالي فرغب فى المجيء الى بلاط ابن تاشفين ، وصح منه العزم فانتقل الى الاسكندرية متوجها الى المغرب وبينما هو آخذ فى الاستعداد للسفر اذ بلغه نعي امير المسلمين يوسف بن تاشفين فـأحجم ، وكان ممن اشتهر في الجزائر يومئذ مـن اهـل الثقافة العالية ابو عبد محمد بن سحنون الطيب الندرومى الكومى ، نسبة الى كومية باحـواز تلمسان . والاديب الكاتب البليغ محمد بـن محرز الوهراني ؛ واكثر الناس يومئذ من اشتغالهم بالتفاريع الفقهية المالكية فنفقت في ذلـك الزمن سوق كتب هذا الشان

ولقلة مكث المـرابطين بالجزائر لم يكن لهم فيها كبير أثر فى فن المعمار ؛ اللهم الا ما كان من محلة تلمسان ـ تاجرارت ـ والمسجد الجامع بتلمسان ومسجد الجزائر ،وجامع ندرومة او ما كان من ابتداء تخطيط مدينة مستغانم حيث ابتنى فيها يوسف مركزه الحصين المشهور بمشتىغانم ؛ وهو المدعو ببرج الامحال المنشأة حوله مدينة مستغانم ؛ كما ان مدينة هنين – مرسى تلمسان – هى من منشآت هذا العصر ؛ ولا ندرى أكان ذلك على يد المرابطين ام غيرهم ؟... وقد ذكرهـا البكرى والادريسى وقالا انها كانت مزدهرة الحضارة وفيها اسواق ودكاكين ذات تجارة ناشطة ؛ ومن غير بلاد الجزائر كانت للمرابطين آثـار ضخمة بـالمغرب الاقصى هى آية في فن المعمار لايزال بعضها هنالك ماثلا للعيان الى الآن ؛ وفـي ايامهم ظهرت صناعة الكاغد بالمغرب .

## انهيار الجزائر المرابطية

استمر غرب القطر الجزائرى تحت طاعة المرابطين الى ان نشأت بجانبهم دولة الموحدين بأقصى بلاد السوس ، وبثت دعوتها على الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وصادف ان كان أمر المرابطين فى تدهور وانحطاط بسبب اختلال شؤون الادارة وسوء سلوك الولاة وتفريطهم في ضبط امور المملكة واخلادهم الى الدعة والراحة ، فادبر الناس عنهم يوم ان احكم الموحدون خطتهم الهجومية على الجزائر بعدما احتلوا نواحى كثيرة من اقصى المغرب فنزلوا باعلى الجبل المطل على تلمسان ووصلت يومئذ كتائب بني حماد برسم الامداد والاعانة فهزمهم الموحدون بضاحية العباد

ويومئذ كتب تاشفين بن علي الى الافاق يستدعى انصاره فجاءته السرايا من سجلماسة وبجاية والتحق به ابنه ابراهيم من الاندلس ومعه من جند الروم نحو اربعة آلاف فارس فاجتمعت هذه كلها بتلمسان ، وامر تاشفين بعرض الجيوش وسائر الوفود فعجب الناس من كثرة عددهم وعددهم واحتفالهم في الزينة حتى زعموا انهم لم يروا مثل هذا الجند المحتشد حسنا وجمالا وعدة وكمالا ، واصطفت العساكر من باب القرمدين الى الجهة المتصلة باصل الجبل ؛ وكان ذلك آخر جيش احتفل به المرابطون (١) ورغم ذلك كله فانه لم يغن عنهم احتفالهم ولا عدتهم امام جيش الموحدين شيئا ، فسقط تاشفين بن علي ميتا فى الوقعة واحتلت تلمسان يوم ٢٩ رمضان سنة ٥٣٩هـ — ٢٦ مارس ١١٤٥م وانتهى يومئذ حكم المرابطين بالجزائر بعدما قضوا بها ٦٧ سنة وانحصر ملكهم بالمغرب الاقصى الى ٥٤١هـ — ١١٤٧م حيث احتل الموحدون مراكش ايضا فانهار سلطانهم وانقضت ايامهم

(١) الحلل الموشية ص ١٠٧-١٠٨

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان فيمن تولى اعمال الجزائر على عهد المرابطين محمد بن تينعمر المسولي ولاه يوسف بن تاشفين على تلمسان سنة ٤٧٥هـ - ١٠٨٢م ولم يزل محمد المذكور في ولايته هذه الى ان هلك فى حصار مدينة الجزائر فتولى بعده اخوه تاشفين بن تينعمر فخرج هو ايضا لحصار الجزائر ففتحها بعد قتال عنيف ، وكانت بينه وبين ملوك بنى حماد فتنة أدت الى عزله عن منصبه سنة ٤٩٧هـ - ١١٠٣م فتولى بعده القائد مزدلي المستشهد في بلاد الروم سنة ٥٠٨هـ - ١٠١٤م ثم تركها امير المرابطين الى محمد المدعو بالشبور فبقى بها الى ان سقطت بيد الموحدين

وفي ايام تغلب ابن غانية - من اشياع المرابطين - على الموحدين واستيلائه على بعض الثغور من القطر الجزائرى ، اسندت ولاية تلمسان سنة ٥٨١هـ - ١١٨٥م الى يحيى بن ابى طلحة ، وعمل مليانة الى بدر بن عائشة

# امراء المرابطين

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| يوسف بن تاشفين | ٤٦٥هـ — ١٠٧٣ |
| علي بن يوسف | ٥٠٠هـ — ١١٠٦ |
| تاشفين بن علي | ٥٣٧هـ — ١١٤٢م |

# مشاهير الجزائريين

## ابو عبد الملك البونى

## ٤٣٩ هـ ـ ١٠٤٧ م

هو العلامة الفقيه المحدث الصالح ابو عبد الملك مروان بن علي الاسدى القطان البونى ـ نسبة الى بونة ، عنابة ـ احدى حواضر القطر الجزائرى الشهيرة ؛ وهو خال ابى عمر القطان الفقيه

سكن المترجم له مدينة قرطبة وفيها روى عن ابى محمد الاصيلي والقاضى ابى المطرف عبد الرحمن بن محمد بن فطيس وغيرهما وارتحل الى المشرق فاخذ هناك عن ابي الحسن القابسى ؛ ولازم ابا جعفر احمد بن نصر الداودى خمس سنوات فاخذ عنه معظم تاليفه وما عنده من علم رواية ودراية

وتجرد المترجم له بعد ذلك الى خدمة العلم بالتدريس والتأليف فكتب شرحه المختصر لموطأ الامام مالك ؛ وقد كان معول الناس يومئذ في دراسة الموطأ على هذا الشرح وتداول بينهم بكثرة وكان ممن اخذه عنه ابو عمر بن الحذاء ؛ وقال عنه انه كان رجلا صالحا عفيفا عاقلا حسن اللسان والبيان لقيته رحمه الله ببونة سنة ٤٠٠ وناولنى كتابه في شرح الموطأ ثم خاطبته من طليطلة فوجه الي الديوان واجازه لي ثانية وكان قد زاد فيه بعد لقائي له .

وكان ممن حدث عنه ايضا ابو القاسم بن محمد ؛ فقال لقيته بالقيروان وشهد معنا المجالس عند اهل العلم بها ، وكان رجلا حافظا ناقدا في الفقه والحديث ؛ وقرأت عليه بعض تفسيره للموطأ واجاز لي سائره وسائر ما رواه . قال ابو عمر توفي ببونة ؛ وذكره الحميدى فقال : كان فقيها محدثا وله كتاب كبير شرح فيه الموطأ ؛ مات قبل الاربعين واربعمائة

## الحسن بن علي التيهرتي

## ٥٠١ هـ - ١١٠٨ م

هو العلامة اللغوى الامام النحوى الحسن بن على بن طريف التيهرتى تخرج على ائمة علماء الاندلس وكبار اساتذتها فى القرن الرابع الهجرى ، وكان فيمن اخذ عنهم الحجاج بن المامون وابن سعدون ومروان بن عبد الملك والقاضى بن سهل وابو محمد بن قحافة وابو تمام القطبى وغيرهم . وعنه اخذ علامة المغرب ابو الفضل القاضى عياض وذكره فى فهرسته واثنى عليه فقال : شيخ بلدنا في النحو مشهور بالصلاح درس عمره النحو واخذ عنه جماعة اصحابنا وجماعة شيوخنا توفى رحمه تاسع ذى الحجة سنة احدى وخمسمائة ( ٨ جوليط ١١٠٨م )

## يوسف الورجلانى

## ٥٠٠ - ٥٧٠هـ

## ١١٠٦ - ١١٧٤م

هو العلامة المتبحر ابو يعقوب يوسف بن ابراهيم الورجلانى ، ولد بمدينة ورجلان - وارقلة - بالجنوب الجزائرى حوالى سنة ٥٠٠هـ-١١٠٦م اخذ العلم ببلده ثم ارتحل عنها الى الاندلس طالبا الاستزادة فدخل قرطبة حاضرة العلم يومئذ فكان هنالك بين المثقفين مثالا للنبوغ النادر والادب الجم والاطلاع الواسع والعلم الغزير حتى كان الاندلسيون مع حداثة سنه يشبهونه بالجاحظ ، ثم عاد الى وطنه وجدد منه الرحلة ايضا الى المشرق فدخل عواصمه العلمية اللامعة وتضلع فيها بجميع ما كان متعارفا مشهورا في وقته من العلوم الاسلامية معقولها ومنقولها ، واكثر من الرحلة في سبيل العلم فتوغل في اواسط افريقية حتى بلغ الى قريب من خط الاستواء قبل ما تبجح باكتشافه الاروبيون بقرون !......

ذكر ذلك بنفسه فى كتابه الجليل الجامع « الدليل لاهل العقول » وهو احد كتبه الممتعة ، طبع بمصر سنة ١٣٠٦هـ-١٨٨٨م ، ولما عاد من رحلته لازم داره بورقلة منكبا على الدرس والتاليف مكرسا حياته لخدمة العلم ونشر الثقافة الاسلامية ، فلم يخرج من داره مدة سبعة اعوام ؛ ولم يكن يرى فيها كما قال الشماخي الاناسخا ، وللاقلام باريا ، وللدراسة فاعلا ، اوللحبر طابخا ، اوللدواين مقابلا ، اوللكتب مسفرا ......

وللشيخ من التآليف تفسير القرآن الكريم يقع فى سبعين جزءا ، وصف البرادى جزءامنه فقال: رايت منه فى بلاد ريغ سفرا كبيرا لم ار ولا رايت قط سفرا اضخم منه ولا اكبر منه ، حررت انه يجاوز سبعمائة ورقة او اقل او اكثر ، فيه تفسير فاتحة الكتاب والبقرة وآل عمران .... فلم ار ولا رايت ابلغ منه ولا اشفى للصدر في لغة اواعراب او حكم مبين او قراءة ظاهرة او شاذة او ناسخ او منسوخ او جميع العلوم منه الخ . . . يقال انه يوجد من هذا التفسير اليوم جزء باحدى خزائن رومة عاصمة ايطاليا ، كما ان له في التاريخ كتاب يسمى « فتوح المغرب » يوجد بخزائن المانيا ؛ وله كتاب « العدل والانصاف » في اصول الفقه يقع في ثلاثة اجزاء ؛ والقصيدة الحجازية نظم فيها رحلته العلمية الى تلك الديار تقع في ٣٥٠ بيتا جمع فيها كثيرا من فنون العلم ، وكتاب « مروج الذهب » فى الفلسفة ترجم الى اكثر لغات اوروبا نظرا لاهميته ؛ واشتهر له في خدمة كتب الحديث « ترتيب مسند الربيع بن حبيب » وما رايت له من كتبه المطبوعة سوى الدليل جمع فيه فنونا من الحكمة والفلسفة والالهيات وعلم الكلام والمنطق والهندسة ومناقشة المذاهب والتفسير الخ فهو اشبه بصورة مصغرة لدائرة معارف اسلامية . وتوفى رحمه الله بمسقط راسه « وارجلان » سنة ٥٧٠ هـ — ١١٧٤م

# جدول تاريخي

## ٤٧٢_٥٣٩هـ (١٠٧٩_١١٤٥م)

| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث |
| --- | --- |
| ٤٧٢هـ ١٠٧٩م | استيلاء المرابطين على غرب القطر الجزائرى |
| ٤٧٥هـ ١٠٨٢م | عودة يوسف بن تاشفين من الجزائر الى حاضرة مراكش |
| ٥٠٠هـ ١١٠٦م | وفاة يوسف بن تاشفين |
| ٥٠١هـ ١١٠٨م | وفاة الحسن بن على التيهرتى شيخ القاضي عياض |
| ٥٣٩هـ ١١٤٥م | نهاية حكم المرابطين بالجزائر (٢٩ رمضان - ٢٦ مارس) |
| ٥٧٠هـ ١١٧٤م | وفاة يوسف الورجلاني |

# الدولة الموحدية

## ٥٣٩ ـ ٦٦٨هـ

## ١١٤٥ ـ ١٢٦٩م

### نشأتها

تأسست هذه الدولة على كاهل رجل السياسة والعلم ذلك الداهية المغربى العظيم محمد بن عبد الله بن تومرت (١) الهرغى السوسى الملقب بالمهدى ، وكان منشأها بـ « تينملل » فى المغرب الاقصى بين احضان قبائل مصمودة التى كانت ترى نفسها احق بزعامة المغرب الاسلامى من غيرها ، وخاصة المرابطين فانها كانت تنظر اليهم كاجانب عن الوطن

ذهب ابن تومرت في اول نشأته الى المشرق لطلب العلم وهنالك اطلع على حال الخلافة العباسية التى كانت خاضعة لزعماء الجيوش التركية ، وقد راى معها احتضار الخلافة الفاطمية ايضا بمصر وانها ذاهبة الى السقوط والانهيار ، كما لاحظ يومئذ امم اروبا ودولها تعمل على جمع شتاتها وتوحيد كلمتها استعدادا لاعلان حروبها الصليبية على المسلمين وغزو بلادهم ؛ فارتأى محمد بن تومرت وجوب القيام بانشاء دولة اسلامية تحافظ على عظمة الخلافة الاسلامية وكيانها الطبيعي وتنتصر على الصليبيين ؛ فأخذ فى تأسيس حكومته على قاعدة شيخ القبيلة المتزعم وافاض عليها صبغة المهدوية ؛ تلك العقيدة التي نجح بها الفاطميون قبله فى تأسيس دولتهم بالمغرب .

(١) ذكر تلميذه ومؤرخه ابن البيدق ان معنى كلمة « تومرت » بلسان البربر الفرح ؛ وذلك ان امه فرحت كثيرا بمولده ، وكانت كلما سئلت عنه اجابت بلسانها البربرى « ديك تومرت » ومعناه صار فرحا فغلب عليه ذلك اللقب

ولقد كان لهذه العقيدة اقبال ورواج فى بلاد المغرب اكثر منها في بلاد المشرق ؛ وذلك لاسباب كثيرة منها ان المغاربة معروفون من قديم – من ايام الكاهنة بالميل الى المغيبات والتأثر بها ؛ ومنها ما اذاعه بعض دهاة السياسة من الاحاديث التى تومىء الى ظهور المهدى المنتظر وانه من اهل المغرب (١) الخ . وكثيرا ما راينا استعمال فكرة المهدى هذه واستخدامها فى انحاء العالم الاسلامى على مدى الازمان فى القضايا السياسية المصطبغة بالدين

انشأ ابن تومرت دعوته فى تأسيس دولته على الدين آمرا بالمعروف ناهيا عن المنكر داعيا الى تخليص العقيدة من شوائب الشرك والزيغ عن التوحيد الخالص ، ولكى يكفل لنفسه اعظم قسط من مجهودات انصاره وأتباعه فانه القى في روعهم انه المهدى المنتظر الذى سيملأ الارض عدلا كما ملئت جورا ، ودعا اصحابه بالموحدين تعريضا بخصومه المرابطين وطعنا في عقائدهم ، وكان ممن آزره على بث فكرته هذه بالمغرب ذانك الرجلان العظيمان ، مثال الشهامة والعلم والبطولة في التاريخ : اولهما عبدالله الوانشريسي – نسبة الى جبل وانشريس بجنوب بلدة الاصنام – وكان عالما فصيحا باللغتين العربية والبربرية توفى فى حصار مراكش عام البحيرة سنة ٥٢٤هـ – ١١٢٩م اى في نفس السنة التى مات فيها ابن تومرت ، والثاني هو عبدالمؤمن بن علي التاجرى الكومى الندرومى .

اجتهد ابن تومرت في القضاء على دولة المرابطين بالمغرب الاقصى واشهر عليهم سيفه وقلمه ولسانه وقاومهم فى جميع الميادين فتغلب عليهم وقهرهم ، فبايعته الامة المغربية بالامارة يوم السبت غرة المحرم سنة ٥١٦هـ – ١١ مارس ١١٢٢م وما زال شأنه يعلو الى ان توفي ليلة الاربعاء ١٣ رمضان ٥٢٤ هـ – ١١ اوط ١١٣٠م عن غير عقب اذ لم يتزوج قط ، وقد كان عهد بالامارة بعده

(١) لقد احصى ابن حجر هذه الاحاديث المروية في المهدي فوجدها نحو الخمسين ، وذكر انها لم تثبت صحتها عنده ، ولم يكن منها شيء في الصحيحين

الى عشرة من خاصة اتباعه كان فيهم عبد المؤمن بن علي التاجرى الكومى الندرومى فاجمع الناس على مبايعته بالامارة وتقديمه عليهم لما امتاز به من الخصائص الحميدة التى قلما تجتمع فى غيره ، فتقلدها عبد المؤمن عن جدارة واستحقاق

## نظامها الحكومى

كانت قاعدة هـذه الدولة طيلة تملكها عـلى افريقية الشمالية هى مـدينة مراكش ، ورئيسها الاعلى دائما هو الخليفة الملقب بامير المؤمنين ، ودستورهـا الكتاب والسنة من غير انتماء الى اى مذهب من المذاهب الاسلامية ، حرة غير خاضعة لاى سلطان ، واعمالها الادارية موزعة بين مختلف الوزارات على حسب الترتيب العصرى اليوم تقريبا ، فلقد كان للاشغال العامة ومصالح الناس وزيـر ، وللمالية وزير ، وللكتابة والترسيل وزير ، وللعدلية والنظر فى نـوازل المتظلمين وزير ، وللنظر في اهل الثغور وزير ، وللبحرية رئيس عام يدعونه « الملند » بفتح اللام المفخمة ، وهو المسؤول امام وزير الحربية المسمى عندهم بصاحب السيف ؛ وجميع الاعمال الادارية كان يجرى تحريرها بالقلم العربى المبين .

ومن غير هؤلاء الاعضاء رجال موظفون تختلف مراتبهم بحسب اختـلاف الاشغال والاعمال والمصالح ولهم اعوان ومساعدون ، وكان للشرطة رئيس يدعونه بالحاكم وسلطته لاتتعدى طبقة العامة من غير المتوظفين ، وكان لا يتولى عندهم هـذه الوظيفة الا من كان من الطبقة الممتازة من رجال الموحدين ، وذلك ان الناس في هذه الدولة ثلاث طبقات : السابقون الاولون وهم الذين بايعوا المهدى ابـن تومرت ؛ ثم يليهم الاتباع ؛ ثم تاتى الطبقة الثالثة من العامة ، ولـم يكن يطلق لقب « السيد » عندهم الاعلى اعضاء الاسرة المالكة من ابناء عبد المؤمن فقط ، وقد فعلوا ذلك كى لا يتولى الرئاسة منهم الا من كان سيداً حقـا ، فكان بذلك نظـام الحكم فى هذه الدولة ارستقراطيا .

وجميع ما كان هنالك من الوظائف واشغال الحكومة الادارية يرأسها « المزوار »

الـذى يدين بالطاعة للحاجب المسؤول امام الخليفة عن جميعها ، وللخليفة مـع ذلك مجالس يعقدها فى اوقات مختلفة للمشاورة والنظر في الشؤون العامة يحضرها الاعيان من نواب القبائل وعرفاء النواحى النائية بمشاركة اهل العلم والفضل ،

ومما امتازت به دولة الموحديـن وفـاقت فيه غيرهـا من دول المغـرب نظامها العسكرى وتراتيب الجند فى القتال ، فلقد اجتمع لديها من الجند عـدد يفوق المعهود عند غيرها من الدول الاسلامية بالمغرب ، ففى ايام الحرب كان يبلغ العدد الى ٤٨٠،٠٠٠ جندى ، ويتزايد احيانا الى المليون ، وهو مختلط ممزوج من العرب والبربر والافـرنج والمماليك ، وكان عدد الافرنج منه ايام ابى العلاء المأمون عشرة آلاف جندى ، وكان من النظم المتبعة عندهم في الحرب ان يتقدم قـائد الجيوش ومعه سرية تشتمل عـلى نحو المائة فـارس تخفق عـلى رؤوسهم الرايـات البيض المزخرفة بخطـوط زرقـاء وأهلة ذهبية ، — ثم تغير اللواء لديهم فكان احمر — ويأتى بعد هؤلاء الفرسان فوج من رجال الدولة والرؤساء والحكام ، ثم يتلوهم الجيش بكتائبه متبوعا بارباب الصناعات والحرف واصحاب الحاجيات ... واذا خرج معهم الخليفة كان لخروجه موكب حافل يجتمع فيه من اصحاب الطبول والالوية والبنود شىء كثير وكلها تسير خلفه ، ويسمى ذلك عندهم «بالساقية» ؛ ثم اقتصر بعد ذلك على سبع طبول تتبع الامير ومثلها من الرايات كذلك ؛ قال الوزير ابو جعفر بن عطية : شاهدت عبد المؤمن وقد جلس يوما لعرض العسكر عليه ، فجعلت العساكر تمر عليه قبيلة بعد قبيلة وكتيبة اثر كتيبة ، لا تمر كتيبة الا والتى بعدها احسن منها جودة سلاح وفراهة خيل وظهور قوة (١)

اما الاسطول فانه كان فيه من انواع المراكب البحرية : المسطحات والطرائد والشواني الخ ... وقد بلغ عدد وحداته ايام عبد المؤمن الى ٤٠٠ قطعة حربية وللخزينة الدولة موظف خاص من الموحدين مشتغل بضبط الحسابات ومراقبة

(١) المعجب ص ١٤٥

الدخل والخرج ، ويتعقب النظر فيما يفعله الولاة والعمال في الامـوال ، وله هو وحده الاذن في استخراج المال منها ، ومالية الدولة فيها متكونة من الزكاة والخراج واخماس المغنم والجبايات . والعملة يومئذ مضروبة باسم الخلفاء الموحدين وهى من الذهب والفضة ، وفيها من انواع المسكوكات الدرهم والدينار والانصاف والارباع والخراريب ، والدرهم عندهم من فضة مربع الشكل وفيه المستدير ، وهو لا يزيد فى وزنه عن « قرام » واحد ونصف ؛ ونظـام الاسواق عندهم موكول الى « المحتسب » فاليه يرجع تقدير الاسعار ومراقبة ما يجرى فيها من مظالم بواسطة اعوانه من الامناء

ومنصب القضاء عندهم لايتولاه الا من برز فى العلم والاخلاق ، ولا تتجاوز ولاية القاضى مدة عامين فقط ، اتباعـا فى ذلـك سنة عمر بن الخطـاب رضى الله عنه في توليته القضاة ، وفي ذلك من الحكمة ترغيب الناس وبعث الامل فيهم والنشاط فى تحصيل العلم حتى ينالوا هذا المنصب الجليل ويحرزوا عـلى شرفه ،
علاوة على مافي ذلك ايضا من دفع التهم التى قد يلصقها اعداء القاضى وخصومه به حسدا او مللا من طول اقامته بينهم ودوام مزاولته للحكم ، ثم ان القاضي في نفسه اذا تولى منصبه هذا علم من يومه قرب نهاية ولايته ، فهو مظنة للعزل فلا يحيف ولا يجور .

## الحـدود الجزائريـة

لقـد عم سلطان الموحدين جميع تراب الشمال الافريقى كله من البحر المحيط غربا الى شرقى طرابلس وبرقة ، ومن جبال الشارات «البرانس» باقصى شرق بلاد الاندلس الى تخوم صحراء افريقية الكبرى فهو اكبر سلطان واعظم مملكة شاهدها الاسلام في المغرب وكانت الجزائر لهذا العهد منقسمة الى ولايتيـن اثنتين شرقية وغربية ، اولاهما ولاية بجاية وهى تقريبا عين حدود العمالة القسنطينية المعـروفة اليوم ، والثانية ولاية تلمسـان ، وهي تمتد من وادى ملـوية غربا الى نهر مينة شرقا ؛

## الخليفة عبد المؤمن بن علي

عاهل افريقية واميرها الاوحد عبد المؤمن بن علي التاجرى الكومى الندرومي الجزائرى ، ولد بضيعة من اعمال تلمسان تعرف « بتاجرا » بنواحى ندرومة على نحو ثلاثة اميال من مرسى « هنين » وذلــك سنة تسعين واربعمائة وقبل سنة خمسمائة للهجرة ( ١٠٩٦ - ١١٠٦ ؟ ... )

نشأ عبد المؤمن في اسرة فقيرة، حيث كان ابوه يرتزق من صنع اوانى الطين ، وامه كومية من بنى مجبر، طلب العلم اولا ببلده ثم نزح عنها باحثا عن العلماء فى كل صقع وناحية ، وهو مع ذلك يحترف تعليم الصبيان حتى دخل «ملالة» على فرسخ من بجاية، وفيها ساقه القدر الى الاجتماع بمحمد بن تومرت عند مقدمه من المشرق فاخذ عنه العلم واقتصر عليه في الطلب فاصطفاه ابن تـومرت وانتخبه من بين الطلبة لما لمح فيه مـن النبـوغ والعبقرية ، واصطحبه معه الى المغرب الاقصى ، وهنالك تظافرا معا على تقويض دعائم دولـة المرابطين واقـامة دولة الموحدين ، الى ان توفى ابـن تومرت فبويـع عبد المؤمن بالخـلافة فى منتصف رمضان ٥٢٤هـ - اوط ١١٣٠م .

اشاد عبد المؤمن صرح هذه الدولة الناشئة فنشر اعلامها بكامل اقطار المغرب العربى والاندلس ايضا وكان له طموح الى فتح بلاد مصر وما وراءها من العالم الاسلامي كله ، ويومئذ اصبحت هذه الـدولة تعرف ايضا باسم « المؤمنية » نسبة اليه ، وكان رحمه الله داهية في السياسة ، عالما حـازما . قال من رآه : رايته شيخا ابيض ؛ معتدل القامة ، ذا جسم عمم ، تعلوه حمرة ، وضىء الوجه ، عظيم الهامة ، اشهل العينين ، كث اللحية ، شثن الكفين ، طويل القعدة ، واضح بيـاض الاسنان ، بخده الايمن خال ؛ فصيح الالفـاظ جزل المنطق (١)

(١) ابن خلكان ج ١ ص ٣٩١ والمعجب ص ١٤٢

## تثبيت قدمه في الملك

كان من الخطط التى رسمها عبد المؤمن لتوطيد دعائم ملكه ان بادر الى انتزاع الامر من يد اهل السوس قوم ابن تومرت وجعله في قومه الجزائريين ، فاستقدمهم اليه واجتهد فى تهذيبهم وتنشئتهم نشأة رياضية صناعية حربية ؛ وجعل بينهم نحو ثلاثة آلاف شاب من اذكياء المصامدة وغيرهم ممن اختارهم من فطناء المغرب حتى حذقوا الفنون والآداب وبان شاوهم على غيرهم ، فعرضهم يوما على اشياخ الموحدين وقال لهم كلمته الصريحة الصارخة : العلماء اولى منكم ايها الاشياخ !.. مشيرا الى تقديم هذا الشباب المثقف الناهض ؛ فتخلى حينئذ هؤلاء الشيوخ عن وظائفهم ومناصبهم الحكومية ونزلوا عن ولاياتهم لاولى العرفان من هذه الناشئة الصالحة ، وعزل عبد المؤمن يومئذ خليفته ابا حفص عمر الهنتاتى عن ولاية العهد وجعلها في ابنه محمد ، ثم قدم عليه اخاه ابا يعقوب يوسف بن عبد المؤمن ، ثم لحق بعبد المؤمن نحو الاربعين الف فارس من قومه فنزلوا عليه سنة ٥٥٧هـ – ١١٦١م وهكذا بقى يعمل على تقديم ذويه واقربائه في الحكم حتى تم لهم الامر الى النهاية .

## الاستيلاء على ولاية تلمسان

بعد ان تمكن قدم عبد المؤمن في الملك واشتدت عرى دولته ورست قواعدها بالسوس ، شرع في بسط نفوذه على انحاء المغرب الاوسط فتحرك بجنوده سنة ٥٣٤هـ - ١١٣٩م متوجها الى اعمال تلمسان ، فمر في طريقه على الريف فاستولى عليه ، ثم عرج مشرقا على احواز تلمسان ، وهنالك اصطدم بجيش المرابطين ، وبينما الحرب قائمة بين الفريقين ان لمح عبد المؤمن ثلمة في جيش العدو فاسرع الى محاصرة تلمسان واحاط بها من جهاتها الاربع ؛ وكان جيشه مركبا من اربع فرق : فرقة تجاه العدو وسلاحها المزارق الطوال المرتكزة

بالارض مائلة؛ وهذه الفرقة عندهم هي اشجع فرق الفرسان؛ وفرقة متترسة مدرعة، وفرقتان تحمل القسى والمقالع ؛ وهناك فى الوسط فرقة الخيالة التي تنفرج تارة عنها الجيوش فتغدو على العدو منكلة به ثم تروح فتعود الى وسط ذلك الشكل المربع من الجند فتختفى من بينه وهكذا دواليك . . . . وتفرق آخرون من الموحدين يقاتلون في جهات متفرقة ونواحى متعددة بقصد التشويش على العدو فاعترضتهم سيول بعض الاودية من بلاد صنهاجة فامر عبد المؤمن بضرب سد على ذلك النهر حتى اذا طغى الماء امرهم حينئذ برض ذلك السد وتحطيمه فاندفعت المياه متدفقة نحو العدو فتحطمت حصونه وتغلب الموحدون على صنهاجة

جرت هذه الوقائع وامير المسلمين يومئذ علي بن يوسف بن تاشفين مقيم بـ«كهف الضحاك» بين الصخرتين من جبل تيطرى ، ولما شعر بالهزيمة دعا باسطوله المقيم فى الاندلس واستنجد ايضا بيحيى بن العزيز الحمادى فجاءته النجدة من بجاية برا وبحرا ، وكان على الجيش الحمادى طاهر بن كباب ، وعلى الاسطول ميمون بن حمدون قائد البحر الاعلى ، وما كادت هذه الحامية تتصل بميناء وهران حتى فاجأها الموحدون وضربوا عليها الحصار ، وخرج منها تاشفين ليلا في جماعة يسيرة فصعد الى الرباط العظيم المنشأ فى ربوة « صلب الكلب » المطل على وهران ؛ ويقال ان صعود الامير كان ليلة السابع والعشرين من رمضان ليحضر الختم من سنة ٥٣٧هـ-١١٤٢م وكان عبد المؤمن يومئذ فى جمعه بتاجرة وهى موطنه من بلاد ندرومة ، وقد ارسل الجند الى وهران بقيادة الشيخ ابى حفص عمر بن يحيى الهنتاتى صاحب المهدى ، فكمنوا هنالك عشية واعلموا بانفراد تاشفين عن الحامية فى ذلك الرباط فقصدوه واحاطوا به واحرقوا بابه فايقن القوم الذين فيه بالهلاك ، فخرج تاشفين راكبا فرسه وشد الركض عليه ليثب الفرس النار وينجو ، فترامى الفرس نازيا لروعته ولم يملكه اللجام حتى تردى من جرف هنالك الى جهة البحر على الصخر في وعر فتكسر الفرس وهلك

تاشفين في الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه ؛ وكان عسكره فى ناحية اخرى بعيدا عنه بحيث لم يدر بما جرى فى تلك الليلة ، وجاء الخبر بعد ذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران ، وسمى ذلك الموضع الذى فيه الرباط « صلب الفتح» بدلا عن صلب الكلب (١)

ويومئذ نزلت جيوش الموحدين سهل منداس وسط بلاد زناتة ، فاثخنت فيهم قتلا واسرا حتى اذعنوا لطاعة عبد المؤمن . وفر ميمون بن حمدون الى متيجة ومنها كتب الى عبد المؤمن بالطاعة والولاء ، ثم توجه الخليفة الى وهران فاحتلها صبيحة عيد الفطر ٥٣٩هـ ( مارس ١١٤٥م ) ثم توجه بعدها الى تلمسان فاقام بها سبعة أشهر اشتغل فيها بتنظيم شؤون الدولة والادارة واصلاح ما جرته الحرب من الفساد وولى عليها سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتى وترك معه ولده يوسف معاضدا له وناصرا ، ثم عاد الى مركزه من المغرب الاقصى مشتغلا بفتوحاته فى الاندلس. . . ثم فى سنة ٥٤٤هـ - ١١٤٩م تم للموحدين فتح مدينة مليانة واحوازها ، وبذلك انتهى حكم المرابطين بالمغرب الاوسط تماما .

## الاستيلاء على ولاية بجاية

كان من الطبيعي ان يتابع عبد المؤمن فتوحاته بالجزائر بعد ما امتلك منها جميع اعمالها الغربية فتقدم اذا نحو الشرق فى عشرين الف فارس ولم يظهر اتجاهه الى الجزائر حتى فاجاها بغزو نواحي وانشريس فاحتلها سنة ٥٤٧هـ ١١٥٢م وجال فى نواحي « سيوسرات » - فحص سيق - ودخل مليانة ، والملك الحمادى يحيى بن عبد العزيز يومئذ فى غفلة عن كل هذا منهمكا في لهوه وقصفه ، فما راعه الا وعبد المؤمن مخيم بمدينة المدية واحتل معها الجزائر صلحا ، فخرج منها صاحبها القائد منهزما الى اخيه ملك بجاية ، فلحقه عبد

(١) انظر ابن خلكان ج ٢ ص ٤٨٩ والحلل الموشية ص ١٠٦ — ١١٠

المؤمن في جنوده تاركا على الجزائر الحسن بن علي آخر ملوك المهدية ، وكان ملتجئا بها ، وهناك وجد الوزير الحمادى ابا محمد ميمون بن علي بن حمدون مستعدا لفتح ابواب المدينة للموحدين بناء على ماسبق بينهما من الاتفاق السرى فاقتحم عبد المؤمن عاصمة بني حماد فى ذى القعدة سنة ٥٤٧هـ - فيفرى ١١٥٣م وانهزم عنها صاحبها يحيى بن العزيز راكبا متن البحر الى بونة حيث كان اخوه الحارث واليا بها ، ومنها انتقل الى قسنطينة ، ومكث عبد المؤمن ببجاية مدة شهرين استكمل فيهما توطيد ملكه بها ثم غادرها الى مركزه بمراكش

ولقد شاهد هذا الفتح مع عبد المؤمن الشاعر ابو عبد الله محمد بن حبوس الفاسي فقال :

| | |
|---|---|
| من القوم بالقرب تصغى الي | حديثهم اذن المشرق |
| جروا والمنايا الى غاية | فلم يسبقوها ولم تسبق |
| بايديهم النار مشبوبة | فمهما تصب باطلا تحرق |
| يقودهم ملك اروع | تفرد بالسؤدد المطلق |
| تخيره الله من آدم | فما زال منحدرا يرتقى |
| الى « الناصرية » سرنا معا | ولما تفتنا ولم تلحق |
| الى برزة فى ذرى ارعن | تجل عن السور والخندق |
| يعوذون منا بمولاهم | ومولاهم عاد بالزورق |
| واكسبه خوفه خفة | فلو خاض فى البحر لم يغرق |

ولما رأى القوم تقاعس ملكهم الحمادى واحجامه عن مقاتلة الموحدين اجتمعوا على ترئيس ابى قصبة وتقديمه عليهم فحاربوا تحت لوائه وقاتلوا جيوش عبد المؤمن مقاتلة عنيفه بعرض الجبل شرقي بجاية ، فتضاعفت خيبتهم بقتل عدد كبير منهم ؛ وظل الموحدون يتابعون زحفهم الى القلعة الحمادية وهى يومئذ أحصن القلاع ففتحوها وعملوا فيها معاول الهدم والتخريب ومات من اهلها يومئذ ثمانية عشر الفا كان فيهم عاملها جوشن بن العزيز

## وقعة سطيف واستسلام قسنطينة

اشتد العصاة من رؤساء النواحي الجزائرية فى مقاومتهم ضد حكومة الموحدين ضنا منهم بمناصبهم في الرئاسة وحبا في الحرية الشخصية فصبحهم عبد المؤمن فى ثلاثين الف فارس ومعه حلفاؤه من العرب ؛ وخرج الجميع لقتال المنشقين تحت قيادة عبد الله بن عمر الهنتاتي ، وكان اللقاء بينهم في سهول سطيف ؛ فانتشر الموحدون اولا بالجبال واظهروا انهزامهم امام العدو حتى اذا ما تقدم اليهم فانهالوا عليه كسيل العرم واوقدوا عليه الحرب ثلاثة ايام (اوائل صفر ٥٤٨هـ - اواخر افريل ١١٥٣م) وفي اليوم الرابع انكشف فيه الحال عن انهزام الثائرين وانحيازهم عن الميدان. فتفرق جند الموحدين يومئذ الى فرقتين ؛ فرقة اندفعت خلف المنهزمين فأدركتهم بتبسة فاسرتهم وسبت اموالهم ، والثانية يممت مدينة قسنطينة فحاصرتها وضيقت عليها الخناق فاستسلم بها يومئذ يحيى بن العزيز آخر ملوك بنى حماد ونزل عن عرشه مبايعا للخليفة عبد المؤمن

## فتح بونة

لقد تحقق الحارث بن العزيز والى بونة - عنابة - بالخطر الداهم وادرك لا محالة بانه هامة اليوم اوغد ، فبادر من حينه الى الاستغاثة بالنورمان والاحتماء بقواتهم العسكرية ، فأجابه هؤلاء الى رغبته التى هي امنيتهم من قبل ، وجهزوا له اسطولا ضخما تحت قيادة فيليب المهدوى ، وحلت سفن النورمان هذه بمياه بونة فى رجب ٥٤٨هـ - سبتمبر ١١٥٣م حامية لها من حملة الموحدين بحرا ، يؤازرها عرب الناحية من جهة البر ، ومكث القوم على ذلك عشرة ايام ثم ارتحل عنهم النورمان وبقى الحارث بها على ولايته تحت طاعة النورمان الى سنة ٥٥١ - ١١٥٦م حيث اعاد الموحدون كرتهم عليها ففتحوها عنوة وقتلوا صاحبها صبرا وبذلك تم للموحدين الاستيلاء على القطر الجزائرى كله من جهاته الاربع وانقطعت عنه امال النورمان الذين طالما تحلبت افواههم وشفاههم عليه

## امارة الثعالبة بمتيجة

ان اول منازل اعراب المعقل بن ربيعة من بنى الحارث بارض الجزائر فى اواسط القرن الخامس الهجرى ان نزلوا بمساكن بنى ملكان بن كرت الصنهاجيين مما يلى ملوية ، - آخر مواطن بنى هلال - ؛ وكان من بين اعراب المعقل هؤلاء الثعالبة من ولد ثعلب بن على ، فنتقلوا بمواطن عديدة ؛ منها المدية وجبل تيطرى حيث كانت توجد المدينة اشير ؛ ثم ازيحوا عن هذا المكان ايام استيلاء بني توجين عليه فانحدروا الى بسيط متيجة فسكنوا بسهوله محتمين بصنهاجة حتى اذا غلب المرابطون على المغرب الاوسط وقضوا على ملك صنهاجة استبد الثعالبة بهذا البسيط الفسيح من ارض متيجة ورسخ قدمهم فيه الى ان كان قفول محمد بن عبد الله تومرت من المشرق فمر بطريقه على متيجة فتعرف اليه الثعالبة واكرموا نزله واخذوا عنه مروياته واصبحوا من اشياعه محافظين على ولائه الى ان ظهر امره بالمغرب وفتح الموحدون الجزائر ، فاسندت يومئذ امارة متيجة والمدية ومقاطعة تيطرى الى هؤلاء الثعالبة ٥٤٨هـ-١١٥٣م ، وكانت امارتهم فى بنى سباع بن ثعلبة

فتمكن الثعالبة يومئذ من بسط نفوذهم ونشر سلطانهم على متيجة الى وادى سيق ، وبنوا بتلك النواحى نحو الثلاثين حصنا ؛ ولقد بالغ امراء الموحدين فى اكرامهم وتقديرهم نظرا الى موقفهم المشكور تجاه المهدى محمد بن تومرت

## وفاة عبد المؤمن

لم يلبث عبد المؤمن بعد فتح الجزائر الاقليلاحتى امتلك تونس باعمالها ودخلت تحت طاعته فاعاد بذلك الى شمال افريقية وحدته السياسية ، ثم تقدم الى فتح بلاد الاندلس فاخضعها ، وفي عودته منها ادركه الحمام فى مدينة سلا فتوفى يوم الاحد ٢٧ جمادى الثانية ٥٥٨هـ ( فاتح جوان ١١٦٣ ) وقد بلغ من العمر نيفا

وسبعين سنة ونقل جثمانه الى «تينملل» فدفن بازاء ضريح المهدى محمد بن عبدالله تومرت ، فكانت مدة ولايته ٣٣ سنة و٨ اشهر و١٥ يوما

## اعقاب عبد المؤمن

مات عبد المؤمن عن ستة عشر ذكرا وبنتين ، والذى خلفه فى الملك من ابنائه هو ابو يعقوب يوسف فكانت مبايعته في شعبان سنة ٥٥٨هـ ( جوليط ١١٦٣م ) وتلقب بامير المؤمنين وسار بسيرة والده مجتهدا في اعلاء شأن الدولة والرعية ، وكان عالما متاضعا جماعا للكتب راجح العقل كريما. غزا الاندلس فطعن تحت سرته فى معركة حربية هناك فمات شهيدا يوم السبت ٧ رجب سنة ٥٨٠هـ ( ١٤ اكتوبر ١١٨٤م ) وجيء به الى المغرب فدفن بجوار والده رحمهم الله ، فخلفه ولده يعقوب المنصور ، وكان كابيه وجده علما ودينا وسياسة وهو الذى عمل على اظهار ابهة ملك الموحدين وعظمة سلطانهم ، وكان من اهم حوادث الجزائر على عهده حملة بنى بن غانية التي سنحدثك عنها :

## بنو بن غانية

كان علي بن يحيى المسوفى - نسبة الى قبيلة مسوفة بصحراء لمتونة - مقربا لدى امير المسلمين علي بن تاشفين ملك المرابطين ، فتزوج امراة من القصر تدعى «غانية» ، فولدت له محمدا ويحيى وكلاهما نشأ في بلاط المرابطين تحت رعاية امير المسلمين ؛ وقد كان لهذه الدولة يومئذ ملك المغرب والاندلس

عقد المرابطون لمحمد بن غانية على الجزائر الشرقية (جزائر الباليار): ميورقة ، ومينورقة ،ويابسة ،فنزل بالاولى سنة ٥٢٠هـ(١١٢٦م) واشتهر بالميورقى وبقى هنالك حتى هلك فخلفه عليها ابنه اسحاق؛ وفى ايامه كان سقوط دولة المرابطين وانهيار ملكهم : فوجه اليه الموحدون من يأخذ لهم البيعة عنه فأبى ورفض الدخول تحت طاعتهم ، واوصى بذلك بنيه منهم على ويحيى ، ولما استشهد سنة ٥٧٩هـ

( ١١٨٣م ) قام بالامر بعده ولده علي ، وهو صاحب الثورة الكبرى والوقائع الدامية الآتية الذكر :

## حملة بني بن غانية

كانت امارة بني غانية بجزائر البليار مهددة بالسقوط في يد الموحدين ، فلما توفى الخليفة أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن نشط بنو غانية الميورقيون لاخذ ثار اخوالهم المرابطين انتقاما من الموحدين فعملوا على تقويض دعائم ملكهم بالاندلس ونقض بيعتهم ومقاومة نفوذهم هنالك ، وظنوا ان فرصة الانتصار قد حانت بموت ابي يعقوب وان حبل الموحدين سيضطرب لا محالة وتختلف الكلمة بينهم وبين البربر المحافظين ، وزادهم نشاطا فى حركتهم هذه طول غيبة الامير يعقوب بن يوسف عن دار الامارة بالمغرب وانقطاعه للجهاد بالاندلس منذ ثلاث سنوات ، فتحقق لديهم خلو الجو للتظاهر ضد الموحدين والعمل على تحطيم سلطانهم بافريقية ، ويضاف الى ذلك ما قام به جماعة الناقمين من اعيان بجاية ، فان هؤلاء راسلوا ابن غانية يحثونه على غزو الجزائر واقامة دعوة المرابطين بها ، وانهم لا يزالون على وفائهم لاسرة بيت الملك من بنى تاشفين الملثمين ، وحينئذ نادى امير جزائر البليار على الميورقي باقامة صرح عرش دولة المرابطين بالجزائر الشرقية واعلن مجاهرا بخروجه عن طاعة الموحدين

## مهاجمة بجاية

بينما الناس قائمون فى صلاة الجمعة من يوم ٦ شعبان سنة ٥٨٠هـ ( ١٢ نفمبر ١١٨٤م ) اذ فاجأهم اسطول المرابطين تحت امارة الميورقى علي بن غانية ، وكان الاسطول يشتمل على ٣٢ سفينة حربية تحمل معها ٣٠٠ فارس و٤٠٠٠ راجل نزلوا كلهم بساحل بجاية بناحية « المذبح » في مكان يسم السبي من جهة الربض فاحتلوا اولا جبل الخليفة ودخلوا المدينة من باب اللوز ولم يكن اذ ذاك مسورا

وصادف يومئذ خلو المدينة من الحامية وغياب عاملها ابـي الربيع سليمان بن عبدالله بن عبد المؤمن فى جيشه خارج البلد ، فانتهز الميورقي كل ذلك لفتح قصبة المدينة وركز علمه الاسود فيها ، ثم يمم المسجد فاحاطت جنوده به احاطة السوار بالمعصم ؛ فما راع اهل بجاية الا والحصار مضروب عليهم من كل ناحية فارغموا على مبايعة ابن غانية باسم الخلافة العباسية وشذ عنه آخرون . ثم كانت هذه المباغتة الحربية بعد ذلك سببا في غلق الناس ابواب المدينة وقت تأدية الصلاة من يوم الجمعة فاتخذها غيرهم سنة

## التحام الحرب

بادر ابو الربيع بالعودة الى مركز ولايته فسار سيرا حثيثا الى بجاية وكان في قل من الفرسان اذ لم يكن معه يومئذ سوى ثلاثمائة فارس ، فانضم اليه عامل القلعة وكان سائرا في طريقه الى مراكش والتحق بهما ايضا نحو الف فارس من القبائل المجاورة وكان هنالك من الاعراب الهلاليين من نقم على حكومة الموحدين فانضم منهم نحو الف فارس الى عصابة ابن غانية وانتشب القتال بين الطائفتين فتقاعس جند الموحدين عن المقاومة وصار اكثره الى اشياع ابن غانية فانهزم ابو الربيع فيمن بقي معه الى تلمسان وثملل ابن غـانية بنشوة الانتصار فتحمس لاتمام خطته في الفتح

## انتصار عـلي بن غانية على الجزائر

مكث علي بن غانية اسبوعا واحدا ببجاية ريثما اقام بها تنظيمات حكومته الجديدة فاستخلف عليها اخاه يحيى وقدم للخطبة بها العلامة ابا محمد عبد الحق الاشبيلي ثم خرج لشأنه فدحر الموحدين بسهول متيجة واستولى على مدينة الجزائر وموزاية والمدية واشير ومليانة ومازونة وتلمسان ووهران وامتلك قلعة بني حماد، وولى على جميعها اقاربه وبني عمه ثم توجه الى قسنطينة فاطال حصارها ولم يقو على فتحها

## حملة يعقوب المنصور

ما كادت تنتهي اخبار حوادث ابن غانية وهجوماته على الجزائر الى آذان الخليفة يعقوب المنصور وهو منصرف عن الاندلس حتى بادر بالاجهاز على العدو والقضاء على الثوار من اتباعه، فنظم حملة عنيفة ضد الخصم وجعل قيادة الجيوش فيها لابن عمه السيد ابي زيد بن عمر بن عبد المؤمن ، واسند قيادة الاسطول لابى محمد بن جامع ؛ فنزلت الكتائب اولا مدينة الجزائر وفيها علمت من طرف مشيختها بعزم الميورقى على نقل سكان بجاية من الموحدين وحملهم معه الى ميورقة !...

بادر الموحدون على جناح السرعة الى بجاية فدخلوها فى صفر ٥٨١هـ (ماي ١١٨٥م ) فاستولوا على اسطول ابن غانية الموجود بمرفاها ، وادرك يحيى بن غانية انه لا قبل له بمقاومة الموحدين فخرج مع اخيه عبد الله ومن كان معه من اشياع المرابطين فالتحقوا بعلي بن غانية وهو يومئذ محاصر لمدينة قسنطينة ، فادركهم الموحدون هنالك فطاردوهم بها واجلوهم عن الوطن الجزائرى كله وساروا خلفهم الى الصحراء، ثم كان ظهور بني بن غانية بعد ذلك في ولاية تونس فاحدثوا بها قلاقل واستولوا على بعض الجهات منها . وتوفى علي بارض نفزاوة من ناحية الجريد سنة ٥٨٤هـ ( ١١٨٨م ) فقام بعده اخوه يحيى

## قيام يحيى بن غانية

لقد كانت نهضة يحيى هذه سنة ٥٩٧هـ ( ١٢٠٠م ) اى بعد ان مضى على وفاة اخيه علي ثلاث عشرة سنة ، فظهر يحيى بمظهر القوة والباس واعانه في ذلك بنو هلال وسليم فزحف على القطر الجزائرى ، فقاومه والي بجاية ابو الحسن بنواحي قسنطينة فارتحل يحيى الى ارجاء الصحراء فاحتل بسكرة ونكل باهلها وسجن عاملها ، واستولى على تبسة وبونة — عنابة — ثم اعاد حصار قسنطينة فاجلاه عنها الموحدون ، فارتحل يومئذ الى بجاية .

ودخلت السنة الثانية من يوم اعلان هذه الحرب ؛ فخرج الخليفة محمد الناصر بن يعقوب بنفسه وجاء من حاضرته مراكش فنزل بمدينة الجزائر آخذا في اعداد الجيش والاسطول لشن الغارة على مواطن ابن غانية بالجزائر الشرقية — البليار — انتقاما منه واشغالا له عن المغرب ، وفى تلك الاثناء احتل يحيى مدينة بجاية سنة ٥٩٩هـ ( ١٢٠٢م ) وبسط عليها نفوذه سنتين

ويومئذ عمل الخليفة الناصر على استرجاع مدينة بجاية وانتزاعها من يد يحيى فاحتلها الموحدون سنة ٦٠١هـ ( ١٢٠٤م ) ثم الحقها الخليفة بولاية تونس يوم ١٠ شوال ٦٠٣هـ ( ١٠ ماى ١٢٠٧م) وجعل على راس هذه الولاية ابا محمد عبد الواحد بن أبي حفص جد الاسرة الحفصية المتملكة بتونس

وحينما كان الخليفة منصرفا الى المغرب الاقصى منسلخ شهر ربيع الاول سنة ٦٠٤هـ ( اكتوبر ١٢٠٧ ) اعترضه يحيى بن غانية في جيش عظيم فيه من العرب والبربر ؛ فكانت بينهما مقتلة عظيمة بسهل شلف انهزم فيها يحيى شر هزيمة ، وعادت البلاد الى طاعة الموحدين ، وفتر ذكر ابن غانية حينا من الدهر ، فبقى يعمل مختفيا على استرجاع قواه حتى اشتد ساعده فاظهر شوكته بنواحي تيهرت وحمل على قوات الموحدين الموزعة هناك ، فقضى على الحامية واحتل تيهرت ودمرها سنة ٦٠٦هـ ( ١٢٠٩م ) وقتل عاملها يومئذ ابا عمران موسى بن محمد حفيد عبد المؤمن ، فكان ذلك آخر العهد بعمران تيهرت القديمة

ثم نهض ابن ابى حفص عامل افريقية سنة ٦١٨هـ ( ١٢٢١م ) فقضى على حركة ابن غانية هذه وكسر من شوكته ففت في عضد يحيى وخمل ذكره فالتحق يومئذ بارض الزاب وبقى هنالك مشردا يتنقل فى القرى والمداشر ، ثم اجلى عن تلك البلاد سنة ٦٢٢هـ ( ١٢٢٥م) فخرج فى جماعته قاصدا مدينة الجزائر فلقيه بمتيجة منديل بن عبد الرحمن المغراوى قافلا بجنوده من وانشريس والمدية بعدما اخضعهما ؛ فانتشبت بينهما الحرب فقتل منديل صبرا وجاء به

يحيى الى مدينة الجزائر فنصب جثته على باب المدينة مصلوبة ومكث يحيى بالجزائر مثيرا لنقم الفتن فى اعمالها الى سنة ٦٢٥هـ ( ١٢٢٨م ) حيث تجرد لقتاله ابو زكريا الحفصي فاصلت عليه السيف وطارده حيثما كان فبقي يحيى مشردا في البلاد مهزوم القوى مضعضع الدعائم الى ان ادركه حمامه بوادى شلف وقيل بالزاب سنة ٦٣١هـ ( ١٢٣٣م ) وقيل بعد ذلك بسنتين ؟ وبموته انقرض ملك لمتونة وانتهت الاضطرابات السياسية بالجزائر ، وكان ممن شارك فى مقاومة حملات بنى غانية من القبائل الجزائرية قبيلة زناتة الشهيرة الذكر ، وما اعقبت حركة بنى غانية هذه الا وبالا وخسرانا في النفوس والاموال ، وما كانت على مثيرها الا حسرات اذ لم يجن منها احد شيئا الا الخراب والتدمير ففيها كان خراب تيهرت ومتيجة وشلف والقلعة وحمزة ومرسى الدجاج وغيرها من المدن والقرى الجزائرية ولم ينج من ذلك الا مدينة قسنطينه لما منحتها الطبيعة من حصانة ومناعة ، وقد كاد النصر ان يكون فى جانب بني غانية لولا ان الموحدين احكموا سياستهم القبلية فعرفوا كيف يتمكنون من ناصية العرب والبربر جميعا فكانت لهم بذلك الغلبة على بنى بن غانية

## تأسيس مدينة مازونة

كان اختطاط هذه المدينة بعمالة وهران سنة ٥٦٥هـ ( ١١٧٠م ) على يد ابي منديل عبد الرحمن المغراوى اشهر زعماء قبيلة مغراوة التي هى احدى فصائل القبيلة الجزائرية الكبرى زناتة ؛ ولقد اشتهرت هذه المدينة بحسن الموقع وجماله وعذوبة الماء وطيب التربة وخصوبة المكان وانتشار العمران

## انشقاق بني عبد الواد واستبدادهم بملك تلمسان

كان قبيل بني عبد الواد المقيم يومئذ فى مواطنه باحواز تلمسان من اخلص القبائل الموالية لدولة الموحدين واوفاها ذمة لهم ، فمنحهم الموحدون واثابوهم على موقفهم هذا باقطاعهم بلاد بنى وامانو وبنى يلومى بتلك النواحى التلمسانية ، ثم عقد الخليفة ابو العلاء ادريس بن المأمون لابي محمد جابر بن يوسف شيخ بني الواد على تلمسان سنة ٦٢٧هـ ( ١٢٣٠م ) وقدكان امر هذه الولاية من قبل الى صنهاجة ، فاستبد يومئذ ابو محمد بهذه الولاية ونازع بني عبد المؤمن في الملك عليها واورثها بنيه من بعده واستمر الحكم في اعقابه الى سنة ٦٣٣هـ ( ١١٣٥م ) حيث تسلط بنو عبد الواد على هذه الامارة بالقوة وقطعوا عنها دعوة الموحدين واسسوا بها ملكهم وديارهم ، وتعددت الوقائع والحروب بينهم وبين الموحدين وكان النصر فيها سجالا . . . .

## استبداد الحفصيين بولاية بجاية

كنا المعنافيما سبق الى الحاق الدولة لمقاطعة بجاية باعمال تونس واسنادها الى ابي محمد عبد الواحد بن ابي حفص سنة ٦٠٣هـ ( ١٢٠٧م ) ، فلما توفى خلفه ابنه عبدالله ثم ابو زكريا يحيى بن عبد الواحد الى سنة ٦٢٧هـ ( ١٢٢٩م)فاظهرهذا نقض بيعة الموحدين واعلن استقلاله بهذه الامارة ، وحينئذ اقتطع عنه الخليفة اعمال بجاية فعزله عنها،وجعل عليها ابا عمران موسى بن محمد بن يعقوب المنصور فحقد ابو زكريا لذلك واعلن الحرب في وجه الموحدين وجاءالى الجزائر غازياسنة ٦٢٨هـ(١٢٣٠م) ففتح بجاية وقسنطينة واقام بتونس والجزائر يومئذ دعوةالحفصيين

وتحقق بنو مرين يومئذ من ضعف دولة الموحدين باضطراب حبل المملكة وخروج اعمال تلمسان وبجاية وقسنطينة وتونس عنهم ، فاهتبلوها فرصة واستبدوا هم كذلك بمواطنهم فى بوادى المغرب الاقصى ، ويومئذ خشى

الموحدون من تدهور دولتهم وسقوطها بيد هؤلاء المنافسين والمزاحمين فاستنجد الخليفة ابو دبوس بامير تلمسان يغمراسن لينصره على بني مرين ، فشن يغمراسن غاراته على بلاد المغرب الاقصى ونواحي ملوية ، وبعث ببيعته وميثاقه لابي دبوس في ذي القعدة سنة ٦٦٥هـ [ مـاي ١٢٦٧م ] ثم كانت هنالك ملحمة وادي تلاغ المشهورة - قرب وادي ملوية - فانهزم فيها يغمراسن يوم ١٢ جمادى الثانية ٦٦٦هـ [ ٢٨ فيفري ١٢٦٨م ] ورجع الى حضرته مدحورا .

## حركات الاسطول

لقد امتازت دولة الموحدين عن سواهـا من دول المغرب والمشرق يومئذ بقوتها البحرية وكثرة اساطيلها المتنوعة الاشكال، ففيها من الطرائد والمسطحات والشواني والحراريق والزوارق والمراكب شيء كثير، بلغت ايام عبد المؤمن الى اربعمائة قطعة حربية ، منها مائة قطعة كانت مرابطة بمرسى وهران وهنين ولقد كانت السفينة الواحدة منها تحمل بضعة آلاف من الرجـال ، ولم يكن في السفن يومئذ ذات الطبقتين غير سفن هذا البحر ، فهي اكبر من سفن المحيط ، وكلها كانت تصنع بدور الصناعة المنتشرة بكامل عواصم المغرب البحرية ؛ فكان منهـا بالجزائر ثلاث : في وهران وهنين وبونة - عنابة - وبهـذه الاساطيل افتتح الموحدون كثيرا من السواحل وتغلبوا على براعة النورمان ، وحاربوا في وقائع بحرية شهيرة بالاندلس وغيرها ، فهددوا كثيرا من سواحل اوروبا واستولوا عليها ، فكانت بذلك دولة الموحدين من اقوى دول العالم البحرية وافخمها ، وقد حازت بذلك شهرة عظيمة ، قال ابن خلدون : ولما استفحلت دولة الموحدين في المائة السادسة وملكوا العدوتين اقاموا خطة هذا الاسطول على اتم ما عرف واعظم ما عهد وكان قائد اسطولهم احمد الصقلي اصله من « صدغيار » المواطنين بجزيرة جربة من سدويكش . . . . . اجاز الى مراكش فتلقـاه الخليفة يوسف بن عبد المؤمن بالمبرة والكرامة واجزل له الصلة وقلده امر اساطيله فجلى في

جهاد امم النصرانية ، وكانت له آثار واخبار ومقامات مذكورة فى دولة الموحدين واتهت اساطيل المسلمين على عهده في الكثرة والاستجادة الى ما لم تبلغه من قبل ولا بعد فيما عهدناه [١]

وكان لشهرة اسطول الموحدين وسيادته على البحار ان استنجد به بطل الاسلام السلطان صلاح الدين الايوبى فى حروبه الصليبية كما تنص عليه رسالته الى الامير يعقوب المنصور المؤرخة بيوم ٢٨ شعبان سنة ٥٨٦ هـ ( فاتح اكتوبر ١١٩٠م )،ولئن تخلف المنصور عن نجدة صلاح الدين وامتنع من نصرته يومئذ فانما كان ذلك اقتصاصا من الامير الايوبي حيث ترك خليفته« قاره‌قوش الغزى» يقف ضد الموحدين ايام ثورة بنى‌بن‌غانية فكان صلاح الدين لذلك يعتبر فى نظر سياسة الموحدين عدوا تجب مقاطعته ، على ان اسطول الموحدين يومئذ لم يكن عاطلا بطالا ، بل كان يعمل هو بدوره كذلك على محاربة الصليبين بالاندلس الذين كانوا اشد على المسلمين بالمغرب من الصليبيين بالمشرق ، كما ان له فضلا كبيرا فى منع الصليبيين هنا من اتصالهم ببلاد الشام ، مع اشتغاله برد هجمات ابن غانية عن المغرب ، ويقول م. بونى مورى في كتابه « الاسلام والنصرانية فى افريقية » ان تخلف المغاربة عن النجدة كان بسبب علاقاتهم التجارية مع اوروبا ، ولم يكونوا يطالبونهم بممالك وبلدان كما كانوا يطالبون مسلمي الشرق ويتقاضونهم ان يتخلوا لهم عن بيت المقدس . ويروى مع ذلك ان خليفة الموحدين بعث بثمانين ومائة قطعة حربية الى صلاح الدين ؟...

## معاملة اهل الكتاب

لقد بلغ من شدة تعصب دولة الموحدين للاسلام والدفاع عن حوزته ان اصدرت الحكومة امرها لجميع من يوجد بالمغرب الاسلامي من اهل الكتاب ان‌يختار اى الحلين شاء : الاسلام او الجلاء ؛ فكان ذلك سببا في اسلام كثير من

(١) مقدمة ابن خلدون ص ١٢٤ ط بولاق ١٢٧٤هـ

اليهود والنصارى او استسلامهم بالمغرب ومنهم من هاجر البلاد وخرج عنها الى اوروبا .

وللموحدين في ذلك اسوة حسنة بسنة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى اجلاء اهل الكتاب عن الجزيرة العربية وتعويضهم عن قيمة ما كان لهم من الثمر مالا وابلا وعروضا ؛ عملا بقوله صلى الله عليه وسلم عند موته : اخرجوا اليهود والنصارى من جزيرة العرب ؛ والى هذا ذهبت طائفة من كبار علماء الاسلام كمحمد بن جرير الطبرى وغيره حيث قالوا : ان الكفار لا يقرون في بلاد المسلمين بالجزية الا اذا كان المسلمون محتاجين اليهم . فاذا استغنوا عنهم اجلوهم كاهل خيبر حيث قال لهم الرسول فى اول الامر : نقركم فيها ما شئنا ثم اجلاهم .

وفي علماء الاجتماع اليوم من الاروبيين من يؤيد هذه النظرية السياسية ويرى رأى الاسلام فيها ؛ آتيا بحجج ودلائل اجتماعية صائبة ، فيقول الدكتور كوستاف لوبون فى كتابه « سر تطور الامم » : لقد كان للامم الغابرة الهام صادق في نفورهم من الاجنبى لانهم كانوا يعلمون ان قيمة الامة بالوطنيين من اهلها لا بعدد سكانها . وقال ايضا : ان وجود الاجانب وان قلوا كاف لتغيير روح الامة لانه يفقدها القدرة على الدفاع عن خلقها النوعى وعن آثار تاريخها وما صنع آباؤها الاولون ،

واخيرا اى في سنة ٦٢٤هـ – ١٢٢٦م أذن للنصارى باقامة شعائرهم وطقوسهم الدينية واتخاذ الكنائس والمعابد لهم ، وكان اشهر المذاهب المسيحية يومئذ بهذه البلاد المذهب الدومينيكي والمذهب الفرانسيسكي :

## المذاهب والعقائد

كان الناس على عهد المرابطين لا يعرفون في عقائدهم سوى عقيدة السلف بما فيها من تفويض وتسليم ؛ وفي عباداتهم ومعاملاتهم مقلدون لمذهب مالك لايبغون عنه بديلا . ولما عاد ابن تومرت من المشرق جاء معه بافكار وعقائد جديدة في اصول الدين والتشريع ، كما جاءهم ايضا بفكرة المهدى الشيعية ، فحملهم فى العقائد على مذهب الاشاعرة المرتكز على التأويل والتوسط بين مذهب المعتزلة – اهل النفى – ومذهب المثبتين – كاهل التجسيم – ونشر بينهم مباحث علم الكلام التى كانت محرمة عليهم فقربهم منها بل اوجبها عليهم فرسخت يومئذ عقيدة الاشاعرة بالمغرب بعد ان لم يكن ليجرؤ على الخوض فيها احد .

ودان الناس كذلك بمذهب الشيعة فى قولهم بعصمة الامام وانتشرت بينهم فكرة القول بالامام المهدي فاتخذوا ذلك عقيدة متبعة بقيت آثارها عند العامة الى اليوم ، فاسمع الى قول احد شعراء مدينة الجزائر من قصيدة انشدها بنفسه على قبر ابن تومرت حين وفادته على ابى يعقوب المنصور ، فقال ،

| | |
|---|---|
| سلام على قبر الامام الممجد | سلالة خير العالمين محمد |
| ومشبهه فى خلقه ثم في اسمه | وفي اسم ابيه والقضاء المسدد |
| ومحيي علوم الدين بعد مماتها | ومظهر اسرار الكتاب المسدد |
| اتتنا به البشرى بأن يملأ الدنا | بقسط وعدل فى الانام مخلد |
| ويفتتح الامصار شرقا ومغربا | ويملك عربا من مغير ومنجد |
| فمن وصفه اقنى واجلى وانه | علاماته خمس تبين لمهتدى |
| زمان واسم والمكان ونسبة | وفعل له فى عصمة وتأيد |
| ويلبث سبعا او فتسعا يعيشها | كذا جاء في نص من النقل مسند |
| فقد عاش تسعا مثل قول نبينا | فذلكم المهدى بالله يهتدى |

الخ . . . . وهي قصيدة طويلة ، يقال ان صاحبها نظمها ايام عبد المؤمن وكان شيخا مسنا فتعذر عليه السفر من الجزائر الى مراكش - او تينملل - حيث مدفن ابن تومرت - فبعث بها الى من انشدها بالنيابة على قبر ابن تومرت[١]

واخذهم فى الفقه بطريقة السلف من غير انتساب الى مذهب او امام ، فكانت الحكومة تنزع الى الاجتهاد المطلق واخذ الاحكام الشرعية من الكتاب والسنة راسا معرضة عن النظر في كتب الفقه الفرعية بل اعلنت برفضها خلافا لما كان عليه المرابطون من التقليد والتوسع فى الفروع ، وانتظمت لذلك لجنة من اعيان علماء الموحدين همها تجريد آيات الاحكام والاحاديث الصحيحة في ذلك ، فاخرجت للناس مجموعة من الاحكام مستدلا عليها بالقرءان والحديث ونشرتها الحكومة في انحاء المملكة ملزمة الناس العمل بها واحراق ما دونها من كتب الفروع ، وشددت العقاب على من يخالفها ؛ وكان ابو يوسف يعقوب المنصور يبالغ في اكرام حفاظ هذا المجموع فيقربهم منه ويجزل لهم العطاء والمنح ووضع لهم المهدى نفسه موطأ كموطأ مالك وكتب لهم فى ذلك مجاميع طبع بعضها في الجزائر ، ولقد صبر ابن تومرت على ما لقى من المعارضة والاذى في ذلك حتى نجح فى النهاية وانتصر على فريق المعارضة بما اوتيه من سعة العارضة وقوة الحجة والبيان ، وكان مما استعمله مع العامة من الاساليب فى ذلك ان سهل عليهم ادراك مقاصد الشريعة بما كتبه لهم من التاليف بلسانهم الشعبى ، وكثيرا ما كانت الخطب الجمعية تلقى من اعلى منابر الجوامع بلغة القوم الشلحية في الحث على الوقوف عند نصوص الكتاب والسنة حتى كاد القوم ان يكونوا « ظاهرية » وقد درج الناس على هذا وتناسوا ما كان يدور بينهم سوى ذلك من كتب الفروع الاخرى .

ومما يروى فى ذلك ان الحافظ ابا بكر بن الجد دخل لاول مرة على الامير

---

[١] انظر المعجب ص ١٣٥

ابي يوسف فوجد بين يديه كتاب ابن يونس ، قال : فقال لي الامير يا ابا بكر انـا انظر في هذه الاراء المتشعبة التي احدثت في دين الله !... أرايت يا ابا بكر المسألة فيها اربعة اقوال او خمسة اقوال او اكثر من هـذا في اي هـذه الاقـوال هو الحق ؟! .. وايها يجب ان يأخذ به المقلد ؟!... قـال فـافتتحت ابين له مـا اشكل عليه من ذالك ، فقال لي وقطع كلامي : يا ابا بكر ليس الا هـذا ، واشـار الى المصحف ، او هذا واشار الى كـتـاب سنن ابى داود وكان عـن يمينه ، او السيف . وكان كـذلك من مآثر هذه الدولة التى رسمتها في المحـافظة عـلى القرءان ، قراءة الحزب في المساجد كما هى العادة المتبعة الى اليوم .

ولعمرى انه قد استفاد الفقه الاسلامى كثيرا بهـذه الحركـة الاجتهادية والنزعة الاستقلالية ، فقد ظهر بذلك الحفاظ والمؤلفون فى السنة وانتصر المذهب الظاهرى على غيره يومئذ بالمغرب بعد ان خفت صوته .

وقد استمر الامر على هذا المهيع الى عهد الخليفة ادريس المامون بن المنصور فانه سعى الى توطيد دعائم ملكه وسلطانه من طريق القضاء عـلى نزعة اسلافه الموحدين فى العقائد والتشريع وعمل على رفض تعاليم المهدى ولعنهـا والرجوع بالناس الى مذهب الامام مالك استعطافا للرعية الناقمة عليه ؛ ولم يلبث ان فاجأه ابو زكـريا الحفصى بتونس بخلع طاعته واستبداده بالامر.

ومع ذلك فانه كان لحرية القول عندهم مجال واسع: فلم يكن هناك احد من الناس يؤاخذه السلطان على راى له يبديه في مطاعن الدولة او خلفائها ما عدا العقيدة والتفقه في الدين .

## الثقافة والحضارة والعمران

لا نريد ان نطيل فى وصف الناحية العلمية والثقافية بهذا العصر فان ذلك من ابرز ما اشتهر به عصر الموحدين .

لقد سأل معاوية بن ابى سفيان يوما الاحنف بن قيس ؛ فقال له يا ابا يحيى كيف

الزمان ؟... قال : الزمان انت يا امير المؤمنين ، ان صلحت صلح ، وان فسدت فسد ، وكذلك نحن نقول هنا في تاريخ هذه الدولة الثقافي، ذلك اننا اذا نظرنا الى نشاط ملوك هذه الدولة وما كانوا عليه من التضلع والتعمق في فنون العلم والادب والحكمة والفلسفة ادركنا حياة الشعب العلمية وما بلغه المغرب العربي يومئذ من العرفان والتقدم ، اذ كل من ابن تومرت وعبد المؤمن وابي يعقوب المنصور وابنائهما ممن تملك او ترأس هذه الحكومة ، كان كوكبا لامعا ونبراسا ساطعا في العلم ، ولو اخذت في محادثتك ايها القارىء الكريم عن سيرة واحد من هؤلاء لامتلكك العجب ، ويكفي ان نقص عليك خبر لقاء او اجتماع دعي اليه الحكيم الفيلسوف ابو الوليد بن رشد بمحضر الخليفة ابي يعقوب المنصور قبل ما حدث له من التطور الفكري الذي حبب له التصوف والزهد، فبه تعلم وجه ما نقول .

قال ابن رشد : فلما دخلت على امير المؤمنين ابي يعقوب وجدته هو وابا بكر بن الطفيل ، فاخذ ابو بكر يثني علي ويذكر بيتي وسلفي ويضم بفضله الى ذلك اشياء لم يبلغها قدري ، فكان اول ما فاتحني به امير المؤمنين بعد ان سألني عن اسمي واسم أبي ونسبي ان قال لي : ما رايهم – يعني الفلاسفة – في السماء ؟ أقديمة ام حادثة ؟... فادركني الحياء والخوف فاخذت اتعلل وانكر اشتغالي بالفلسفة ، ولم اكن ادري ما قرر معه ابن الطفيل ، ففهم امير المؤمنين مني الروع والحياء ، فالتفت الى ابن الطفيل وجعل يتكلم على المسألة التي سالني عنها ويذكر ما قاله ارسطو وافلاطون وجميع الفلاسفة ، ويورد مع ذلك احتجاج اهل الاسلام عليهم فرايت منه غزارة حفظ لم اظنها في احد من المشتغلين في هذا الشأن المتفرغين له .... ويؤثر عن هذا الخليفة انه كان اعلم الناس بآداب العرب ولغتهم مستظهرا لجملة من الفقه حافظا لاحد الصحيحين .

والى هذا الخليفة الموحدي يرجع الفضل في نشر فلسفة ارسطو على الناس

وشرحها شرحا وافيا بعد ان كانت غامضة مندثرة ، اذ هو الذى وجه اليها الحكيم ابن رشد وبعث فيه روح النشاط للعمل بواسطة ابن الطفيل فاخرجها للناس تحفة فنية لامعة واضحة . وذلك ما يدلنا على انتشار روح الثقافة ونفاق سوق العلم والعلماء بالمغرب

ولا غرو فان المؤرخين اجمعوا على عناية هذه الدولة بشأن التعليم وانه كان بانواعه : الابتدائي والثانوى والعالي منتشرا في انحاء المملكة وكان اجباريا فى حين ان اوروبا لم تكن لتفكر فى التعليم الاجبارى الا منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر الميلادى ، والتعليم عندهم كان يشمل الذكران والاناث وفيه من التعاليم الرياضية والحربية ما يشبه النظم العصرية بالمدارس الحكومية الرسمية اليوم

وجميع اصناف الصناعات والفنون والاعمال الهندسية والميكانيكية كانت معروفة لذلك العهد منتشرة رائجة ؛ فلقد كان بالمدينة الواحدة من انواع الحرف والصناعات ما يفوق الحصر ، ولناخذ في ذلك مثالا مدينة فاس ، فانه كان بها [ ٣٠٦٤ ] معملا للنسج و [ ٤٠٠ ] حجر للكاغد في حين انه لم يكن مستعملا ولا معروفا فى العالم اجمع - ما عدا الصين - و [ ١٨٨ ] دارا لعمل الفخار و [ ١١٦ ] دارا للصباغة و [ ٨٦ ] للدبغ و [ ٤٧ ] لصناعة الصابون ؛ و [ داران ] للسكة ، واحدة فى كل عدوة و [ ١٢ ] معملا لسبك الحديد والنحاس و [ ١١ ] مصنعا للزجاج و [ ١٣٥ ] فرنا للجير الخ. وكل هذه المعامل كانت خارج المدينة ، ولما اراد عبدالمؤمن تفخيم مصحف عثمان [ض] جمع له الصناع والمتفننين ممن كان بحضرته وسائر بلاده القريبة والقصية من بلاد المغرب والاندلس ، فاجتمع لديه حذاق كل صناعة ومهرة كل طائفة من المهندسين والصواغين والنظامين والحلائين والنقاشين والمرصعين والبنائين ، ولم يبق ممن يوصف ببراعة اوينسب الى الحذق فى صناعة الاحضر (١) ويكفيك في الاستدلال

---

(١) راجع المعجب وكتاب المنونى طبع تيطوان ١٩٥٠م

على نهضة الصناعات في المغرب بهذا العصر ، تلك المقصورة الميكانيكية العجيبة التى كانت بجامع المنصور في عاصمة المملكة مراكش ، فقد وضعت على حركات هندسية محكمة غريبة ترفع بها لخروجه وتخفض لدخوله (١)

واذا نظرنا الى مخلفات هذه الدولة وآثارها المعمارية وجدناها شاملة لكل انواع العمارة فهي ما بين منشآت عمومية ؛ كالمساجد والمعاهد العلمية والمدارس والقناطر والمارستانات والثغور ، وخصوصية كالقصور والحصون والمنازل واغلبها كان باقصى المغرب والاندلس ، اما فى الجزائر فانا لا نعلم عنها الا قصر «المشور» المنشأ بتلمسان سنة ٥٤٠ هـ — ١١٤٥م وتجديد بلدة « تاجرة » — مسقط رأس عبد المؤمن ـ وبناء المسجد الجامع بندرومة وتأسيس مدينة البطحاء المعروفة ايضا باسم « السدرة » فى نواحى شلف بالشمال الشرقي من غليزان سنة ٥٥٥هـ — ١١٦٠م وهى منعدمة اليوم ، وسور تلمسان الذى كان الشروع في انشائه سنة ٥٦٦هـ — ١١٧٠م على يد السيد موسى بن يوسف بن عبد المؤمن وانهاؤه كان حدود سنة ٥٨١هـ — ١١٨٥م على يد ابي الحسن بن السيد ابي حفص بن عبد المؤمن ، وتجديد الرياض الرفيع والرياض البديع بمدينة بجاية على عهد واليها سليمان حفيد عبد المؤمن ، فاسمع الى شاعر الجزائر فى هذا العصر ابي علي الحسن بن الفكون القسنطيني كيف يصف لنا مدينة الناصرية — بجاية — فيقول

| | |
|---|---|
| دع العراق وبغداد وشامها | « فالناصرية » ما ان مثلها بلد |
| بر وبحر وموج للعيون به | مسارح بان عنها الهم والنكد |
| حيث الهوى والهواء الطلق مجتمع | حيث الغنى والمنى والعيشة الرغد |
| والنهر كالصل والجنات مشرفة | والنهر والبحر كالمرآة وهو يد |
| فحيثما نظرت راقت وكل نوا | حي الدار للفكر والابصار تتقد |
| ان تنظر البر فالازهار يانعة | او تنظر البحر فالامواج تطرد |

(١) انظر شرح مقصورة حازم ج ١ ص ٧١ طبع مصر ١٣٤٤

يا طالبا وصفها ان كنت ذا نصف　　قل جنة الخلد فيها الاهل والولد

ويمتاز فن العمارة الاسلامى على عهد الموحدين بالضخامة والاناقة والاتزان الهندسى مع البساطة .

ومن مبتكرات هذه الدولة بالمغرب ضبط مساحة المملكة وتكسيرها على الفراسخ والاميال واجراء عملية الاحصاء العام لسكان المملكة . وتحديد المناطق الصالحة للفلاحة ونقل المزارعين اليها ، وعلى وفق هذا النظام كان وضع الخراج وتقديره حسب مساحة البلاد ؛ كما ان افتتاح الرسائل والمناشير والرسوم بالحمدلة بدل البسملة هو ايضا من آثارها

واما النشاط الاقتصادى فانه عدا ما كانت تنتجه بلاد المغرب يومئذ وتصدره للخارج من الحبوب والصوف والحرير والشمع والورق – الكاغد –

فاننا نجد لدولة الموحدين علاقات اقتصادية مع الاجانب من دول اوروبا كفرانسا وايطاليا حيث عقدت معهم معاهدات تجارية فى سنة ٥٢٨هـ – ١١٣٣م و٥٤٨هـ ١١٥٣م و٥٥٥هـ – ١١٦٠م واطلقت لهم الحرية في التجارة ببلادها وهذا من غير زراعة انواع الفواكه والازهار المفتحة اليانعة التي لا يتعدى نفعها البلاد .

## ثراء بلاط الموحدين

لقد بلغت هذه الدولة من الثراء مبلغا قلما بلغته دولة من دول المغرب الاسلامي في التاريخ ، فكانت الاموال تتدفق على الخزينة تدفقا عجيبا حتى كانت الاموال تقدر عندهم بالاحمال والاثقال لا بالعد والاحصاء !... فان خراج افريقية – اى اعمال تونس فقط – بلغ وقر مائة وخمسين بغلا لكل سنة . عدا ولاية الجزائر واعمال تلمسان وبجاية والمغرب الاقصى والاندلس ، اذ لم يكن ليمتنع عليهم منها درهم . وكان لهم من الذخائر والتحف النفيسة ما لم يكن مثله عند غيرهم من ملوك الارض ، ومن ذلك ما اشتهر لديهم من حجر الياقوت المسمى عندهم بالحافر – وذلك لبلوغه مقدار حجم حافر الفرس – وقد جعلوه فيما

كللوا به مصحف عثمان بن عفان رضى الله تعالى عنه ، يقول عبد الواحد المراكشي في تقدير قيمة هذا الحجر : انه لا قيمة له !.. وبلغ ثمن مبيع غلال بستان عبد المؤمن الخاص خارج مراكش لسنة ٥٤٣هـ [١١٤٨م] ثلاثين الف دينار على رخص الثمار والفواكه يومئذ ؛ وان زيتون بحيرة مكناس فقط كان يباع بما يقدر بخمسة وثلاثين الف دينار في كل سنة الخ ... كما اشتهر ملوك هذه الدولة ايضا بكثرة العطاء والمنح والصدقات ، فلقد اعطى عبد المؤمن للشاعر التيفاشي على بيت واحد انشده اياه من قصيدة الف دينار ، وان ولده يعقوب المنصور اجاز ابن منقذ بكل بيت من قصيدته التى مدحه بها الف دينار ، والقصيدة تحتوى على اربعين بيتا ، ووصل القاضي الصقلي بتسعة عشر الف دينار علاوة على ما منحه اياه من الخلع والمراكب والاقطاعات ، وانفق في غزوة افريقية مائة وعشرين حملا ذهبا ، وتكرم ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن على هلال بن سعد في احدى المرات باثنى عشر الف دينار ، وانفق ولده يعقوب يوم مبايعته بامارة المؤمنين مائة الف دينار ذهبا اخرجها من بيت المال وفرقها على الضعفاء من بيوتات المغرب ، وتصدق قبل خروجه لغزوة الاراك الشهيرة بالاندلس باربعين الف دينار فجعل نصفها في الاقربين والباقي للعامة ، وذبح في يوم عيد الاضحى من سنة ٥٩٤هـ (١١٩٨م) سبعة الاف وثلاثمائة شاة وزعت كلها على الفقراء والجند والامراء ، فكل ذلك يدلنا على رفاهة بلاط دولة الموحدين وسعة ذات اليد

انهيار الجزائر الموحدية

كان مبدأ تدهور الدولة الموحدية وافول نجمها يوم وقعة العقاب بالاندلس سنة ٦٠٩هـ - ١٢١٢م حيث كانت الهزيمة الكبرى على المسلمين ومات فيها من اهل المغرب عدد لا يحصى ، ففنيت القبائل والجيوش بخيلها ورجلها وحماتها واقفرت البلاد ... ثم كانت بعد ذلك بينهم وبين بنى مرين وقعة عام المشغلة سنة

٦١٣هـ - ١٢١٦م فخلت البلاد وقل الخراج وفقدت الانصار فاضطربت الاحوال وتناقضت الاعمال واختلفت الكلمة ، فساءت سمعة الدولة واذنت ايامها بالانصراف واخذ يتقلص ظلها من البوادى والاطراف وانحصر الحكم في المدن والعواصم خاصة .

فمن ذلك بلاد « بنى وامانو » و « بنى يلومى » باحواز تلمسان فانها كانت تحت استبداد بني عبد الواد وطاعتهم حيث اقطعهم اياها اول مرة الموحدون جزاء مؤازرتهم لهم ضد خصمهم الداخلى من القبائل المنشقة ؛ ففى سنة ٦٢٧هـ - ١٢٣٠م عقد الخليفة ابو العلاء ادريس المأمون على ولاية تلمسان لابى محمد جابر بن يوسف شيخ بنى عبد الواد – كما مرت الاشارة الى ذلك – فاستبد بها هذا ونازع بنى عبد المؤمن فيها واورثها بنيه من بعده الى سنة ٦٣٣هـ - ١٢٣٥م ؛ فاستخلصها بنو عبد الواد لانفسهم واستقلوا بها وقطعوا عنها دعوة الموحدين...

كما ان ولاية بجاية كانت مضافة الى اعمال تونس منذ سنة ٦٠٣هـ – ١٢٠٧م حيث ضمها الخليفة ادريس المامون الى ولاية ابى محمد عبد الواحد بن ابى حفص فلما توفى خلفه ابنه عبد الله ثم ابو زكرياء يحيى فاستمر هذا يعمل تحت طاعة الموحدين الى سنة ٦٢٧هـ ( ١٢٣٠م ) اى يوم ان اعلن ادريس المأمون رفض تعاليم المهدي ابن تومرت فانتقض عليه ابو زكرياء الحفصي واستبد بهذه الولاية مدعيا التمسك بمذهب الامام المهدى ؛ ويومئذ انتزع خليفة الموحدين اعمال بجاية عن ابي زكرياء وجعلها لابى عمران بن محمد بن يعقوب المنصور؛ فاعلن ابو زكرياء حينئذ عداوته للموحدين واوقد فى وجوههم الحرب سنة ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م واغار على القطر الجزائري فاستولى على اعمال قسنطينة وبجاية ، ودعا فيهما لنفسه واقام يومئذ دعوة الحفصيين بالجزائر وتونس واعتقل ابا عمران والي بجاية فأوثقه بتونس ؛ وانتهز المنافسون من بنى مرين – خصماء الموحدين باقصى المغرب – هذه الفرصة فاستبدواهم كذلك ببواديهم منذ سنة ٦١٠هـ-١٢١٣م

فبذلك انقسم المغرب يومئذ الى اربع حكومات : حكومة بنى عبد الواد بتلمسان وحكومة الحفصيين بقسنطينة وبجاية وتونس وحكومة بني مرين باقصى المغرب وحكومة الموحدين المحتضرة بمراكش .

واخيرا كان سقوط عرش هذه الدولة بيد المرينيين حيث احتل هؤلاء مراكش فى شهر المحرم سنة ٦٦٨هـ – اوط ١٢٦٩ واستقل الاخران بالجزائر وتونس ، فانقضى يومئذ عهد الموحدين وتقلص ظلهم عن هذا الشمال الافريقى والاندلس بعدما حكموا مدة قرن ونصف ؛ امضوا منها نحو اربع وتسعين سنة بالجزائر .

ومن امعن النظر فى اسباب سقوط دولة الموحدين هذه وجدها ترجع الى نقط جوهرية اربعة : اولها الضعف الحاصل في القيادة العليا بسبب توا كل متاخرى الامراء واهمالهم لشؤون الادارة مع تفويض الامر الى من لا يستحقه كالوزير ابي سعيد بن جامع الذى كان عاجزا عن الاضطلاع بشؤون الحكم فلم يحسن تدبيره ؛ ثانيا اضطراب البلاد وتضعضع الموحدين حكومة وشعبا بسبب ما جرته عليهم ثورة بني غانية الميورقيين من الخسائر الفادحة ؛ ثالثا تنافس الولاة والرؤساء وتزاحمهم على الرئاسة والتسامي على بعضهم بعضا تكبرا وتعنتا ، رابعا هذا الانقسام الخطير الذى انحلت به عرى وحدة المغرب الاسلامي فتعددت به الحكومات والدول . فكل ذلك كان عاملا قويا معوانا على تحطيم ملك الموحدين وانكسار شوكتهم فتقلص ظلهم وانقرضت دولتهم

## ولاة الجزائر وزعماؤها

كان من اشهر الشخصيات الجزائرية عبد السلام بن محمد الكومي الندرومي الذى تولى الوزارة سنة ٥٥٣هـ – ١١٥٨م وكان لشدة قربه واتصاله بالخليفة عبد المؤمن يدعى « المقرب » مات قتيلا سنة ٥٥٧هـ ( ١١٦٢م ) ومن كتاب الدولة الجزائريين يومئذ ابو القاسم عبد الرحمن القالمي البجائي ، استكتبه عبد المؤمن بعد فتح بجاية ، وابو الفضل جعفر بن احمد المعروف بابن محشرة البجائي

كان كاتبا لابي يعقوب المنصور ، ومن القضاة على بن عيسى قاضي بجاية ثم بتلمسان وتولى اخوه طلحة كذلك على قضاء تلمسان ، ومن ولاة مدينة الجزائر ابو محمد عبد الله بن عبد المؤمن

كانت بلاد الجزائر يومئذ منقسمة الى ولايتين كبيرتين : ولاية بجاية الى حدود عمالة قسنطينة ، وولاية تلمسان الممتدة من وادى ملوية غربا الى نهر مينة شرقا ، واما ارض الزاب او الجنوب الجزائرى فانه كان ملحقا في الغالب بولاية تونس ، ولما فتح عبد المؤمن اعمال بجاية ولى عليها طلبة الموحدين الى سنة ٥٤٩هـ ( ١١٥٤م ) فاخذ في تولية ابنائه عليها ، ومنهم ابو محمد عبد الله ، الذى استوزر ابا سعيد يخلف بن الحسين ، واستكتب ابا العباس بن مضاء وفى سنة ٥٦١هـ — ١١٦٥م عين الخليفة ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن اخاه ابا زكرياء على ولاية بجاية وجعل له تفقد امر افريقية والنظر في مظالمها ايضا فقمع به المناوئين والمحاربين ، ثم تولى بعده اخوه ابو موسى عيسى سنة ٥٧٦هـ ( ١١٨٠م )، ثم ابو الربيع سليمان بن عبدالله بن عبد المؤمن الى استيلاء بنى ابن غانية الميورقيين عليها سنة ٥٨٠هـ — ١١٨٤م فانتقل منها حينئذ الى ولاية تلمسان ، ثم نزل ابو زيد بن عمر بن عبد المؤمن على بجاية فاطرد منها بنى بن غانية واعادها الى الموحدين ، ثم استقدمه عمه المنصور الى حضرته وولى مكانه اخاه السيد ابا عبدالله بن عمر ، وفى سنة ٥٨٤هـ ( ١١٨٨م ) عقد المنصور لاخيه ابى الحسن على بجاية فاقام بها الى ولاية الناصر فعزله عنها وولى مكانه ابن يغمور ، ثم عزل هذا بيحيى بن الاطلس التينمللى ، وكان ممن تولى عمل بجاية ايضا عبد الواحد بن منصور ومحمد بن ابى سعيد الجنفسى — بكسر الجيم والسين بينهما نون ساكنة — و آخر من تولى اعمال بجاية للموحدين السيد ابو عمران بن محمد بن يعقوب المنصور ، ولاه عليها الخليفة ادريس المامون سنة ٦٢٧هـ — ١٢٢٩م فمكث بها سنة واحدة ثم وقعت بيد الحفصيين فذهبوا به

الى تونس اسيرا

واول من تولى ولاية تلمسان سليمان بن محمد بن وانودين الهنتاتي ، وقيل عمه يوسف ؛ وتولاها ايضا ابو حفص عمر بن عبد المؤمن فاتخذ لوزارته محمد بن عبد الحق بن وانودين ؛ واستكتب ابا الحسن عبد المالك بن عياش ، وبقى ابو حفص على ولايته بتلمسان الى سنة الاخماس سنة ٥٥٥هـ – ١١٦٠م فاستقدمه والده الى حضرته وولى مكانه ابا عمران موسى بن عبد المؤمن ، وتولاها ايضا السيد ابو الحسن علي بن عمر بن عبد المؤمن ؛ ثم جعلت بعد انتقاله منها الى بجاية الى حفيد عبد المؤمن السيد ابى الربيع بن عبد الله ، وكانت وفاته هو وابو الحسن المتقدم فى سنة واحدة اى ٦٠٤هـ – ١٢٠٧م فولى الناصر يومئذ ابا عمران موسى بن يوسف بن عبد المؤمن فقتل فى حرب بنى بن غانية على حصار تيهرت ، فخلفه يومئذ ابو زيد بن يوجان ثم عزله المنتصر بابى سعيد بن المنصور .

ولما تولى ادريس المأمون الخلافة جعل ولاية تلمسان لاخيه ابى سعيد فاغراه عامله الحسن بن حبوس الكومى بقبيل بني عبد الواد ؛ فقبض على مشيختهم سنة ٦٢٤هـ – ١٢٢٦م فجاء ابن علان زعيم الجيش اللمتونى المقيم بتلمسان شفيعا لدى ابي سعيد فى اطلاق وثاق هؤلاء فرفض شفاعته ، فانقلب ابن علان يومئذ على الموحدين ونهض مع بنى بن غانية فقتل الحسن بن حبوس الكومى واعتقل ابا سعيد وفك اسر مشيخة بني عبد الواد ، ثم تناكر ابناء بن غانية وبنو عبد الواد فتنافروا وقتل ابن علان ودخل بنو عبدالواد تلمسان بدعوة المامون ، فكان على رأس مشيختها – في اواخر القرن السادس الهجرى – ابو محمد عبد الحق بن معاد العبد الوادى ، وكانت له وقائع مشهودة فى نصرة الموحدين ضد بنى مرين ؛ ويومئذ خلصت ولاية تلمسان لهذا القبيل من بنى عبد الواد ، فتولاها منهم جابر بن يوسف سنة ٦٢٧هـ – ١٢٣٠م وخلفه عليها ولده الحسن ، ثم

تخلى عنها لعمه عثمان بن يوسف ثم تولاها ابو عزة زيدان بن زيان مدة ثلاث سنوات الى ان قتل سنة ٦٦٣هـ — ١٢٦٤م وبموته انقطع ذكر الموحدين من هذه الولاية

وكان من ولاة الزاب وريغ ووارجلة وما وراءها من القفار ابو سعيد عثمان المعروف بابن عتو وقاعدته « مقرة » ثم كانت رئاسة هذه النواحى الى مشيخة العرب من رياح والدواودة فاقطعتهم الدولة بلاد الحضنة واختصت منهم ابناء الزعماء والبيوتات بالعواصم الجزائرية وحواضرها الشهيرة مثل المسيلة ونقاوس وطواقة وبسكرة الخ ... واشتهر من رؤساء مطغرة الشيخ خليفة ، واستمرت الرئاسة فى عقبه الى ان بائم حفيده هارون بنى مرين .

# الخلفاء الموحدون

| | تاريخ التولية |
|---|---|
| محمد المهدى بن عبد الله تـومرت | ٥١٥هـ – ١١٢١م |
| عبد المؤمن بن علي | ٥٢٤هـ – ١١٣٠م |
| ابو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن | ٥٥٨هـ – ١١٦٣م |
| يعقوب المنصور بن يوسف | ٥٨٠هـ – ١١٨٤م |
| محمد الناصر بن يعقوب | ٥٩٥هـ – ١١٩٩م |
| يوسف المنتصر بن محمد | ٦١٠هـ – ١٢١٣م |
| عبد الواحد بن يعقوب المنصور | ٦٢٠هـ – ١٢٢٤م |
| عبد الله العادل بن يعقوب المنصوز | ٦٢١هـ – ١٢٢٤م |
| يحيى المعتصم بن الناصر | ٦٢٤هـ – ١٢٢٧م |
| ادريس المامون بن المنصور | ٦٢٧هـ – ١٢٣٠م |
| عبد الواحد الرشيد بن ادريس | ٦٣٠هـ – ١٢٣٢م |

# مشاهير الجزائريين

## القاضي ابو الوليد

## ٥٨٠ هـ ـ ١١٨٤ م

الفقيه المتضلع ابو الوليد يزيد بن ابى الحسن عبد الرحمان قاضي مدينة بسكرة ، هو من آل بقى بن مخلد بن يزيد الامويين القرطبيين ، تفقه المترجم على ابيه وجده ابى القاسم احمد واخذ عن ابن العربى وشريح بن محمد وابى القاسم بن رضا وجماعة ، وحدث عنه ابو القاسم احمد قاضي قضاة المغرب وابو سليمان بن حوط الله وابو يزيد الفزارى وغيرهم ، توفى رحمه الله وهو على قضاء عاصمة الزاب الجزائرى — بسكرة — سنة ٥٨٠هـ — ١١٨٤م

---

## ابو عمران الاشيري

## ٥٨٩هـ ـ ١١٩٣ م

الراوية الامام الحافظ موسى بن الحجاج بن ابى بكر الاشيرى — نسبة الى مدينة آشير حاضرة صنهاجة بالجزائر ؛ سكن المترجم مدينة تدلس — دلس — من اعمال الجزائر ومنها خرج فى طلب العلم الى الاندلس فدخل اشبيلية سنة ٥٣٥هـ — ١١٤٠م فلقى بها الامام ابن العربى وابا الحسن شريح بن محمد وابا بكر بن ابى طاهر ؛ ودخل قرطبة فاخذ بها عن ابى عبد الله بن أصبغ وابى مروان بن ميسرة وغيرهما . . . وسمع مشكل بن قتيبة عن ابى عبد الله بن وضاح بالمرية سنة ٥٣٧هـ — ١١٤٢م ، واخذ عن ابى محمد عبد الحق بن عطية ولازم ابن ابى الخصال وابا محمد النفزى المرسى وابا الحجاج بن رشد القيسى واباالوليد

ابن الدباغ وابا الحجاج بن يسعون ، وبعد ان استكمل معلوماته هنالك عاد الى وطنه فنزل مدينة الجزائر وأم بها فى صلاة الفريضة ونشر بها علمه ثم انتقل منها الى بلدة دلس فاقام بها الى وفاته رحمه الله في صفر سنة ٥٨٩هـ - فيفرى ١١٩٣م

---

## محمد بن ابراهيم الاصولى
## ٦١٢هـ - ١٢١٦م

هو القاضى الفيلسوف الحكيم ابو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدى البجائى الاصولي ، اشتهر بذلك لغلبة علم الاصلين عليه ، كان اوحد زمانه علما وتفننا وخاصة في العلوم الحكمية والفلسفية ، اصله من بنى مرزقان الاشبيليين ، سكن اسلافه مدينة بجاية فنشأ بها محمد عالما ومتعلما وتولى قضاءها مرتين ثم صرف عن القضاء للمرة الثالثة سنة ٦٠٨هـ - ١٢١١م فتولى مكانه ابو محمد بن الحجاج ، فخرج الشيخ يومئذ من بجاية متوجها الى المشرق ودخل مصر فطاف بمعالمها واتصل باكابر علمائها ومحدثيها ودخل الاندلس مرارا وتولى قضاء مرسية واستخلف على قضاء مراكش ، وكان عمدة علماء عصره فى علوم الفلسفة وأوذى فى سبيلها من طرف الخليفة المنصور فكان ممن اضطهد في جماعة ابن رشد الذين اشتغلوا بها من فضلاء الاندلس سنة ٥٩٣هـ - ١١٩٦م وكان رحمه الله المثل الاعلى بين اخوانه فى الشجاعة الادبية والصبر على ما اوذى به في سبيل حريته الفكرية حتى ان المؤرخين اجمعوا على انهم لم يروا اصبر منه على خطب ولا اقوى جلدا على محنة !.. وله من التآليف : اصلاح كتاب المستصفى للغزالي : ازال ما به من التحريف والتصحيف مع تقييد مفيد عليه ايضا ~~، ولا يعلم تاريخ وفاته بالضبط~~ الا انه كان حيا في آخر القرن السادس الهجرى كما يؤخذ من تاريخ محنته واضطهاده

## ابو عبد الله محمد الوهراني

### ٦٠١هـ - ١٢٠٥م

هو قاضي الجماعة ومثال الاناة والعدالة الاسلامية العلامة ابو عبد الله محمد بن علي بن مروان بن جبل الهمداني الوهراني ، نشأ بتلمسان واشتهر بها فضله وعليه فولي قضاءها ، ثم نقل منها الى قضاء الجماعة بعاصمة المملكة « مراكش » في مكان ابي جعفر بن مضاء ، فتولاها سنة ٥٨٤هـ ( ١١٨٨م ) ثم تولى قضاء اشبيلية الى سنة ٥٩٢هـ ( ١١٩٥م ) فانصرف يومئذ عن القضاء ثم اعيد اليه بعد انصراف ابي القاسم بن بقي ، وكان رحمه الله عالما مهابا حميد السيرة ضابطا للاحكام متضلعا فيها سريع الفصل في النوازل الا في الحدود فانه كان متربصا يتلوم كثيرا ، فلم يؤثر عنه انه اقام حد الجلد على احد ، كانت وفاته ليلة الاحد ٩ جمادى الاولى ٦٠١هـ ( ٢ جانفيي ١٢٠٥م )

---

## محمد بن حسون الجزائري

### ٦٠٦هـ - ١٢٠٩م

هو ابو عبد الله محمد بن يخلف بن يوسف بن حسون ، من اهل مدينة الجزائر ، اخذ عله اولا عن مشيخة بلده ثم ارتحل الى الاندلس مستزيدا فنزل اشبيلية منسلكا في سلك طلبة معهد مسجد بني جران ، وكان من مشائخه فيها الامام ابو عبد الله محمد بن عبد الحق الاشبيلي – دفين بجاية – وابو زكرياء يحيى بن ياسين المعروف بابن اللولو وابو اسحاق بن ملكون وابو بكر محمد بن عيسى البطليوسي وابو محمد بن موجوال ثم انتقل الى مدينة مالقه فلقي بها ابا زيد السهيلي وغيره من فطاحل علماء الاندلس ، ثم عاد ابن حسون الى بلده – الجزائر – فتوفي بها في العشر الاواخر من شهر صفر ٦٠٦هـ–سبتمبر ١٢٠٩م

## محمد بن حماد الصنهاجي

## ٦٢٨هـ - ١٢٣٠م

العلامة المؤرخ والاديب الشاعر المفلق ابو عبد الله محمد بن علي بن حماد بن عيسى بن ابى بكر الصنهاجى ، نشأ ببرج حمزة قرب البويرة - دائرة البيبان - من عمالة الجزائر ، اخذ العلم اولا بقلعة بنى حماد ثم على شيوخ بجاية امثال الشيخ ابي علي المسيلي والقاضى ابن جبارة وابى مدين الاندلسى الاشبيلي - دفين تلمسان - وغيرهم ثم دخل مدينة الجزائر وتلمسان وغيرهما وضل يتنقل في عواصم المغرب الاسلامى طالبا للعلم فبلغ عدد مقروؤاته ٢٢٢ مؤلفا اخذها كلها بالسند الصحيح والتلقى مباشرة عن المشيخة ، فبرز رحمه الله فى علوم اللغة والادب والفقه والحديث والتاريخ وله مشاركة حسنة في فنون اخرى ، ولاه الموحدون قضاء المغرب والاندلس فى عدة اماكن ، فانه كان على قضاء الجزيرة الخضراء الى سنة ٦١٣هـ ( ١٢١٦م ) ثم صرف عنها الى قضاء سلا الى وفاته سنة ٦٢٨هـ ( ١٢٣٠م ) وقد نيف على الثمانين سنة في عمره ، وله من التآليف كتاب في اخبار ملوك بنى عبيد - الفاطميين - طبع بالجزائر ١٣٤٦هـ - ١٩٢٧م ، وكتاب النبذ المحتاجة - او الدياجة - فى اخبار صنهاجة اعتمده كثيرا ابن خلدون في تدوين تاريخ هذا القبيل وانتفع به كثير من المستشرقين فنشر منه نبذة المستشرق ليفى بروفانصال في كتابه « نبذ تاريخية فى اخبار البربر » المطبوع برباط الفتح ١٣٥٢هـ-١٩٣٣م ؛ وعمارى في المكتبة الصقلية ، وشربونوا فى المجلة الاسيوية ( ١٨٥٢-١٨٥٥م ) وكتاب عجالة المودع وعلالة المشيع في الادب والشعر ، وكتاب لخص به تاريخ ابن جرير الطبرى ، وشرح لمقصورة ابن دريد ، وكتاب الاعلام بفوائد الاحكام لعبد الحق الاشبيلي ، وشرح لاربعين حديثا الخ ؛ ومن شعره قوله فى رثاء قلعة بنى حماد بعدما قضى الموحدون عليها سنة ٥٤٧هـ ( ١١٥٢م )

ان « العروسين » [١] لا رسم ولاطلل فانظر تر ليس الا السهل والجبل
وقصر « بلارة »[٢]اودى الزمان به فاين ما شاد منها السادة الاول
قصر الخلافة اين القصر من خرب غير اللجين وفى ارجابها زحل
وليس يبهجنى شيء اسر به من بعد ان نهجت بالمنهج السبل
وما روى الكوكب العلوى معتلم وقد عرى الكوكب التغيير والندل
وقد عفى « قصر حماد » فليس له رسم ولا أثر باق ولا طلل
ومجلس القوم مذهب الزمان به فحادث قبل فيه الحادث الجلل
وان في القصر-قصر الملك-معتبرا لمن تغرره الايام والدول
ومارسوم «المنار» الآن ماثلة لكنها خبر يجرى بها المثل
حتى المصلى بلت آياتها وعفت الا جدارا وما طلت به الطلل
كرجعك الطرف كانت كل آبرة فما تراه كذاك العمر والاجل
ومن قوله في قصر المنار بعد ابيات :
وانظر طيقان « المنار » مطلة على الوجنات الزاهرات الخمائل
كأن القباب المشرقات بافقه نجوم تبدت فى سعود المنازل
ويقول فيه ايضا من ابيات يصف بها روضة :
وقد قام « المنار » على ذراها كما قام العروس او الامير
بناء يزدرى ايوان كسرى لديه والخورنق والسدير

(١) مما انشاه الناصر بن علناس من قصور القلعة
(٢) هى بلارة بنت تميم بن المعز بن باديس الصنهاجى تزوجها الناصر بن علناس سنة ٤٧٠ هجرية ١٠٧٧ ميلادية

# جدول تاريخي

## ٥٢٤ـ ٦٣٣ هـ ( ١١٣٠ـ ١٢٣٥م

| تاريخ الحوادث | اهم الحوادث |
| --- | --- |
| ٥٢٤هـ ١١٣٠م | مبايعة عبد المؤمن بالخلافه |
| ٥٣٩هـ ١١٤٥م | الاستيلاء على ولاية تلمسان وخروج المرابطين منها |
| ٥٤٤هـ ١١٤٩م | سقوط مدينة مليانة بيد الموحدين |
| ٥٤٧هـ ١١٥٣م | القضاء على الدولة الحمادية وفيها كان الاستيلاء على ولاية الجزائر وبجاية |
| ٥٤٨هـ ١١٥٣م | انهزام الاعراب بوقعة سطيف واقطاع متيجة للثعالبة |
| ٥٥١هـ ١١٥٦م | الاستيلاء على بونة ـ عنابة ـ وطرد النورمان منها |
| ٥٥٥هـ ١١٦٠م | ضبط مساحة الشمال الافريقي وتكسيرها على الفراسخ والاميال |
| ٥٥٨هـ ١١٦٣م | وفاة عبد المؤمن وولاية ولده ابي يعقوب يوسف |
| ٥٨٠هـ ١١٨٤م | ظهور بني بن غانية الميورقيين ببجاية واستيلاؤهم عليها |
| ٥٨٦هـ ١١٩٠م | استنجاد الدولة الايوبية باسطول الموحدين |
| ٥٩٩هـ ١٢٠٢م | استيلاء يحيى بن غانية على بجاية ثانيا |
| ٦٠١هـ ١٢٠٤م | انتزاع ولاية بجاية من يد يحيى بن غانية |
| ٦٠٣هـ ١٢٠٧م | تولية ابى محمد عبد الواحد بن ابي حفص على ولايتي بجاية وتونس |
| ٦٠٦هـ ١٢٠٩م | خيبة يحيى الميورقي فى ثورته الثانية بنواحى تيهرت |
| ٦١٨هـ ١٢٢١م | محاربة والي افريقية الحفصي لابن غانية وفراره الى الزاب ثم الجزائر |
| ٦٢٥هـ ١٢٢٨م | قيام ابى زكريا يحيى بمحاربة ابن غانية وطرده من القطر الجزائرى |
| ٦٢٧هـ ١٢٢٩م | استبداد الحفصيين بولاية تونس وبجاية |
| ٦٣٣هـ ١٢٣٥م | استبداد بنى عبد الواد بولاية تلمسان |

# الفهرست

## الدولة الرومانية ٧٦ ـ ١٠٧



## الدولة الفاندالية ١٠٨ ـ ١١٦



## الدولة البيزنطية ١١٧ ـ ١٣٠

## القسم الثانى : الجزائر العربية المسلمة ١٣١



## الخوارج بافريقية

## الدولة الرستمية ١٩٢ – ٢١٢



## الدولة الادريسية ٢١٣ – ٢٢٥

## الدولة الاغلبية ٢٢٦ ـ ٢٤٤



## الدولة العبيدية ـ الفاطمية ٢٤٥ ـ ٢٧٥

## الدولة الزيرية ـ الصنهاجية ٢٧٦ ـ ٣٠٧

## الدولة الحمادية ٣٠٨ - ٣٤٣

## الدولة المرابطية ٣٤٥ ـ ٣٥٨

صفحة



## الدولة الموحدية ٣٥٩ ـ ٤٠٠

# فهرس الخرائط والصور

# بعض التصويبات

| ص | س | الخطأ | الصواب |
|---|---|---|---|
| ٥ | ١٤ | مكرها | مكـرة |
| ٨ | ١ | ابجديا | هجائيا |
| ١٨ | ١ | ما التاريخ | ما هو التاريخ |
| ٤١ | ١٤ | يأتونه | يأتيه |
| ١٢٤ | ١٣ | دولة الروم | الرومان |
| ١٢٤ | ١٣ | حظ الرومان | الروم |
| ١٥٣ | ١٦ | بالفنا | بالقنا |
| — | ١٧ | اغلقت | غلقت |
| ٣٥٩ | ٣ | ١٤٥١—١٠٦٩ | ١١٤٥—١٢٦٩ |

وهناك هنات واخطاء مطبعية تـدرك بالبـداهة فمعذرة

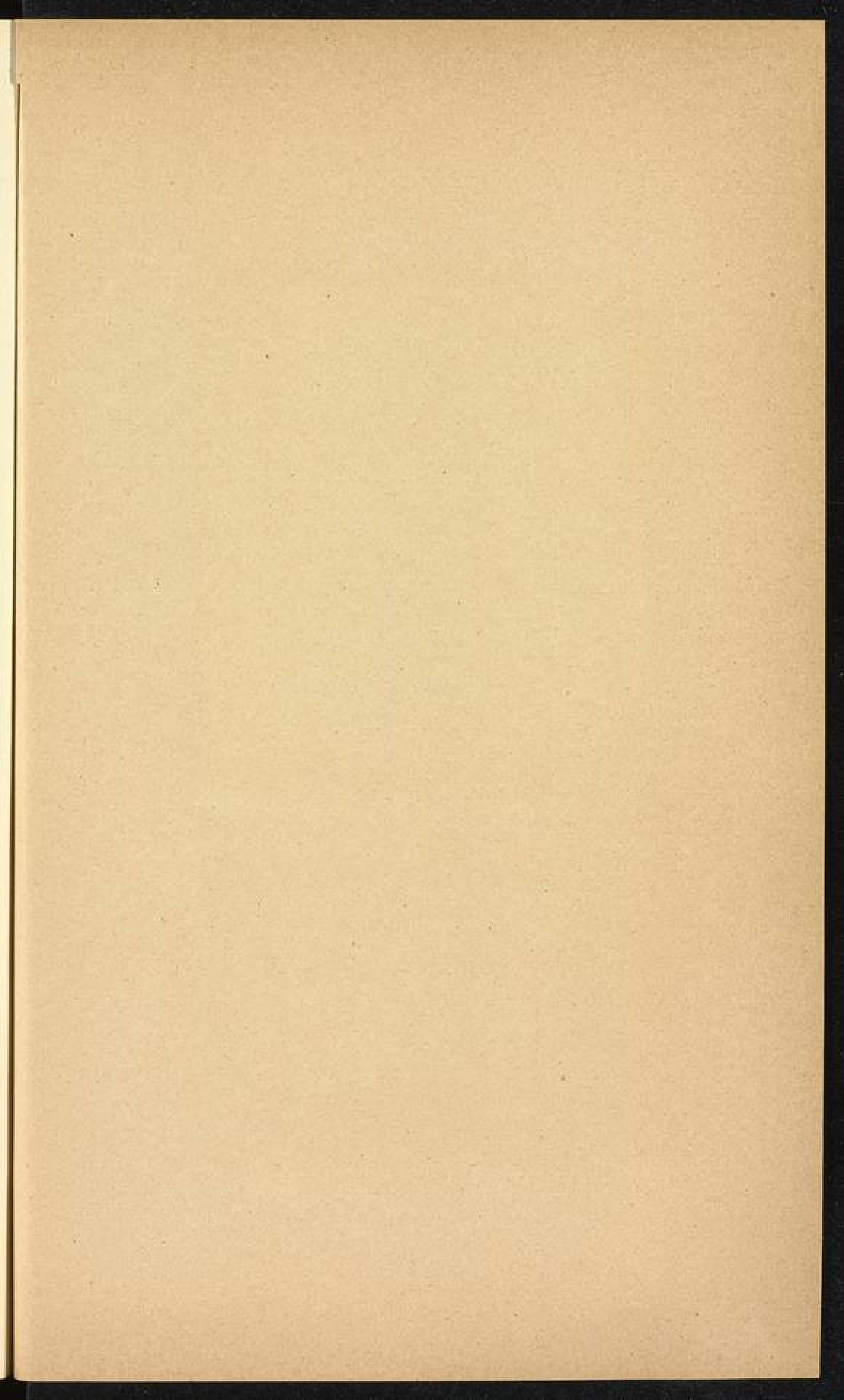
تم طبع الجزء الاول

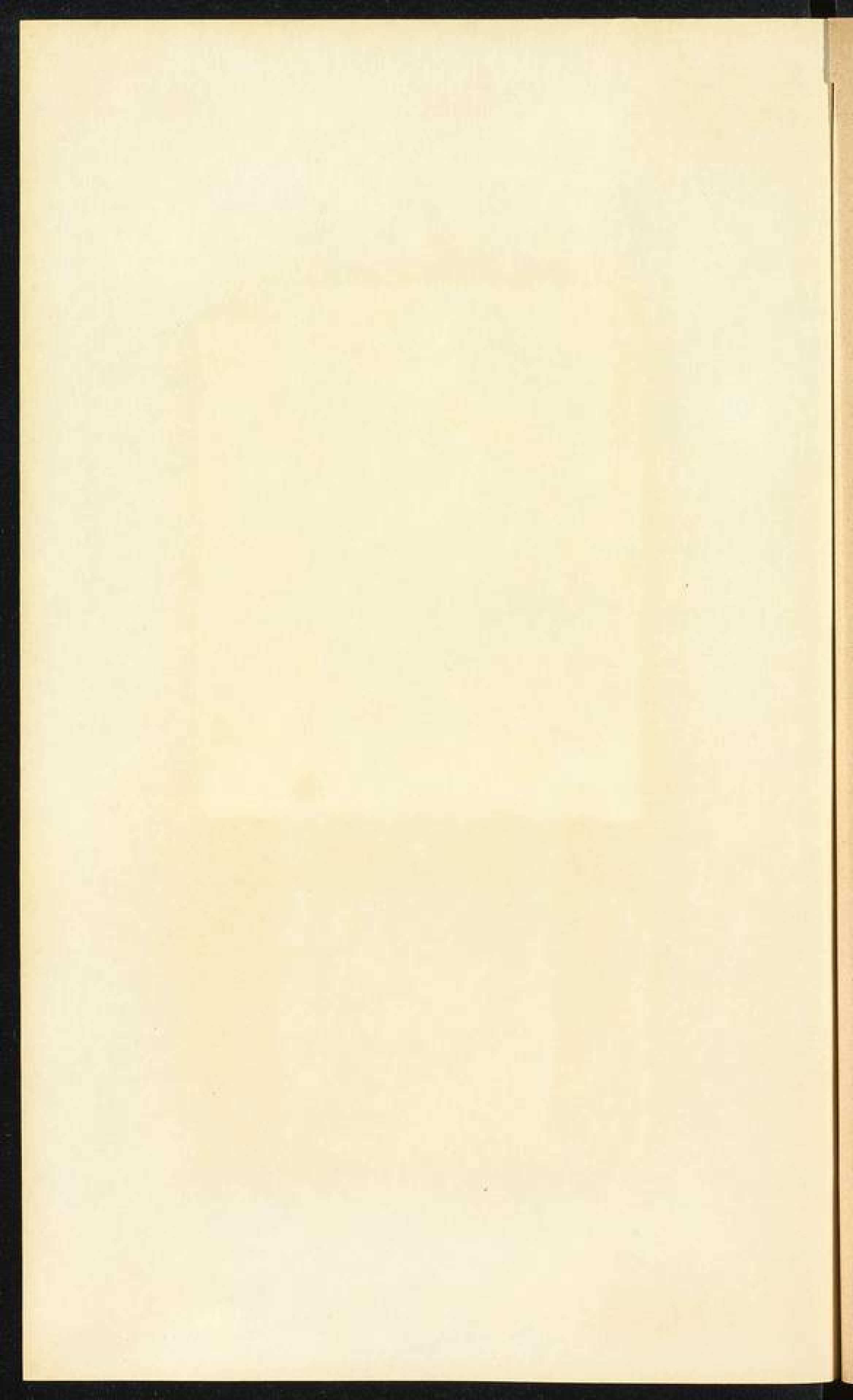
ويليه الثاني اوله : الدولة الحفصية

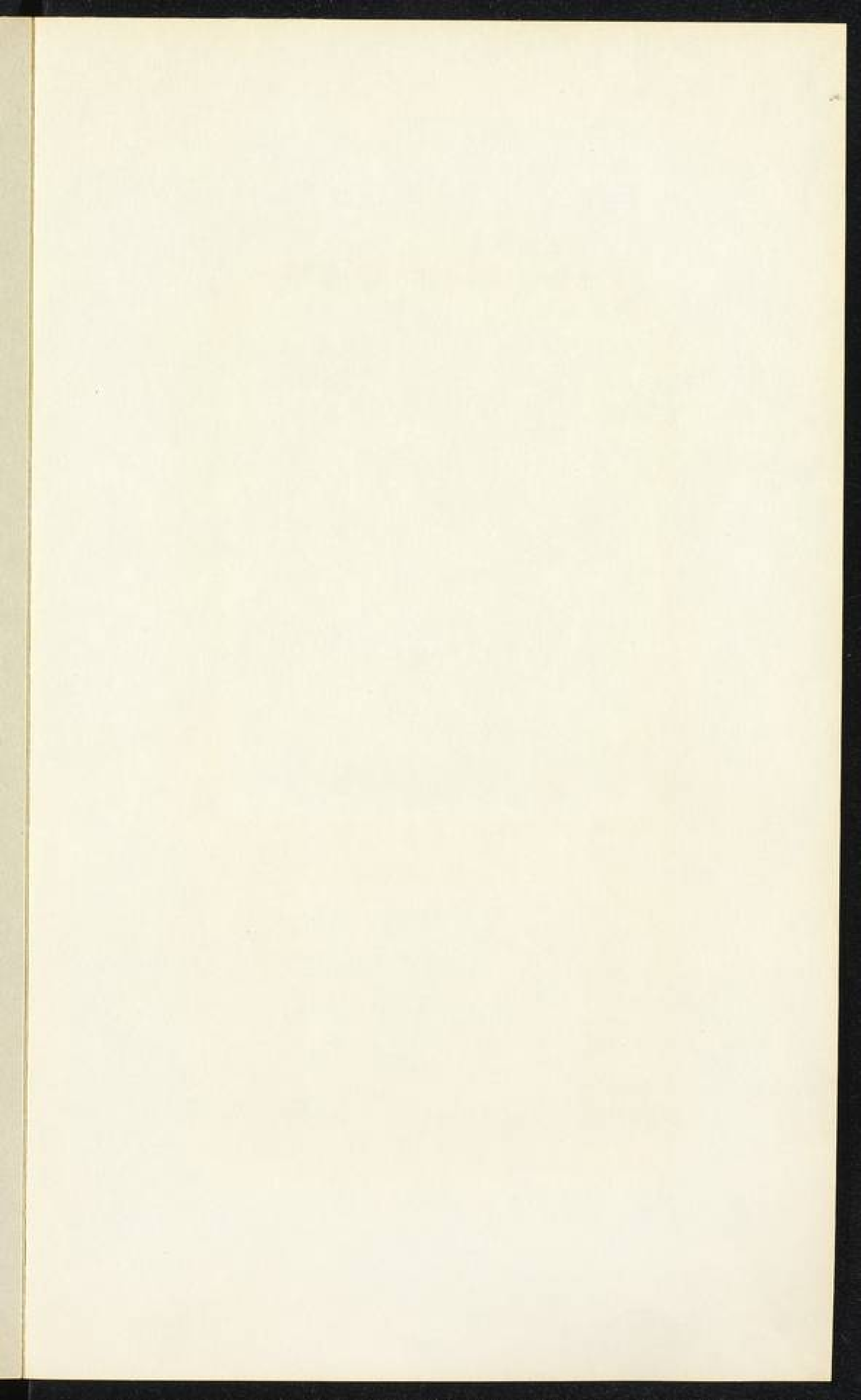
---

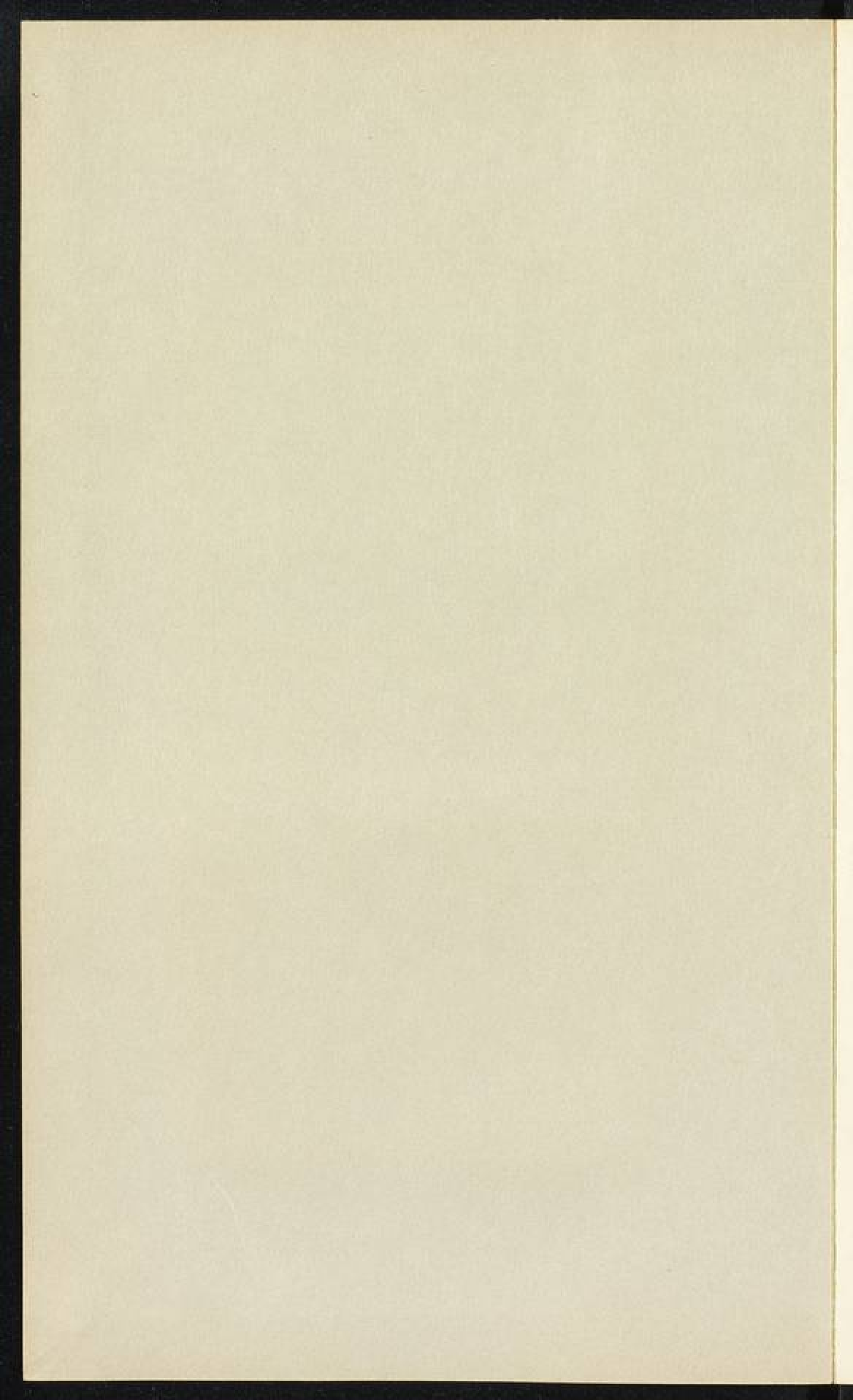
عنوان المؤلف

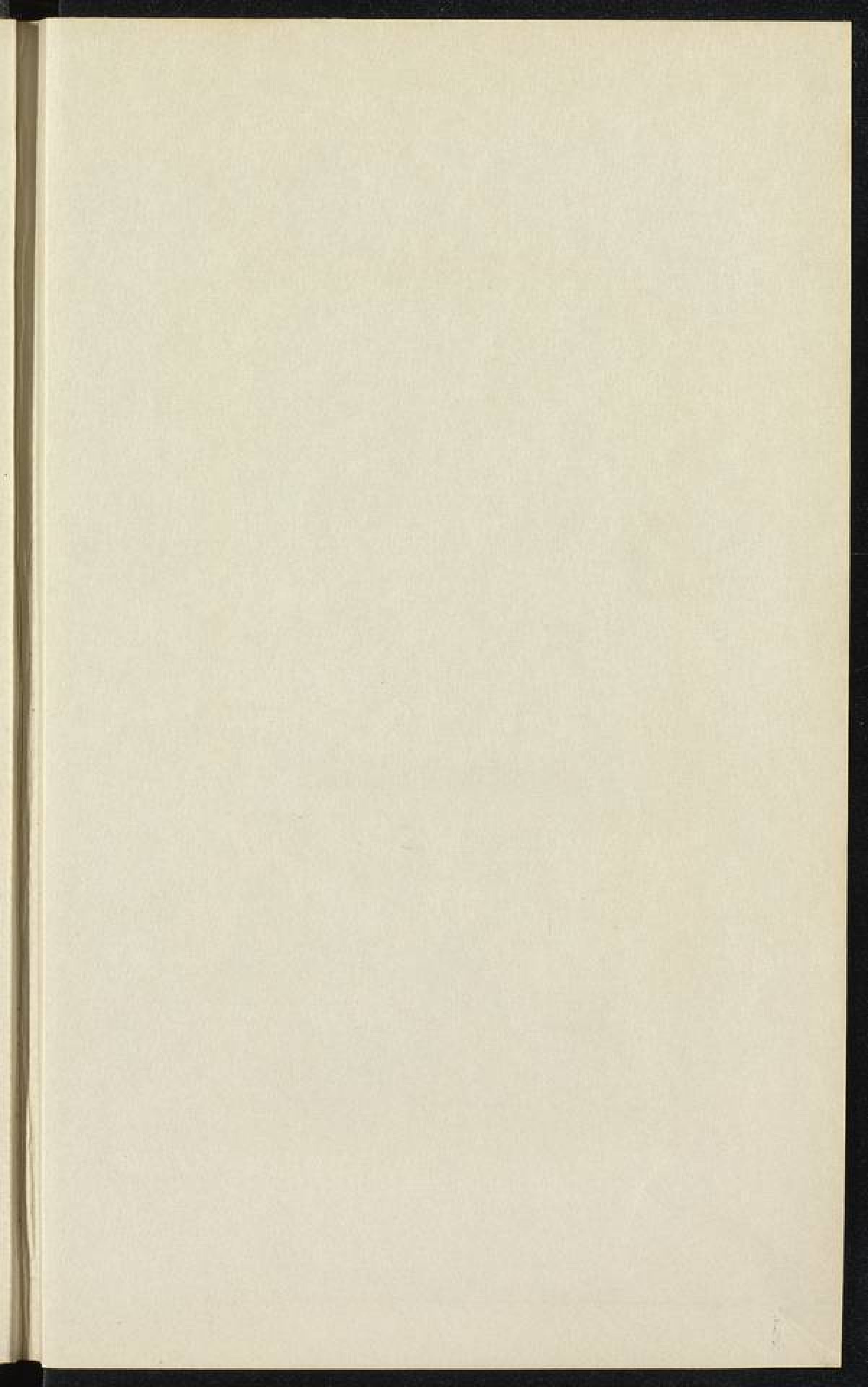
ABDERRAHMANE DJILALI
VILLA BOUSTÈNE
75, RUE FONTAINE BLEUE
ALGER












COLUMBIA UNIVERSITY
0026811740

